الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 24 MAY 1979

العدد (٢٤) - جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ/مايو ١٩٧٩ م



صفحة مفقودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٢٤) جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ — مايو ١٩٧٩م

هذا العدد



★ لا يزال هناك حتى اليوم ، الكثير من الاعتقادات والعادات والموروثات التي وصلتنا عن قدامى العرب ، والتي تدل على أصول هامة وحقيقية للقصص والحكايات الشعبية .. فقد عرف العرب في أدبهم الرسمي .. والشعبي ، أنواعاً متعددة من الحكايات التي أخذت سمة الشعبية ، منها الحكايات المرحة والألغاز والحيوانات والبطولة (ص ١٠٦) ★



★ قامت على انقاض مدينة عتيقة في العهد الفينيقي لتصبح ثاني مدينة في القارة الإفريقية لمزايا اختصت بها .. إنها مدينة الدار البيضاء إحدى مدن وثغور المغرب الشقيق بمعالمها وتاريخها من خلال الكلمة والصورة (ص ٣٥) ★



★ ما العلاقة بين الفن .. والصناعة ، وأيهما يؤثر في الآخر؟ والمجتمع الإنساني الذي ينمو من خلالهما ، ما هو دوره وتأثيره (طالع ص ١٣٠) ★

من كتاب هذا العدد
من كتاب هذا العدد

حمد عبدالرحمن الجنيدل

● من مواليد «شقراء» في المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٩ هـ.

● ماجستير اقتصاد إسلامي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.

● عمل مديراً لإحدى المدارس المتوسطة، ثم عضواً بهيئة التأديب.

● له مجموعة من الكتب تحت الطبع، وأخرى مخطوطة منها «تاريخ المكتبات في المملكة العربية السعودية» ٤ مجلدات، «الملكية الفردية في الإسلام»، إلى جانب تحقيق بعض الكتب مثل «وصية عبد الله ابن شداد»، «رجال سند الإمام أحمد» وغيرها.

● عضو جمعية الثقافة ـ قسم التراث.



د. عبد الرحيم بدر

● من مواليد الخليل ـ فلسطين عام ١٩٢٠م.

● بكالوريوس في الطب والجراحة ـ جامعة القاهرة.

● عمل طبيباً في فلسطين، والكويت، ويعمل حالياً في عيادته الخاصة بعمان ـ الأردن.

● له اهتمام خاص بعلم الفلك، وقد كتب عدداً من المواضيع في المجلات والصحف.

● زار عدداً من البلدان العربية والأوروبية.

● له مؤلف مطبوع بعنوان «الكون الأحدب»، وترجم كتاب «بدائع السماء»، وله مجموعة من المقالات والمحاضرات عن الفلك.

● عضو في رابطة الكتّاب الأردنيين.



د. علي أبو المكارم

● متخصص في الدراسات اللغوية.

● دكتوراه ـ جامعة القاهرة.

● عمل في التدريس بالجامعة، وأنشأ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية ـ جامعة طرابلس.

● له عدد من المؤلفات.. إلى جانب أبحاث نشرت في مجلات علمية وأدبية.

● أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الدراسات اللغوية، في جامعتي القاهرة، وعين شمس.

● يعمل حالياً أستاذاً في كلية الآداب ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

د. يوسف عزالدين

● من مواليد العراق عام ١٩٢٢م.

● دكتوراه ـ جامعة لندن عام ١٩٥٧م.

● تدرج في العديد من الوظائف بجامعة بغداد والمجمع العلمي العراقي، كما شارك في عضوية مجمع اللغة العربية بدمشق.

● رأس تحرير مجلة (الكتاب)، وشغل منصب مدير عام الصحافة والإرشاد، ثم وكيل كلية الآداب.

● ساهم في كثير من المواسم الثقافية والمحاضرات، كما حضر العديد من المؤتمرات اللغوية والأدبية.

● له عدد من المؤلفات باللغة العربية والإنجليزية، بالإضافة إلى العديد من البحوث.



د. أحمد بسام ساعي

● من مواليد مدينة اللاذقية ـ سورية عام ١٩٤١م.

● اجازة في اللغة العربية وآدابها ـ جامعة دمشق ١٩٦٤م.

● ماجستير في الأدب الشعبي ـ جامعة القاهرة ١٩٧١م.

● دكتوراه في الأدب الحديث ـ جامعة القاهرة ١٩٧٦م.

● مدرس الأدب الحديث في جامعة تشرين ـ اللاذقية.

● صدر له كتابان «الحكايات الشعبية في اللاذقية»، «حركة الشعر الحديث من خلال أعلامه في سورية».



د. محمد فاروق النبهان

● من مواليد حلب ـ سورية عام ١٩٤٠م.

● دكتوراه في العلوم الإسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

● عمل أستاذاً في كلية الحقوق والشريعة ـ جامعة الكويت، وأستاذاً في كلية التربية ـ جامعة الرياض، وأستاذاً في كلية الشريعة واللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

● يعمل حالياً مديراً لدار الحديث الملكية الحسنية في الرباط ـ المغرب.

● اشترك في عدد من المؤتمرات الإسلامية المختلفة.

● له عدد من المؤلفات المطبوعة إلى جانب مجموعة من البحوث العلمية المنشورة في المجلات العربية.



د. محمد عبدالرحمن مرحبا



● من مواليد طرابلس ـ لبنان عام ١٩٢٧م.

● دكتوراه الدولة في الآداب (فلسفة) جامعة باريس.

● يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية.

● يعمل حالياً أستاذاً للفلسفة في الجامعة اللبنانية، وجامعة بيروت العربية.

● له عدد من المؤلفات المطبوعة.

د. عبد القدوس أبو صالح

● من مواليد حلب ـ سورية عام ١٩٣٢م.

● ليسانس في الآداب والحقوق.

● دبلوم في التربية.

● دكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف.

● أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

● مؤلفاته المطبوعة:

★ ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي، ★ ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، ★ يزيد بن مفرغ: حياته وشعره.

● وله قيد الطبع:

★ ابن شرف القيرواني ومسائل الانتقاد، ★ كتاب العفو والاعتذار للرقام البصري، ★ عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس.

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **

- اكتشاف أثري في سلْع البتراء في السعودية .
- مؤتمر وزراء الأوقاف في الدول الإسلامية .
- تعاون أثري ، سوري - اردني .. ودار السياب تتحول إلى متحف في العراق .
- قاعة لأمهات كتب المستشرقين في الأردن .
- النقد الأدبي .. والفني حول مائدة مستديرة في تونس .

- البحث مستمر عن مدينة أثرية عمرها خمسة آلاف عام في فرنسا .
- أكبر مشروع لإقامة مجمع ثقافي يحمل اسم : مركز المعرفة بأميركا .
- «ابن الرومي» .. في انجلترا .. والاحتفال بالذكرى ٤١٥ لشكسبير .
- مهرجان الأندلس .. في إسبانيا .
- اكتشاف مدينة أثرية عمرها ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد .. في الصين .

مؤتمر وزراء الأوقاف في الدول الإسلامية

افتتح مؤتمر وزراء الأوقاف في الدول الإسلامية بمكة المكرمة ، وقد ناقش المؤتمر مشكلة المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي في فلسطين المحتلة .. والعمل على دعم التوعية الإسلامية ، لكي تساهم الشعوب الإسلامية في القيام بواجبها لتحرير المسجد الأقصى .

مؤتمر الحاسب الإلكتروني

تم عقد المؤتمر الخامس للحاسب الإلكتروني ، ذلك المؤتمر الذي قامت بتنظيمه جامعة البترول والمعادن بالظهران .. وقد اشترك في المؤتمر جميع المؤسسات العالمية المنتجة للحاسب الإلكتروني ، ويهدف المؤتمر إلى تبادل المعلومات والخبرات عن أحدث ما أنتجته التقنية من آلات حديثة في الحاسب الإلكتروني .

معرض الكتاب الإسلامي

تم افتتاح معرض الكتاب الإسلامي ، الذي أقيم في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض ، وذلك بمناسبة انعقاد اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

اشترك في هذا المعرض حوالي ٣٣ داراً من دور النشر من مختلف البلاد الإسلامية .

متحف إسلامي بالمدينة المنورة

قريباً ، يتم إنشاء المتحف الإسلامي للآثار الإسلامية ، حيث يضم المتحف ، الآثار الإسلامية الموجودة بمنطقة المدينة المنورة ، تلك الآثار التي تشكل تاريخاً يهم كل المسلمين في العالم .

اكتشاف أثري في سِلْع البتراء

اكتشفت نقوش نبطية قديمة تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد في الجدار المحيط بمعبد « **قصر البنت** » وسط مدينة سِلْع / البتراء .. وهذا الاكتشاف يُعيد بناء المعبد إلى عهد الحارث الرابع ، الملك النبطي ، لا العصر الروماني كما كان شائعاً .

وجدير بالذكر أن **سِلْع البتراء** هي المدينة التوأم **لحجر ، مدائن صالح الواقعة شمالي المدينة المنورة .**



مركز عربي لإحياء التراث الفني

عودة لدراسة موضوع إنشاء المركز العربي لإحياء التراث الفني بالتعاون مع جامعة الدول العربية .. ومن المقرر أن يكون المركز الجديد شاملاً لكافة المجالات في مختلف الفنون **وأن تكون الرياض مقراً رئيسياً له .. وقد وجهت الدعوة للجامعة العربية لدراسة هذا الموضوع .**

معرض تشكيلي

اتم **معرض المسابقة الثانية للفنون التشكيلية** على مستوى منطقة « **الأحساء** » والذي يعتبر مشاركة **في إحياء التراث وتطوير الحياة وتعبير عن المستوى الحضاري ،** وقد اشترك فيه عدد من الفنانين السعوديين ، منهم سيد حسين العلي وعبد الرحمن أحمد المسلم وعبد الرحمن السليمان وعبد العزيز الخوفي وعبد المنعم الزغيبي وعلي جويدر وناجي سليمان العلي وخالد الخوفي وأحمد المغلوث وعدد آخر من الفنانين التشكيليين .

ندوة للتراث الشعبي

في هذا الشهر ، تقرر إقامة الندوة الثالثة للتراث الشعبي ، التي تنظمها جامعة الرياض .. والندوة تهدف إلى إبراز وإحياء الفنون الشعبية ، وسوف تستمر الندوة أربع أمسيات ، في خلالها تقدم مختلف ألوان الفن الشعبي من القصائد والمساجلات والعرضات .

أكثر من مائة قصة للأطفال

ضمن احتفال المملكة بمناسبة عام الطفل الدولي ، أعد يعقوب محمد اسحق رئيس تحرير مجلة « حسن » للأطفال بجدة أكثر من مائة قصة قصيرة للأطفال لطبعها في كتاب وذلك بعد إذاعتها على مدى عشر دقائق يومياً ، وقد وضع مقدمة شعرية لها مدير البرامج بإذاعة جدة ، بدر كريم .

مسابقة رسوم الأطفال بجدة

دعت الجمعية الفيصلية الخيرية النسوية بجدة ، إلى مسابقة لرسوم الأطفال وذلك بمناسبة عام الطفل العالمي ، على أن تكون رسومات الأطفال من وحي البيئة التي يعيشون فيها سواء كانت مدينة أو قرية أو منطقة صحراوية أو ساحلية .. وتلون بالأقلام أو الألوان المائية .

كتب جديدة

- «**جولات في رياض الأدب**» تأليف اللواء يحيى عبد الله المعلمي .

صدرت الثلاث دواوين التالية عن دار ثقيف للنشر بالطائف :

- «**نداء حبي**» لفهد النفجان .
- «**إلى أمتي**» لعبد الرحمن العشماوي الذي اشتهر بابن السروات .
- «**أحلام المصيف**» لغازي العامودي .
- «**هتاف الحياة**» ديوان جديد للشاعر عبد الله جبر من مطبوعات النادي الأدبي بالطائف .
- «**ابن بليهد ، حياته وأدبه**» ، من تأليف الدكتور محمد بن سعد حسين ، والكتاب يتعرض بالدراسة الشاملة لكل ما يتعلق بحياة هذا الأديب المؤرخ .
- عن «**أبو العيناء اليمامي**» الذي ألفه الشيخ محمد العبودي ، يعد راشد الحمدان دراسة عن حياة وأخبار هذا الشاعر الذي عُرف بالظرف ، واللطف .
- «**ألوان الطيف**» ديوان للشاعر سليمان الحماد .

سورية

حفريات في «طبقة فحل»

تجرى حفريات مهمة في موقع «طبقة فحل» الأثري للكشف عن بقايا المدينة القديمة هناك . . وأهمية هذا الموقع تكمن في أن طبقة فحل . . أو «بيلا» كانت إحدى المدن العشر الرومانية التي أنشأها الرومان لنشر ثقافتهم في بلاد الشام الجنوبية ، والجديد بالذكر ، أن في هذه المنطقة وحول أسوار المدينة نفسها جرت أهم موقعة حاسمة بين جيوش الفتوح الإسلامية والقوة العسكرية الرومية سنة (١٤ هـ) . . وقد لاقى المسلمون في هذه المعركة عنتاً شديداً ، حيث فجر الروم السدود . . وأغرقوا الأرض ، وقد استشهد في هذه المعركة كثير من الصحابة ، منهم ضرار بن الأزور ، ومقامه لا يزال ماثلاً هناك إلى اليوم .

وفاة مصمم شعار «فتح»

الفنان السوري نعيم إسماعيل الذي طالما سجل انتصارات وآلام القضية الفلسطينية ، توفي في أوائل هذا العام . والمعروف أن الفنان نعيم هو الذي صمم شعار العاصفة لحركة فتح .

تعاون أثري سوري - أردني

تم الاتفاق بين دائرتي الآثار السورية والأردنية على التعاون والتنسيق فيما بينهما لإجراء حفريات مشتركة ، تنقيباً عن الآثار النبطية وبخاصة في مدينة بُصرى الشام .

كتب جديدة

- «**ابن الشاطر**» ، دراسة في أبحاثه الفلكية وتجميع لما نشر عنه بالعربية والفرنسية والانجليزية ، صدر عن جامعة حلب .
- «**القيد البشري**» ، ديوان للشاعر يوسف داوود ، وهو يضم تسع عشرة قصيدة .
- «**قمصان زرقاء للجثث الفاخرة**» ، مجموعة شعرية للشاعر عادل محمود .
- «**أبراج منذرة**» ، ديوان شعري باللغة الفرنسية للشاعر نهاد رضا الذي يكتب الشعر بالفرنسية ، إصدار وزارة الثقافة .
- «**أحزان شجرة الليمون**» ، مجموعة قصصية من تأليف سميرة بزبك .

كلمة

هذه المجلة .. وكتابها

من حين لآخر تتلقى هذه المجلة رسائل من أصدقائها الكتّاب تفوح سطورها بالعتب الرقيق حيناً ، والغضب الجميل أحياناً أخرى لتأخر نشر مواضيعهم .

ونحن بين العتب . . والغضب نشعر بالحرج المتزايد بتزايد المواضيع التي ترد إلى المجلة بشكل يدعو للغبطة والسعادة . . وبصورة تدعو إلى نشر بعض المواضيع بعد فترة زمنية قد لا يحتملها صبر كتابنا الأفاضل ، الذين قد يفسرون الأمر بأنه تقصير ، أو قصور ، أو عدم اهتمام بما يكتبون ، وربما ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك .

ولكي نزيل اللبس الذي لا يتفق مع الواقع ، ليس للدفاع عن المجلة والعاملين عليها ، وإنما لايضاح حقيقة الأمر بصدق وأمانة .

والحقيقة هي أن المجلة تتلق عشرات المواضيع المختلفة ، والمتشابهة يومياً ، وإذا عرفنا أن المجلة شهرية ، فإننا سنجد أنفسنا أمام عدد ضخم من هذه المواضيع لكتّاب من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ، إلى جانب الأبواب الثابتة التي تعدها هيئة تحرير المجلة .

وإذا أضفنا إلى هذا السيل الخير من المواضيع المختلفة والمتشابهة التزام المجلة بخطة عامة لكل عدد من أعدادها لتحقيق التوازن النوعي ، والجغرافي والموضوعي فإن الأمر يزداد ضيقاً ، ويزيد بالتالي من احراجنا أمام الكتّاب الذين يتهموننا بالقصور أو التقصير ، أو اللامبالاة ، وعدم الاهتمام . . ويعلم الله أننا أبرياء من هذه التهمة ، وأننا لا نفرق بين (س) و(ج) من الكتّاب ، وأننا نحرص على إرضاء الجميع ، ونكن للجميع كل ود وحب وتقدير .

ولنقرب الصورة أمام أصدقائنا الكتّاب أكثر ، نفترض أن عشرة مواضيع متشابهة وردت إلى المجلة من عشرة كتّاب عرب على اختلاف أقطارهم خلال شهر من الأشهر ، فهل يعقل نشرها في عدد واحد ؟

لو فعلنا ذلك لأصبحت المجلة موجهة لفئة محدودة جداً من القراء في الوقت الذي تقوم المجلة على الشمولية ، والتنوع من علوم وفنون وآداب .

وهذا يعني أن نشر موضوع واحد من العشرة المواضيع المتشابهة في كل عدد يؤدي إلى تأخير فترة نشر المواضيع الأخرى ، بحيث ينشر الموضوع العاشر بعد عشرة أشهر .

ولا شك أن هذه الفترة طويلة جداً بالنسبة لصاحبه ، والانتظار يبعث على الملل ، واليأس - أحياناً - بحيث يجعل من المجلة وسيلة مناسبة لتوجيه التهم إليها .

إننا نود أن نؤكد لكل الإخوة الكتّاب بأن هذه المجلة لكل العرب ، والناطقين بلغة الضاد ، وإذا كانت هناك ميزة أو أفضلية فهي للكاتب الجيد ، والموضوع الجيد والجديد في إطار خطة المجلة الرامية إلى التنويع ، والشمول ، فهل يعذرنا الكتّاب الذين يتأخر نشر مواضيعهم بعد أن طرحنا أمامهم القضية بصراحة وصدق وأمانة ؟ نرجو ذلك . . مع تقديرنا الكبير . . وعطر مشاعرنا .

ونود أن نؤكد ما سبق أن قلناه إن المجلة - أية مجلة - هي في الأصل الكاتب أولا ، والقارىء ثانياً ، وأنها بدونهما لا تمثل إلا ذاتها الضيقة ، ورؤيتها المحدودة ، وهذا ما لا يمكن أن تكون عليه هذه المجلة التي صدرت لخدمة الثقافة العربية والإسلامية من خلال كتّابها الأفاضل ، وقرائها الكرام . . والله من وراء القصد .

«المجلة»



★ بدر شاكر السياب ★



★ د. محمد التونجي ★

● «آدم والجزار» أحدث مجموعة قصصية صدرت للقاص الأديب عدنان الداعوق ـ الناشر اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق

● «أنشودة الشباب»، رواية قام بترجمتها عن اللغة الصينية سهيل أيوب، الناشر : دار دمشق .

● «عقد الدر في أخبار المنتظر» ليوسف بن يحيى السلمي الشافعي، وهو من رجال القرن السابع .. قام بتحقيق الكتاب الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو .

● «في المعدة وأمراضها ومداواتها»، لابن الجزار القيرواني، تحقيق الدكتور سليمان قطاية الأستاذ بجامعة حلب .

العــــراق

منزل السياب يتحول إلى متحف

يجري العمل حالياً لتحويل الدار التي كان يسكنها الشاعر العراقي بدر شاكر السياب في محافظة البصرة، إلى متحف أثري .

سيضم المتحف مخلفات الشاعر وآثاره التي تركها بعد وفاته .. وبعض ملابسه وكتبه والأقلام التي كان يستخدمها .. ورسائله ومخطوطاته ومسودات قصائده .

مؤتمر للجاليات العربية

تم في بغداد عقد اجتماعات مؤتمر الجاليات العربية في القارتين الأمريكيتين، الشمالية والجنوبية، لبحث عدد من الموضوعات المتعلقة بأوضاع هذه الجاليات وسبل دعم ارتباطها الحضاري والقومي بالوطن الأم .

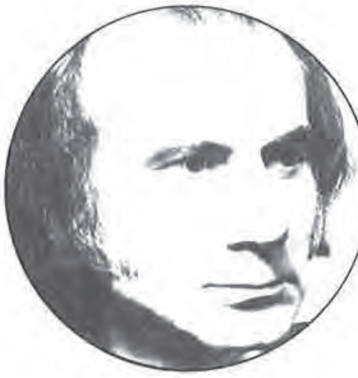
لقطة

★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★





★ جواد رضا ★



★ لمياء عباس ★



★ د. مصطفى ماهر ★

كتب جديدة

● «**النقد اللغوي عند العرب - حتى نهاية القرن السابع الهجري**»، دراسة علمية من تأليف الأستاذة نعمة رحيم العزاوي، الناشر: وزارة الثقافة والفنون.

● «**تعالي نذهب إلى البرية**»، ديوان للشاعر زاهر الجيزاني.

● «**تراتيل بدائية**»، ديوان للشاعر خليل الأسدي.

● «**نقاد الأدب**»، كتاب نقدي - تأليف جورج واتسون، ترجمة عناء عزوان وجعفر صادق الخليلي.

● «**الأفكار والأسلوب**»، ترجمة إبراهيم اليتيم.

● «**الصراع بين القديم والجديد**»، تأليف محمد حسين الأعرجي.

● «**منزل العرائس**»، مجموعة قصصية، تأليف أحمد خلف.

● «**لو أنبأني العراف**»، ديوان للشاعرة لمياء عباس.

● «**نصيحة المسلمات وذكر الموفقات متهن والعابدات**» لأحمد بن أبي بكر الحنبلي القادري، قام بتحقيقه ليث سعود.

● «**كوميديات اريستوفانس**»، ترجمة أمين سلامة، الناشر وزارة الثقافة والفنون.

مجمع اللغة العربية

انتهى مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والأربعين في النصف الأول من شهر مارس (آذار)، حيث قدمت الأبحاث المختلفة عن اللغة العربية ..، والتراث اللغوي ..، وتعريف الضمير في القرآن، كما نوقشت المصطلحات العلمية والفنية.

وسام تقديري

الدكتور مصطفى ماهر، الأستاذ ورئيس قسم اللغة الألمانية بكلية الألسن بجامعة عين شمس، حصل على وسام من الذهب، وهو عبارة جائزة تقدير دولية تقدم سنوياً إلى أحد علماء اللغة والآداب الألمانية البارزين في العالم، وقد أقيم له حفل بهذه المناسبة في معهد جوته بالقاهرة.

معارض تشكيلية

افتتحت خلال الأيام الماضية المعارض التالية .. معرض الفنانة «مارجو فيلون» بالمركز الثقافي الإيطالي، ومعرض الفنانين مصطفى مفتاح، ووهيب نصار، بقاعة أتيلية القاهرة، أما في قاعة «أخناتون» فقد عرض الفنان علي الغازولي ... وفي قاعة المركز المصري للتعاون الثقافي بالزمالك، عرضت الفنانة جيلان حسن بعض أعمالها الخزفية الإسلامية .. وفي الإسكندرية بقاعة المعارض بقصر ثقافة الأنفوشي، عرض طلبة قسم التصوير بكلية الفنون الجميلة أعمالهم الفنية من تصوير ونحت وحزف .. وفي قاعة أخناتون - أيضاً - عرض الفنان سامي علي حسن أعماله الفنية حيث قام بافتتاح معرضه رئيس هيئة الفنون.

الاحتفال بالقرن الهجري خمس سنوات

تقرر الاستمرار في الاحتفالات بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، خمس سنوات، خلالها تعقد الندوات والمؤتمرات والمعارض الدولية، منها مؤتمرات ومعرض بالقاهرة، وأن تشمل الاحتفالات بالعيد الألفي للأزهر وإعادة بناء مكتبته على أحدث طراز.

كتب جديدة

● «**الوسائل إلى معرفة الأوائل**» جلال الدين السيوطي، المتوفى عام (٩١١ هـ)، قام بتحقيقه الدكتور علي محمد عمر، الناشر محمود الزناري.

● «**خزانة السلاح**»، من الكتب المجهولة المؤلف وهو يحتوي على دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها في عصر الأيوبيين والمماليك .. وقد قام بتحقيقه ودراسته الدكتور نبيل محمد عبد العزيز، الأستاذ المساعد لتاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة المنيا، الناشر مكتبة الأنجلو.

● «**أسماء الكتب المتممة لكشف الظنون**»، تأليف عبداللطيف بن محمد رياضي زادة ..، وهو من رجال القرن الحادي عشر .. قام بتحقيقه وترتيبه الدكتور محمد التونجي.

● «**دليل الموشحات**»، تأليف المؤرخ الموسيقي محمود كامل.

● «**عباس محمود العقاد، رجل الصحافة ورجل السياسة**»، تأليف: راسم محمد جمال، وذلك بمناسبة مرور ١٥ عاماً على وفاة العقاد.

● «**نصوص من نقد أبي العلاء**»، تأليف الدكتور سعيد عبادة، يستعرض فيه جوانب جديدة من حياة الشاعر والفيلسوف العربي.

● «**الحكومة الإسلامية**»، تأليف د. محمد حسين هيكل، يتناول الكتاب بالدراسة نظام الحكم الإسلامي الذي يقوم على العدالة الاجتماعية والمساواة، والحرية. الناشر، دار المعارف.

● «**الباطنية**»، رواية من تأليف إسماعيل ولي الدين.

● «**الذي علم الحزن للقمر**»، مجموعة قصصية تأليف مرعي مدكور، الناشر جمعية الأدباء والفنانين.

● «**عنترة بن شداد**»، مسرحية من ثلاثة فصول، تأليف، الشاعر صلاح عبد الصبور.

● «**سفراء النبي عليه الصلاة والسلام**»، تأليف الدكتور مختار



★ محمد اليعلاوي ★



★ عباس محمود العقاد ★



★ صلاح عبدالصبور ★

الوكيل ، حيث يتناول مواقف هؤلاء السفراء الذين تربوا في المدرسة النبوية الشريفة ، الناشر : دار المعارف .

● « **ارجو أن لا تفهمني بسرعة** » ، رواية من تأليف محمود عوض .

● « **الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل** » ، تأليف الدكتور محمد عاطف العراقي أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بجامعة القاهرة .

● « **تذوق الموسيقى العربية** » ، تأليف المؤرخ الموسيقي محمود كامل ، تضمن مراحل تطور الغناء العربي منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا المعاصر .

● « **بكالوريوس في حكم الشعوب** » ، مسرحية ، تأليف الكاتب المسرحي علي سالم .

● « **البحث عن الدفء** » ، مجموعة قصصية تأليف محمد جابر الغريب .

● « **معجم تيمور الكبير** » ، تأليف أحمد تيمور ، وهو الجزء الثاني ، قام بتحقيقه الدكتور حسين نصار .

● « **أهداف كل سورة ومقاصدها - جزء عَمّ** » للدكتور عبد الله محمود شحاته ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● « **الإمام أبو الحسن الماوردي ، المفسر المحدث الفقيه الأصولي السياسي** » ، تأليف الدكتور محمد سليمان داؤود الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة طنطا والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد رئيس محكمة طنطا .

المغرب

الأسبوع الثقافي الكويتي

افتتح الأسبوع الثقافي الكويتي في عاصمة المملكة المغربية الذي أقامه المجلس الوطني للثقافة والفنون ، شمل الأسبوع عرض للكتب الصادرة في الكويت ، والفنون التشكيلية والأزياء والصناعات التقليدية .

● اعتذار للقارىء ●

★ بمطالعة مادة زاوية « حدث في مثل هذا الشهر » المنشورة في هذا العدد يجد القارىء أن مكانها في العدد (٢٣) الماضي ، في الوقت الذي يجب أن تنشر مادة العدد الماضي في هذا العدد .. لهذا نلفت نظر القارىء الكريم للتقديم والتأخير الذي حدث مع جميل اعتذارنا ، وعطر مشاعرنا ★

✽كتب جديدة✽

● « **المرابطون .. دولة البطولات** » ، تأليف عدد من أساتذة التاريخ .. وهو من الكتب التي تلقي الضوء على تاريخ دولة المرابطين والنهضة العلمية والأدبية التي تألقت في عصرهم والتي خلدت آداب وفنون الأندلس .

● « **النار .. والاختيار** » ، مجموعة قصصية من تأليف القصاصة « خناثة بنونه » .

● « **الحداد يليق بالأصدقاء** » ، مجموعة قصصية من تأليف الكاتب جميل عطية .

● « **الموسوعة المغربية** » ، المجلد الأول ، من وضع الدكتور محمد عزيز الحبابي .

تونس

النقد الأدبي والفني حول مائدة مستديرة

مائدة مستديرة ، نظمها نادي النقد التابع لدار الثقافة ابن رشيق ، حول موضوع : « وضعية النقد والنقاد في تونس » ، قسمت إلى أربع حصص ، الأولى عن النقد المسرحي ، قضاياه وآفاقه ، والثانية عن النقد السينمائي ، والثالثة عن النقد الأدبي والرابعة عن النقد الفني .

علوم البحار

انتظمت مؤخراً بمدينة صفاقس الدورة الثانية للملتقى على النوري لعلوم البحار حول موضوع : « الثروة البحرية التونسية ، وخاصيتها واستغلالها » ، حيث تم القاء ثماني عشرة محاضرة من قبل الخبراء .

معارض

تحت اشراف اللجنة الثقافية القومية وسفارة العراق بتونس ، أقيم بقاعة يحيى في تونس معرض الخطاط الدكتور سليمان إبراهيم عيسى ، رئيس جمعية الخطاطين العراقيين ، وقد اشتمل المعرض على مجموعة من اللوحات الزخرفية والتعابير الفنية عن طريق الخط العربي بأنواعه المتعددة .

أما في قاعة الأخبار ، فقد أقيم معرض الفنان محمد مفتاح ، حيث اشتمل على ٦٠ لوحة فنية من المحفورات .

وبقاعة العروض التابعة لوزارة الأخبار ، أقيم معرض الرسام الإيطالي لاركنجلو ليوناردي ، واشتمل المعرض على ٢٧ عملاً فنياً ، وذلك تحت اشراف اللجنة الثقافية القومية وسفارة إيطالية .

أما الفنان عبد الحميد عمار ، فقد أقام معرضه تحت اسم « من دموعي ودمائي أهديكم صوراً عن الأحياء وحياة الأموات » .

كما أقيم معرض للرسامين الجزائريين « ساسي » و « فويشي » بقاعة ارتسام بالعاصمة .

ندوة الألسنة واللغة العربية

تحت اشراف مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية ، انعقدت ندوة الألسنة واللغة العربية بنزل المعارة بضاحية قرت ، وقد شارك في الندوة عدد من الباحثين والأساتذة من تونس والمغرب ومصر .

جائزة بورقيبه في الآداب

الأديب التونسي محمد المرزوقي ، نال جائزة الرئيس بورقيبه في الآداب لعام ١٩٧٨ م ، وذلك تقديراً لمجموعة أعماله الأدبية .. وتقديراً لخدماته في سبيل الثقافة العربية التونسية .

سيمفونية عن المتنبي

كيف تلخص حديثاً عن شخصية تاريخية معروفة ، هذا ما حاول تنفيذه الدكتور وليد غلمية بالموسيقى ، حيث ألف سيمفونية تحمل اسم « المتنبي » .

كان قد سبق له تأليف سيمفونية تحمل اسم « القادسية » .

* كتب جديدة *

● « **التطور المذهبي بالمغرب ، ودراسة قصة حي بن يقظان** » ، تأليف محيي الدين عزوز ، الكتاب يحاول التعريف بالفلسفة في بلاد المغرب الإسلامي وعلاقة التيارات الفلسفية التي نشأت في هذه المناطق بمثيلاتها في بلاد المشرق الإسلامي .



* يعقوب الرشيد *



* الشاذلي قليبي *

● « **حكايات العروي** » ، للأديب المرحوم عبد العزيز العروي ، الناشر الدار التونسية .

● « **حديث المسافر** » ، تأليف سالم بوميزه .

● « **الجهاد التونسي في الشعر الشعبي** » ، تأليف محمد علي بلحولة ، الصحفي والمذيع ، وهو الكتاب الأول له .

● « **المجالس .. والمسايرات** » ، تأليف الحبيب الفقي ود . إبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي .

● « **الثقافة رهان حضاري** » ، تأليف الشاذلي القليبي ، الناشر : الدار التونسية .

● « **قصة الإسلام في تونس** » ، تأليف زينب الكعاك كتبته باللغة الفرنسية .

على ألسنتهم

●● لا أزعم أن الشعر ضرورة ملحة للإنسان كالخبز أو الماء أو الهواء .. وإلا كنت كاذباً ، لأن التجربة تشير إلى أن ملايين البشر عاشوا وماتوا دون أن يسمعوا أو يقولوا كلمة واحدة من الشعر .

د . غازي القصيبي
السعودية

●● الكتابة العربية ، هي أروع نمط زخرفي قد تخيله الإنسان ، وهي الوحيدة التي نستطيع أن نقول عنها - دون مبالغة - إنها تكتسي روحاً ملائماً لصورة الإنسان عند التعبير عن الأفكار ، كما تمتزج بالنغمات الموسيقية .

د . محمد عبدالكريم الجزائري
الجزائر



* د . غازي القصيبي *



* نازك الملائكة *

●● للشعر العربي مستقبل عظيم ، فقد خرج الشاعر المعاصر عن غرض المدح أو الهجاء أو الغزل أو الرثاء والوصف .. واتخذ الحياة كلها غرضاً .

نازك الملائكة
العراق

●● أرى أن صيد الحيوانات ، أسهل من صيد المعاني في الشعر ، فالشاعر ، كثيراً ما تعز عليه المعاني ويطلبها فلا يجدها .

الشاعر السفير :
يعقوب الرشيد
الكويت



* الطيب صالح *

●● إن العالم العربي هو العالم بأسره . مساحة هائلة من الكرة الأرضية يسكنها أكثر من ١٥٠ مليون عربي وإن استطاع الأديب أن يصل بإنتاجه إلى العالم العربي فقد أصبح عالمياً .

الطيب صالح
السودان

المسرح في الأرض المحتلة

بعد الهزيمة التي مني بها المسرح العربي في الأراضي المحتلة إثر حل معظم الفرق المسرحية من قبل سلطات الاحتلال الصهيونية، عادت إلى التكون فرق مسرحية صغيرة وباشرت عروضها الهادفة. ففي القدس، قدمت (فرقة الفنون المسرحية) عرضاً لمسرحية (وهبط الملاك في بابل) للكاتب العالمي فردريك دورينمات، وتلا العرض مناقشة أدارها الناقد محمد البطراوي. وقدم (نادي إسلامي رام الله) مسرحية (المرتزقون) من تأليف داود إبراهيم.



★ د . نوال طوقان ★

كتب جديدة

● «أوراق من زمن الاشتباك»، تأليف يحيى رباح.

جوائز للمتفوقين في الاقتصاد التنموي

مجلس إدارة صندوق الحسين للدراسات التنموية، قرر منح مكافآت تقديرية للجامعيين المتفوقين في حقل الاقتصاد التنموي ولأفضل المؤلفين والدارسين الذين ينشرون بحوثاً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعمالية.

.. وجوائز .. بمناسبة عام الطفل

دعا مركز هيا الثقافي - أكبر مركز ثقافي للأطفال في الأردن - جميع الكتّاب الأردنيين للاشتراك في المسابقات الثقافية في فن الرواية والمسرح والقصة القصيرة والشعر والموسيقى، الموجهة إلى الصغار .. وآخر موعد لقبول النتاج المرشح هو شهر يوليو (تموز) ١٩٧٩م.

وفاة عبد الحليم عباس

توفي الأديب عبد الحليم عباس عن عمر ناهز (٦٧) عاماً، وقد تولى عدد من المناصب الهامة في الأردن في أواسط الثلاثينيات، ومن أشهر مؤلفاته «سيرة أبي فراس» التي نشرت ضمن سلسلة إقرأ عام ١٩٤٦م.

وفاة العامري .. والدكتور رجي كمال

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ محمد أديب العامري، وهو واحد من رجالات الفكر والأدب في فلسطين والأردن، وقد شارك منذ تخرجه من الجامعة في الحياة

معرض تاريخي لفلسطين

منظمة الشبيبة الفلسطينية، أقامت في نادي التضامن في صور، معرضاً تاريخياً ضم العديد من اللوحات والوثائق التاريخية عن فلسطين منذ العصر الحجري حتى عام ١٩٦٧م.

وقد ضم المعرض أيضاً مجموعات من الصور التاريخية للعصور المختلفة والمعارك والغزوات التي تعرضت لها فلسطين على مر الزمن.

مهرجان فلسطين

جمعية الشبان المسلمين في القدس، أقامت «مهرجان فلسطين»، احتوى على معرض للكتاب والأعمال اليدوية والأزياء الشعبية وصناعة الخزف، كما ألقيت خلال المهرجان عدد من المحاضرات.

الاستعداد لإقامة معرض

الفنان محمد عبد السلام الذي قضى في سجون الاحتلال الصهيوني مدة أربع سنوات، يقوم حالياً بزيارة أهله في الأردن ويستعد لإقامة معرض لرسوماته.

فيلم وثائقي عن العرب في سجون إسرائيل

المخرج السينمائي الفرنسي روبير ليبوسكي، يقوم حالياً بإعداد الفيلم الوثائقي عن المعتقلين العرب في سجون إسرائيل.

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

٧ أبريل

٣٣٢ ق . م إنشاء مدينة الإسكندرية.

٩ أبريل

١٩٤٨ مذبحة دير ياسين.

١٠ أبريل

١٩٣١ وفاة الكاتب اللبناني جبران خليل جبران (طالع تاريخ مولده في العدد ١٩ من هذه المجلة).

١٤ أبريل

١٩٥٥ وفاة أحمد زكي أبو شادي.

١٥ أبريل

١٨٣٩ مولد رائد المسرح العربي يعقوب صنوع (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة).

١٧ أبريل

١٩٤٦ يوم الجلاء في سورية.

٢١ أبريل

١٩٣٨ وفاة الشاعر محمد إقبال (طالع شخصية الشهر).

٢٥ أبريل

١٨٥٩ بدء حفر قناة السويس.



★ محمد إقبال ★

الثقافية والسياسية في فلسطين ، وتقلب في عدة مناصب مهمة منها : وكيل وزارة المعارف ، ووزير الخارجية الأردنية ، ووزير الثقافة والإعلام ووزير التربية والتعليم .. وله عدة كتب من تأليفه وأخرى مترجمة عن الانجليزية ، كما نشرت له مقالات عديدة في الجرائد والمجلات العربية .

كما توفي الدكتور رجي كمال وهو من المتخصصين في الدراسات اللغوية العربية والسامية ، ويعتبر من الأعلام البارزين والدارسين للغة العبرية والآرامية ، قضى حياته في دراسة علوم اللغة ، وله عدد كبير من المؤلفات والأبحاث والكتب المدرسية ، أهمها « دروس اللغة العبرية » الذي يعتبر مرجع تعليمي جيد لطلبة الجامعات ، وقبل وفاته كان يعمل أستاذاً في الجامعة الأردنية .

جائزة لأفضل كتاب وتحقيق اقتصادي

مجلس إدارة البنك المركزي الأردني ، قرر تخصيص جائزة سنوية مالية مقدارها خمسمئة دينار ، تمنح لمؤلف أفضل كتاب اقتصادي أو مالي أو نقدي ينشر خلال العام ، وجائزة أخرى لأفضل تحقيق صحفي يجريه محرر صحفي في المواضيع المالية أو الاقتصادية أو النقدية .

جوائز الدولة التقديرية للآداب والفنون

وزارة الثقافة والشباب ، للعام الثاني تمنح جوائزها للآداب والفنون ، وقد فاز بجائزة الشعر التقديرية الشاعر الدكتور فواز أحمد طوقان وذلك عن ديوانه « البحيرة : ست محاولات لرسم الغروب » وفاز بجائزة التاريخ التقديرية الدكتور محمود أبو طالب ، عن كتابه « آثار فلسطين والأردن : أضواء جديدة ١٩٥٢ - ١٩٧٧ م » ، كما فاز بجائزة الفنون التشكيلية التقديرية الفنان ياسر دويك ، وذلك عن أعماله التي اشترك بها في معرض الفنون الثاني ١٩٧٨ م ، وقد حجبت الجائزة عن باقي الفروع .

متحف أثري في «مادبا»

تم افتتاح متحف أثري في مدينة « مادبا » التاريخية ، حيث ضم أهم مكتشفات تلك المنطقة ، كما ضم أيضاً روائع من التراث الشعبي الخاص بالمدينة نفسها .

معارض تشكيلية

افتتح في قاعة وزارة الثقافة والشباب معرض الفنان محمد مصطفى ، حيث ضم المعرض أربعين لوحة تمثل جوانب الحياة العربية من البيئة ، كما تم افتتاح المعرض الخامس للفنانة سامية الزرو .. أما معرض الفنان أمين عطية فقد استمر لمدة ثلاثة أسابيع ، والمعرض الثالث كان للفنان اللبناني الأصل أحمد شيحا ، حيث تميزت لوحاته بمزج التراث العربي الإسلامي بالحضارات المبكرة .

قاعة لأمهات كتب المستشرقين

خصصت مكتبة الجامعة الأردنية قاعة لأمهات كتب المستشرقين وأهم الدوريات التي تصدر في الدول العربية التي لها علاقة باللغة العربية والتراث الإسلامي .

المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام

بعد أن شاركت في حرم الجامعة السورية بدمشق وفود عربية وأجنبية في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (منذ القرن السادس عشر الميلادي حتى القرن العشرين) ، والاستعدادات تجري لعقد المؤتمر الثالث في الجامعة الأردنية . وسيكون موضوع المؤتمر : « فلسطين منذ العهد الإسلامي حتى اليوم » ، وكان المؤتمر الأول قد عقد في الجامعة الأردنية وموضوعه بلاد الشام حتى القرن الخامس عشر الميلادي .

كتب جديدة

● « **أحلام السنابل** » ، ديوان للشاعر علي الزعبي ، حيث ضم عدداً من القصائد والأشعار كلها من الشعر الكلاسيكي .

● « **المجتمع الأردني** » ، دراسة تربوية اجتماعية ، تأليف الدكتور شبيب أبو جابر .

● « **مقدمة في التربية** » ، تأليف الدكتور إبراهيم ناصر .

● « **تسقط الدبلوماسية** » ، تأليف السفير الأردني مدحت جمعة .

● « **تاريخ شرق الأردن في عصر دولة المماليك الأولى** » ، للدكتور يوسف درويش غوانمة .

● « **الحائر** » ، بحث في القصور الأموية في البادية الأردنية ، للدكتور فواز أحمد طوقان ، منشورات وزارة الثقافة والشباب .

● « **الملكية في الشريعة الإسلامية** » ثلاثة أجزاء ، للدكتور عبد السلام العبادي .

● « **الحياة الأدبية في بلاد الشام** » للدكتور عبد الجليل عبد المهدي ، منشورات مكتبة الأقصى .

شخصية الشهر

محمد إقبال

● يحتمل أنه من مواليد عام ١٨٧٦ م .

● شاعر وفيلسوف إسلامي ، من مواليد مدينة « سيالكوت » .

● بدأ تعليمه في مكتب لحفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى « لاهور » عاصمة ولاية البنجاب ، حيث التحق بكليتها ونال الليسانس والماجستير .

● درس الفلسفة في كامبردج ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة ميونيخ بألمانيا .

● ١٩٠٨ م ، اشتغل بالمحاماة وقرض الشعر عند عودته إلى وطنه .

● ١٩١٥ م ، بدأ العالم يتعرف على أشعاره على أثر نشر قصيدته التي أسماها « سر النفس » بالفارسية ، وقد كانت أغلب أشعاره تمجيد في الشخصيات الإسلامية .

● له آثار كثيرة ، منها بالإنجليزية « **تطور ما وراء الطبيعة في فارس** » و« **تجديد التفكير الديني في الإسلام** » ، كما له مؤلفات بالفارسية : « **أسرار الذات** » و« **رموز نفي الذات** » و« **رسالة المشرق** » .

● في عام ١٩٣٠ م ، اقترح على العصبة الإسلامية إعطاء المسلمين في شمال غربي الهند ، الحق في قيام دولة خاصة بهم ، وقد تم قبول هذا الاقتراح في عام ١٩٤٠ م .

● توفي في مدينة « لاهور » في ٢١ أبريل (نيسان) عام ١٩٣٨ م .

● «**شعر الصراع مع الروم**»، تأليف الدكتور نصرت عبد الرحمن.

● «**شعر الوليد بن يزيد**»، تأليف الدكتور حسين عطوان.

● «**نظرية العرف في الشريعة الإسلامية**»، تأليف الدكتور عبد العزيز الخياط.

● «**قصائد من وراء الحدود**»، ديوان شعري مشترك للشاعرين حلمي الأسمر وعلي مبارك.

● «**آن لنا أن نفرح**»، مجموعة قصصية للكاتب قاسم محمد توفيق.

● «**آثار الأردن وفلسطين**»، تأليف الدكتور محمود أبو طالب، وقد فاز الكتاب بجائزة الدولة التقديرية.

ترميم آثار لها تاريخ

منظمة اليونسكو، قررت المساهمة في ترميم مجموعة من الآثار الأيوبية الموجودة في منطقة ساحل لبنان والأردن، من أهمها قلاع «الكرك» و«الربض»، المطلة على وادي «حطين» الذي دارت فيه الموقعة الحربية الشهيرة بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين عام ١١٨٩م.. وترجع أهمية هذه الآثار المعمارية إلى امتزاجها بالفن العربي والأوروبي.

كتب جديدة

● «**مدخل إلى التاريخ العسكري**» ـ طبعة جديدة ـ تأليف الباحث إيريك موريز، ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «**الثنائية في ألف ليلة وليلة**» للباحث السوري الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الطليعة.

● «**عنكبوت الذاكرة والزمن**»، مجموعة قصصية، تأليف إيلي مارون خليل، حيث تصور الخوف والضياع في دوامة الدمار ببيروت.

● «**أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث**»، تأليف الدكتور فهمي جدعان، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «**مائة عام من العزلة**»، تأليف جابريال جارسيا ماركيز وهو واحد من أبرز كتّاب أميريكا اللاتينية والمرشح لجائزة نوبل، ترجمة د. سامي الجندي وانعام الجندي، الناشر دار الحكمة.

● «**ركاميات الصديق توما .. وأغاني زهران**»، ديوان للشاعر إلياس لحود.

● «**نظرات نقدية في الأدب العربي الحديث**»، تأليف الناقد علي بن عاشور، الناشر دار الكتاب البيروتية.

● «**عاصمة الأرض**»، ديوان للشاعرة فهيمة نصر الله، الناشر دار غندور للطباعة والنشر.

● «**وجه حبيبي، طالع من الدم**»، ديوان للشاعر عبد الكريم حسن، الناشر: دار الأصالة.

● «**الشعر الفلسطيني الحديث**»، تأليف الكاتب الفلسطيني خالد علي مصطفى، وهو دراسة للشعر الفلسطيني للدواوين التي صدرت مع الاستفادة من المصادر التي تناولت قضية الشعر والشعراء الفلسطينيين.



★ د. بدرية العوضي ★

ثروات البحار

الدكتورة بدرية العوضي تمثل الكويت في مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار الذي تقرر عقده في جنيف لبحث وضع قانون ونظام في شكل جديد لحقوق الدول الساحلية وغير الساحلية والمحافظة على ثروات البحار.

معرض لفنانة فرنسية

افتتح معرض الفنانة الفرنسية «رينيه كاسبار» بمبنى وزارة النفط، وقد تميزت أغلب لوحاتها بالطابع العربي ومحاولة لاستكشاف إنسان البحر والصحراء.

معرض الكويت السادس للتشكيليين العرب

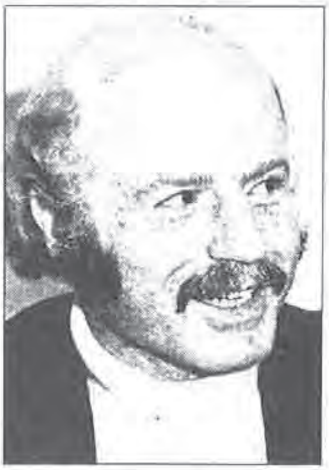
كان من المقرر افتتاح معرض الكويت السادس للفنانين التشكيليين العرب خلال الشهر الماضي، ولكنه تأجل وتم افتتاحه في النصف الأول من هذا الشهر، حيث اشتركت فيه معظم الدول العربية، كما أن عدداً من فناني المملكة العربية السعودية اشتركوا في المعرض، منهم حمزة باجودة، وسعد العبيد وأحمد المغلوث وفهد الربيق وسمير الدهام وغيرهم.

كتب جديدة

● من سلسلة «**من المسرح العالمي**»، صدر الجزء الخامس من الأعمال المختارة، يضم سيناريو فيلم «الغضب» ومسرحيتين إحداهما «العطش والجوع»، قام بالترجمة عن الفرنسية الدكتور حمادة إبراهيم، ومراجعة الدكتور سيد عطية أبو النجا، وبهذا الجزء الخامس، تختتم السلسلة أعمال يونيسكو التي كانت قد بدأتها في عام ١٩٧٢م.

● «**صمت خطواتي**»، ديوان جديد، يضم قصائد رمزية للشاعر فايق عبد الجليل رئيس مجلس إدارة المسرح الكويتي.

● «**للموت لهجة لبنانية**»، مجموعة من الصور والأحاسيس الوجدانية من تأليف ذو الفقار قبيسي.



★ إلياس خوري ★



★ جابرييل جارسيا ★

اكتشاف أكبر حبات لؤلؤ في العالم

في دبي تم اكتشاف عدد من الآثارات الثمينة داخل احد القبور الانفرادية، يرجع تاريخه إلى السنوات الأولى قبل الميلاد، من بينها ثلاث حبات من اللـؤلؤ الطبيعي.

هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها اكتشاف مثل هذه الحبات في علم الآثار في العالم.. وقد تضمنت الاكتشافات آثار أخرى منها ٦٠٠ رأس سهم مصنوعة من البرونز وبعض الحلي النسائية والأواني المرمرية والفخارية.

الحضارة العربية، الإسبانية في مهرجان

بدأت في الدوحة الاجتماعات الخاصة باللجنة المنظمة لمهرجان الحضارة العربية الإسبانية الذي سيقام في العام القادم ويستمر ستة أشهر، حيث يشترك فيه ممثلون من الجانبين، العربي والإسباني.

كتب جديدة

● «الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان»، تأليف محمد بن رزيق المتوفي عام (١٢٧٤ هـ)، قام بتحقيقه عبد المنعم عامر، الناشر وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان.

نـدوة عـلمية عـن «القـات»

أقام مركز الدراسات والبحوث اليمني ندوة علمية عن «القات» باعتباره ظاهرة اجتماعية واقتصادية، أما نتائج الندوة، فسوف تطبع وتوزع على المراكز العلمية في جميع الدول العربية للاستفادة منها في البحوث العلمية والطبية.

أول معـرض للـكتـاب

في صنعاء عاصمة اليمن أقيم أول معرض للكتاب نظمته جامعة صنعاء، استغرق أسبوعاً، وضم ٣٠٠٠ كتاب أغلبها دراسية بيعت بأثمان زهيدة.. والمعرض يهدف إلى التعريف بالكتاب اليمني، وبعض الكتب العربية.. وقد ذكر أن مكتبة جامعة صنعاء تضم ٢٤٨٩٢ كتاباً تقريباً باللغة العربية و ٢٧٤٤٨ كتاباً باللغات الأجنبية، كما تضم ١٣٠ دورية عربية، و ٢٦٨ أجنبية.

وبهذا المعرض يفتتح اليمن مستقبلاً مشرقاً لترويج وانتشار الكتاب اليمني خاصة بعد إنشاء مركز للدراسات اليمنية والذي طبع مؤخراً عدداً من الكتب القيمة.. واليمن معروف بكثرة مخطوطاته التي لم تر النور بعد.



★ ابن الرومي ★

مـهـرجـان للفـكر الإسلامـي

في سبتمبر / أيلول القادم، سوف يقام المهرجان الثالث عشر للفكر الإسلامي، وقد وجهت الجزائر، الدعوة إلى جميع المهتمين بالفكر الإسلامي من الباحثين والعلماء والمستشرقين في جميع القارات.

جائـزة لـ «محمـد ديـب»

رابطة كتّاب اللغة الفرنسية ـ في باريس ـ منحت الكاتب الجزائري الشهير محمد ديب، الجائزة الإفريقية المتوسطية، وذلك على كتابه الجديد «هابيل»، والكاتب محمد ديب، من أدباء الجزائر الذين يكتبون بالفرنسية.

المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الـوطـن الـعربـي

عقد في ليبيا المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد بحثت فيه عدة موضوعات مهمة لتحديد «استراتيجية ثقافية عربية». ومن الموضوعات الرئيسية التي نوقشت مشروع قانون حماية حقوق التأليف في البلاد العربية، وقضية تسرب الآثار العربية إلى خارج الوطن العربي.

وجدير بالذكر أن المؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي كان قد عقد في عمان بالأردن خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٧ ميلادية، وانبثق عنه (بيان عمان) الذي اعتبر أول وثيقة ثقافية موحدة تحدد أهداف الثقافة العربية وأبعادها ومرامي المؤسسات الرسمية والخاصة المعنية بهذه الشؤون.

كتب جديدة

● «هـو الـحـب»، مجموعة شعرية، تأليف محمد المهدي.



★ غسان كنفاني ★

التخيـل العـلمـي !

أقيم في العاصمة الفرنسية معرض يحمل اسم «التخيل العلمي اليوم» .

أمسية ثقـافية عن الأردن في بـاريس

أقام المركز الفرنسي للتعاون الثقافي مع بلدان الشرق الأوسط في باريس أمسية أردنية فرنسية تخللها عرض مشاهد من النهضة الاقتصادية والعمرانية في الأردن ، كما عرضت فيه مشاهد عن الأماكن السياحية والأثرية الأردنية .

مـقتنيات خـاصـة في معـرض

أقيم بمتحف اللوفر بباريس معرض للوحات التي يقتنيها الرسام الفرنسي «ليون بونا» لرسامي عصره .. ومن بين هذه اللوحات ١٤٥ لوحة للفنانين ، رمبرانت وجويا ودي لاكرواه ، بالإضافة إلى مئة لوحة أخرى من اللوحات المشهورة .

* أحدث الكتب *

● «**حب فوكنر**» ، دراسة تتناول حياة الكاتب الأمريكي وليم فوكنر ، من تأليف : ميتا كاربونتيبا وأوراك بورسال .

● «**حكايات من فلسطين**» ، تأليف الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني ، ظهرت له ترجمة فرنسية ، الكتاب يتناول عدداً من قصص الفداء الفلسطينية ، والمعروف أن الكاتب غسان كنفاني قد اغتيل في بيروت عام ١٩٧٢ م ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره .

● «**المقاومة الإسبانية في مواجهة نابليون**» ، تأليف فرانسوا جونو .

● تم إعادة طبعة جديدة من القاموس العالمي ، الذي يضم المفردات والاصطلاحات التي سادت في القرن السابع عشر بجانب وصف تفصيلي للحركات والاتجاهات الفنية في ذلك الوقت .

ابـن الرومـي .. فـي انجلترا

«**ابن الرومي**» الشاعر العباسي المعروف ، ترجمت له عدد من القصائد إلى اللغة الانجليزية ، قام بالترجمة «روبون غوست» ، مع عرض لحياة ابن الرومي والبحث في أغراضه الشعرية .. وفي نهاية الكتاب ، ضم المؤلف عدداً من القصائد المترجمة للكتاب بالنص العربي .

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

اول ابريل

١٨٦٨ مولد الأديب الفرنسي ادمون رستان (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٩ من هذه المجلة) .

٢ ابريل

١٨٤٠ مولد الأديب الفرنسي إميل زولا (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة) .

٤ ابريل

١٩٤٧ تأسيس منظمة الطيران المدني الدولية .

٥ ابريل

١٥٨٨ مولد الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٩ من هذه المجلة) .

٧ ابريل

١٩٤٨ تأسيس منظمة الصحة العالمية .

٩ ابريل

١٦٢٦ وفاة الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون .

١٨٢١ مولد الشاعر الفرنسي شارلز بودلير (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه المجلة) .

١١ ابريل

١٩١٩ تأسيس منظمة العمل الدولية .

١٢ ابريل

١٩٦١ الرحلة الأولى لغزو الفضاء الخارجي التي قام بها جاجارين (فوستوك ١) .

١٣ ابريل

١٩٠٦ مولد الأديب الايرلندي صموئيل بيكيت .

١٤ ابريل

١٨٨٩ مولد المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي .



★ شكسبير ★

١٥ ابريل

١٨٤٣ مولد الأديب الأمريكي هنري جيمس (طالع تاريخ وفاته في العدد ٢١ من هذه المجلة) .

١٦ ابريل

١٨٦٧ مولد مخترع الطائرة ويلبور رايت .

١٨٤٤ مولد الأديب الفرنسي أناتول فرانس (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٧ من هذه المجلة) .

١٧ ابريل

١٧٩٠ وفاة الكاتب والعالم الأمريكي بنيامين فرانكلين (طالع تاريخ مولده في العدد ٢٠ من هذه المجلة) .

١٨ ابريل

١٨٨٨ مولد الكاتب البريطاني ارنولد لي .

١٩ ابريل

١٨٢٤ وفاة الشاعر الإنجليزي جورج بيرون .



★ فرانكلين ★

٢١ ابريل

٧٥٣ ق . م إنشاء مدينة روما .

١٦٩٩ وفاة الكاتب الفرنسي جان راسين .

٢٢ ابريل

١٥٠٠ اكتشاف البرازيل .

١٧٢٤ مولد الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط .

٢٣ ابريل

١٦١٦ وفاة شكسبير الأديب الإنجليزي المعروف (طالع تاريخ مولده في مكان آخر من هذه الزاوية) .

١٦١٦ وفاة الأديب الإسباني سرفانتس .

٢٤ ابريل

١٨٠٠ تأسيس مكتبة الكونجرس في واشنطن .

٢٥ ابريل

١٨٧٤ مولد المخترع **ماركوني** (طالع شخصية عالمية) وفي الأعداد القادمة سوف تطالع موضوعاً موسعاً عنه .

٢٦ ابريل

١٥٦٤ مولد شكسبير .

الاحتفـال بشكسبيـر

تحتفل بريطانيا بالذكرى الـ ٤١٥ لميلاد الشاعر الانجليزي ويليام شكسبير ، وذلك بعرض معظم أعماله المسرحية وأشعاره وتاريخ حياته على مسارح مدينة «ستراتفورد» ، حيث يشترك في المهرجان ممثلو حوالي ٨٠ دولة .

* أحدث الكتب *

● «**أعمال هوجارت**» . عنوان الكتاب الذي يعكس حياة وأعمال الرسام ، النحات البريطاني وليام هوجارت ، الذي اشتهر برسوماته الكاريكاتورية لعادات وتقاليد عصره ، وقد توفي في (عام ١٨٦٤م) وعمره (٦٧ عاماً) .

● «**سيرة مزيف**» ، تأليف فرانك نورمان ، يصور حياة أشهر مزيف في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهو توم كيتنج .

● «**التقنية الكهربائية**» ، باللغة الانجليزية ، تأليف المهندس بشائر كمال .

● «**أسلحة ضد البشرية**» ، بحث قام بإعداده معهد البحوث الدولي للسلام باستكهولم ، طبع في لندن وتم توزيعه عالمياً .

مـركـز للـمعـرفـة

من أكبر المشاريع التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ، مشروع إقامة مجمع ثقافي جديد تحت اسم «مركز المعرفة» ، حيث تعرض فيه كل المعالم النادرة

●● إن الحروب جريمة الحضارة .. والسلام فضيلتها .

البرتو مورافيا
إيطاليا



●● كنت في إيطاليا ... وشاهدت معرضاً للرسوم العربية ، وكان من بينها رسوماً لبعض الفنانين السعوديين .. وهذه وسيلة ولا شك فعالة لاعطاء الأوروبيين لمحات عن التطور الذي تعيشون فيه ، وحبذا لو يتكرر إقامة أسبوع للحضارة الإسلامية كالذي حدث في لندن .

إن هذا الأسبوع كان نافذة واسعة ، اطلعنا من خلالها على الحضارة والتراث العربي الإسلامي .. من خلال ما شاهدناه من معروضات قيمة وتاريخية ..

جورج كاهان
أميريكا

●● ليس أجمل من التقاء الشجاعة والذكاء في نفس واحدة ، ولكن الكتّاب الذين اجتمعت فيهم الشجاعة والذكاء ندرة .

جيتان بيكون
فرنسا

نافـذة

الفكر الحي .. والفكر الميت ؟!

وقعت بين يدي بعض **الأعمال الأدبية اليمنية** ، ورحت أطالعها بشغف واهتمام كبيرين ، لأتبين مدى القدرة الفاعلة للفكر على التفوق التلقائي على كل دواعي التخلف الاجتماعي لأي بلد .

وقد تحقق ما توقعت . وأدركت أن الفكر وحده ، هو القدرة الباقية على الدوام ، وأن الانهيارات المختلفة يمكن أن تلحق الأذى بكل الأشكال والكيانات المادية ، ولكنها لا يمكن أن تنال من العمق الإنساني والتاريخي للفكر الحي .

لقد كان من بين ما طالعت مصنفات في التاريخ والأدب ودراسات نقدية ، ومجموعات قصص تجمعها صفة الأصالة والعمق وتؤطرها ميزة العالمية والانفتاح الكاملين على مختلف آداب ونظريات العالم وفلسفاته . وشعرت أن الحواجز الزمنية لا تستطيع أن تقطع الصلة بين الفيض الخلاق ، ولا أن توقف حركة الاتصال الفكري بين المجتمعات .

وتبلورت الصورة لدي من خلال قراءتي مجلتين أدبيتين سيارتين هما «**اليمن الجديد**» و«**الكلمة**» . لقد كانت المجلتان صورة للمتابعة الحية واليقظة للتيارات الفكرية العالمية ، وصرخة في وادي الانحسار والتخلف وقوة دافعة إلى تأكيد الدور الحضاري لليمن السعيد .

لقد ارتد هذا الانطباع في محمله ، شعوراً واقعياً ، بالاعتراف الشجاع ، بأن الحركة الأدبية في اليمن ، حركة فاعلة وفعالة ، وذات أبعاد إنسانية وحضارية ، واجتماعية مؤثرة ، على الرغم من محدودية إمكانات النشر ، ووسائله وظروفه .

وسألت نفسي : ما الذي يحدث للفكر في هذا البلد؟! أين هي الدراسة الناقدة المتخصصة ؟! أين هو الأدب الحي المتفاعل ؟! أين هي القصة الجيدة في حبكتها ، ومضامينها ؟! أين .. وأين .. وأين .. ؟!

إنه رغم كل ما قيل ويقال ، فإن الاعتراف بأن الإيمان بالدور الايجابي للكلمة لدى أوساط الأدباء والمفكرين غير موجود .. أو هو على الأقل لا يتساوى مع القيمة التاريخية المؤثرة في مسار التجارب الإنسانية والحضارية .

وعندما نستعرض ما يصدر من إنتاج في أوقات متفاوتة ، نلاحظ أنه مبتوت الصلة بالفكر الحديث ، لا يتمتع برؤية ذات أبعاد حيوية ، هزيل المضمون ، لا يعطي أي جديد .

ونسأل من جديد .. ولماذا يحدث هذا ؟!

ولا نجد غير إجابة واحدة هي : إن العيش وحده ، أصبح مسألة حيوية عند الإنسان .. وإن العملية الفكرية الناقصة المعاناة يمكن أن تعطي الخواء ، وإن الفراغ وانقطاع الصلة بالحركة الفكرية العالمية تولد الإحساس بالعدم .. وليس من المنطق أن تولد الكلمة الواعية في كل هذه الظروف .

إن متابعة بسيطة للأعمال يقوم بها كبار الأدباء .. أو المسؤوليات التي يضطلعون بها .. أو الكيفية التي يعيشون بها وعليها تجعل الإنسان يفكر في أن الأمر يتجاوز كل أطر العصور إلى ما هو أبعد وأخطر . ولا بد من الاعتراف أن انصراف كبار الأدباء عن استمرارية التواجد في عوالمهم الفكرية ، بحثاً عن لقمة العيش وتلمساً لأسباب الحياة بعيداً عن العطاء الفكري الجيد ، ربما يعكس انطباعاً قد يكون ظالماً .. وقد يكون غير حقيقي ، ولكنه واقع معاش ، يحتاج في أقل ما يحتاج إليه إلى معالجة ، ودراسة واستقصاء واعادة نظر في التخطيط لتنشيط الحركة الثقافية بصورة قادرة ، وفعالة .

وإلا .. فأين **عزيز ضياء .. وحسين سرحان .. وأحمد قنديل وطاهر زمخشري .** وغيرهم؟!

إن بعضهم يعمل في التجارة ، وبعضهم يعمل في الإنتاج الفني - تصوروا - وبعضهم انكفأ على نفسه ، وأغلق عليها أسوار الحياة قبل أن يدركه الموت .. وبعضهم يتعايش مع المجتمع ومع الأحياء بشعور يمتلىء بالمرارة والألم ، بعد أن حجد هذا المجتمع دوره ، وأدار له ظهره .

إن الفارق بين ما تعطيه الحركة الفكرية في اليمن الشمالي وبين حالة الجمود التي تعيشها الحركة الفكرية لدينا يطرح حقيقة هامة ، تؤكد ضرورة الحاجة إلى التخطيط . والاعتراف بالفكر ككيان مستقبل ، يتطلب رعاية وعناية واشرافاً متميزاً يحترم في المفكرين أدوارهم التاريخية . ويوفر لهم فرص العطاء الأمثل ، في ظل وزارة مسؤولة عن الثقافة تضم إليها نخبة من الصفوف الأولى من مفكري هذا البلد .

هاشم عبده هاشم
جدة

والبارزة التي تميز كل شعب من الشعوب .. المركز سيقام في ولاية فلوريدا .

معرض الفنانة الأميرة وجدان علي

افتتح في مركز الشرق الأوسط في واشنطن معرض الفنانة وجدان علي ، وقد اشتمل المعرض على ثلاثين لوحة زيتية تمثل مختلف نواحي الحياة والمناظر الطبيعية .

معهد لدراسة الحضارة الفرعونية

تأسس أخيراً معهد في دالاس بولاية تكساس ، وذلك لدراسة الحضارة الفرعونية على ضوء التكنولوجيا الحديثة لكشف ألغازها .. وسيتخصص هذا المعهد في أبحاث علوم الهندسة والرياضيات والفلك وخاصة العلوم التي ارتبطت بالهرم الأكبر .

كتب الأطفال .. في معرض

أقيم في نهاية هذا الشهر ، المعرض الدولي لكتب الأطفال الذي تنظمه اتحاد المكاتب التركية في اسطنبول .

شخصية عالمية

جوجليلمو ماركوني
(١٨٧٤ - ١٩٣٧م)

★ من مواليد مدينة بولونيا (إيطاليا) .
★ فيزيائي ومخترع البرق اللاسلكي .
★ في عام ١٨٩٦م ، انتقل إلى لندن ، ثم بدأ بإجراء عدة تجارب ناجحة على البرق اللاسلكي الذي قام بتطويره .
★ في عام ١٨٩٧م ، استطاع القيام بالاتصال الإذاعي لمسافة ١٢ ميلاً ، ثم أنشأ شركة لاسلكي وتلغراف .
★ في عام ١٨٩٩م ، قام بإنشاء محطة إذاعية في جنوبي بريطانيا للاتصال بفرنسا على بُعد ٣١ ميلاً .. وفي نفس العام جهز سفينتين أمريكيتين بأجهزة لاسلكية لتقوما بنقل وقائع سباق اليخوت على كأس أمريكا ، وهذا ما دفعه لتأسيس شركة « ماركوني الأمريكية » .
★ حصل على براءة بريطانية رقم ٧٧٧٧ في عام ١٩٠٠م ، وذلك لتحسين أجهزة البرق اللاسلكي ، مما سمح لشركات عديدة أن تعمل دون تداخل على موجات مختلفة الأطوال ، وفي عام ١٩٠١م ، تم استقبال الإشارات اللاسلكية عبر المحيط الأطلسي ، وحقق بذلك فتحاً جديداً في العالم .
★ في عام ١٩٠٩م ، حصل على جائزة نوبل في الفيزياء .
★ عمل بعد ذلك على تطوير الأمواج اللاسلكية القصيرة والمستخدمة في الاتصالات البعيدة .
★ في عام ١٩٣٠م ، تم اختياره لرأس الأكاديمية الملكية الإيطالية .
★ توفي في مدينة روما في ٢٥ أبريل (نيسان) عام ١٩٣٧م .

دكتوراه في « الوساد »

● « الوساد » تأليف الكاتب ابن وافد (٣٨٩ - ٤٦٧ هـ) ، قام الباحث الإسباني كاميلو الفارس دي مورالس بتحقيقه وترجمته . وكتاب « الوساد » من المخطوطات العربية الموجودة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا . وقد حصل المترجم على درجة الدكتوراه عن تحقيقه للكتاب المذكور .

مسابقة في التصميم

تتم الترتيبات النهائية للإعلان عن المسابقة العالمية لتصميم المركز الإسلامي في مدريد ، والذي يشرف على هذه الترتيبات عدد من السفراء العرب في إسبانيا .

بيع « قبة » من قصر الحمراء

بيعت إحدى القباب الخشبية لقصر الحمراء بالأندلس . وهذه القبة واحدة من أبرز علامات الفن الهندسي الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي .. وقد اشترى هذه القبة ، متحف برلين العربية .

اكتشاف مدينة أثرية عمرها ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد

كشفت بعثة من العلماء وأساتذة التاريخ عن مدينة صينية قديمة ، حيث عثر على بعض الهياكل العظمية لبعض الحيوانات والأدوات المصنوعة من الحجر ، والعلماء يعتقدون أن هذه الآثار تعود إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .. وبعد إلقاء بعض التجارب والتحليلات والفحوص ، توصلت اللجنة إلى أن الإنسان قد عرف النار خلال تلك الفترة من الزمن .

* أحدث الكتب *

● « **الانتساب إلى العرق العربي** » ، تأليف الرئيس ليوبولد سنجور رئيس جمهورية السنغال ، قام بترجمته إلى العربية الدكتور تمر الصباح الأستاذ بجامعة السنغال .

وفاة كاتب !

عن ٧٣ عاماً ، توفي الكاتب الدانماركي هانز شرفيج ، وهو واحد من أشهر الكتّاب المعاصرين في الدانمارك ، ومن أهم أعماله « اختفاء دائرة من الخلد » التي صدرت عام (١٩٣٨م) ، و « الربيع الضائع » عام (١٩٤٠م) ، وقد ترجمت أعماله إلى حوالي ١٩ لغة عالمية .

معرض للنحت

أقيم في برن بمتحف الفن والتاريخ بمدينة فريبور ، المعرض الثامن للنحت على الخشب ، والذي يقام مرة كل ثلاث سنوات ، وقد ضم المعرض ٢٠٠ قطعة فنية لـ ١٢٠ نحاتاً ، حيث أغلب المعروضات ، يظهر عليها التأثر بالفن التعبيري .

● خصائصها
● مكانتها
● دورها في توحيد القوانين العربية

بقلم: د. محمد فاروق النبهان

تواجه الشريعة الإسلامية اليوم تحدياً خطيراً يستهدف اقصاءها تدريجياً عن دورها القيادي في المجال القانوني، وبالرغم من ضآلة الدور الذي تقوم به في مجال القضاء لسيطرة القوانين الأوروبية على معظم فروع القانون. فإن صرخات كئيبة قاتمة ترتفع بين الحين والآخر تنادي بإنهاء دور الشريعة الإسلامية عن طريق تقليص الأحكام المستفادة منها حتى في مجال الأحوال الشخصية، وتخفيف موادها في المناهج الجامعية، وقصر دراستها على كليات متخصصة لا تمنح من الامتيازات لطلابها إلا بمقدار ما يبرر وجودها مما يجعلها مع الأيام دراسات تراثية ذات طابع شرقي تعيش أيامها الأخيرة في عزلة عن المشاركة الفعالة في بناء المواطن والمجتمع.

وفي نفس الوقت فإننا نجد قبساً من أمل يتراءى لنا من بعيد، فيعيد إلى نفوسنا الأمل في اشراقة الحياة تعود من جديد قوية نابضة، ونقف بقلوبنا وعواطفنا مع الجهود المخلصة التي تبذل في أكثر من مكان في عالمنا الإسلامي، بهدف مواجهة التحدي الخطير عن طريق عمل بناء مخلص، يستهدف النهوض بالمؤسسات الإسلامية لتأخذ مكانتها بين مؤسساتنا العلمية بجدارة وكفاءة.

ونحن نأمل من كل قلوبنا أن يحرص المسؤولون عن هذه المؤسسات الإسلامية أو يوفروا فيها قابلية النمو الفكري لكي تكون ولودة منجبة تقدم لمجتمعنا المعاصر قيادات فكرية قادرة على استيعاب مشاكل العصر، وتقديم رؤية فكرية أصيلة تعالج من خلالها تلك المشاكل التي تواجه مجتمعنا المعاصر، الذي يواجه تحولا جذرياً في حياته في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

الشريعة في **اللغة** الطريقة المستقيمة، ويراد بها ما شرعه الله تعالى لعبادة من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء، سواء كانت متعلقة **بكيفية عمل**، وتسمى **فرعية وعملية**، ودوّن لها علم الفقه، أو **بكيفية الاعتقاد**، وتسمى **أصلية واعتقادية** ودوّن لها علم الكلام[1].

وقد ظهرت كلمة «**شريعة**» قبل ظهور كلمة «**فقه**» لاستعمال القرآن الكريم لها في قوله تعالى: ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها** ﴾[2]، وتشمل كلمة «الشريعة» الأحكام الاعتقادية والأحكام العملية، وهي بهذا المعنى تفيد معنى أعم مما تفيده كلمة «الفقه» وأحياناً تأتي مرادفة لمدلول **كلمة «فقه»، وتكون بذلك مفيدة للأحكام العملية دون الأحكام الاعتقادية.**

أما الفقه الإسلامي فيراد به مجموعة الأحكام العملية التي شرعها الإسلام مستمدة من المصادر النقلية والعقلية المعتمدة وفق قواعد أصولية منظمة لقواعد الاستنباط ومبينة له، وكلمة «الفقه» مأخوذة في اللغة من الفهم، وتطلق كلمة «الفقيه» على من يعلم الأحكام الشرعية، ويجد في نفسه القدرة على استنباطها من الأدلة التفصيلية.

تتميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع الوضعية بخصائص كثيرة، تجعل لهذه الشريعة شخصيتها المتميزة عن كل قانون وضعي سابق لها أو لاحق، وهذه الخصائص تؤكد لنا بطلان الشبهات التي أثارها بعض المستشرقين عن استقلالية الشريعة الإسلامية ومحاولة إثبات تأثر الشريعة بالقانون الروماني.

ومن أهم خصائص الشريعة ما يلي:

ليس هناك أي اختلاف بين الباحثين المسلمين حول **اعتبار القرآن**

الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية، والقرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على **الرسول** ﷺ عن طريق **الوحي**، وقد بذل **الصحابة** رضوان الله عليهم جهداً عظيماً في حفظه وحمايته فضلاً عن حفظ الله له.

ومن الحقائق المجمع عليها بين المسلمين أن **القرآن الكريم قطعي في ثبوته**، فلا يتطرق الشك إلى هذا الثبوت، وبخاصة وأنه قد كتب بين يدي الرسول الكريم ﷺ، وحفظه الصحابة في صدورهم، ثم جُمع بعد وفاة الرسول الكريم مباشرة على يد لجنة معتمدة بأمر من **الخليفة أبي بكر** اعتمدت في ذلك على الكتابة والحفظ. ثم جاء **الخليفة الثالث عثمان بن عفان** ليؤكد الجمع الأول للقرآن الكريم وليمنع الاختلاف بين المسلمين حول ذلك.

وتمثل السنة النبوية المصدر البياني للقرآن الكريم، فكان الرسول الكريم ﷺ يترجم التوجيه القرآني من خلال حياته وسلوكه، فيبين ما أجمله القرآن الكريم من أحكام، ويقيد ما أطلقه، ويخصص ما ورد عاماً، ويؤكد بقوله وفعله جميع الأحكام التي شرعها الله تعالى في القرآن الكريم.

وإذا كانت السنّة النبوية لم تحظ بمثل ما حظي به القرآن الكريم من جمع وتدوين في حياة الرسول الكريم ﷺ وفي حياة صحابته الأولين للخشية من اختلاطها بالقرآن، فإن الجهد العظيم الذي بذله علماء الحديث بعد نهاية القرن الهجري الأول يعتبر كافياً ومقنعاً للاعتماد عليه كمنهج بحثي استقصائي بلغ الذروة في دقته، وضبط نتائجه للوصول إلى معرفة كافية بالصحيح من الحديث.

ومن أهم نتائج المصدرية الإلهية لأحكام الشريعة الإسلامية ما يلي:

١ - توجيه الخطاب الشرعي إلى جميع المكلفين، واعتبارهم في درجة سواء، من حيث وحدة التكاليف الموجهة إليهم، ايجابية أو سلبية، ولا يفرق الخطاب الشرعي بين حاكم أو محكوم، غني أو فقير، أبيض أو ملون، **فالتكليف موجه إلى المكلف أنى كان، زمانياً أو مكانياً**، وفي ظل قاعدة للتفاضل تقوم على أساس التقوى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

٢ - عدم تأثر الأحكام الشرعية ذات الصفة الإلهية بعوامل بشرية يتفاعل فيها المشرع البشري بحكم ضعفه البشري بمؤثرات بيئية، وطبقية، وإقليمية، ومصلحية وحزبية، وطائفية، ومهما حاولت القوانين الوضعية أن تتغلب على تلك المؤثرات التي تفرض نفسها على المشرع البشري سواء تمثل في حاكم أو هيئة منتخبة فإن الإنسان - لا محالة - ضعيف أمام المؤثرات الخارجية التي تفرض نفسها على قناعته، وتسيطر على أفكاره وميوله، فينحيز - طبقياً - للفئة التي ينتمي إليها، ويتأثر - بيئياً - بعوامل نفسية نمت في طفولته وعشعشت في فكره.

٣ - احترام المكلف للتشريع الإلهي، وقناعته الوجدانية بعدالة أحكامه، متأثراً بذلك بعقيدته التي تدفعه للإيمان بعدم إمكان الخطأ والتحيز في التشريعات الإلهية، بخلاف التشريع الوضعي، فإنه يفتقد إلى احترام المخاطب له، وبالتالي فإن الإنسان غالباً ما يتمرد على القوانين الوضعية أو يتحايل عليها دون أن يحس بأية رقابة وجدانية أو ضميرية تحاسبه على ذلك الانحراف، وبخاصة في ظل سلطة تمكنه من التهرب من قبضة المراقبة والعقوبة.

٤ - التزام المجتمع البشري بأخلاقية ثابتة في مجال السلوك والتعامل، تؤثر في التطورات الاجتماعية وتوجهها في الطريق الصحيح، بخلاف القوانين البشرية، فإنها لا تملك القدرة على الثبات في مواجهة التطورات الاجتماعية، فضلاً عن قدرتها على التأثير، مما يجعل المجتمع البشري ينحرف وراء تيارات ليست منضبطة الأهداف قد تقوده في يوم من الأيام إلى منعطفات خطرة تعرضه للسقوط الأثيم في منحدرات تتنافى مع تطلعات الإنسان نحو السمو والارتقاء.

ثالثاً : الشمولية المتوازنة

لا يقتصر التوجيه القرآني على جانب واحد من جوانب الحياة البشرية، وإنما يضع للإنسان تصوراً فكرياً وسلوكياً وتنظيمياً تتكامل أجزاؤه وفروعه، لكي يؤدي دوره الإنساني في المجتمع البشري.

وتشتمل التعاليم الشرعية على ما يلي:

١ - **العقيدة**: تقوم العقيدة الإسلامية على أساس الإيمان بالله وبما جاء من عنده، وغايتها تحرير العقل البشري من عبادة الأوثان والإيمان بالأساطير، لكي يكون الإنسان متكاملاً في شخصيته، يحس بكرامته الإنسانية.

٢ - **الأخلاق**: تهدف القواعد الأخلاقية في الإسلام إلى السمو بالطبائع البشرية لكي تنسجم مع إنسانية الإنسان لكي يكون أكثر قدرة على الاسهام في خدمة المجتمع الذي ينتمي إليه.

٣ - **الحقوق الإنسانية**: ويحرص التشريع الإسلامي على تنظيم الحقوق والالتزامات بين الأفراد، في المجال المالي أو في مجال التعاقد المدني أو في مجال الحقوق الإنسانية، سواء منها ما تعلق بالأسرة أو ما يتعلق منها بحقوق الفرد السياسية والاجتماعية.

وتنطلق الشريعة الإسلامية في هذا من منطلق يقوم على أساس احترام إنسانية الإنسان وتوفير الأسباب للكائن البشري لكي يحس بوجوده الإنساني، سواء من حيث إقرار حقوقه الإنسانية كحقه في **الحرية والكرامة والمساواة**، أو من حيث كفالته مادياً لكي يباشر حقه في الحياة بشكل يضمن له ما يكفل له تلك الحياة.

ومن الخطأ الفادح أن يركز رجال الفكر الإسلامي على جانب من جوانب الفكر الإسلامي دون الجوانب الأخرى، لأن ذلك يخل بتوازن النظرية وبتكاملها، ويجعلها مشوهة المعالم قاصرة عن تحقيق الأهداف.

رابعاً : القابلية للبقاء

يحسب كثير من الناس أن الشريعة الإسلامية ثابتة في أصولها وفروعها لا تقبل التغيير والإضافة، وهذا حق فيما يتعلق بالأحكام الثابتة عن طريق الأدلة القاطعة ثبوتاً ودلالة، كالأحكام المستفادة من القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة بشكل قاطع، أما الأحكام المستفادة عن طريق الأدلة العقلية فهي قابلة للتغيير، لأن النظر العقلي يختلف بين فقيه وآخر، **ولهذا فقد اختلف الفقهاء لأنهم متفاوتون في عقولهم ومختلفون في طرق استنباطهم، ومن الخطأ اعتبار الاختلاف الفقهي بين الفقهاء ظاهرة شاذة وضارة، بل هي ظاهرة صحية تدل على إدراك كل**

فرد منهم لمسؤوليته في النظر العقلي الذي يوجهه الخطاب الشرعي للمكلف القادر على الاجتهاد .

ولا يجوز لأي عصر لاحق أن يقتصر على آراء الفقهاء السابقين ، لأن التكليف الشرعي موجه لكل قادر على الاجتهاد لكي يعبر عن قناعته الوجدانية في فهم النصوص الشرعية ، مراعياً في ذلك القواعد اللغوية والشرعية للاجتهاد .

ويجب على كل من توافرت فيه شروط الاجتهاد أن يجتهد ، وهو معذور ومثاب عند الخطأ ، لأنه قد بذل الجهد في الوصول إلى ما يعتقد أنه الصواب ، **وليس من حق أحد من العلماء أن يغلق باب الاجتهاد أو يمنع من الاجتهاد من توافرت فيه شروط الاجتهاد . ويعتبر الاجتهاد المصدر المتجدد الذي يمد الشريعة الإسلامية بالآراء والاجتهادات الجديدة التي تؤكد التلاحم بين الشريعة وحاجات الناس المتجددة .** ولم تعزل الشريعة عن حاجات الناس إلا بعد أن ضعف دور الاجتهاد ، وعكف العلماء على الكتب الفقهية يحفظون نصوصها ويتبارون في حل معضلاتها ، مكتفين بذلك عن ممارسة حقهم في الاجتهاد .

مدى علاقة الشريعة بالقانون الروماني

تعرضت الشريعة الإسلامية لحملات من الدس والافتراء بهدف الانتقاص من مكانتها ، **ومن أبرز الحملات ما أثاره بعض المستشرقين من شبهات حول تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني**[٣] .

فقد زعم المستشرق « **ايموس** » أن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلا وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية ، وشاركه غيره في هذا الرأي معتمدين في ذلك على ظاهرتين :

١ - كانت الشريعة الرومانية سابقة في وجودها على الشريعة الإسلامية مما يشير إلى احتمال تأثر العلماء المسلمين في الشام بالتشريعات التي كانت مطبقة قبل الفتح الإسلامي .

٢ - احتج هؤلاء بوجود تشابه بين أحكام الشريعة الإسلامية وأحكام القانون الروماني .

غير أن معظم المستشرقين قد ردوا على هذه الشبهة ، وبينوا بطلانها تاريخياً وموضوعياً وأكدوا أن الشريعة الإسلامية ذات مصادر مستقلة وأن أحكامها الفرعية مرتبطة بأصولها الكلية وفق قواعد أصولية ضابطة لعملية الاستنباط بشكل لا يدع فرصة للفقيه لكي يتأثر بأي فكر آخر .

وقد ركز المنكرون لهذه الشبهة على دليلين :[٤]

●● **أولا : الجانب التاريخي** : أكد المؤرخون أن كتب القانون الروماني لم تترجم إلى العربية وأن « **الكتاب السوري الروماني** » قد ترجم إلى **السريانية** في أواخر القرن الثامن الهجري ، حيث كانت حركة النمو الفقهي قد وصلت إلى ذروتها مما ينفي احتمال أي تأثر وبخاصة إذا أدركنا أن الفقهاء المسلمين كانوا يجهلون السريانية ، وكانوا أبعد الناس عن متابعة حركة الترجمة التي ازدهرت في مجال الأدب والفلسفة دون مجال التشريع الذي ظل بعيداً عن أي تأثير خارجي ، بل إن المستشرق « **نالينو** » يميل إلى الاعتقاد أن الترجمة السريانية للكتاب السوري الروماني قد تأثرت بأحكام الشريعة الإسلامية التي كانت سائدة في بلاد الشام آنذاك .

●● **ثانياً : الجانب الموضوعي** : يؤكد البحث العلمي أن الشريعة الإسلامية تختلف كلياً عن القانون الروماني في القضايا التالية :

١ - المصادر : تختلف مصادر الشريعة الإسلامية عن مصادر القانون الروماني ، فالشريعة تعتمد على **الوحي الإلهي** كمصدر ثابت للأحكام المستنبطة ، بينما يعتمد القانون الروماني على مصادر وضعية بشرية تشمل الدساتير الإمبراطورية في أشكالها المختلفة من منشورات وأحكام قضائية وفتاوى ، بالإضافة إلى الأعراف والتشريعات المدونة والقرارات الصادرة عن مجالس العامة . ويؤكد الفقيه الفرنسي « **زيس** » هذا الاختلاف بقوله : « **أني أشعر حينما أقرأ في كتب الفقه الإسلامي إني قد نسيت كل ما أعرفه عن القانون الفرنسي أو عن القانون الروماني ، وأصبحت أعتقد أن الصلة منقطعة تماماً بين الشريعة وبين هذين القانونين** »[٥] .

٢ - الاختلاف في الطابع العام : تتميز الشريعة الإسلامية بطابع متميز يختلف عن القوانين الوضعية كلها ويتمثل هذا الطابع في الصفة الدينية التي يتمتع بها الحكم الشرعي مما يعطيه صفة الاستمرار والثبات ، ويبعده عن احتمالات الخطأ والتحيز ، ويجعل له صفة القداسة في النفوس لارتباطه بعقيدة المواطن ، بخلاف الحكم القانوني ، فإنه يفتقد هذه القوة في النفس ، ولذا فإن المواطن كثيراً ما يتحايل على الأحكام القانونية ، دون أن يجد الرقابة الوجدانية على ذلك .

٣ - الاختلاف في الأحكام : لو رجعنا إلى الأحكام الفرعية في الفقه الإسلامية لوجدنا تميزاً في أسسها ومعالمها تجعلها مختلفة كلياً عن القانون الروماني ، فالأحكام الأساسية المتعلقة بالزواج والطلاق والميراث والنفقات والقصاص والحدود والوصايا جاءت مبينة في النصوص القرآنية مما ينفي فكرة التأثر ، أما الأحكام الفرعية فترتبط بالنصوص عن طريق أقيسة دقيقة تربط الفرع بأصله ، وفق علل ضابطة تبعد احتمال الاقتباس عن أي قانون آخر .

وبهذا يتأكد لنا أن شبهة تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني لا تقوم على أي أساس علمي ، وأن معظم المستشرقين قد رفضوا هذه الشبهة من الناحية التاريخية والموضوعية ، وأكدوا الشخصية المستقلة للشريعة الإسلامية[٦] .

اعتراف المؤتمرات الدولية بمكانة الشريعة الإسلامية

أكدت المؤتمرات الدولية التي انعقدت في الغرب لدراسة الشريعة الإسلامية تقديرها للفقه الإسلامي واعترافها بمكانته وصلاحيته ليكون مصدراً من مصادر القانون العام . ففي **المؤتمر الدولي للقانون المقارن** الذي عقد في **لاهاي** سنة ١٩٣٢ م ، أعلن الفقيه الفرنسي « **لامبير** » خلال المؤتمر تقديره للفقه الإسلامي ، وقرر المؤتمرون « اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القانون العام ، وأن هذه الشريعة قائمة بذاتها وصالحة للتطور » . وفي سنة ١٩٤٨ م ، قرر مؤتمر المحامين الدولي في « لاهاي » ضرورة تبني الدراسة المقارنة للشريعة الإسلامية لأهميتها .

وعقدت **شعبة الحقوق الشرقية** من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً في **جامعة باريس** سنة ١٩٥١ م ، تحت شعار « **أسبوع الفقه الإسلامي** » برئاسة المسيو « **ميو** » أستاذ الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق في باريس ، وبعد الاستماع إلى المحاضرات التي قدمها المؤتمرون عن جوانب مختلفة من الشريعة الإسلامية خرج المؤتمر بالحقائق التالية :

١ - أن مبادىء الفقه الإسلامية لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها .

٢ - وأن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الأصول الحقوقية هي مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها ، ثم أوصى المؤتمر بوضع **معجم للفقه الإسلامي** يسهل الرجوع إلى المصادر الفقهية ليكون **موسوعة للفقه الإسلامي** تعرض فيها الأحكام الشرعية بطريقة حديثة تتلاءم أسلوبياً مع التطورات المعاصرة[٧] .

من الظواهر المؤسفة في عالمنا الإسلامي ما نراه من اختلاف واضح بين الأقطار العربية في قوانينها التي تعتمد عليها ، وفي **المصطلحات القانونية** المستعملة في المؤلفات القانونية ، ويعلو صوت الضمير العربي في كل حين من خلال المؤتمرات القانونية العربية داعياً بإلحاح إلى ايجاد قانون عربي موحد في أحكامه ومصطلحاته ليكون نقطة انطلاق أساسياً للشعارات الوحدية المطروحة في الساحة العربية .

في مؤتمر عمداء كليات الحقوق في العالم العربي الذي انعقد في بغداد سنة ١٩٧٤ م ، وضع المؤتمرون توصيات في منتهى الأهمية ، وطالبوا فيها بالاعتماد على الشريعة الإسلامية كمصدر أصيل للقوانين العربية ، لأن وحدة المصدر الأساسي هو الطريق الوحيد لتوحيد الأحكام والمصطلحات القانونية ، ومن أهم التوصيات التي صدرت عن المؤتمر ما يلي :

● **أولاً : العناية التامة بدراسة الفقه الإسلامي ،** لأن استكمال الشخصية العربية يقتضي الرجوع إلى هذه الشريعة والاعتماد عليها كمصدر أساسي للقانون العربي الموحد .

● **ثانياً : تدعو الندوة الحكومات التي تنص في دساتيرها على أن الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع إلى وضع هذا النص موضع التنفيذ عن طريق الالتزام بالأحكام القطعية ،** والاجتهاد في المسائل الاجتهادية بما يلائم روح العصر .

● **ثالثاً : إنشاء مجمع للشريعة والقانون على مستوى العالم العربي**[٨] ، ويختص هذا المجمع بإعداد دراسات شرعية وقانونية يفيد منها المشرع الوضعي ، وإبداء الرأي فيما تطلبه الحكومات العربية والهيئات الرسمية وتقديم المشورة إليها ، والتنسيق بين عمل المجمع والهيئات المعنية بالشريعة في البلاد العربية .

وكانت الندوة الأولى لعمداء كليات الحقوق بالجامعات العربية التي انعقدت في أبريل / نيسان ١٩٧٨ م ، **بجامعة بيروت العربية** قد دعت إلى « وجوب العناية بالدراسة المقارنة بين أحكام الشريعة الإسلامية وأحكام القوانين الوضعية باعتبارها من أهم أسس التوحيد القانوني بين البلاد العربية » . وقررت أن من **مهمة كليات الحقوق بالجامعات العربية أن تدرس الشريعة الإسلامية بصفتها مصدراً رسمياً للقانون في معظم البلاد العربية ، ومصدراً تاريخياً للقانون في جميع هذه البلاد ، كما أصبح على المشرع العربي في معظم البلاد العربية أن يجعل من الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً يستمد منه عند وضع التشريع ،** وهذا كله فضلاً عن كون الشريعة الإسلامية تراثاً قومياً يجدر بنا أن نلقي عليه الضوء عند دراسة القانون الوضعي »[٩] .

ولا شك أن المشاركين في هذه الندوات وهم عمداء كليات الحقوق كانوا يدركون أن الوحدة القانونية للأقطار العربية لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل الاعتماد على الشريعة الإسلامية كمصدر أصيل لقوانيننا المعاصرة ، وفي الوقت ذاته فإن هذا المطلب هو مطمح جماهيري لشعوبنا العربية التي لا يمكن أن ترتضي بقانون غريب يزرع قسراً في أرضنا الطيبة ، فيصبح عقيم الأثر ، لأن المسلم لا يرتضي أن يحتكم لأي قانون لا يستشعر قداسته في نفسه .

وعلى جامعاتنا العربية أن تحمل مسؤولياتها ، تاريخياً وعقائدياً وقومياً ، في دعم الدراسات الإسلامية في المناهج والأبحاث ، والارتقاء بمستوى هذه الدراسات علمياً ومنهجياً وأسلوبياً ، لكي تؤدي دورها القيادي والتكويني للأجيال المقبلة ، ومن الأخطاء الكبيرة التي نراها في الجامعات العربية التنصل من مسؤولية تدعيم الدراسات الإسلامية وإلقاء عبء ذلك على الجامعات الإسلامية ، وكأن هذه الجامعات هي المسؤولة وحدها عن الإسلام ، مما يشعرنا بالتخطيط لعزل الإسلام عن مؤسساتنا العلمية واقصاء علمائه عن المشاركة في بناء البنية الفكرية لأجيالنا المقبلة ، مما يساعد على تعميق الفجوة بين الجامعات الإسلامية والجامعات العامة .

وأمام هذه الحقيقة فإن من واجب كل فرد منا أن يتحمل مسؤوليته في النهوض بمستوى الدراسات الإسلامية موضوعياً وأسلوبياً ومنهجياً ، لكي تكون القاعدة الصلبة لكل منطلق فكري في عالمنا العربي ، وبذلك نحدد لشبابنا الطموح رؤية فكرية لمشاكل عصرهم ، أصيلة المنطلق متوازنة الأسس ، تشد شبابنا إلى أرضهم ، وتشعرهم بكيانهم الذاتي كأمة تملك وسائل الاسهام في بناء حضارة الإنسان المعاصر .

الهوامش

(١) انظر كشاف اصطلاحات العلوم مادة شرع .

(٢) سورة الجاثية ، الآية ١٨ .

(٣) انظر فلسفة التشريع في الإسلام للدكتور صبحي المحمصاني ص ٢٢٢ .

(٤) انظر كتابنا نظام الحكم في الإسلام ص ٢٧٩ ، وانظر - بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية ، ومبادىء تاريخ القانون للدكتور صوفي أبو طالب .

(٥) انظر مبادىء تاريخ القانون للدكتور صوفي أبو طالب ٢٠٣ .

(٦) انظر كتابنا : نظام الحكم في الإسلام ص ٢٧٧ - ٢٧٨ مطبوعات جامعة الكويت .

(٧) انظر المدخل الفقهي العام للأستاذ مصطفى الزرقاء ج ١ ، ص ٩ .

(٨) انظر كتاب الدروس لعام ١٩٧٤ م ، محاضرة لي أمام الملك الحسن الثاني واقتراحي بإنشاء مجمع للفقه الإسلامي ص ١٩٤ . وقد صدرت إرادة ملكية بإنشاء هذا المشروع في المغرب مبدئياً لتوحيد القوانين العربية ، واعتماد الفقه الإسلامي كمصدر أساسي لهذه القوانين .

(٩) انظر سلسلة ندوات الدراسات القانونية الصادر عن اتحاد الجامعات العربية لندوة بيروت ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

السمـاع عن القبائل العربية

ودوره في تقنين اللغـة

بقلم : د . علي أبو المكارم

★ لعل « السماع » أحد مصدرين أساسيين في استقراء المادة اللغوية التي كانت موضوع البحث والدرس والتمحيص والتصنيف عند اللغويين العرب في تحليلهم لمستويات النشاط اللغوي ووضعهم لقواعده ، والمصدر الثاني الذي اعتمدوا عليه في هذا المجال كان « الرواية » .

ويقصد اللغويون بالسماع « الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها »(١) . فهو بذلك يطلق على ما يذكره العالم اللغوي بعد سماعه بنفسه ، أما إذا كان ما يرويه العالم اللغوي ليس مستنداً إلى سماعه المباشر ، وإنما يعتمد على مسموعات عالم آخر ، أو جيل سابق من العلماء ، فإنه لا يعد حينئذ من قبيل السماع وإنما من باب الرواية ، والفيصل في التفرقة بين السماع والرواية الإشارة إلى عدد الفواصل بين مصدر المادة اللغوية وبين الدارس لها ، فإذا كانت هناك فواصل - ولو بعلماء - كانت رواية ، أما إذا كان الدارس هو الذي سمع بنفسه فإنها تعد من قبيل السماع ★

وثمة فارق تاريخي بين السماع والرواية ، إذ إن السماع الذي مارسه علماء النحو واللغة لم يظهر إلا بعد الاهتمام بجمع المادة اللغوية ، أي منذ عشرينات القرن الثاني الهجري تقريباً(٢) ، في حين توغل الرواية في القدم ، ومن الثابت المقطوع به علمياً أن ثمة مرويات تنتسب إلى ما قبل الإسلام بأكثر من قرن(٣) . ولكن بالرغم من هذا الفارق يلحظ الباحثون وجود اتصال عميق بين « السماع » و« الرواية » حتى ليكاد يوجد بينهما في مراحل معينة ، إذ كانت مسموعات كل جيل من العلماء تتحول إلى جزء من مرويات الأجيال التي تليه .

والسماع طريق مهم اعتمد عليه النحاة واللغويون كثيراً في جمع المادة اللغوية ثم تحليلها ، وعناية **البصريين** باستقراء المادة اللغوية المسموعة لا يقل عن اهتمام نظرائهم من **الكوفيين** ، على عكس ما يشيع بين الدارسين(٤) . فأبو **عمرو بن العلاء** يأخذ عن **أبي عقرب**(٥) ، كما يأخذ عن غيره من الأعراب ، معروفين **كأبي المهدي والمنتجع التميمي**(٦) ، وغير معروفين أيضاً .

وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب يأخذان عن الأعراب كما روى **سيبويه** في أكثر من موضع من كتابه(٧) ، ومثلهما **أبو الخطاب الأخفش** الذي يسمع من قبائل متعددة ، **كبني سليم** وغيرهم(٨) . وكذلك **الخليل بن أحمد** الذي يقرر سيبويه أنه رأى بعض ما سمعه مدوناً في عشرين رطلاً من الأوراق(٩) ، ثم إن سيبويه نفسه يسمع من كثير من النحاة واللغويين والأعراب ، ومن بين من ذكر أسماءهم ممن سمع منهم من الأعراب **أبو**

فقعس ، وأبو دثار ، وأبو الجراح ، وأبو ثروان[١٠] ، وثمة غير هؤلاء ممن لم يصرح بأسمائهم[١١] .

ولقد تأثرت المادة اللغوية المسموعة خلال هذه الفترة التاريخية بعاملين كان لهما شأن كبير في تحليلها ، ومن ثم كان لهما أثر في وضع القواعد لها . هذان العاملان هما : **الإمكانات الصوتية وعادات النطق** عند المتكلم ، ثم **مدى حساسية أذن السامع** في سماعها للأصوات . وقد كان عدم الدقة في تحديد دور هذين العاملين في إضافة بعض الظواهر العرضية للمادة اللغوية المسموعة أثره في اضطراب التحليل النحوي لها ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما قرروه من جواز عمل (لم) النصب[١٢] ، استناداً إلى ما زعموه من وجود قراءة تنطق قوله تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ بفتح الحاء ، منسوبة إلى **أبي جعفر المنصور** ، ومن المرجح علمياً أن هذه ليست قراءة مستقلة ، إذ يبدو أن الذين سمعوا أبا جعفر لم يفطنوا إلى حقيقة نطقه ، فهو لم يفتح الحاء وإنما أسرف حين بيَّن الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها كما ذكر **الزمخشري**[١٣] ، ومما يؤيد ذلك ما تكشف عنه الدراسات الصوتية الحديثة من أن تبيين حروف الحلق كثيراً يسلم إلى ما يشبه حركة الفتح ، ويبدو أن ذلك التبيين والاشباع كان في تصور فصحاء الحاضرة ـ **كأبي عبد الله الشجري** ومن قبله أبو جعفر المنصور ـ أحد مظاهر الفصاحة ، لكونه مسموعاً عن بعض القبائل العربية الفصيحة ، وهي **قبيلة عقيل** ، ومن ثم أجاز بعض اللغويين ـ كالبغداديين والكوفيين ـ تحريك الحرف الحلقي بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم[١٤] ، ووردت بعض النماذج اللغوية تطبيقاً لذلك ، ومن قول بعض الشعراء :

وجبلاً طال معداً فاشمخر
أشم لا يسطيعه الناس الدهر

بفتح حاء (الدهر) بدلا من سكونها ، وقول شاعر آخر : له نَعَل[١٥] ، بدلا من أن يقول : له نَعْل ، بسكون العين .

وهكذا أسلمت العادات الصوتية وعدم حساسية أذن السامع إلى إضافة ظواهر عارضة في النص اللغوي ، لم يفطن بعض اللغويين إلى عدم أصالتها فتصوروا صحتها ، ومن ثم لم يكن بد من مراعاتها في وضع القواعد .

الجماعات الذين اعتمد عليهم اللغويون

والمسموع منهم من العرب ، الذين اعتمد عليهم اللغويون في استقراء المادة اللغوية ، ينتمون إلى جماعتين :

●● الجماعة الأولى : **أعراب البادية** .

●● والجماعة الثانية : **فصحاء الحضر** .

ولقد كان الأخذ عن أعراب البادية ممن ينتشرون في بوادي « **الحجاز** » و« **نجد** » و« **تهامة** »[١٦] الطريق الأمثل عند النحاة واللغويين لجمع المادة اللغوية ، واستقراء أساليبها وتراكيبها وألفاظها وأصواتها ، وكثيراً ما كان هؤلاء النحاة اللغويون يخرجون من مراكز البحث العلمي في **البصرة والكوفة** ميممين وجوههم شطر البادية ليسمعوا ويدونوا ، وقد اشتهر من بين هؤلاء الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي دوّن بعض مسموعاته في نحو عشرين رطلاً[١٧] ، **والكسائي** الذي أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في التدوين[١٨] ، **وأبو عمرو الشيباني** الذي دخل البادية ومعه دستيجتان من حبر فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب[١٩] **وأبو زيد الأنصاري** الذي يقرر صراحة في مستهل كتابه « **النوادر** » في رواية **أبي حاتم** أن « ما كان في هذا الكتاب من شعر القصيد فهو سماعي من **المفضل بن محمد الضبي** ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب »[٢٠] ، وأبو عمرو ابن العلاء الذي يروي أن ما كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأ بيتاً له إلى قريب من السقف[٢١] ، **والأصمعي** وتاريخه مملوء بالقصص والأخبار عن أعراب البادية وما سمع منهم من لغة وشعر[٢٢] ، وسيبويه الذي يصرح بأنه سمع من هؤلاء الأعراب في مواضع عديدة من كتابه[٢٣] .

وكما كان الأخذ عن أعراب البادية يأتي عن **طريق رحلة العلماء** إليها ، كان كذلك يسلك سبيلاً آخر هو **رحلة الأعراب إلى الحضر** ، فقد كان كثير من الأعراب يفدون على مدن **العراق** إما انتجاعاً للتكسب أو طلباً للعلم ، وكان علماء النحو واللغة يستغلون وجودهم ويأخذون عنهم ، ومن بين هؤلاء ـ كما يحكي **ابن النديم** ـ **أبو الجاموس ثور بن يزيد** الذي كان يفد البصرة على **آل سليمان بن علي**[٢٤] ، **وأبو خيرة نهشل بن زيد** وهو من **بني عدي** ، **وأبو شبل العقيلي** الذي وفد على **الرشيد** واتصل **بالبرامكة**[٢٥] ، **وأبو مسحل** أو أبو محمد عبد الرهاب بن حريش الذي قدم بغداد على **الحسن بن سهل** ، وقد ناظره الأصمعي وأخذ عنه[٢٦] ، **وأبو مهدية** ، **وأبو تروان العكي** ، **وأبو ضمضم الكلابي** ، وغيرهم كثير .

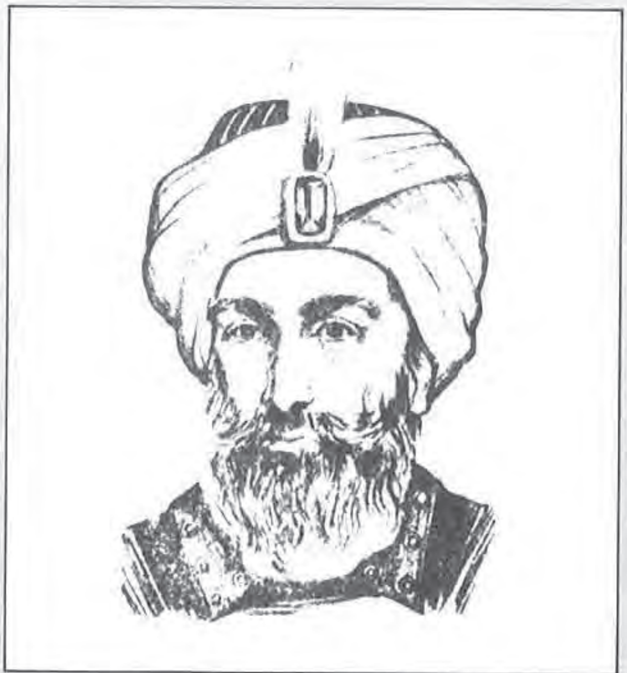
ولكن ثمة خطأ أساسياً وقع فيه أولئك العلماء الذين رحلوا إلى البادية ليسمعوا ويدوّنوا ، أو رحل إليهم أعراب البادية فسمعوا منهم ودوّنوا ، وهو خلطهم بين المستويات اللغوية المختلفة التي كانوا يأخذون عنها ، فقد اعتبروا كل ما يسمعونه (عربية) ، ونسوا شيئاً مهماً وخطير الأثر ، وهو أن ما يسمعونه ينتمي إلى مستويات متعددة ينبغي التفرقة الحاسمة فيها بين مستويين : مستوى اللغة الفصحى ، ثم مستوى اللهجات . وعلى الرغم من إدراكهم لوجود ظواهر صوتية تنتمي إلى اللهجات القبلية ، فإنهم لم يقفوا كثيراً عند تأثير اللهجات في الظواهر التركيبية أو المعجمية للغة ، كما لم يدرسوا الخصائص التركيبية والمعجمية للهجات ذاتها ، ولولا بعض النوادر التي حكتها كتب اللغة عن هذه الآثار والخصائص ، وبعض التخريجات النحوية لقليل من هذه الظواهر ، لظلت هذه الناحية من الدراسة اللغوية غامضة كل الغموض .

فصحاء الحواضر

وكما أخذ علماء النحو واللغة عن أعراب البادية ، أخذوا أيضاً عن **فصحاء الحواضر** الذين يمكن تقسيمهم إلى فئتين :

● **الفئة الأولى** الأعراب البداة الذين أقاموا بالحواضر ، ومنهم من كان يفد مع قبائلهم إلى المدن الكبرى في العراق ، فيختطون لأنفسهم في ضواحيها مناطق يسكنون فيها ، ومن ثم كانوا أقرب إلى نوع من الحياة البدوية الميسرة منهم إلى حياة المدن ، ولذلك كانت لهجاتهم سليمة صحيحة لم تشبها شوائب التطور اللغوي الذي نتج عن تنوع الأجناس واختلاطها وتعدد لغاتها ومحاولتها البحث عن لغة مشتركة بينها ، ومن هؤلاء **بنو عقيل**[٢٧] ، **وبعض بطون قيس عيلان**[٢٨] .

ومن هؤلاء الأعراب من كان ينقطع عن قومه فيرحل وحده إلى المدن الكبرى ليقيم فيها ، ولكنه بدوره إما أن يظل محافظاً على لغته التي مرن عليها في



★ [redacted]



[redacted] دور بارز في السماع والتثقيف عند العرب ★

البادية ، وكان هؤلاء غالباً ممن يشتغلون بتعليم الصبيان أو تأليف الرسائل ، ومن ثم كان نمط الحياة التي يعيشها الواحد منهم تساعده على أن يستعصي إلى حد ما على التطور اللغوي ، **كأبي البيداء الرياحي أسعد بن عصمة ، وأبي زياد الكلابي يزيد بن عبد الله ، وأبي سوار الغنوي ، وأبي الشمح**(٢٩) .

ومن هؤلاء أيضاً أبو المهدي والمنتجع التميمي بطلا قصة أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر(٣٠) وأبو فقعس وأبو دثار وأبو الجراح وأبو ثروان الذين حكموا في المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائي(٣١) . ومن هؤلاء الأعراب من كان يتأثر ببيئته اللغوية الجديدة ، وبما يشيع فيها من أساليب وتراكيب تتسم عند النحاة بالخطأ ، فكان العلماء يختبرون فصاحته ، في محاولة للوقوف على مدى محافظته على سلامة لغته ، فإذا تكشف لهم أنه قد تأثر بما يشيع في المدن من أخطاء في الصيغ والأساليب رفضوا الأخذ عنه والسماع منه . كما فعل أبو عمرو بن العلاء حين ارتاب في فصاحة أبي خيرة ، إذ سأله : كيف تقول حفرت الإران ؟ قال : حفرت إراناً ، قال أبو عمرو : لان جلدك يا أبا خيرة(٣٢) . يريد بذلك أنه قد فسدت لغته بما أصابه من تحضر .

● **وأما الفئة الثانية** فيمثلها من يمكن أن نطلق عليهم لقب **المثقفين** ، وهم الذين درسوا اللغة في المدن الكبرى دون أن يكون لهم اتصال مباشر بالبادية ، وهم قد ثقفوا أنفسهم بدراسة مرويات اللغة ومأثوراتها وتراثها ، ومن أبرز ما ثقفوا به أنفسهم حفظ **القرآن الكريم** والشعر وما يتصل بهما من دراسات ، ويمثل هؤلاء المثقفين الذين اعتمد عليهم النحاة واللغويون العرب كثير من الشعراء ، **كعمر بن أبي ربيعة ، وجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وكثير ، والأحوص ، والكميت ، وبشار ، ورؤبة ، والعجاج .**

إذاً فإنه ليس صحيحاً ما يشيع بين الدارسين من أن اللغويين العرب لم يأخذوا عن فصحاء الحواضر ، وهي المقولة التي ذاعت بفضل نص السيوطي في كتابه : « **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** » و« **الاقتراح في علم أصول النحو** » الذي يقول فيه : « إنه لم يؤخذ عن حضري قط »(٣٣) . فقد أخذ اللغويون عن أهل الحضر كما أخذوا عن أهل البادية ، ولكن أخذهم عن أهل الحضر يختلف عن أخذهم عن العرب البداة في أمرين :

★ أولهما : أنهم اعتبروا كل ما يسمعوه في البادية ينتمي إلى مستوى واحد ، هو مستوى اللغة الفصحى ، ولم يفطنوا إلى تأثير الفوارق اللهجية وما تستلزمه من ضرورة التفرقة بين مستويات الأداء ، ومن ثم لم يضعوا نصوص اللهجات خارج دائرة المادة اللغوية التي يستقرئونها ليضعوا قواعد اللغة على هديها .

أما في الحواضر فكانت الفوارق بين اللهجات الشائعة على الألسن من الوضوح بحيث فطن العلماء إلى ضرورة الفصل بين مستوياتها ، ويشير **الجاحظ** في كتابه « **البيان والتبيين** » إلى أن تعدد المستويات اللهجية من الوضوح بحيث لا سبيل إلى اغفاله(٣٤) ، وهو يفرق بين مستويين معاصرين له : **المستوى الأول** : مستوى اللهجة الشائعة على ألسن من سماهم الجاحظ « **بالبلديين والمولدين** » ، وهي اللغة المشتركة التي أوجدتها ظروف التطور الاجتماعي في المدن الكبرى آنئذ ، **والمستوى الثاني** : لهجة من سماهم الجاحظ « **بالأعراب** » ، وهما مستويان يختلفان بالضرورة عن مستوى اللغة الفصحى . وقد كانت فطنة اللغويين إلى تعدد اللهجات في الحواضر السبب الذي دفعهم إلى تحديد من يسمعون عنه من أهل الحضر بواحد من اثنين : بدوي مقيم بالحاضرة لم تتأثر لغته بإقامته فيها ، أو مثقف فصيح استطاع أن يصل إلى مستوى يتعامل فيه مع اللغة الفصحى بأصالة تشبه أصالة العرب البداة .

★ **وأما الفارق الثاني** : فهو أن اللغويين العرب قد استمروا يأخذون عن أعراب البادية فترة أطول كثيراً من الفترة التي سمعوا فيها من أهل

الحضر ـ على نحو ما سنفصل القول فيه بعد قليل ـ ويعود ذلك إلى أن اللغويين أحسوا في أهل الحضر ـ بعد فترة قصيرة ـ نوعاً من التأثر بلهجات المدن التي يعيشون فيها ، وبخاصة تأثرهم باللغة المشتركة بين أبنائها ، ولذلك كانت العناصر التي عصمتها ثقافتها من التأثر بهذه اللغة المشتركة محور خلاف بين اللغويين ، فإن من بينهم من يرى الأخذ منهم والسماع عنهم ، ومنهم من يرى أن التطور اللغوي لا بد أن يترك أثره فيهم ، ومن ثم رفض أن يكونوا مصدراً من مصادر استقاء المادة اللغوية عن طريق السماع .

• • •

الإطار المكاني للسماع عن القبائل العربية

ليست كل القبائل العربية سواء في السماع عنها واعتبار نشاطها اللغوي في مجال وضع القواعد ، فمن القبائل ما رفض العلماء الأخذ عنها جملة في هذا المجال ، كما أن منها ما سمع عنها وأخذ منها ، وهذه القبائل ـ بدورها ـ تتفاوت في « فصاحتها » وهو التعبير الذي يعني به اللغويون في هذه المرحلة « **سلامة الأداء اللغوي** » .

وتختلف أسباب رفض الاحتجاج بلهجات بعض القبائل ، بيد أنها تلتقي جميعاً في عدم سلامتها لاتصال هذه القبائل بلغات أخرى نتيجة للمواقع الجغرافية التي تعيش فيها ، وما كان يفرضه وجودها في مواقعها هذه من احتكاك لا مناص منه بلغات أخرى غير عربية ، ومن ثم تقرر عند اللغويين العرب رفض السماع « عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من « **لخم** » ولا من « **خذام** » ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من « **قضاعة** » و « **غسان** » و « **إياد** » لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من « **تغلب** » ولا « **النمر** » ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من « **بكر** » ، لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من « **أزد عمان** » لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل « **اليمن** » أصلاً ، لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من « **بني حنيفة** » و « **سكان اليمامة** » ، ولا من « **ثقيف** » و « **سكان الطائف** » ، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من « **حاضرة الحجاز** » ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم »(٣٥) .

وهذا النص الذي ذكره السيوطي يضع إطاراً واضحاً للسماع عن القبائل العربية من « **الناحية المكانية** » ، ويرتبط هذا الإطار بالفكرة الشائعة في تراثنا اللغوي ، القائلة بأن سلامة اللغة رهن ببعد أصحابها عن الاتصال بذوي اللغات الأخرى ، بيد أن هذا التحديد قد يبدو ـ بصورة ما ـ مناقضاً لحقيقة مقررة في البحث اللغوي ، وهي الاعتراف بفصاحة **قريش** ، مع أنها كانت مقيمة في الحجاز ، في مدينة كبرى فيه كانت مركز الاتصال التجاري بين أمم شتى ، وكانت هي نفسها تشتغل بالتجارة ، والتجارة تتطلب اختلاطاً بأجناس مختلفة ، واتصالا بلغات هذه الأجناس .

ومع ذلك كله يجمع علماء اللغة على « أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، الا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس مثل : تعلمون ، ونعلم ، ومثل : شعير ، وبعير »(٣٦) . ويمكن أن نضيف إلى هذا الذي ذكره **ابن فارس** في كتابه : « **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** » أن لهجة قريش قد برئت أيضاً من ظواهر : **الفحفحة ، والعجعجة ، والشنشنة ، والطمطمانية ، والوتم ، والوكم ، والوهم ، والاستنطاء ، والتفجع**(٣٧) .

الإطار الزمني للسماع

لم يبدأ علماء اللغة في اللجوء إلى السماع من القبائل العربية للحصول على « المادة اللغوية » بغية تصنيف ظواهرها ووضع ضوابطها كما قلنا في صدر هذا البحث إلا في أوائل القرن الثاني الهجري ، وقد استمروا يتلقون عن القبائل العربية التي ثبت عندهم فصاحتها حتى منتصف القرن الرابع الهجري تقريباً ، أي نحواً من قرنين وبعض القرن ، أما بالنسبة لفصحاء الحواضر فإن السماع منهم قد توقف قبل ذلك بفترة طويلة ، إذ رفض علماء اللغة والنحو السماع منهم بعيد منتصف القرن الثاني الهجري ، وآخر من يحتج بكلامه عندهم هو **الشاعر إبراهيم بن هرمة** المتوفي سنة ١٥٥ هـ ، وهم بذلك لم يستمروا في الأخذ عن فصحاء الحواضر إلا أقل من ثلاثين عاماً .

ويطلق اللغويون العرب على هذه الفترة لفظ « **عصر الاستشهاد** » ، أي العصر الذي تقبل كافة النصوص المنسوبة إليه في مجال البحث اللغوي بمستوياته المتعددة : **الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية** .

والأساس الذي ترتكز عليه قضية « الاستشهاد » عند اللغويين العرب هو فكرتهم عن اللغة ، تلك الفكرة التي عبروا عنها باصطلاح « **السليقة اللغوية** » ، فقد كانت تلك الفكرة وراء تحديدهم للنصوص التي تناولوها بالدرس وبنوا عليها القواعد ، كما كانت السبب في ما استلزمه هذا التحديد

من إطار زماني ومكاني معاً .

ويعني اللغويون العرب «**بالسليقة اللغوية**» أن النشاط اللغوي في الجنس العربي لا يعود إلى الدربة والمران ، وإنما يمتد عن الدم والجنس (٣٨) ، وأن العرب الخلص الذين لم يتصلوا بغيرهم من الأمم ولم يخالطوا سواهم من الشعوب يتميزون لذلك بسلامة اللغة ، ولذلك جعل اللغويون العرب اللغة الفصحى سليقة لغوية عند كل عربي بريء من المؤثرات الأجنبية ، دون أن يفطنوا إلى تعدد مستويات التعبير اللغوي ، واختلافه بين مستويات الأداء العادية التي تفي باحتياجات الحياة الاجتماعية داخل المجتمع القبلي الواحد ، وبين مستوى آخر فوق هذا المستوى قد تتطلبه ظروف اجتماعية مختلفة ، أو دوافع فنية مغايرة ، ويتطلب لذلك خصائص لغوية متميزة . وبهذا المفهوم جعل اللغويون العرب كل ما ينسب إلى العرب من نشاط لغوي محتجاً به في مجالات البحث اللغوي المختلفة ومستوياته المتعددة . وهكذا وجدنا اللغويين يلجأون إلى كل من يثقون ببعده عن التأثير الخارجي ، دون تحديد لمستوى أدائه اللغوي ، ومن غير تحليل لما يذكر من نصوص ، ومن ثم انتشر في السماع عن العرب الأخذ عن مجهولين ، وصبيان ، ومجانين أيضاً (٣٩) .

وقد تطلب هذا التطور للغة تحديداً للفترة الزمنية التي يتسم النشاط اللغوي فيها بالأصالة ، ويتميز العرب فيها بالسلامة ، وتتصف مأثوراتها من النصوص لذلك بصدورها عن السليقة اللغوية ، وهكذا نشأت عند اللغويين العرب فكرة «عصر الاستشهاد» ، أي العصر الذي يستند إلى نصوصه وحدها في استقراء ظواهر اللغة ، وتحليلها وتصنيفها ، ووضع ضوابطها وقوانينها . وقد ربط هؤلاء اللغويون بين الفترة التي حددوها لعصر الاستشهاد ، وبين ظروف التحول أو الاستقرار الاجتماعي ، بحيث مدوا المرحلة إذا ضمنوا استقرار البيئة اجتماعياً ولغوياً ، مع بعدها عن الاتصال بأجناس أخرى ولغات أخرى ، وقصروها إذا لم تتوفر فيها هذه الشروط ، ومن هنا قصروا عصر الاستشهاد على الفترة الزمنية التي حددوها ـ «منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً في الحواضر ، ومنتصف القرن الرابع الهجري في البوادي» ـ ومن هنا أيضاً كانت التفرقة بين القبائل التي تعيش في البوادي والفصحاء الذين يعيشون في الحواضر ، ومن هنا ـ ثالثاً ـ يستبعدون الاستماع الحي فيما تلا عصر الاستشهاد من عصور إلى وقتنا الحاضر ، نظراً لاتصال كافة سكان البوادي بالعالم الخارجي ومن ثم تأثرت لغتهم به . بحيث لو افترضنا أن أبناء قبيلة بعينها لم يتح لها اتصال ما بالعالم من حولها لوجب ـ عند اللغويين العرب ـ اللجوء إلى الاستماع إليها والأخذ عنها ـ وإن ظل ذلك مجرد فرض عقلي فحسب (٤٠) .

الهوامش

١ ـ انظر أصول التفكير النحوي ، ص ٢١ .

٢ ـ يحدد الباحثون هذه الفترة لأنها بدء المرحلة التي شهدت جمع المادة اللغوية قبيل انفصالها عن النص الديني المقدس ، وهو القرآن الكريم .

٣ ـ على رأس هذه المرويات الشعر الجاهلي ، إذ هو ـ في مجموعه ـ ثابت تاريخياً وفنياً ، على الرغم من الضجة التي رددها الدكتور طه حسين حول الشك فيه .

٤ و ٥ ـ انظر طبقات النحويين واللغويين ، ص ٣٠ .

٦ ـ طبقات الزبيدي ص ٣٨ ، ومجالس العلماء ، ص ٢ .

٧ ـ انظر مثلاً كتابه ج ١ / ص ١٣٧ .

٨ ـ كتاب سيبويه ، ج ١ / ص ٦٣ .

٩ ـ تهذيب التهذيب ، ج ٣/ ص ١٦٤ .

١٠ ـ طبقات الزبيدي ، ص ٦٩ ، ص ٧٢ ، ومجالس العلماء ص ١٠ ، والإعلان بالتوبيخ ، ص ٣٤ ، والأمالي الشجرية ، ج ١ / ص ٢٢٩ .

١١ ـ كتاب سيبويه ، ج ٢ / ص ٥٢ .

١٢ ـ همع الهوامع ، ج ٢ / ص ٥٦ ، ومغني اللبيب ، ج ١ / ص ٣٧٧ .

١٣ ـ الكشاف ، ج ٤ / ص ٧٧٠ .

١٤ ـ الخصائص ، ج ٢ / ص ١٠ .

١٥ ـ صدر بيت لكثير ، وتكملته :

لا تطبي الكلب ريحها وإن جعلت وسط المجالس شمّت

١٦ ـ انظر : نزهة الألبا ، ص ٨٣ ، وإنباه الرواة ، ج ٢ / ص ٢٥٨ ، وتاريخ بغداد ، ج ١١ / ص ٤٠٥ ، ومعجم الأدباء ، ج ١٣ / ص ١٦٩ .

١٧ ـ تهذيب التهذيب ، ج ٣ / ص ١٦٤ .

١٨ ـ نزهة الألبا ص ٨٣ .

١٩ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص ١٩٣ .

٢٠ ـ النوادر لأبي زيد ص ١ .

٢١ ـ وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٧ ، وفوات الوفيات ج ١ / ص ٣٣١ ، ومرآة الجنان ج ١ / ص ٣٢٥ .

٢٢ ـ ضحى الإسلام ج ٢ / ص ٢٥٢ .

٢٣ ـ انظر مثلاً : ج ٢ / ص ٥٢ .

٢٤ و٢٥ و٢٦ ـ الفهرست ص ٦٧ و٦٨ و٦٩ .

٢٧ ـ الأغاني ج ٣ / ص ١٣٦ .

٢٨ ـ ضحى الإسلام ج ١ / ص ٢٩٨ .

٢٩ ـ الفهرست ص ٦٦ ، ٦٧ .

٣٠ ـ طبقات النحويين واللغويين ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ومجالس العلماء ص ١ ـ ٤ ، والمعرب للجواليقي ص ٢١٠ ، وأمالي القالي ج ٣ / ص ٣٩ ، وسمط اللآلئ ج ٣ / ص ٢١ ، وذيل الأمالي ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ص ٥٩ ، وأمالي الزجاجي ص ٢٤١ ـ ٢٤٣ ، وشرح نهج البلاغة ج ٤/ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٦ ، والأشباه والنظائر في النحو ج ٣ / ص ٢٤ ـ ٢٥ .

٣١ ـ الأشباه والنظائر ج ٣ / ص ١٥ ـ ١٦ ، ومجالس العلماء ص ٨ ـ ١٠ ، ومعجم الأدباء ج ١٣ / ص ١٨٥ ـ ١٨٨ ، ج ١٦ / ص ١١٩ ـ ١٢٠ ، وأمالي الزجاجي ص ٢٣٩ ـ ٢٤١ ، إنباه الرواة ج ٢ / ص ٢٥٦ ، والانصاف في مسائل الخلاف ص ٤١٢ ـ ٤١٣ ، وإعلان التوبيخ ص ٣٤ ، والأمالي الشجرية ج ١ / ص ١٢٩ .

٣٢ ـ نزهة الألبا ص ٣٢ .

٣٣ ـ المزهر ج ١ / ص ٢١٢ ، والاقتراح ص ١٩ .

٣٤ ـ البيان والتبيين ج ١ / ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

٣٥ ـ المزهر ج ١ / ص ٢١٢ ، والاقتراح ص ١٩ .

٣٦ ـ الصاحبي ص ٢٣ .

٣٧ ـ انظر في تحديد هذه الظواهر ونسبتها إلى القبائل العربية : تقويم الفكر النحوي ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

٣٨ ـ الخصائص ج ١ / ص ٣٥٧ ، ج ٢ / ص ٢٥ ، وانظر في هذا الموضوع : أصول التفكير النحوي للمؤلف ص ٢٤٦ وما بعدها .

٣٩ ـ المزهر ج ١ / ص ١٤٠ .

٤٠ ـ في الواقع تشير بعض الدلائل إلى أن بعض القبائل العربية داخل شبه الجزيرة ظلت عصية على الاتصال بالعالم الخارجي حتى منتصف القرن السابع الهجري ، انظر مثلاً : معجم البلدان ج ٦ / ص ٢٠٥ ، وتاج العروس : مادة (عكو) .

اللغة العربية والعلم الحديث

بقلم : د. كمال بشر

كثيراً ما يردد غير العارفين من الناس تلك المقولة غير الواعية التي تصف اللغة العربية بالقصور في مجال **العلم والتكنولوجيا** وتسمها بالعجز عن الوفاء بحاجاتها من المصطلحات الفنية وأدوات التعبير . وربما يبالغ بعضهم في هذا الادعاء فيقررون أن هذا القصور وذاك العجز يعدان من الأسباب الرئيسية التي دفعت ببعض معاهد العلم في الوطن العربي (**ككليات الطب والهندسة وما إلى ذلك**) إلى اتخاذ اللغات الأجنبية أداة للتعليم والدرس فيها ، وإلى إهمال العربية أو عدم الاكتراث بها في هذه الساحات العلمية .

والحق أن هذه المقولة إنما تصدر عن واحد من اثنين من الناس . فقد يطلقها جاهل لا يعرف حقيقة اللغة وطبيعتها وما ينبغي أن تكون عليه علاقتها بمجتمعها الذي تعيش فيه ، أو يروج لها مضلل ينشد الانتصار لكل ما هو أجنبي ويرمي إلى التقليل من شأن مقوماتنا الحضارية وأدواتنا الثقافية .

وتوضيح الأمر بالنسبة لشبهات هذين الجانبين كليهما سهل بسيط . ذلك أن أية عيوب أو أوجه نقص وقصور في أية لغة لا ترجع إلى هذه اللغة بذاتها بقدر ما تنسب إلى أهلها وإلى الظروف العلمية والثقافية التي تحيط بها وتتفاعل معها . فكلما حرص أهلوها على امدادها بالزاد ، وكلما ماجت البيئة المعنية بالنشاط العلمي والثقافي ، نهضت اللغة واستجابت لهذا النشاط وأخذت في استغلال طاقاتها من الوسائل اللغوية اللازمة للتعبير عن علومهم وفنونهم . وكلما جمد التفكير العلمي وتخلف النشاط الثقافي ظلت اللغة في موقعها جامدة لا تبدي حراكاً ولا تقدم زاداً ؛ لأنها ، بذلك ، قد فقدت عوامل النمو وحرمت من عناصر النضج والغنى .

إن اللغة تعطي وتأخذ ، ولا يمكن أن يستمر دورها على العطاء وحده ، وإن استطاعت ذلك أحياناً لأسباب تعود إلى أصالتها فهو أمر محدود في الزمان والمكان .

إن الذي حدث ـ وما زال يحدث ـ في حالتنا نحن أن علماءنا في العصر الحديث كفوا عن الابتكار وجانبوا التفكير العلمي المبدع ، وقنعوا في أغلب الحالات بالتقليد والنقل عن غيرهم . ومن الطبيعي أن نقل الفكرة أو تقليدها يستتبع حتماً وبالضرورة نقل الوسائل اللغوية المعبرة عنها واستخدام مصطلحاتها الفنية . والمعروف أن العالم المبتكر أو الباحث المنشىء لا يجد صعوبة في العثور على مصطلحاته وأدوات تعبيره اللغوي .

إن هذه الأدوات حاضرة في ذهنه بصورة من الصور ، ذلك لأن انشغال الفكر بالابتكار أو الإنشاء المعين تصحبه عادة صور لغوية مهزوزة أو غائمة ، وهي بمثابة القوالب أو الأطر التي تصلح لاحتواء الفكر أو الحقائق التي يعنى بها الباحث الأصيل نفسه ، وما عليه بعدئذ إلا أن يخلص هذه الصور اللغوية من غموضها ويعمل على بلورتها ، وذلك بصوغها في أشكال لغوية واضحة .

فلو أن علماء عمدوا إلى مثل هذا النهج في التفكير العلمي لضمنا ثروة لغوة عربية تتناسب تماماً وبكل دقة مع ما ينتجون من علم أو يقدمون من فن ، لارتباط الجانبين ارتباطاً وثيقاً وجوداً وعدماً . أما أن نصبح عالة على أقوام آخرين في التفكير العلمي ، فلا مناص إذاً من أن نظل عالة عليهم كذلك في أداة التعبير وهي اللغة .

ولنا في علمائنا القدامى خير قدوة وأطيب مثل . كانوا يفكرون تفكيراً عربياً أصيلاً غير منقول ، ويصدرون عن ذوات أنفسهم ، ومن ثم جاءتهم وسائل التعبير اللغوية طيعة طبيعية وبالقدر الذي أرادوا وبالصورة التي رغبوا فيها . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل صارت لغتهم **العلمية العربية** معياراً ومثالا ، وانتقلت كلها أو جلها إلى لغات العالم آنذاك وبقيت حتى الآن بصورتها العربية . ومثالنا على ذلك آثار الشيخ الرئيس **ابن سينا وجابر بن حيان وابن الهيثم** وغيرهم .

ومع ذلك ، نحن لا ننكر بحال أن العلماء والمبدعين أنفسهم قد تقابلهم صعوبات لغوية معينة من وقت إلى آخر . تتمثل هذه الصعوبات في العثور على التعبير المناسب أو المصطلح الدقيق الذي من شأنه أن يحدد هذا المعنى أو ذاك تحديداً دقيقاً . وهنا ينبغي أن نشير إلى أن اللغة العربية بطبيعتها وأصالتها قادرة على أن تمدهم بحاجتهم إذا ما دققوا النظر في وسائلها التعبيرية ، وما أكثرها ! . فهناك الابتكار على سبيل القياس أو الصوغ من جديد أو استعمال القديم في المعنى الحديث على ضرب من المجاز أو التوسع في الاستعمال . ولهم فوق هذا وذاك أن يلجأوا إلى التعريب إن لم تسعفهم قدراتهم اللغوية على الظفر بما ينشدون من المادة العربية .

أما إذا كان العلم المعين منقولا كله أو بعضه أو كان مقلداً ، كما في حالتنا نحن العرب في هذه الآونة الأخيرة من الزمن ؛ فإن قضية المصطلحات هذه تصبح مزلقاً من مزالق الخطر أمام الباحثين والمتعلمين جميعاً . وهنا يثار ذلك السؤال القديم الحديث :

أنترجم هذه المصطلحات أم نعربها أم نتركها على حالتها التي وردت إلينا بها ؟

الترجمة

ربما يسرع بعضهم إلى الإجابة ويقررون أن الترجمة هي أجدى الطرق وأنسبها في حالتنا هذه ؛ لما في هذا النهج من مزايا علمية وقومية . يتمثل أهمها في الظفر بحقائق علمية جديدة ، قد ارتدت لباساً عربياً يرشحها للتمثيل والهضم والاستيعاب في سهولة ويسر ، بالإضافة إلى ما في هذا النهج من إثراء اللغة العربية وتطويع مادتها .

وعندنا أن هذا الأمر لا ينبغي أن يؤخذ بهذه الصورة من التعتيم ، وإنما ينبغي أن نأخذ في الحسبان دائماً وأبداً طبيعة المصطلحات المعينة وطبيعة مفهوماتها ومعانيها ومدى استيعابنا لهذه المفهومات والمعاني قبل أن نختار هذا الطريق أو ذاك من طرق النقل إلى العربية .

نعم ، ينبغي أن نلجأ إلى **الترجمة** أولا ، ولكن ذلك مشروط بشرطين :

- **أولهما** الفهم التام الدقيق لمفهوم المصطلح الأجنبي .
- **وثانيهما** وجود المصطلح العربي المناسب نطقاً وصياغة واستعمالا ، أي أن تكون صورته النطقية مقبولة مستساغة ، وأن يكون شكله الصرفي مأنوساً ؛ بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره في الوسط العلمي المعين . وليس من الضروري أن يكون المصطلح العربي المناسب موجوداً بالفعل ؛ فقد نلجأ إلى الابتكار بوسيلة من وسائله المعروفة ، أو نقصد إلى كلمة قديمة فنستغلها في معنى جديد ، أو أن نوسع في إطلاقها ، فنضيف إلى دلالاتها مفهوماً آخر حديثاً .

فإذا لم يتحقق هذان الشرطان أو أحدهما فالأولى أو الواجب ـ في نظرنا ـ نقل المصطلح الأجنبي بصورته الأصلية دون تغيير ، إلى أن تستقر الفكرة في أذهاننا ، ويتضح مفهوم هذا المصطلح ويجلو غامضه ، وإلى أن نعثر على صيغة عربية صالحة ، وفقاً للخواص اللغوية التي ذكرنا .

وليس في استعمال المصطلح الأجنبي عيب أو ضرر في مثل هذه الحالة ، إنما العيب والضرر يكمنان في التضحية



★ ابن الهيثم ★
بالعربية كتب آثاره العلمية



★ جابر بن حيان ★
ساعدته اللغة العربية في مرونة علمية دقيقة

بحقائق العلوم والتورط في استخدام مصطلحات غامضة أو عاجزة عن التعبير العلمي الدقيق . ومهما يكن من أمر فهذا الجواز موقوت ومشروط ، وعلى العلماء واللغويين معاً أن يتحملوا مسؤولياتهم ويبذلوا ما وسعهم الجهد في سبيل سد هذا النقص والتخلص منه .

على أن استعمال **المصطلح الأجنبي** أمر معروف مقرر في جميع اللغات . ودليلنا على ذلك أن جملة من **المصطلحات العلمية العربية** ما تزال حتى الآن تأخذ مكانها في لغة العلم في جميع أنحاء العالم . والحق أن الذي يخلصنا من هذا المأزق ، ليس هو ترجمة المصطلحات أو نقلها ، وإنما هو التفكير العلمي المبدع **بصورة عربية .**

التعريب

وهناك بين هذين السبيلين سبيل آخر ، هو **التعريب** . وقد أخذ به العلماء العرب في القديم وتوسعوا في استخدامه . وهو ـ في الحق ـ طريق وسط يضمن نقل الفكرة العلمية نقلاً جيداً ، ويثري اللغة العربية بمادة جديدة ، غير أن هذا الطريق له حدود ، كما أن له قواعد معينة في طريق النقل والصياغة . هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الناس يلتبس عليهم الأمر في مدلوله ، ويجهلون طريق الأخذ به أو تطبيقه . ومن ثم يسوغ لنا أن نوليه اهتماماً خاصاً بإلقاء شيء من الضوء على جوانبه المختلفة في ايجاز موجز .

التعريب وسيلة من وسائل نقل العلوم والفنون من لغات أجنبية إلى اللغة العربية في صورة مخصوصة وحدود معينة . وقد يطلق التعريب ويراد به واحد أو أكثر من المعاني التالية :

●● **المعنى الأول .** وهو أدقها وهو ما نأخذ به هنا ، يتلخص في أن التعريب يقصد به نقل اللفظة الأجنبية إلى اللغة العربية مع نوع من التعديل أو التغيير في صورتها الصوتية والصرفية وفقاً لما يتمشى مع الخطوط العريضة لقواعد هذين الجانبين في لغتنا .

●● **أما المعنى الثاني** فيتمثل في اطلاق التعريب على مفهوم أوسع وأشمل . فقد يقصد به تطويع العمل العلمي أو الفني الأجنبي لمقتضيات الظروف وأنماط التقاليد الاجتماعية والثقافية العربية ، وجعله ذا مسحة عربية في الإطار العام . وقد يتبع ذلك شيء من التصرف في الجزئيات والتفاصيل بذكر أمثلة أو نماذج عربية في صلب النص أو العمل المنقول .

ومقتضى ذلك أن يأخذ هذا النقل ـ في حالة النصوص المكتوبة ـ طريقين متصلين غير منفصلين . **أحدهما :** ترجمة الفكرة العامة أو العناصر الرئيسية للموضوع . **ثانيهما :** حشو النص المنقول بأفكار جزئية عربية ، أو التحوير والتعديل في بعض نقاطه أو حذف شيء أو أشياء منه ، حتى يأخذ الطابع العربي بصورة من الصور . وكثيراً ما يحدث هذا الضرب من التعريب في المسرحيات العالمية وبعض الآثار العلمية المهمة .

وقد يطلق التعريب على **مفهوم ثالث** بطريق التجوز أو عن سوء فهم أو جهل بحقائق الأشياء . قد يستعمله بعض الناس ـ مثقفين وغير مثقفين ـ ويعنون به الترجمة . وهذا الاستعمال في رأينا تنقصه الدقة ، أو ـ في الأصح ـ هو ضرب من الخطأ المحض . **إن الترجمة تعني نقل معاني الكلمات والعبارات الأجنبية والتعبير عنها بكلمات وعبارات مقابلة لها في اللغة المنقول إليها ، سواء أكانت تلك اللغة المنقول إليها عربية أم غير عربية ، على حين أن التعريب ـ في أدق معانيه ـ محصور في النقل إلى العربية (وإلى العربية وحدها) وفي مجال الألفاظ لا معانيها .**

والتعريب بهذا المفهوم الذي اخترنا (**وهو تطويع الألفاظ الأجنبية بردها إلى الصور العربية صوتياً وصرفياً**) هو ما يشيع العمل به في نقل العلوم والفنون الحديثة . غير أن استخدامه في هذا النقل له حدود وضوابط من حيث الكيف والكم . لقد سجل الأقدمون بعض القواعد العامة التي ينبغي اتباعها عند تعريب المصطلحات ؛ فاشترطوا شروطاً **صوتية** وأخرى **صرفية** للألفاظ المنقولة ؛ حتى تأخذ السمة العربية التي تؤهلها للانتظام في الثروة اللفظية ، وحتى يسهل عليها التأقلم وتصبح « عربية » بالاستعمال الخاص والعام معاً . وهذه الشروط كلها أو بعضها ما زال بعض الباحثين يتمسك بها حتى وقتنا هذا ، قصداً إلى إزاحة الغربة عن هذه الألفاظ ومنحها أردية مألوفة مأنوسة .

والحق أن اشتراط حدود معينة للصور النطقية والصرفية للمصطلحات المنقولة بالتعريب ينبغي ألا يؤخذ على اطلاقه . وإنما يعالج الأمر بحسب الظروف والحالات التي تواجهنا ، شريطة أن يكون صوغها على وفق المألوف لألسنة العرب وآذانهم قدر المستطاع .

أما من حيث الكم والأقدار المنقولة من الألفاظ بالتعريب فهناك رأيان متقابلان مشهوران . أما **أحدهما** فلا يجيز التعريب البتة ، لأن فيه ـ على ما يرى أصحاب هذا الرأي ـ إفساداً للعربية وتشويهاً لمادتها . وعندهم أن الترجمة هي السبيل الأوفق والأولى بالاتباع في هذا السبيل . وهناك في الجانب الآخر من يرى فتح باب التعريب على إطلاقه ، دون شرط أو قيد ، على أساس أن المصطلح المعرب أقرب في الدلالة على المفهوم المقصود وأكثر وفاء بأغراض التعبير من الترجمة .

أما المنصفون من الدارسين والباحثين فلا يرون بأساً من التعريب ، وبخاصة في المراحل الأولى من نقل العلوم والفنون الأجنبية ، ولكن بأقدار مناسبة وحيث تكون الحاجة ملحة إلى هذا النهج . وهم في ذلك يستدلون بما جرى في القديم ، حيث أقدم علماؤنا على تعريب أعداد كبيرة من المصطلحات المهمة ، كما نرى في مثل : **أستاذ ـ فلسفة ـ قانون ـ جغرافيا ـ بستان ـ تلميذ ـ سجل ـ دستور** الخ .

ونحن من جانبنا نأخذ بهذا الرأي ، ولكن بشروطنا الخاصة التي تتمثل في وجوب وضع التعريب تالياً للترجمة في المحاولة والاجتهاد ، وفي وضع نوع من الضوابط تحكم هذا النقل بالتعريب .

النحو ودراسته

بقلم : د. يوسف عز الدين

★ تعليم اللغة من مشكلات العصر الحديث ، فلم تقتصر المشكلة على اللغة العربية ، بل ظهرت في عدة لغات كاللغة الانكليزية والألمانية وغيرهما من اللغات الحية ، لأن استمرار حياة اللغة يدعو إلى تطويرها وتجديدها وبقائها نامية مزدهرة وخير الوسائل لمعرفة الضعف حصر الأسباب التي أدت إليه لايجاد حلول ناجحة وأساليب ناجعة لرفع المستوى المنخفض عند الدارسين ، ولن يكتب للدارسين التقدم إلا إذا درست نواحي الضعف في فروع اللغة العربية الأخرى كالإنشاء والخطابة والنصوص في مراحل التعليم المختلفة ★

وآثرت أن أدرس **ضعف الدارسين في النحو** وأترك لغيري من الباحثين دراسة الفروع الأخرى حتى يستكمل البحث جوانبه المتعددة وتطبق النتائج على اللغة العربية كلها ، فقد لاحظت الشكوى واضحة ومستمرة من طلاب النحو في جميع مراحله ويبدو في قسم اللغة العربية واضحاً ، وألفيت طالب الدراسات العليا يبتعد عن الدراسة النحوية واللغوية ويؤثر عليها الاتجاهات الأدبية والنقدية لإحساسه بثقل مادة النحو وصعوبتها . وتستمر هذه الشكوى حتى بعد تخرج الطلاب في كلية الآداب وتدريسهم للنحو في المدارس الثانوية ، فقد ظهر (أن النحو مصدر شكوى عامة) من المدرسين[١] ، فقد أدى الخوف من النحو « إلى ضجر المتعلمين في عصرنا وقبل عصرنا ... وانصرف فريق منهم عن تعب التحصيل ومشقة الاستيعاب ، وفر بنفسه من هذه البلبلة والفوضى ، قانعاً بالقليل أو الأقل ، مؤمناً بأن ما فاته ليس ذا بال »[٢] .

ولعل مصدر الصعوبة يأتي من تاريخ النحو الطويل العريض ، فقد عني في جمعه ودراسته واستخراجه من لغة العرب جمهرة من العلماء ، حاولوا تدوين شوارده ، وكثر النقاش في قضاياه ، وألفت الكتب في مشكلاته وقواعده ، وشرحت بعض هذه الكتب وعلق عليها ، ووضعت لبعضها الحواشي والتعليقات ، لأن أكثر النحاة أراد إثبات الذات الاجتماعي والذات العلمي بين المثقفين المعاصرين له فأوجد الصعوبات وخلق المشكلات وضيق على النحو حتى سمي بعلم **(الإعراب)** فقد جاء في **المفصل لابن يعيش** : « ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأدب ، إلى معرفة كلام العرب ، ومالي من الشفقة والحدب ، على أشياعي من حفدة الأدب لإنشاء كتاب في الإعراب يحيط بكافة الأبواب ، مرتباً ترتيباً يبلغ بهم الأمد البعيد كما قرب السعي ويملأ أسجالهم بأهون السقي »[٣] .

وكأن النحو هو إعراب آخر الكلمات **ونسي النحاة أن اللغة العربية هي حياة المجتمع ، والمجتمع لا يعيش بالألفاظ المجردة إنما بالمعاني والتراكيب اللغوية « كالتقديم والتأخير والذكر والحذف والنفي والتأكيد والاستفهام والطلب .. »**[٤] . وقد ظهر هذا فيما بعد في **(إعجاز القرآن)** لأبي عبيدة **معمر بن المثنى** وفي **(دلائل الإعجاز)** لعبد القاهر الجرجاني الذي عني بأسرار اللغة ومعانيها[٥] ، وسار على الفكرة **طه حسين** ، فقد تصور إحياء النحو يكون على وجهين : « أحدهما أن يقربه النحويون من العقل الحديث ليفهمه ويسيغه ويتمثله ويجري عليه بفكره إذا فكر ولسانه إذا تكلم وقلمه إذا كتب ، والآخر أن تشيع فيه هذه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه ومناقشة مسائله والجدال في أصوله وفروعه وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه »[٦] .



★ د . طه حسين ★
تصور إحياء النحو على وجهين



★ أمين الخولي ★
أحد المؤلفين المحدثين الذين أسهموا بمؤلفاتهم في تطوير النحو وتسهيله

وقد حاول أستاذنا المرحوم **إبراهيم مصطفى** أن يقرب النحو إلى الأذهان ويسهل المهمة العلمية على الدارسين بعد أن أحس بالصعوبات التي يعانيها الدارس ، فقال : « أطمع في أن أغير منهج النحو اللغوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين أصر النحو وأبدلهم به أصولا سهلة يسيرة تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها »(٧) .

لكنه لم يقدر على إنجاز وعده وقد سألته يوماً : لماذا لا تؤلف الجزء الثاني ، فرد رد المتلخص لارد المقتنع : سوف أكتبه بعد أن يفهم الجزء الأول منه . وهو يرد قصور النحو وتقصيره إلى علته الطبيعية وهي أن النحويين قد فلسفوا فقصروا به عن أن يذوق جمال اللغة العربية ويصور ذوقها كما ينبغي أن يصور .

وبقي النحو فترة يدرس في كتبه القديمة ويتابع الدارس الاصطلاحات نفسها والجزئيات ذاتها ، حتى شعر بعض النحاة بضرورة التطور ومراعاة التبدل الحضاري الذي طرأ على العرب ، فألف الغلاييني وحفني ناصف وجماعته ، وعلي الجارم ومصطفى أمين كتبهم في تسهيل النحو للدارسين ، وعقدت مؤتمرات في تيسر النحو في القاهرة والشام وحلقة في دار العلوم لخدمة هذه الفكرة .

ولو نظرنا إلى كتب النحو القديمة لوجدنا أن **خلفاً الأحمر** ألف كتاباً لمساعدة الدارسين(٨) ، على فهم أصوله ومع كل ذلك بقي النحو بعيداً عن التسهيل ، إذ أصبح غاية في ذاته وليس وسيلة من وسائل تقديم اللسان وفهم النص العربي والتمتع بحلاوة أسلوبه وأصالة معانيه . ولعل مرد الصعوبة ، ولأنه لم « يتجه أحد إلى القواعد نفسها ، إلى طريقة وضعها ، فيسأل ، الا يمكن أن تكون تلك الصعوبة من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده ، وأن يكون الدواء في تبديل منهج البحث اللغوي للغة العربية »(٩) .

إن إسراف النحاة في وضع الأسماء والتأويلات ووضع الفروق والجزئيات في النحو أصابت الدارس بالحيرة لتمسكهم بوضع قاعدة نحوية من أجل مثل واحد . واختلاف النحاة في الأحكام أعطى الفرصة للباحث (أن يرى الرأي فيقول وهو آمن إن هناك رأياً يناقضه من غير أن يكلف نفسه مشقة الاطلاع والجري وراء هذا النقيض ذلك أنه يعلم من طول ممارسته النحو والنظر في قواعده أن الواحدة منها لا تخلو من رأيين أو آراء متعارضة ، حتى أولياته وما يجري من مسائله مجرى البداهة العلمية)(١٠) .

ومن دراسة **همع الهوامع والأشموني** والانصاف والمفصل يجد الدارس الآراء المتنافرة والقضايا المتشعبة مما لا طاقة للدارس باستيعابها وهضمها ، فقد وقف الدارسون أمام تبريرات النحاة وتعسفهم في القول وتأويلهم لبعض الأمثلة في دهشة ، ففي قوله تعالى : ﴿ **إن هذان لساحران** ﴾ (سورة طه ، الآية ٦٣) . قد خرجت الآية الكريمة على القواعد التي وصفوها بأن اسم إن يكون منصوباً ولما صادفهم الحديث الشريف : **(إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)** لحنوا الراوية ووقفوا حيارى أمام قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٦٢) . وأخذت تأويلاتهم أساليب متنوعة لأنهم لا يقدرون أن يلحنوا الراوية هذا كثرت أبواب الإعراب في كتب التفسير **للزمخشري وأبي حيان وأبي البقاء العكبري**(١١) .

ولما اختلفت الآراء وأعيت النحاة الوسيلة إلى التخريج غلطوا العرب : « قال **سيبويه** : واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون وإنك وزيد ذاهبان »(١٢) ، ولا أدري كيف يغلط العرب وهم يتكلمون لغتهم ولغة آبائهم ؟

ووقف النحاة أمام بيت **الفرزدق** في حيرة من أمرهم :

وعض زمان يا ابن مروان
لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف

مجلف معطوف على (مسحتاً) وهما مختلفان في الإعراب ، وقال **الزمخشري** إنه : « بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه »(١٣) ، ومن يقرأ ما تكلف النحاة من الوجوه مثل **الخليل وثعلب وأبي علي الفارسي والفراء والكسائي** يأسف للجهد الذي أضاعه هؤلاء العلماء وكان حرياً بهم أن يقولوا كما قال **ابن قتيبة** : إن رفع القافية ضرورة شعرية وينتهي كثير من الجدال ويقتصر الكثير من الورق والفكر ، ويظهر عناؤهم



★ حفني ناصف ★
أسهم في الكتابة لتسهيل دراسة النحو



★ علي الجارم ★
ممن شارك في تبسيط دراسة النحو

وتأويلهم عندما يعربون قول **معدي كرب** :

أريـــد حيـــاته ويـــريـــد قتلي
عـــذيرك مـــن خليلك مـــن مـــراد

وفي عمرك الله ونحن العرب ، وإياك والأسد[١٤] ، قد كان **رضي الدين الاسترابادي** صريحاً عندما قال : « البدل تابع مقصود بما ينسب إلى المقبوع وأقول وأنا إلى الآن لم يظهر لي فرق بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان ، بل لا أدري عطف البيان ، إلا البدل كما هو ظاهر من كلام سيبويه »[١٥] ، فكيف أطلب من طلاب النحو أن يفرقوا بين عطف البيان والبدل ؟ إذا كان هذا النحوي الكبير لا يقدر على التفريق بينهما .

ونحن نعرف قواعد إعراب الأسماء الخمسة أو الستة ولماذا اختلف النحاة في قول الشاعر :

أهـــدموا بيتـك لا أبـــا لك
وزعمـــوا أنـــك لا أخـــا لـــكا

لعدم وجود التنوين وليسا مضافين[١٦] ومن قول الشاعر :

إن أبـــاها وأبـــا أبـــاها
قـــد بلغـــا في المجـــد غـــايتاها[١٧]

وما أكثر قول النحاة في باب الاشتغال بالرفع والنصب وكثرة خلافهم فيه[١٨] ، وعندما لم يجدوا الحركات واضحة قالوا إن اختفاء الحركات (إعراب على التوهم) فهل يفهم إعراب التوهم بسهولة ويسر لكل الدارسين[١٩] .

بقي النحو يدرس في كتبه القديمة التي حشيت وحشدت بمختلف الشروح ومتباين الحواشي وتناقض الردود ، حتى جاء **العصر الحديث** وحاول **حفني ناصف** وجماعته **الغلاييني وعلي الجارم ومصطفى أمين** بمحاولة متطورة في دراسة النحو وتسهيل فهمه على الدارسين ليكون قريباً من الفكر المعاصر ويلائم الذوق الحديث ومع ذلك فقد وجدنا بقايا صعبة على المبتدئين عند الغلاييني ونقصاً عند علي الجارم ومصطفى أمين ، وقد أحس **خلف الأحمر البصري** قبلهم فكتب **(مقدمة في النحو)** عندما أحس بالثقل الذي ألقاه النحاة على الطلاب وبالصعوبات التي يواجهها دارس النحو مع أن الكتاب من أول ما وضع من مختصرات ، فقد قال في المقدمة :

« ولما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصر والطرق العربية والمأخذ الذي يخف على المبتدىء حفظه ويعمل في عقله ويحيط به فهمه »[٢٠] .

وقد وضع الكتاب قبل أن تدخل الفلسفة في النحو فما أدري ما سيكون موقفه اليوم بعد أن مرت هذه القرون الطويلة على النحو ؟

إننا بحاجة إلى وضع كتاب جديد يسهل النحو على الدارسين ويطور أساليب تدريسه ، مستفيدين من الإطار التاريخي العريض للنحو والامتداد الزمني الذي أثر فيه لأنهما عاملان زادا في اختلاف الرؤية وتضارب الآراء ، ويمكن للمؤلف الجديد المعاصر الاستفادة من اختلاف **آراء النحاة في الكوفة والبصرة** أولا ، ثم في **بغداد** ثانياً ، والأمصار الأخرى ثالثاً ، فإن هذه الاختلافات أعطت مجالا للاختيار والانتقاء ، فقد نضجت الآراء وتوسع مجال النقاش والجدل ، فأصبح واضع كتاب النحو اليوم مطلعاً على المفاهيم القديمة وطول الزمن التاريخي والعرض الفكري المتباين . فقد أصبحت المسافة بعيدة بين بدء كتابة **سيبويه** الغامضة العبارة واليوم **ولا ننسى محاولات السيرافي وابن مضاء الأندلسي في العصور القديمة في تسهيل وتطوير النحو وفي العصر الحديث مؤلفات الأساتذة إبراهيم مصطفى وأمين الخولي وعبد الحميد حسن وعباس حسن ومحاولة أحمد عبد الستار الجواري في العراق ، وتحتاج هذه الآراء والنظريات في التسهيل والتطوير إلى تطبيق يمكن أن يستفيد منه دارس النحو . فما زالت لغة الطلاب في العراق ضعيفة يعتورها اللحن رغم أن الطالب يدرس قواعد اللغة العربية من الصف الرابع الابتدائي ثم المتوسطة والثانوية ، وإذا أدخلنا في الحساب سنوات كلية الآداب تكون ثلاث عشرة سنة في دراسة النحو .**

وخير وسيلة للمؤلف الجديد أن يشعر الدارس بحلاوة لغته وتذوق جمالها والإحساس بها وهو يدرس النحو ، وبذلك تكون دراسة النحو ضمن التراكيب والتعابير التي يدرسها ، أما فصل

النحو عن اللغة فقد يحفظ القاعدة ولكنه لن يقدر على فهمها وتطبيقها في لغته اليومية .

ومن تجربتي المحدودة وجدت **أسباب الضعف عند الطلاب** متأتياً من :

(١) ابتعاد لغة الحديث اليومية عن قواعد اللغة العربية . أدى إلى عزل الفصحى ، ولو كانت الصلة متينة بين الفصحى واللغة اليومية لسهل على المتعلم تعلم النحو ، لأن الطالب يتكلم ويسمع قبل أن يقرأ ويكتب ، فهو يقرأ بالفصحى في المدرسة وأحياناً في داخل الصف فقط ، وأكثر حياته يتكلم باللغة العامية ، بل إنها لا تستعمل حتى في تدريس النحو نفسه ، فإذا لزم المدرس نفسه وطلابه بالتحدث بالعربية السهلة وابتعد عن اللهجة العامية أفاد نفسه وطلابه في الوقت نفسه .

(٢) ابتعاد بعض كتب النحو المدرسية عن معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا الحديثة في الأمثلة والتطبيق ، لأنها تعتمد في الأمثلة على بعض الكتب البعيدة عن ذهنه وحياته كالأغاني والعقد الفريد وكليلة ودمنة وكتب الجاحظ وبديع الزمان ، وهي كتب مفيدة إذا أحسن أختيار النصوص الحية التي ارتبطت بأحداث ومشكلات يدركها الدارس .

(٣) تبدل المناهج المستمرة في دراسة النحو وإدخال أمثلة لها اتجاه سياسي يلائم فكرة السلطة الحاكمة خلق بلبلة فكرية وقلقاً روحياً .

(٤) وجود مدرسين غير مزودين بالثقافة العربية الأصيلة وعدم اتقانهم النحو ، فقد نجح بعضهم في دروس الأدب والدروس المساعدة الأخرى . ثم فرض عليه تدريس النحو رغم الضعف الذي لازمه منذ دراسته الأولى . ولا أفكر أن بعضهم قد استفاد من طول تدريسه النحو ، ولكن هؤلاء يحتاجون إلى تدريب عميق وفهم لأسس النحو .

(٥) طرق الامتحانات مغلوطة الأساليب لا توضع لمعرفة قدرة الطالب في المنهج كله والاحاطة بما استوعبه وما استفاد من دروسه إنما توضع بعض الأسئلة في الأمور الصغيرة ولتعجيز الطالب واظهار مقدرة الأستاذ في إبراز القضايا الجزئية في النحو والأمثلة التي لا يصادفها الطالب في حياته اليومية ، ومن الضروري أن تكون الأسئلة مستوعبة لأكثر المنهج إذا تعذر كله .

(٦) انتشار العامية في الإذاعة والتليفزيون وفي قاعات التدريس في الكليات والمدارس المختلفة أدت إلى تسهيل التحدث بالعامية . فما دام الطالب ـ وبخاصة في دور التلقي ـ يسمع الأغاني ويشاهد المسرحيات بالعامية ، فهو بلا شعور ، يبتعد عن الفصحى ، فعناية الإعلام بالفصحى تساعد كثيراً على بذر الألفة بين اللغة الفصحى والشعب وفهمها وحبها ، وقد ألفينا من لا يقرأ ويكتب يفهم الأخبار والتمثيليات بالفصحى ويلتذ بمشاهدتها . . ومعنى ذلك أن الفصحى ليست بعيدة عن إدراك العربي مهما كانت ثقافته وعلمه .

الهوامش

(١) مشكلات تدريس اللغة العربية ، ص ٥٥ .
(٢) اللغة بين القديم والحديث ، عباس حسن ، ص ٧٣ .
(٣) شرح المفصل لابن يعيش ، ص ١٧ ، جـ١ .
(٤) دراسات في اللغة والنحو ـ حسن عون ، ص ٦١ ، وقد شرح عبد القاهر ذلك ، ص ٦٤ و٦٥ .
(٥) دلائل الإعجاز ، طبعة المنار الثانية الصفحات ٢٨٢ وما بعدها ، وإبراهيم مصطفى ، ص ٨١ .
(٦) إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ، المقدمة ، ص : س .
(٧) حاضر اللغة العربية الأفق في ١٩٥ ، ذكر للمشاريع والمؤتمرات في ١٩٣٦م ، و١٩٥٦م .
(٨) مقدمة في النحو لخلف الأحمر البصري تحقيق التنوخي .
(٩) إحياء النحو ص د ، وللأستاذ عبد الحميد حسن أسلوب عملي لتطبيق (القواعد النحوية) ص ٥٨ .
(١٠) اللغة والنحو ، ص ٧٢ .
(١١) إبراهيم مصطفى ، ص ٦٧ .
(١٢) حاشية الصبان على الأشموني ، ص ٢٨٧ .
(١٣) القواعد النحوية ، ص ١٨٨ ، والانصاف ص ١٢١ .
(١٤) إبراهيم مصطفى ، ص ٩٩ .
(١٥) الكافية ، ص ٣٣٧ .
(١٦) إبراهيم مصطفى ، ص ١١ .
(١٧) الانصاف ، ص ١١ ، وشذور الذهب ، ٢٨٧ .
(١٨) إبراهيم مصطفى ، ص ١٥١ .
(١٩) عبد الحميد حسن ، ص ١٨٨ ، ذكر عدة مصادر يمكن الاستفادة منها .
(٢٠) مقدمة في النحو ، خلف الأحمر البصري .

مدينة وتاريخ





★ منظر عام لجانب من المدينة حيث يبدو في الصورة ميناؤها التجاري الهام ★

الدار البيضاء جوهرة الأطلسي

إعداد: د. إحسان هندي



★ نافورة الدار البيضاء المشهورة بأضوائها الملونة ★



★ أحد الشوارع الحديثة في يوم عطلة ★

قد نجد في العالم مدناً تضاعف عدد سكانها عشر مرات خلال سنوات القرن الحالي ، ولكننا لن نجد بالتأكيد مدينة ، إلا مدينة الدار البيضاء ، تضاعف عدد سكانها أكثر من سبعين مرة في السنوات السبعين الأخيرة . فلقد كان عدد سكانها لا يزيد عن (٢٥,٠٠٠) نسمة سنة ١٩٠٧م ، وأصبح اليوم حوالي مليوني نسمة أو أكثر .

تاريخها

إن مدينة الدار البيضاء - أو **كازا بلانكا** CASA BLANCA حسب تسميتها الأجنبية - ليس لها ذلك التاريخ العريق الذي تمتاز به المدن المغربية الأخرى ، سواء تلك التي يعود تاريخها إلى زمن الرومان مثل **طنجة** (تانجيس TINGIS الرومانية) ووليلي (فولوبيليس VOLUBULIS في زمن الرومان) ، أو إلى العهود الإسلامية الأولى مثل (**فاس ومراكش**) ، أو إلى العهود الإسلامية التالية مثل العدوتين (**الرباط وسلا**) ومكناسة الزيتون (**مكناس**) وغيرها . . .

فهذه المدينة ، التي هي اليوم ثاني مدينة إفريقية (بعد القاهرة) من حيث عدد السكان ، لا يُعرف أي شيء تقريباً عن تاريخها قبل القرن الخامس عشر للميلاد ، وكل ما نعرفه عنها أنها **قامت على أنقاض مدينة عتيقة (قد يعود عهد بنائها إلى الفترة الفينيقية)** تسمى (**أنفا** ANFA) ، كان قد خربها **البرتغاليون** جزئياً في إحدى غزواتهم سنة ١٤٦٨م ، قبل أن يخربوها بالكامل سنة **١٥١٥م** ، لما احتلوا ذلك الجزء من الساحل المغربي[١] .

وفي منتصف القرن السادس عشر قام البرتغاليون ببناء حامية لهم في تلك المنطقة ، على أنقاض المدينة القديمة (أنفا) ، ودشنوها تحت اسم (كازا برانكا CASA BRANCA) سنة **١٥٧٥م** .

وبعد وصول سلاطين **الأسرة العلوية** (الأسرة المالكة حالياً في المغرب) إلى الحكم ، حاولوا طرد الأجانب من برتغاليين وإسبان من السواحل المغربية ، وقد تمكنوا من ذلك جزئياً ، بالنسبة للبرتغاليين على الأقل ، حيث طردوهم من (كازا برانكا) سنة **١٧٥٥م** .

وعرف **السلطان محمد بن عبد الله** (١٧٥٧ - ١٧٩٠م) أهمية هذه المدينة المسترجعة ، وخاصة من الناحية البحرية ، فاهتم بتحصينها



★ واجهة المعرض الدولي ★



★ شواطىء « عين دياب » ★

وتوسيعها وبناء عدد من الأبنية العامة فيها ، وكان مما بناه (**الجامع الكبير**) الذي لا يزال يحمل اسمه حتى الآن في حي (**القصبة**) أو المدينة القديمة ، كما أطلق عليها منذ ذلك الوقت اسمها الحالي (الدار البيضاء) وهو ترجمة لاسمها البرتغالي (كازا برانكا CASA BRANCA) . وأما اسمها الأجنبي الحالي (كازا بلانكا CASA BLANCA) فقد أعطاه الإسبانيون لها لما أخذوا حق احتكار استثمار مينائها البحري في أواخر القرن الثامن عشر ، قبل أن يعيد **السلطان مولاي عبد الرحمن** افتتاحه للتجارة الأوروبية جمعاء سنة ١٨٣٠ م ، (ويقال إنه اضطر لذلك مداراة لمشاعر فرنسا التي كانت قد احتلت الجزائر في منتصف تلك السنة) .

لماذا سميت الدار البيضاء

★ يتناقل الناس حكاية طريفة عن اسم « الدار البيضاء » :

يروون أن ولياً صالحاً اسمه « **العلال القيرواني** » كان قد أتى من تونس ، وسكن في هذه المنطقة ، وكان من أكبر تجارها .. وكان السكان الذين يقطنون ضواحي هذه المدينة يقصدونه لابتياع ما يريدون من سلع .. وكانت له زوجة اشتهرت ببياضها أسكنها منزلاً كان معلماً لمن يأتي إلى هذه البقعة .. فإذا ما أراد أحد الذهاب لابتياع ما يحتاجه قال : إنني ذاهب إلى دار البيضاء ، وهو يقصد دار القيرواني صاحب الزوجة البيضاء ، فسميت المدينة باسم « **الدار البيضاء** » .

وهناك رأي يقول إن البرتغاليين أطلقوا عليها « كازابيونكا » ، وتعني بالبرتغالية « الدار البيضاء » ، والإسبانيون أطلقوا عليها « كازابلانكا » أي الدار البيضاء . ★

وقد بدأت المدينة بالتطور منذ ذلك الوقت حيث أصبح عدد سكانها في زمن **السلطان الحسن الأول** (١٨٧٣ - ١٨٩٤ م) حوالي عشرين الف نسمة أغلبهم من العرب المسلمين ، وكانوا يعيشون جميعاً في الحي القديم من المدينة ، وهوالحي الذي يطلق عليه الأوروبيون اسم (**القصبة** CASABA) ، ولا يزال يحتفظ بطابعه الوطني بشكل كامل . وقد احتل الفرنسيون مدينة (الدار البيضاء) سنة ١٩٠٧ م (بحجة المحافظة على أرواح الأوروبين فيها بعد مقتل تسعة منهم في مينائها) وذلك بقوة تبلغ (١٥٠٠٠ جندي) بقيادة الجنرال (**درود** DRUDE) ومن بعده الجنرال (**داماد** D'AMADE) ، وكان ذلك مقدمة لفرض الحماية الفرنسية على المغرب بالكامل سنة ١٩١٢ ، تلك الحماية التي دامت حتى استعادت الاستقلال سنة ١٩٥٦ م .

المدينة الحالية

بدأت مدينة (الدار البيضاء) بالتوسع السريع منذ عام ١٩٢٠ م تقريباً ، حيث بدأت حركة التجارة البحرية تزداد بشكل ملحوظ فيها بعد أن اختارها عدد من التجار الأوروبيين بشكل عام ، والفرنسيين والإسبان بشكل خاص ، كمقر لمصانع أقاموها فيها أو لوكالات فرعية لأكبر المعامل الأوروبية والأمريكية الكبرى .

وقد ازدهرت حركتها التجارية بشكل خاص منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن حيث تم تزويد مينائها البحري بأرصفة طويلة ومستودعات ضخمة وأوراش للتصليح والصيانة ، حتى أصبح **المرفأ الأول في إفريقيا من حيث الشحن والتفريغ** (أكثر من ١٦،٠٠٠،٠٠٠ طن سنوياً) .



★ معروضات على الطبيعة للسياح في «المحمدية» القريبة من الدار البيضاء. وفي الأسفل متحف الأحياء المائية من الداخل ★



وإلى جانب أهمية الدار البيضاء من ناحية المواصلات البحرية برزت أهميتها في المواصلات البرية والجوية أيضاً:

١ - **فمن الناحية البرية** تعتبر الدار البيضاء عاصمة منطقة (**الشاوية** CHAOUIA) - وهي واحدة من أهم المناطق المغربية من الناحية الزراعية - وهذا ما يفرض عليها أن تلعب دوراً خاصاً في التبادل على المستوى الجهوي.

كما أنها تقع في نقطة متوسطة على الساحل المغربي المأهول (تقع الدار البيضاء في منتصف المسافة تقريباً بين ميناء طنجة في الشمال وميناء أغادير في الجنوب)، وترتبطها خطوط مواصلات برية جيدة مع مختلف المدن المغربية الأخرى.

٢ - **ومن الناحية الجوية** تقع (الدار البيضاء - كازا بلانكا) على

★ صيادو السمك وفي الأسفل واحد من مسابح شواطئ «عين دياب» حيث يمارس السياح الذين يأتون من بلدان العالم هواية السباحة والاستمتاع بالشمس ★





مقربة من قارة **أوروبا** في الشمال ، وقارة **إفريقيا** السوداء في الجنوب ، وهي من أقرب قواعد الانطلاق نحو **أمريكا الجنوبية** والوسطى والشمالية ، وهذا ما جعل منها عقدة مواصلات جوية مهمة وخاصة بعد إنشاء وتوسيع مطارها الدولي في ناحية (النواصر) على بعد حوالي **٣٥** كم من مركز المدينة .

وبالإضافة لهذا المطار الدولي المخصص للخطوط الخارجية هناك مطار آخر أصغر منه (مطار أنفا) مخصص للخطوط الداخلية .

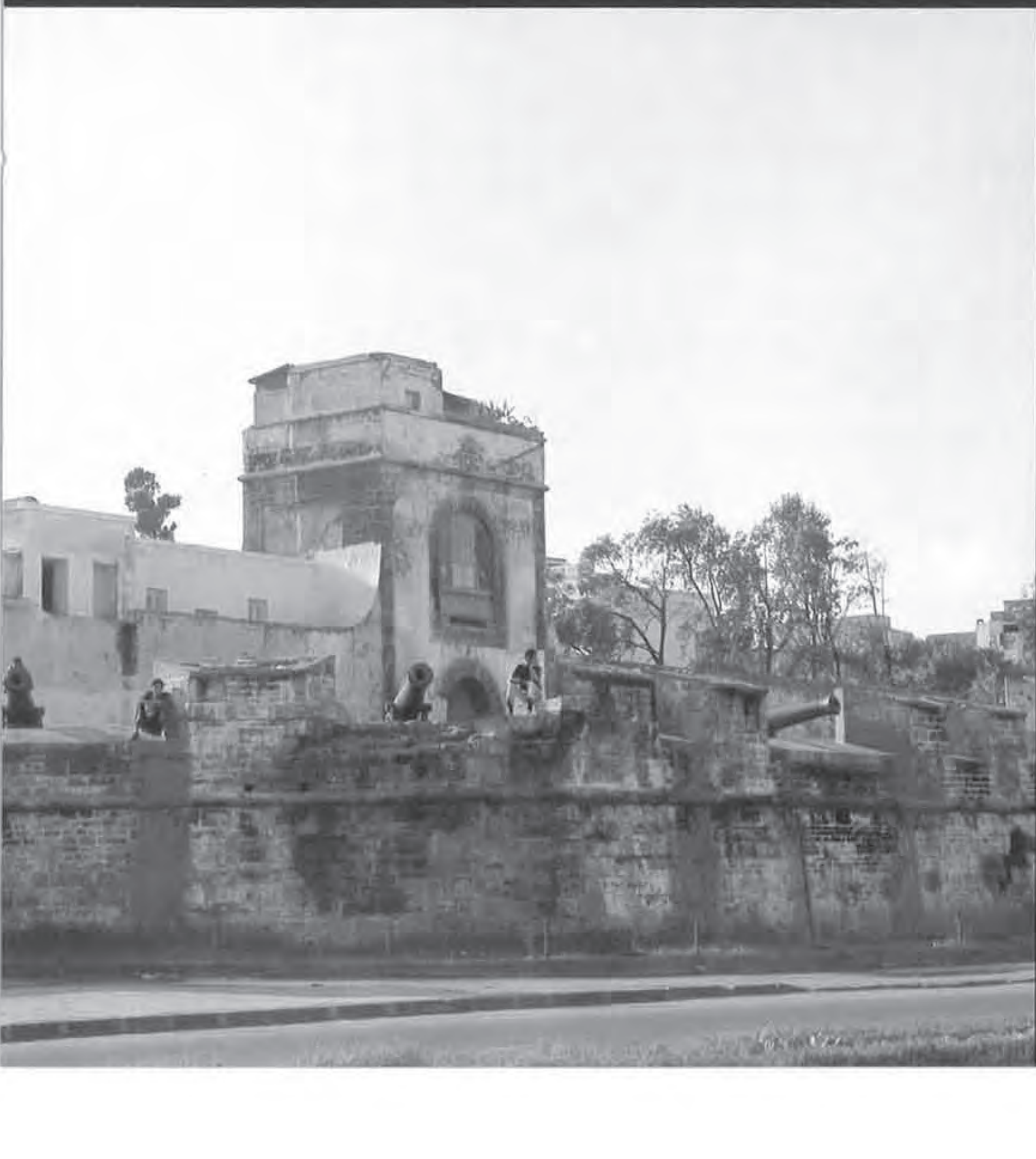
وخلاصة القول في هذا المجال أنه إذا أخذنا حركة المرفأين الجوي والبحري معاً ، بوسعنا أن نعتبر أن (الدار البيضاء) هي ميناء الدخول الرئيسي إلى المغرب في هذه الأيام[٢] . وإن الأهمية التجارية التي أخذتها مدينة الدار البيضاء بعد الحرب العالمية الثانية جعلتها تكتسب ـ عن حق ـ



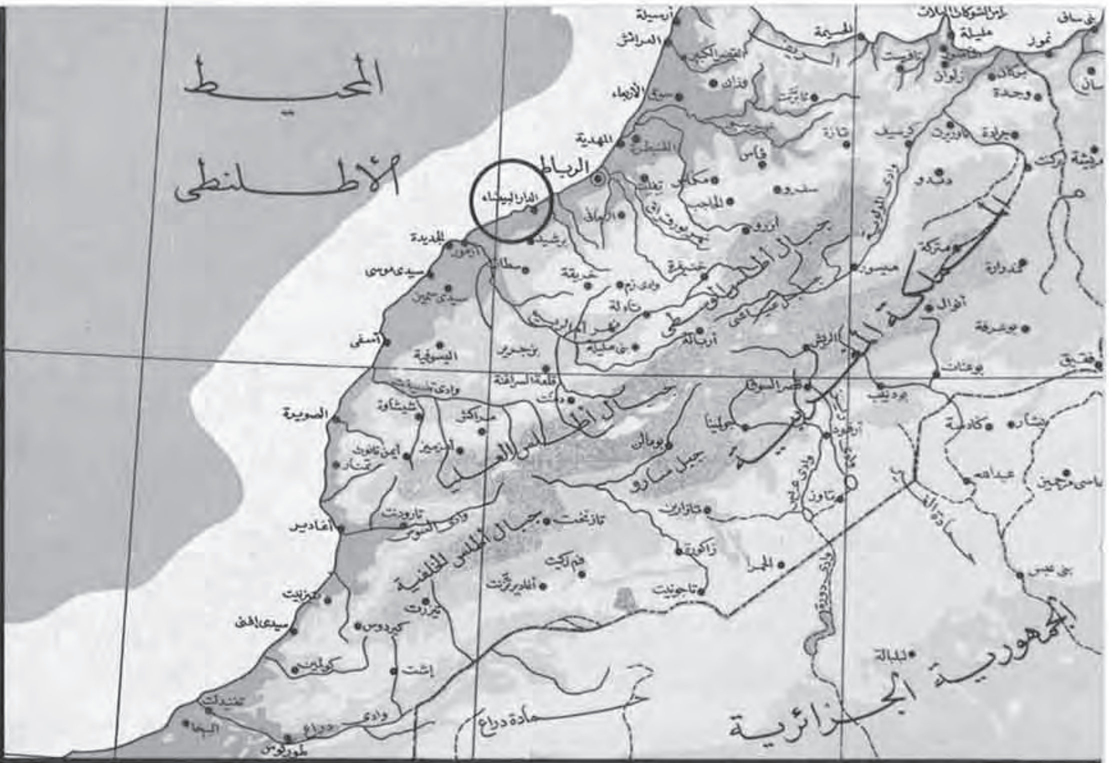
★ مسبح من شواطيء «عين دياب» الذي تقام فيه مباريات السباحة العالمية ★



★ بوابة القصر الملكي ★



★ جانب من الحي القديم ★



★ موقع الدار البيضاء من خارطة المغرب ★



★ مئذنة جامع محمد الخامس ★



★ واحد من الأزقة القديمة ★



★ مدينة الدار البيضاء جوهرة الأطلسي ★

لقب (**العاصمة الاقتصادية**) للمغرب من جهة ، وجعلت عدد سكانها يزيدون بشكل مذهل من جهة ثانية ، وخاصة من حيث أفراد الطبقة العمالية التي لها من القوة والكثافة بحيث لا يوجد لها مثيل في أي ميناء إفريقي آخر .

كما أن انفتاح المدينة على الخارج جعلها محطاً ومستقراً لكثير من الجاليات الأجنبية العاملة فيها . حيث يندر أن توجد دولة في العالم لا يوجد لها مواطنون يقيمون في الدار البيضاء (هناك حوالي مئة ألف أجنبي أو مقيم من أصل أجنبي في المدينة) .

كل العوامل السابقة الذكر جعلت مدينة الدار البيضاء تتوسع أفقياً وعمودياً .

فقد **توسعت أفقياً** في المساحة حتى أصبحت مساحتها ١١,٣٣٠ كم٢ (أي بقدر مساحة مدينة باريس تقريباً) ، موزعة على حوالي ثلاثين حياً منها خمسة أحياء مخصصة لبناء الفيلات فقط .

وقد **توسعت المدينة عمودياً** كذلك ، وخاصة في الأحياء التجارية حيث تقوم **ناطحات سحاب** حقيقية ، ونجد هذا على أكثره في (**ساحة محمد الخامس**) وفي (**شارع الجيش الملكي**) حيث توجد أغلبية المصارف (أو الأبناك كما يقال لها في المغرب) وشركات التأمين وشركات الطيران العربية والأجنبية (أكثر من عشرين شركة وممثلية) .

المعالم السياحية

ليس في المدينة أوابد أثرية كما هي الحال في طنجة وفاس والرباط ومراكش . . . فأقدم آثارها لا يعود في القدم لأكثر من قرنين من الزمان ،

بعض المعلومات عن ميناء الدار البيضاء

- كان ميناء صغيراً في العصور السابقة ، ثم ردم ليؤسس الميناء الكبير الهام ، ومكان الميناء القديم فندق « المنصور » حالياً .
- تأسس الميناء الجديد عام ١٩٢٠ م ، تتوفر فيه مجموعة من الأرصفة مثل رصيف الخضار ، رصيف الفوسفات ، رصيف الحبوب ، رصيف المسافرين ويسمى « رصيف طارق » ، ورصيف لحماية الميناء من الأمواج يسمى رصيف « مولاي يوسف » ، طوله ٣١٩٠ متراً ، بني من الصخور .
- بجوار الميناء الكبير ميناءان صغيران أحدهما لصيد السمك ، والآخر لممارسة الرياضات المختلفة (سباق السفن الشراعية ـ الانزلاق او التزلج فوق الماء) .
- قدرت الحركة التجارية بهذا الميناء تصديراً واستيراداً بـ ١٨ مليون طن عام ٧٦ منها ٨٠٪ صادرات الفوسفات ثم الصناعات التقليدية والفواكه والخضار ومعلبات السمك .
- يقدر عدد العاملين في الميناء بـ ٢٠ ألف عامل .

شاطىء عين دياب

ولهذا الاسم حكاية يرويها البعض تقول إن هناك عيناً كانت الذئاب في الماضي تأتي إليها للشرب ، فسمي الشاطىء « عين دياب » .

انفا

تعني كلمة « انفا » الشيء الجميل الخارق للعادة . . وكان يسكن انفا جماعة من البرابرة يسمون « البرغواتيين » في عهد المرابطين ، لكنهم لم يكونوا خاضعين لها .



★ إحدى البنايات الضخمة التي أصبحت تشكل وجهاً من وجوه المدينة ★



★ نموذج لطراز البناء الحديث ★

وتوجد جميعاً في داخل المدينة القديمة مثل **بقايا السور** القديم (وعليه مدافع تحرس المرسى يعود تاريخها لبداية القرن التاسع عشر) ومساجد (**الجامع الكبير**) و (**أولاد حمرا**) و (**جامع الشلوح**)[٣]، وأضرحة (**سيدي علي القيرواني**) ولي المدينة، و (**سيدي سمارة**) و (**سيدي بليوط**) على مقربة من الميناء.

وهناك المدينة الجديدة بأقواسها المقنطرة (**حي الأحباس**) ومساجدها ذات الطابع الأندلسي (**مسجد مولاي يوسف ومسجد سيدي محمد الخامس**)، والتي تضم في إطارها (**القصر الملكي**) ومبنى (**محكمة الاستئناف**) وهو من أجمل المباني ذات الطابع الأندلسي (تقليداً لقصر الحمراء) في المغرب.

★ واحد من المباني الحديثة ★



ولكن الأهمية السياحية للمدينة تكمن في معالمها السياحية الحديثة مثل (شارع الجيش الملكي) بعماراته الشاهقة وأناقته المعمارية المتميزة، وساحة محمد الخامس مع **القبة الزجاجية** التي تقوم في وسطها، **وشارع الحسن الثاني، وساحة هيئة الأمم المتحدة** التي تحيط بها مجموعة من أجمل المباني الإدارية والرسمية (مصرف المغرب الذي يعود تاريخ بنائه إلى ١٩٣٧م - البريد والبرق ١٩١٩م - دار العمالة - القصر العدلي - أمانة السجل العقاري - الجمارك - مصلحة المالية - قنصلية فرنسا ..... الخ) مع **بركة واسعة من الماء في الوسط، تنيرها أضواء ملونة، وترقص فيها المياه على أنغام الموسيقى الأندلسية والمغربية**. فالنوافير تطلق الماء بنظام معين تحت أضواء ملونة وعلى أنغام موسيقى ساحرة أصيلة، فيخال المشاهد - السامع أن الماء يرقص ضمن إطار سمفونية من الألحان والألوان لا أجمل منها ولا أروع، وذلك في أمسيات أيام الأعياد والعطل الرسمية والأسبوعية.

وهناك **شارع الأمير عبد الله** وهو شارع قصير ولكنه مضاء بشكل خاص ويحوي على جانبيه أجمل وأغلى متاجر المدينة وأكثرها أناقة بحيث يمكن تشبيهه إلى حد ما بشارع **الشانليزيه في باريس** و (**فيا فينيتو**) **في روما، وشارع الحمراء في بيروت، والصالحية في دمشق**.

وفي المدينة عدة حدائق أهمها **حديقة الجامعة العربية** في وسط المدينة وحديقة (**مردوك**) في جنوبها **وحديقة الحيوانات والنباتات**... وفيها **متحف للأحياء المائية** (أكواريوم) يحوي ما



★ ساحة محمد الخامس .. وتبدو القبة الزجاجية ★

يزيد عن خمسين نوعاً من أنواع الأسماك مختارة من شتى بحار العالم وموزعة على ستة وسبعين حوضاً .

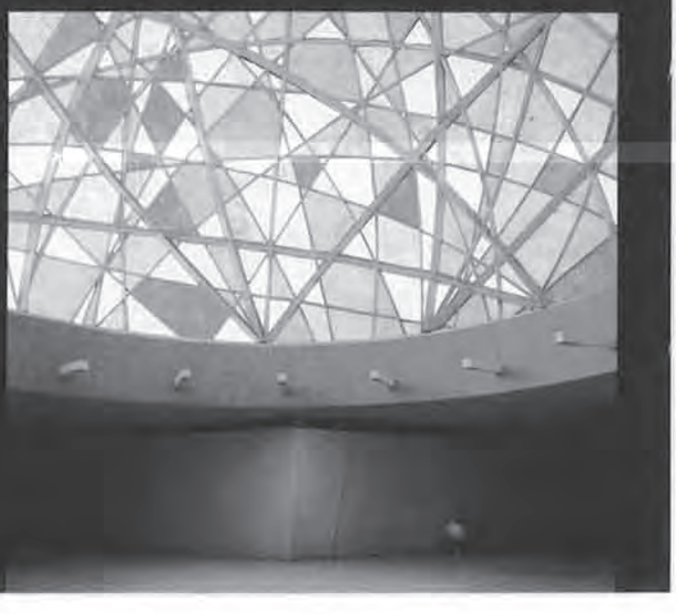
كما أن المدينة شهيرة بكثرة مقاهيها الأنيقة إلى درجة دعت بعض الزائرين المشارقة للتندر على ذلك بالقول : « **بين كل مقهى ومقهى يوجد فيها مقهى** » !!

ولا يصلح شاطىء الدار البيضاء للسباحة ، ولكن يقوم في ساحلها الجنوبي منتزه (**عين دياب**) حيث تتناثر المسابح والمطاعم والمقاهي والمنتزهات .

وبما أن مناخ المدينة مناخ معتدل (درجة الحرارة الدنيا ٤° ودرجة الحرارة العليا ٣٥° ، وأما متوسط الحرارة فهو ١٠° في الشتاء و٢٤° في الصيف) ، لذا فإن المسابح تمتلىء بالناس منذ أواخر شهر شباط (فبراير) وحتى نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وعلى مرتفع يطل على شاطىء (عين دياب) يقوم **حي أنفا** ، أرقى أحياء المدينة السكنية ، الذي عقد قادة الحلفاء في واحدة من داراته مؤتمرهم الشهير (**مؤتمر كازا بلانكا**) سنة **١٩٤٣** م ، وهو المؤتمر الذي كان نقطة تحول في مسار الحرب العالمية الثانية .

★ مرفأ الدار البيضاء التجاري . أصبح أول مرفأ في إفريقيا من حيث الشحن والتفريغ . وفي أسفل القبة الزجاجية من الداخل ★





الهوامش

١ ـ في أواخر القرن الخامس تقاسم البرتغاليون والإسبان ـ بمباركة الكنيسة ـ النفوذ على السواحل الإسلامية ، فاعترف البرتغاليون للإسبان بحق السيطرة على الموانىء الإسلامية المتوسطية بين طنجة غرباً وطرابلس شرقاً ، واعترف الإسبان للبرتغاليين بالمقابل بحق السيطرة على الموانىء الإسلامية على المحيط الأطلسي جنوب مدينة طنجة .

٢ ـ احتفل مرفأ (النواصر) الدولي ، منذ أشهر ، بالراكب رقم مليون الذي يحط فيه .

٣ ـ كلمة تعني « البربر » في اللغة القبائلية .

*

عتاب !؟

شعر: الأمير عبدالله الفيصل

أراك تشكو من جَفائيْ ، وما
أسرفتُ في بعديَ .. لولا جفاكْ

ما هذه الآهات .. يا شاغلي
عن كلِّ شيء في الدُنى .. ما عَدَاكْ

ما لي أرى عتبَكَ يا لائمي
يبعثُ في قلبيَ ذكرى أساكْ

هل يشتكي الظالمُ .. مظلومَه ؟
وأنت أدرى بالهوى من سواكْ

أنت الذي أوْهَبْتُ صَبْري ، وَمَا
أحْبَبْتُ شيئاً مثل حبِّي رضاكْ

عَلَّمْتَنِي حبك .. في نظرةٍ
حَسِبْتُني فيها أطال السِّماكْ

وبعد ما جَرَّبْتُ مَعْنَى الهوى
عَرَفْتُ ما يعنيه طُهْرُ الملاكْ

لكنني أوغلتُ في رغبتي
وقد بَرَاني في هواك الهلاكْ

كم ليلة نمتُ على مأملٍ
يرقصه في خاطري ناظراكْ

وعندما توقظني فرحتي
تحرقني في جَفْوها .. مقلتاكْ







حـتى كأنّي بـين وهـم الـهَنَا

وشـقوة الـواقع .. شـاكٍ وبـاكْ

أأنـت لا تُبْصِر في أضلعي

شَـوَاظَ نـارٍ .. شَـبَّها أصْـغَراكْ

* * *

قـل لي .. ومـا زلـت حبيـب المدى

هل أنت ناسٍ غربتي عن هواكْ

هـل هَـزَّكَ الشَّـوقُ إلى طَيِّـع

تَتْبَعُ حتى المآسي .. خُطاكْ

هـل في حنـاياك بقـايا هـوى

ترحم خَفَّـاقاً .. بـكى مـن نـداكْ

أم أنَّ زهـوَ الـحُسْنِ يعميـك عـن

عـاشقِ وَرْدٍ دوحُـه وجنتـاكْ ؟

كنْ مثلما يـرضيك .. أمَّـا أنـا

فسـوف أبْقَى طـائراً .. في فضـاكْ

كلّ الـدُّنى خلـفيَ .. خلفتهـا

إلا فـؤادي .. فهـو دومـاً وراكْ !!!

* * *

ابتذال الدموع



خرج **محمد بن عبد الملك التنيسي**، مع شيخه **أبي الفضل الجوهري**، إلى «**خب عميرة**»، وهو مكان قرب القاهرة ينسب إلى عميرة بن تميم التجيبي، وكان مجمعاً للحاج والعساكر.

وقد خرج هذان الأديبان لتشييع الحاج وتوديعه، وباتا مع الحاج ليلة قبل سفره.

وعند الصباح أثيرت الجمال وقوضت الأطناب، فدلف شاب حسن الوجه قد أضناه الغرام بشحوب واصفرار، وهو يتفحص هوادج الحاج واحداً واحداً، ويترنم بالقصيدة التي سنوردها أثناء تردده على الهوادج.

وعندما انطلق الحاج وغادرت الهوادج خب عميرة ضرب الشاب بنفسه على الأرض، وهو يدافع النفس في الرمق الأخير من حياته، ليردد هذين البيتين:

خلِّ دمع العين ينهملُ
بان من تهواه وارتحلوا
أي دمع صانه كلف
فهو يوم البين مبتذلُ

وها هي قصيدته أثناء تفحصه للهوادج:

أحُجَّاجَ بيت الله في أي هودج
وفي أي خدر من خدوركمُ قلبي
أأبقى رهين الجسم في أرض غربة
وحاديكمُ يحدو بقلبي مع الركب
فوا أسفاً لم أقض منكم لبانتي
ولم أتمتع بالجوار وبالقرب
وفُرِّق بيني في الرحيل وبينكم
فها أنذا أقضي على إثركم نحبي!

وقد أورد هذه القصة ابن دحية في المطرب، ص ٢١٤ - ٢١٥.

قضية الكتاب العربي

بقلم : إبراهيم زكي خورشيد

الثقافة عنوان رقي الأمة ومرآة تتجلى فيها نهضتها وروحها ، وميدان تتبارى فيه الأمم عامة في سبيل رفعة الإنسانية ، واشاعة التفاهم بين الناس ، والمشاركة في بناء تراث الحضارة الخالد .

والأمة العربية الكبرى عريقة في الحضارة ، وهي مهبط الأديان ، ومهد من المهاد الأولى للفكر والثقافة ، وقد تحالفت عليها في الحقبة الأخيرة عهود من الانحلال والاستعمار طمست روحها وبلبلت أفكار سكانها وشوهت معالم تاريخها ، وعملت في اصرار دائب وتخطيط خبيث على الوقوف في سبيل تحقيق الوحدة العربية الكبرى التي تهفو إليها نفوس العرب جميعاً . إلا أن حيوية هذه الأمة النادرة المثال ظلت تضطرم إلى أن بدأت الآن تقوم قومتها المأمولة بإذن الله ، وأخذت يد الاصلاح تدب في جميع مرافقها ، وتجلت هذه الحيوية ، وأخذت هذه الأمة تتبوأ من جديد مكانتها المأمولة بحكم موقعها الجغرافي الفريد وماضيها العريق التليد .

وهذه النهضة ، كغيرها من حركات الاصلاح والبناء ، لا يمكن أن تكتمل إلا إذا كفلت للشعب العربي على اختلاف طبقاته ومستوياته الغذاء الروحي الذي لا يقل شأناً ولا خطراً عن الغذاء المادي ، ويقتضي ذلك تخطيطاً واسع النطاق يسير على نهج مدروس ويستعان فيه بجميع الكفايات العلمية والثقافية والأدبية والفنية وترصد له الأموال اللازمة .

والثقافة في العصر الحديث الذي ارتقى فيه العلم رقياً عجيباً ومضى ركب الحضارة يسابق الزمن وتقدمت أسباب التكنولوجيا تقدماً مذهلاً كاد يقضي على حدود الزمان والمكان ، هي عنوان لحياة زاخرة متعقدة متشابكة متعددة الجوانب دائبة على التغير .

وقد كثر الحديث اليوم عن بناء الإنسان الحديث ، وقامت حركة في **أمريكا** ، أغنى البلاد وأقواها ، ترمي إلى بناء الإنسان الأمريكي الحديث على أساس من الوعي والثقافة ، وما أحرانا اليوم أن نؤمن بالثقافة هذا الإيمان الذي نجده عند الدول الراقية التي سبقتنا في ميدان الحضارة أجيالا وأجيالا .

● ● ●

ولا شك أن الوعاء الأكبر للثقافة هو الكتاب . والكتاب يلعب دوراً أساسياً في تاريخ الفكر الإنساني ، وعن طريقه توارثت الإنسانية مراحل التطور ، وكتب للإنسان أن يتابع الخطى في مدارج النهضة والتقدم .

ولقد كان للكتاب العربي أكبر الفضل وأبلغه في ربط الأمة العربية بالفكرة ، والمنطق ، والعقيدة واللسان .

ونحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الكتاب العربي ، بما حرص عليه من أمر اللغة ، وما التزم به من قواعدها وضوابطها وأصولها ، قد أدى إلى صيانة لغة العرب للعرب ، موحدة نقية ، عصيّة على محاولات الاستعمار ، أن تتفتت اللغة أو تتفرق ، فيكون لتفرقها أثره على رابطة من أعز روابط هذه الأمة .

فالكتاب العربي إذن كان عاملاً أساسياً وهاماً في المحافظة على عزتنا القومية والمساهمة في صيانة وحدتنا العربية .

وكان كتاب الله وقرآنه الكريم ، صاحب الفضل الأول على ما التزمه الكتاب العربي من حدود ، أدت إلى وحدة اللغة المنطوقة والمكتوبة ، بل وحدة الشعور والفكر ، فظل تيار الوحدة القومية كامناً لا تؤثر فيه عوامل الزمن ، ولا المحن ، ينتهز الفرصة المواتية لينهض وينطلق .

● ● ●

على أن الكتاب العربي تقف في سبيل رواجه وانتشاره والافادة منه عقبات كبرى أولها :

محو الأمية

وهي آفة كبرى تعاني منها أشد المعاناة الدول العربية جميعاً ، إذ يبلغ عدد الأميين فيها ما بين ٧٥ و ٨٠ ٪ من سكانها .

وقد رأت **منظمة اليونسكو** اخيراً انه لا يمكن أن تقوم في اي بلد تنمية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية إلا إذا قضي على الأمية فيها .



★ واحد من معارض الكتب التي يقبل عليها المثقف العربي ★

والقضاء على الأمية قرار سياسي وليس قراراً ثقافياً أو تعليمياً، ولا مناص من أن تصدره الدولة وتتبناه الدولة والشعب. ذلك أنه يتيح وسيلة قوية لإعداد الجماهير لتحقيق أغراض النهضة الاصلاحية والبناء الوطني. وتعليم الناس القراءة والكتابة يوقظ في الوقت نفسه الوعي ويحفز على المشاركة في العمل القومي. ومن المستحيل تغيير المجتمع إذا كانت الأغلبية العظمى من البالغين في أعمالهم المختلفة لا يلقون نظرة نافذة على الحقائق الاجتماعية وظواهر السيطرة. أجل لا يمكن أن يحدث التحول إلا إذا أصبحوا على وعي بأنفسهم من حيث هم أبناء تاريخهم وأحسوا إحساساً قوياً بالرغبة في إقامة مستقبل أفضل والاضطلاع بالمسؤولية من أجل مصيرهم الخاص.

ونخلص من هذا إلى أن الدول العربية جميعاً في أشد الحاجة إلى إعلان الجهاد شعوباً وحكومات للقضاء على آفة الأمية المتفشية فيها، وهي الآفة التي تقف في طريق الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ومواكبة ركبها النامي في كل باب، وبناء الإنسان العربي المثقف الذي يعرف حقوقه وواجباته ويعيش في القرن العشرين.

وهذه الآفة الخطيرة التي هي من أهم أسباب أزمة القراءة تقتضي أن تنشأ في كل دولة عربية وزارة لمحو الأمية في عدد محدود من السنين، وما بالنا نذهب بعيداً ونحن نرى دولا كثيرة قد قضت على الأمية في سنوات معدودة مثل **كوبا وفيتنام**، وحسبنا أن نقول إن فيتنام محت الأمية في خمس سنوات، فقد جعلت منها قضية وطنية، وكانت إذا أعوزها الورق كتبت على أوراق الشجر، وإذا نقص لديها المداد التمسته في جذوره.

أمية المثقفين

وثاني هذه العقبات هي **أمية المثقفين** أو قل **أمية المتعلمين**، وهذه أيضاً ظاهرة خطيرة، وحسبنا القول بأن خريجي جامعاتنا ومعاهدنا يتخرجون فيها وقد احتشدت أذهانهم بمعلومات كثيرة غير مهضومة ولا مستوعبة وتنقصهم نقصاً معيباً الثقافة العامة في أبسط صورها، بل إن أكثرهم لا يعون تاريخ أمتهم ولا تراثهم ولا أعلام أمتهم وأمجادها، فما بالك بالتراث الإنساني الذي لا تخلو منه لغة حية، والتقدم الفكري والفني والأدبي الذي يحدث في العالم اليوم. وما أكثر الشواهد التي تدل على أنهم لا يستطيعون أن يقيموا سطراً واحداً صحيحاً من لغتنا العربية المجيدة، أما اللغات الأجنبية فحالهم فيها يرثى له.

ولا شك أن علاج هذه الآفة الأخرى تقضي اصلاحاً في نظم التعليم وحلاً حاسماً لأزمة القراءة، ولا يحدث في أي بلد راق أن تفتح أبواب الجامعات والمعاهد العلمية على مصراعيها، فليس كل طالب مؤهلاً للتعليم الجامعي، وإذا كنا لا نتفاضل بالمال فلا شك أننا نتفاضل بالكفاية والاستعداد الذهني، وإنما تنشأ الجامعات لتخريج العلماء في كل باب.

● ● ●

ويحق لنا بعد أن نذكر عناصر البناء الثقافي وحاجات الإنسان العربي الذي يراد تثقيفه تثقيفاً سليماً يؤهله للانتساب إلى الأمة العربية العريقة الناهضة ويزوده بالزاد العقلي والروحي الذي يمكنه من أن يعيش في القرن العشرين.

١-**وصل الماضي بالحاضر**: لا شك أن من لا ماضي له لا حاضر له، فما بالك والأمة العربية لها ماض تليد عريق، ويقتضي هذا، في ميدان الكتاب العربي، أن نبادر بإحياء **التراث العربي** المشتت في جميع أرجاء العالم. ولست أنسى في هذا الصدد تلك القولة الجريئة التي شخص بها الأستاذ الجليل المرحوم **أمين الخولي** موقفنا في حديث دار بيني وبينه في الإذاعة المصرية، قال: «**إن موقفنا من التراث كموقف الوارث السفيه، لأن الوارث الرشيد يبدأ بحصر التركة، ونحن لم نقم بحصرها حتى الآن**»، مع العلم بأن عصر النهضة في أوروبا قام على إحياء **التراث اليوناني والروماني**. وواجبنا الآن أن نبادر بحصر هذا التراث وتصوير المخطوطات العربية المشتتة في جميع أنحاء العالم بطريقة **الميكروفلم**، ويجب أن تتعاون الدول العربية جميعاً في هذا الجهد، ويمكن أن يتولى التنسيق **اليونسكو العربي**، ويا حبذا لو أنشىء صندوق لتمويل هذا العمل تساهم فيه هذه الدول، حفاظاً على التراث العربي أن يتشتت ويذهب بدداً إذا قامت حرب عالمية أخرى، لا قدر الله.

صحيح إن الجامعة العربية قد أنشأت معهداً للمخطوطات، غير

أن جهد هذا المعهد لا يكفي للنهوض بهذه المهمة الخطيرة ، رغم ما بذل في هذا السبيل من عمل مذكور مشكور .

وهناك عقبة أخرى كبيرة تقف في طريق إحياء المخطوطات العربية وتحقيقها التحقيق العلمي الواجب ونشرها على أوسع نطاق وتيسيرها على جمهور القراء . وهذه العقبة هي قلة عدد العلماء القادرين على النهوض بذلك ، وعددهم آخذ الآن في النقصان ، بل الانقراض ، ولم يبذل جهد ملموس لتعويضهم . وهذا يقتضي في رأيي أن ينشأ في كل بلد عربي معهد للمخطوطات يتولى دراستها وإعداد المحققين اللازمين لتحقيقها ، وتشجيع الجامعات العربية طلبة الدراسات العليا على أن يختاروا موضوع رسائلهم إحياء مخطوط من هذه المخطوطات ، كل في ميدان الدراسة التي تخصص فيها .

ولا ننسى في هذا الصدد أن نذكر بالشكر والعرفان ما بذل علماء الاستشراق من جهد في إحياء جملة صالحة من هذه المخطوطات ، كما نشكر العلماء العرب الذين لم يدخروا وسعاً في تحقيق طائفة منها .

وكذلك لا ننسى أن إحياء هذا التراث الجليل كفيل بتغذية اللغة العربية وارشاد المحدثين من العرب إلى المصطلحات العلمية والفنية والأدبية التي اهتدى إليها العرب القدماء ، ولا شك أن من المآخذ التي تؤخذ على كثير من علمائنا المحدثين أنهم قطعوا صلتهم بالكتب العلمية العربية القديمة وراحوا ينحتون مصطلحات لمصطلحات اهتدى إليها الأقدمون ، **وأقرب شاهد على ذلك علم الفلك ، وهو علم برع فيه العرب وأخذ عنهم علماء الغرب كثيراً من مصطلحاته وأسمائه ، فما بالنا ننحت مصطلحات جديدة لها !!**

٢ ـ **التأليف** ، ويقتضينا الواجب في هذا الميدان أن ندرس دراسة وافية ماضي العالم العربي وحاضره ومستقبله ، وتشجيع التأليف في جميع فروع المعرفة وعلى مختلف المستويات ، وتشجيع الكتّاب الناشئين لايجاد جيل جديد يحل محل الرواد في هذا النشاط العقلي .

وأظن أنه قد آن الأوان لإصدار **دائرة المعارف العربية الكبرى** التي تهفو نفوس العرب جميعاً إلى تحقيق هذا العمل العلمي الكبير ، وقد أصبح التخلف عن ذلك مأخذاً تؤاخذ عليه الدول العربية جميعاً . **ويمكن أن ترصد لهذا العمل الخطير الأموال اللازمة وتسهم فيه الدول العربية جميعاً .**

٣ ـ **نقل التراث الإنساني الذي لا تخلو منه لغة حية** : ولا ريب في أننا متخلفون في هذا الميدان تخلفاً معيباً ، ذلك أننا نجد هذا التراث مترجماً كله إلى اللغات الحية **كالإنجليزية والفرنسية والألمانية** ، أما نحن فلم نترجم منه الترجمة الصالحة إلا العدد اليسير الذي لا يشفي الغليل ، ذلك أننا لم نعن بالترجمة ـ وهي فن عسير ـ العناية الواجبة ، فما أندر ما عندنا من المترجمين المجيدين ، فضلاً عن أننا نضن عليهم بالمكافآت المجزية التي ترغبهم في الإقبال على هذا العمل الشاق . ويقتضينا الأمر تدارك هذا النقص المعيب بإنشاء مراكز للترجمة في كل بلد عربي تكون لها الشخصية الاعتبارية ، ويكون المشرف عليها شخصية من الشخصيات المرموقة ويعطى له الاستقلال الكافي والبعد عن التيارات الحزبية والأهواء الشخصية ، وترصد لهذه المراكز الأموال اللازمة ، وتتولى دراسة حال الترجمة وإنشاء معاهد لها تخرج المترجمين القادرين ، **لأننا في الواقع نمر بعصر الترجمة ، ذلك أن البلاد الراقية سبقتنا بمراحل في مضمار التأليف في كل علم وفن .** ويمكن أيضاً أن يشجع طلاب اللغات في الجامعات على أن يختاروا لرسائلهم الجامعية أثراً عالمياً يترجمونه ترجمة سليمة مع دراسة صاحب الأثر دراسة علمية دقيقة ، وكذلك دراسة الأثر نفسه دراسة توفيه من كل ناحية .

٤ ـ **ترجمة الكتب العالمية التي تتناول التيارات العلمية والفكرية والفنية والأدبية الجديدة** . ونحن أيضاً متخلفون في هذا الميدان تخلفاً معيباً ، ذلك أننا لا نتابع النشاط العلمي في هذه الميادين جميعاً ، كما أن نقص المترجمين المجيدين يقف عقبة كأداء في سبيل النهوض بهذه الرسالة الجليلة ، ولا شك أن ما قيل في البند الثالث يصدق على هذا إلى حد كبير ، فلا داعي لتكراره .

نشر الكتاب العربي

ونشر الكتاب العربي وتداوله تكتنفه صعوبات وعقبات كثيرة منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو طباعي ومنها ما يتعلق بأزمة القراءة وتفشي الأمية في الدول العربية . ولا شك أن رواج الكتاب العربي يقتضي أولا حل أزمة القراءة المستفحلة في العالم العربي ، وتيسير ثمنه على جمهور القراء ، إذ المشاهد الآن أن الكتب قد ارتفعت أثمانها ارتفاعاً باهظاً ، والاستكثار من المطابع ومصانع الورق ، ورفع القيود الاقتصادية وغيرها مما يعوق انتشار الكتاب العربي وتداوله ، ومساهمة الدولة العربية في تخفيض سعر الكتاب .

وما من ريب أن الكثير من هذه العقبات يقع على كاهل الجامعة العربية .

وبين يدي مثلاً توصيات حلقة دراسة وسائل تيسير الكتاب العربي ونشره ، وهي الحلقة التي عقدتها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في سوق الغرب بلبنان في ٤ ـ ٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦١ م ، وحضرت هذه الحلقة معظم الدول العربية



★ المؤلفون والناشرون عليهم واجب اختيار الموضوعات لايجاد صلة بينهم وبين القارىء ★

والناشرين العرب .

وقررت الحلقة أن العوائق التي تحول دون انتشار الكتاب العربي وتيسير أسباب تداوله ترجع إلى عدة عوامل رئيسية هي :

أ - عدم وجود رابطة وثيقة بين الناشرين العرب تجمعهم على خطة وهدف مشترك تتجه إليه جهودهم ويهدف إليه نشاطهم العام .

ب - نقص الدراسات العلمية والإحصائية في موضوع الكتاب العربي وأنواعه واتجاهاته ومجالاته العلمية والاقتصادية وخاماته ووسائل إنتاجه وتسويقه ونشره .

جـ - ضعف وسائل التعريف به والإعلان عنه ، وقلة إقبال المتعلمين العرب على القراءة نتيجة لذلك ولغيره .

د - الصعوبات الاقتصادية التي تعترض سبيله من قوانين تبادل النقد ووسائل النقل وقوانين التصدير والاستيراد والضرائب الجمركية والبلدية وغيرها .

وفي ضوء هذه الحقائق مجتمعة أقرت الحلقة التوصيات الآتية :

أولا - فيما يختص بالرابطة بين الناشرين العرب

توصي الحلقة بما يأتي :

أ - إنشاء اتحاد عام للناشرين يسعى ويساعد على تكوين اتحادات محلية في البلاد العربية يسجل المشتغلين بصناعة الكتاب في كل منها ، وترتبط هذه الاتحادات المحلية به ارتباط المصلحة المشتركة والواجب المشترك .

ب - تأليف لجنة تأسيسية مؤقتة للاتحاد تضطلع باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لقيام اتحاد الناشرين العرب يضم جميع المشتغلين في عمليات النشر والتوزيع في جميع البلاد العربية ، على أن تكون هذه اللجنة ممثلة بقدر المستطاع للبلاد العربية التي تهتم بإنتاج الكتاب ونشره .

جـ - يكون الغرض من الاتحاد ما يأتي :

١ - العمل على رفع مستوى مهنة النشر وتدعيم رسالتها باعتبارها عملاً قومياً .

٢ - وضع دستور يلتزم به الناشرون في عملهم ويحدد واجباتهم وحقوقهم ويرعى آداب المهنة .

٣ - توثيق العلاقات بين الناشرين العرب بعضهم وبعض وبينهم وبين الهيئات العربية التي لها صلة بالكتاب العربي .

٤ - ايجاد مجالات للتعاون والعمل المشترك الذي ينهض بعمليات النشر ويعود عليها بالخير ويخلق الفرص والإمكانات التي تؤدي إلى ترويج الكتاب العربي وتيسير تداوله عبر الأقطار العربية .

٥ - العمل على حل المشاكل وتذليل الصعاب التي تعترض تداول الكتاب العربي في الأقطار العربية .

وتستمر التوصيات المتصلة بأغراض اتحاد الناشرين حتى تبلغ ١٧ توصية ، ولا شك في أنها جميعها في صالح الكتاب العربي والنهوض به وتوزيعه على أوسع نطاق .

ثانياً : موضوع دراسات الكتاب العربي

ثم يأتي دور التوصيات الخاصة بموضوع **دراسات الكتاب العربي** ، وقد أورد البند الأول منها لأهميته الكبرى :

١ - أن تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالاتصال بالحكومات العربية لإنشاء معهد « **دراسات الكتاب العربي** » يقوم على جميع المباحث الخاصة بالكتاب العربي من حيث نوعه وموضوعه والإحصاءات الخاصة به وخاماته واحتياجاته وأسواقه وتصنيفه ، لتقدم المشورات اللازمة للهيئات الرسمية في كل ما يتعلق بذلك لترقية مستوى الكتاب العربي وفتح الأبواب له وتمكينه من أداء رسالته في الثقافة العربية والحضارة الإنسانية .

وتتوالى بعد ذلك توصيات أخرى في هذا الباب تتعلق بتدريب المكتبيين والتعاون الببلوغرافي بين الدول العربية وإصدار قوانين الإبداع وتخصيص جوائز لأحسن كتاب عربي في العلوم والاداب وفي الإخراج الفني ، وتوفير العدد الكافي من عمال الطباعة والفنيين وتدريبهم .

ثم تأتي بعد ذلك التوصيات الخاصة بالصلة بين الكتّاب والقارىء وتتناول واجب المؤلفين والناشرين في اختيار الموضوعات التي يكتبونها وينشرونها ، وتشجيع وزارات التربية وإدارات التعليم في العالم العربي الطلاب في مختلف المراحل المدرسية على المطالعة وتأصيل عادة القراءة عندهم ، وتشجيع المربين تلاميذهم على القراءة في الكتب غير المقررة ، وكذلك ينبغي أن تتوسع الحكومات العربية في إنشاء المكتبات العامة في المدن والقرى والأحياء والمكتبات المتنقلة وتيسير استعارة الكتب منها ، وأن يعمل الآباء والأمهات على إنشاء مكتبات منزلية ، والحرص على إصدار طبعات شعبية زهيدة الثمن بجانب الطبعات الخاصة ، وأن تأخذ الحكومات العربية بيد دور النشر والتوزيع ، وترصد الإعانات والمساعدات اللازمة لاستمرارها في أداء مهمتها وواجبها بالنسبة للكتاب العربي .

ثالثاً : الصعوبات الاقتصادية

ثم اختتمت الحلقة التوصيات بذكر الصعوبات الاقتصادية ، وهو أمر غاية في الأهمية وأوصت في ذلك بما يأتي :

١ - أن تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بدراسة إنشاء صندوق لتيسير تداول الكتاب العربي ، تسهم في تكوين رصيده النقدي البلاد العربية المعنية لإصدار قسائم عربية على غرار **كوبونات اليونسكو** ، مع استخدامها كعملة خاصة لتجارة الكتاب العربي حين تحول قيود النقد دون حرية تداوله .

٢ - أن تقوم حكومات الدول العربية بتخفيض أجور البريد والنقل البري والبحري والجوي بالنسبة للكتاب العربي تيسيراً لتداوله وخفضاً لتكاليفه .

٣ - الغاء الرسوم البلدية والجمركية المختلفة على الكتب المصدرة والمستوردة بين البلاد العربية وتسهيل إجراءات تصديرها واستيرادها .

٤ - مطالبة حكومات الدول المعنية بإعفاء جميع أنواع الورق المستخدم في طباعة الكتب من الرسوم الجمركية ، عملاً على تخفيض أسعار الكتاب العربي إلى أقصى حد ممكن .

٥ - المطالبة بتسهيل استيراد خامات الطباعة كالورق والحبر وآلات الطباعة وموادها وقطع غيارها أو تدبير العملات اللازمة ، وذلك لاستمرار هذه الصناعة وتقدمها .

● ● ●

ولا شك أن هذه التوصيات المستفيضة قد وضعت يدها على العوائق التي تحول دون رواج الكتاب العربي وانتشاره وتوزيعه على أوسع نطاق .

ولكن : ترى هل نفذت هذه التوصيات ؟ علم ذلك عند اليونسكو العربي ، قد يغتفر لنا أن نختلف في السياسة إلى حين ، ولكن الذي لا يغتفر أن نختلف في أمور الثقافة وعلى رأسها الكتاب العربي .



★ كان لكتاب «الحاوي» الذي ألفه الرازي، تأثيراً كبيراً في الطب بأوروبا ★



★ بعض الآلات الطبية العربية،
منقولة من كتاب الزهراوي ★

مدخل إلى تراث العرب العلمي وأهميته في تاريخ العلم والحضارة

بقلم: د. محمد عبد الرحمن مرحبا

وراء كل إنتاج عظيم في العلم والفن والأدب ... أناس مبدعون وقادة عظماء كانوا مصدر المعرفة الإنسانية في آفاقها التي لا تحد ورحابها التي لا نهاية لها. فالأمم لا تقاس بعدد أفرادها، مهما كان هذا العدد كبيراً، وإنما هي تقاس بعدد أولئك القلائل الذين يشقون لها الطريق ويرسمون لها منهاج العمل.

فالعظماء في حياة الأمم هم القمم التي تتطلع إليها بين المهاوي والمنحدرات، إنهم المنائر التي تكشح الدياجير وتغري الظلمات كأنها كواكب درية يهتدي بها الناس في البر والبحر والجو.. إن الظلال الوارفة التي نتفيأ بها في العلم والحضارة ما هي إلا اكف أولئك الأفذاذ الذين مروا على هذه الأرض مرور الغمامات على الفيافي والقفار، فهطلت ومضت تاركة الخضرة والنضرة.

وقد كان للعرب قسط وافر من هؤلاء الأفذاذ الذين أرسوا دعائم حضارة راقية أصيلة، فبعد أن تفتحت لهم الآفاق النفسية واستنار وجدانهم بهدى الدين الجديد ونعموا بصفاء القلب والروح، تكشفت مداركهم العقلية والحت عليهم الرغبة في اكتساب العلم والعرفان، وانثالت عليهم المعرفة من جميع الروافد والينابيع.

وتمخض ذلك كله عن ثلة من الفلاسفة والعلماء والمفكرين نبغوا في كل الميادين ووهبوا أجيالهم والأجيال التالية تراثاً غنياً ضخماً مليئاً بالعناصر الفعالة والطاقات المبدعة.

لقد كنا في غفلة عن هذا التراث حتى قُيِّض لنا من أرشدنا إليه، ولولا أن المستشرقين هم الذين كشفوا لنا ذخائره ودلونا على مظانه للبثنا في جهلنا به. فهم الذين أماطوا اللثام لأول مرة عن هذا التراث وعرفوا فضله، واهتموا بنشره وتحقيقه وتيسيره بالفهارس، وتقديمه لطلابه في حلة قشيبة وتعريف أوروبا والعالم به.

ومما يبعث على التفاؤل في هذه الأيام إقبال الكثير من الطلاب العرب والمسلمين في دراساتهم العليا، على الكشف عن ذخائر الفكر

العربي وإخراجه من مكمنه . وهكذا فبعد أن كان الاهتمام بالتراث الإسلامي حكراً على المستشرقين ، أخذ ينتقل الآن إلى أيدي أصحابه الشرعيين ، مما يؤذن ببدء الشعور بالتحرر من عقدة النقص والتخلص من وصاية الآخرين علينا . لقد انتقلنا من مرحلة العوْل على المستشرقين في الكشف عن مناحي تراثنا إلى مرحلة المساهمة الايجابية الفعالة في هذا الكشف بعد أن كلاًّ عليهم وعيشاً على جهودهم في أمور هي من صميم مسؤولياتنا . ماذا أقول ؟ حتى الهنود أنفسهم قد سبقونا في هذا الميدان ! ورغم أن نصيب المفكرين العرب في كشف تراثنا العلمي لا يزال ضئيلاً حتى الآن ، فإننا مع ذلك نسجل هذه الظاهرة بشيء غير قليل من الزهو والاعتداد آملين أن تكون أول الغيث .

وغني عن البيان أن اللغة العربية ، هي اللغة الوحيدة التي اختارها هذا التراث للتعبير عن شؤونه وشجونه ومواقفه ومعانيه ونتائج تجاربه وخبراته ، فإن ما كتب بالعربية في الأدب والفلسفة والطب والتاريخ والعقائد والفقه والفلك والرياضة والزراعة والصناعة والاجتماع والسياسة والعلوم الأخرى ، فيما بين القرن الأول والقرن السابع للهجرة ، (ما بين السادس والثالث عشر للميلاد) ، فاق ما كتب بأي لسان .

فاللغة العربية التي كانت أداة التعبير لجماعة من الناس يعيشون في أرض فقر وواد غير ذي زرع ، قد أصبحت لغة الملايين في مدة قصيرة جداً لا تزيد عن عمر إنسان ، وهي فترة ليست شيئاً مذكوراً في حساب التاريخ . لقد استحالت بسرعة خاطفة من لغة السيف والنخل والبعير إلى لغة العلم والفلسفة والحضارة ، وبمضي الزمن تكون ذلك الإنتاج الضخم في ميادين الفكر المختلفة ، واشترك في تكوينه العرب الأقحاح وأبناء البلاد التي دانت بالإسلام والتي غدت جزءاً من الأمة العربية ، حتى ولو لم يكونوا في الأصل عرباً في أنسابهم ولغاتهم . فالعروبة ليست هي عروبة الدم والعنصر ، وإنما هي عروبة البيئة والمجتمع والمناخ الفكري والحضاري الذي كان ينتمي إليه العلماء والفلاسفة ، والمفكرون العرب في عصور ازدهار الإسلام وحضارة الإسلام .

بل إن العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين لم يكونوا عرباً في أنسابهم ولغاتهم الأصلية ، وإن تعرّبوا بعد ذلك لعوامل متعددة أهمها اعتناقهم دين الإسلام ، فقد اتسعت الحضارة العربية والإسلامية لكل هؤلاء جميعاً ، وإليها وحدها يدينون ، لا إلى أنسابهم أو أجناسهم أو معتقداتهم . لقد كانت هي مركز الاشعاع الوحيد الذي كشف مواهبهم وفجر طاقاتهم وأذكى فيهم روح الصراع والتحدي . وإذا كان الأعاجم من غير العرب والمسلمين إنما يدينون للإسلام بمظاهر نبوغهم وعبقريتهم فأوْلى بالعرب والمسلمين أن يدينوا له بذلك أضعافاً مضاعفة .

إن أهم ما تتسم به حضارة العرب وأصدق وصف يمكن اطلاقه عليها ، أنها حضارة «إقرأ» أو قل هي حضارة الكتاب . فمع أن جميع الحضارات لا تقوم إلا على الكتاب أو ما يقوم مقامه ويؤدي وظيفته ، إلا أن ما تنفرد به حضارة العرب وموطن الأصالة فيها هو الدور الذي كان للكتب في الحروب . فقد كانت المخطوطات الإغريقية ، على رأس تعويضات الحرب التي فرضها الخلفاء على الروم البيزنطيين عقب المعارك التي هزموهم فيها **كعمورية** مثلاً .

والغريب أن الروم سعدوا لتسليم تلك المخطوطات والتخلص منها بقدر ما سعد العرب للظفر بها . فهي لم تكن ذات قيمة تذكر في نظر خزنتها ، واعطاؤها للعرب يضع عنهم أعباء والتزامات مالية وعسكرية لا يستهان بها . بل إن الروم كثيراً ما أعرضوا عن كتب الإغريق وألقوا بها في الأقبية والسراديب ، فآل أمرها إلى التلف والضياع ، هذا إذا لم يحرقوها على رؤوس الأشهاد بحجة أنها تدعو إلى الكفر والإلحاد والوثنية ، فكان أن استنقذها العرب وأخرجوها من جحورها ورمموها وحققوا نصوصها وعلقوا عليها ، وبذلك أسدوا للتاريخ والإنسانية خدمة لا تقدر بثمن .

لقد كانت العلوم عند البيزنطيين ميتة بين أكداس الأوراق ، مقبورة في بطون الكتب - وفي أحسن الحالات - مخزونة في بعض الرؤوس كأنها أحجار ثمينة يتمتع الناس برؤيتها وإمعان النظر فيها . فتلقفها العرب وبعثوها من مرقدها ، وبثوا فيها الحياة من جديد ، فأصبحت على أيديهم غذاء العقول والأذهان وأداة التطور والتقدم ، ووسيلة لكشف المواهب وتحقيق الذات ، ومركزاً للاشعاع ، ومعدناً للثروة ، والرخاء ، ومهمازاً للقوى والطاقات يفجرها ويسوقها إلى كمالها وأقصى غاياتها .

ارأيت إلى هذه الأصالة ، في حيازة الكتب وشرف اقتنائها ! ارأيت إلى هذا التكريم المنقطع للنظر للحرف المكتوب ! أرأيت إلى هذا التجسيد الحي لأول آية نطق بها **القرآن الكريم ﴿ إقرأ ﴾ !**

ومن العوامل الهامة في رقي هذا المجتمع وتكشف مواهب أهله وبنيه مُثُل الحرية التي كان يؤمن بها . إن الفكرة لا تموت بالقضاء على صاحبها ، بل إن ذلك قد يزيدها نمواً وازدهاراً ، فالفكرة إنما تكافح بالفكرة ، والرأي بالرأي ، والبقاء للأصلح . فإذا دخلت القوة الغاشمة أفسدت كل شيء . لقد كان من السهل **جداً** قتل **أبي بكر الرازي وابن الراوندي** مثلاً ، لنقدهما الإسلام وطعنهما في القرآن الكريم ، وسخريتهما بكثير من عقائد الدين . ولعلهما كانا يتمنيان ذلك ليموتا شهيدي آرائهما وبذلك يكتب لهما بقاء الذكرى مدة أطول . ولكن المجتمع الواثق من نفسه تركهما وشأنهما وأهاب بثلة من رجال الفكر أن تتصدى لهما بالحوار والنقاش وبقاعدة «فكر ودع غيرك يفكر» .

فلولا ما في هذه الحضارة من مناخ الحرية لما وصلت إلى ما وصلت إليه . نعم كان يحدث أحياناً بعض الاضطهادات ، لكن ذلك لم يكن لأن أصحابها يجاهرون بآراء جريئة مخالفة للدين ، بل لمواقف معينة يهددون بها سياسة الحكم . فلم يقتل **الحلاج** مثلاً ، لمقالته المشهورة : «أنا الحق» ، أو «ما في الجبة إلا الله !» ، بل لمناهضته للخلافة العباسية .

يضاف إلى ذلك عامل هام زاد في اشعاع هذا المجتمع وتدفق الوعي واليقظة . فقد امحت في الحضارة الجديدة - أو كادت - قسمة الناس إلى فريقين : عرب وغير عرب . بل لقد ضعف شأن الفوارق الدينية في قسمتهم إلى مسلمين وغير مسلمين . فقد كان المسلمون حكماء جداً عندما أدركوا في وقت مبكر ضرورة التسامح بين الأديان ، وأن لا شيء بعد الخبز أعز على الناس من عقائدهم الدينية ، ولهذا فإن قلب الإنسان لا يطيق أبداً من يهدده في رزقه وعقيدته . فلا غرو بعد ذلك أن يشترك علماء اليهود والنصارى والصابئة وسائر أصحاب الملل والنحل في جميع وجوه النشاط الفكري مع علماء المسلمين سواء بسواء . وقامت دعوات مخلصة صادقة لتوحيد الأديان ، ونبذ التعصب ، قادها الصوفية وإخوان الصفا ، وهي دعوات غريبة عن روح العصور الوسطى - عصور الاضطهادات الدينية الدامية والتعصب - مما لا نجد له مثيلاً في ذلك ، وحتى عهد قريب ، في غير بلاد العروبة والإسلام .

إن احتلال اللاتين **للقسطنطينية** مثلاً ، لم يؤد إلى شيء من النهضة في ميادين العلوم ، وإن مخطوطاً يونانياً واحداً لم يصل إلى غربي أوروبا نتيجة لهذا الاحتلال ، وكذلك كان **المغول والصليبيين** . وأما العرب فإنهم عندما فتحوا بلاد الأندلس لم يدخلوها محتلين ، ولم يدخلوها كما دخلها القوط سادة حكاماً يباعدون بين أنفسهم وبين عامة الناس ، وإنما دخلوها إخواناً وأصدقاء في أثناء حركة الامتداد الديني والفكري التي بعثها الإسلام في عالم القرن السابع للميلاد .

فلم يكن هذا الامتداد أبداً موجة من الفتوح والغزوات لإنشاء إمبراطورية وحشية يقودها العرب بالحديد والنار ، وإنما كان ـ في الواقع ـ حركة اشعاع وتوعية ، تمتد من شعب إلى شعب ، كأنها أمواج يدفع بعضها بعضاً . **فلم يخرب العرب بلداً من البلاد التي دخلوها ، ولم يهدموا مرفقاً من مرافقها ، بل لقد نهضوا بها جميعاً وجعلوها عامرة مزدهرة تنبض بالحياة والعلم . وهكذا فالفتوحات العربية الإسلامية خلافاً لجميع الفتوحات الأخرى ، إنما كانت فتوحات حضارية ، بكل ما في الحضارة من اشعاع ونهضة وتوثب .**

إن أعظم حدث في تاريخ العلم هو بدون شك اكتشاف العرب للمنهج العلمي . فقد عرفوا العناصر الأساسية لهذا المنهج ، وهي الاستقراء والتجربة والملاحظة . وأورثوا الأجيال اللاحقة أصول البحث العلمي والطريقة العلمية . فالحضارة العربية في عنفوانها ، بل حتى في فترات ضعفها ، كانت مشربة ، بروح المنهج العلمي ، الذي قد اختلط بها وأنبث في جيمع نضاعيفها . فبعد أن كانت العلوم عند العرب دراسات فلسفية تقوم على منهج عقلي استنباطي ، إذا بها تتحول على أيدي العرب إلى دراسات علمية تستند إلى منهج تجريبي استقرائي واضح . فالتجربة والملاحظة هما معيار كل حقيقة . إنهما تغنيان عن جميع كتب الفلسفة . وانتقل هذا المنهج إلى أوروبا بقضه وقضيضه ، وتبناه **بيكون** الذي يعزو إليه الأوروبيون قاعدة الملاحظة والتجربة ، وهكذا التقط علماء أوروبا الخيط من حيث انتهى العلماء والباحثون العرب ، ثم استأنفوا الطريق وحدهم ، وتابعوا المسيرة بإمكانيات متطورة ، ومعامل ومختبرات وتجهيزات متقدمة .

وإذا كان العلم العربي يتخلله أحياناً بعض الأحكام المجردة والنظريات العقلية العامة ، فإنما يرجع ذلك إلى أن العرب إنما كانوا يعيشون مرحلة الانتقال من العلم التجريدي إلى العلم التجريبي . لقد كانوا هم ـ وهم وحدهم ـ أبطال هذا الانتقال وحجر الزاوية فيه . فالروح العلمي يهيمن على آثارهم أكثر منه على آثار أي أمة أخرى ويضفي عليها طابعاً فريداً . تلك هي الخميرة الخيرة التي مكنت العرب من انجاز ما أنجزوه والشموخ إلى تلك المرتفعات الشاهقة في التاريخ الحضاري . وهي الخميرة التي نطمع أن تنتهي بنا إلى منزلة أعلى من تلك التي وصل إليها أسلافنا العظام وأسمى !

ولئن نهل العرب من ينابيع **الفرس والهنود** ، واشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية ، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الأرض جميعاً . ومعنى ذلك أن الطريق إلى الخلق والإبداع إنما يبدأ بالاقتباس والنقل والاستعارة . فالإنسان اجتماعي تعاوني ، ولا سيما في عمله العقلي الذي هو عنوان مجده . فلعمله ينابيع يستقي منها وأصول يبني عليها . إن الفكرة الواحدة يتلقفها أشخاص متعددون ثم لا تلبث أن تظهر على أيديهم في مظاهر مختلفة ، لأنها عندما تنتقل من شخص إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى تدخل في نظام فكري جديد وتطرأ عليها تغيرات شتى .

وإذن فلا عيب على الإنسان أن يأخذ من أخيه الإنسان . إنما العيب كل العيب أن يظل عاجزاً مقصراً عن أستاذه الذي كان تبعاً له ومستقٍ لأفكاره . فلكل مفكر الحق في أن يأخذ عن أي مفكر آخر ، فهذا لا أهمية له ، ولكن الذي له كل الأهمية إنما هو ما فعله الشخص المبدع بهذه الآراء ، وكيف سلك بإزائها ، وما هي النتائج التي إنما استخلصها منها .

وإذا أردنا أن نقف عل مبلغ ما فعله العرب بعلوم الأوائل ، وكيف سلكوا بازائها ، وما هي النتائج التي استخلصوها منها ، فما علينا إلا أن نقارنهم بالسريان الذين كانوا أقرب من العرب إلى هذه العلوم وأشد تأثراً بها قبل الفتح الإسلامي بزمن طويل .. ومع ذلك ، فقد عجزوا في تاريخهم القديم ، عن أن يخرجوا مفكراً واحداً يصح مقارنته بالرازي وابن الهيثم والخازن وابن خلدون ... ويجب أن نقارنهم أيضاً بالبيزنطيين ، الذين قد ورثوا علوم اليونان فظلت كتب هذه العلوم مقبورة في الأقبية والسراديب حتى جاء العرب وأخرجوها من مدافنها . **فالدولة البيزنطية لم تنجب طوال تاريخها علماء عظاماً كالذين أنجبهم العرب ، ولم تشهد قيام نهضة علمية كالتي قامت في بلاد الإسلام .**

إن هذه الطريقة التي لا ترى في الفكر الإسلامي إلا صورة للتأثيرات الأجنبية لم تعد طريقة عصرية لأنها لا تقول لنا :

● أولا : لِـمَ انتقلت هذه التأثيرات إلى العرب في زمن بعينه ولمدة بعينها ؟

● ثانياً : لِـمَ كان لها أبلغ الأثر في المسلمين رغم ما اعترضها من عقبات وعراقيل .

إن كل شيء يتضح لنا من هذه الناحية إذا تذكرنا التغيرات العميقة التي طرأت على **شبه الجزيرة العربية** في أوائل القرن السابع الميلادي ، إي عندما قام **الرسول محمد عليه الصلاة والسلام** بالدعوة إلى الإسلام . هنالك نرى كيف أن نظم الحياة العربية قد تبدلت رأساً على عقب ، فاستتبع ذلك نشوء مجتمع جديد ، له حاجات جديدة ، وآمال جديدة ، وأهداف جديدة ، ومسؤوليات وأعباء جديدة ، وقيم ومُثل جديدة ، وهذا ما جعله يرنو إلى آفاق جديدة . وإذن فانتفاضة الإسلام ، ومبادىء القرآن الكريم ، والتغيرات الداخلية التي طرأت على الجزيرة العربية ، وهي وحدها التي اصطنعت الظروف والامكانيات الملائمة لتكوين عقلية جديدة ، والإقبال على دراسة علوم جديدة ، وهي بالتالي السبب في بروز عبقريات ومواهب وطاقات لم تعرفها الجزيرة العربية من قبل ولا الأقطار التي انتشر فيها الإسلام في تاريخها الطويل .

لذلك فإن تجاهل العرب واغفال دورهم في التاريخ يترك فجوات هائلة في مسيرة الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية ، ويزيد في صعوبات كل من يتصدى لدراستها وفهمها فهماً عميقاً شاملاً . إنه يُعقد مهمته ويُلقي عليه أعباء جديدة لا قبل له بها . ومع أن العلوم قد تقدمت اليوم تقدماً كبيراً هائلاً تخطى خيال المفكرين العرب القدامى وتجاوز إنتاجهم العلمي بمراحل وأشواط لا تحصى إلا أن هذا لا ينفي فضل الأسلاف على الأخلاف ، ولا يقلل من دين اللاحق للسابق . يضاف إلى ذلك أن الوقوف على التراث العلمي العربي ـ وإن تجاوزه الزمن ـ له فائدتان :

● الأولى قومية ، وهي اشعار الجيل الجديد بقيمة هذا التراث وفائدته . إنه يحث همم علماء العرب المعاصرين على استئناف أمجادهم القديمة ، وينعش فيهم الأمل والثقة بالنفس . فالأمة التي أنجبت : **الكندي والرازي والفارابي وابن الهيثم وابن سينا والبيروني والبتاني وابن خلدون** ، وغيرهم ممن يزدهي بهم تراث العرب العلمي ، هذه الأمة جديرة بانجاب أمثالهم في الوقت الحاضر .

● والثانية أكاديمية ، وهي تعريف النشء بتطور العقل البشري في بحثه عن الحقيقة واطلاعه على كيفية تكامل النظريات العلمية في العصور المتعاقبة وتعاون العلماء على إقامة صرح العلم .. حتى إذا ما تم له ذلك أدرك أن لكل عصر مفاهيمه الخاصة ونظرياته التي ينفرد بها دون سائر العصور . فالنظريات العلمية في تطور مستمر وتغير مطرد ، لا تكاد إحداها تستقر في الأذهان حتى تنتقض بأخرى تحل محلها . ثم تدور الدوائر على هذه الأخيرة فتخرُّ صريعة نظرية جديدة أكثر صموداً وأدعى إلى تلبية الحاجات والمطالب الجديدة . وهكذا دواليك . فكل عالم ، وكل مفكر ، وكل مبدع ، كل واحد من هؤلاء يجب أن يُنسب إلى زمانه هو ، وأن يُنظر إليه على أنه ومضة من ومضات ، وشذا من أشذاء عطرة فواحة تنطلق من آن إلى آخر ، وحدث في الملحمة الرائعة الكبرى التي خاضها قادة الفكر وأصحاب القرائح والعبقريات ، بعصارة أدمغتهم وذوب أعصابهم ونسغ نفوسهم وقلوبهم . فلو لم يكن في هذه الملحمة غير استنهاض بعض الهمم ، وإعادة الثقة ألى بعض النفوس ، وإحياء بعض الآمال ، فناهيك بها نفعاً ، فكيف إذا صحت بها العزائم وتحققت الآمال ، ومن يدري ، فلعل التاريخ يعيد نفسه ، فليس بدعاً أن يعود التاريخ !



بقلم : د. عيسى الناعوري

الحركة الأدبية ، بشكل عام ، في الأردن حديثة العهد جدا ، ولم يكن الأردن دولة ذات حدود دولية إلا منذ عام ١٩٢١ م ، بعد وصول الأمير عبد الله بن الحسين إليه في أعقاب الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى ، التي قادها هو وإخوانه : فيصل ، وعلي ، وزيد ، تحت راية والدهم شريف مكة يومئذ الحسين بن علي بن عون ، في صف الحلفاء الانكليز والفرنسيين ضد الدولة العثمانية ، وأما قبل ذلك فقد كان الأردن جزءا من سوريا .

كان الأمير عبد الله نفسه أديباً وشاعراً ، وفي ديوانه نشأت الحركة الفكرية في شرقي الأردن ، وكثيراً ما كان يتطارح الشعر ويتساجله مع شعراء الأردن ، ومع الوافدين على الأردن من شعراء البلدان العربية ، وكان من هؤلاء : **عمر أبو ريشة** ، والشيخ **عبد المحسن الكاظمي** ، **ووديع البستاني** ، وغيرهم . من هذه المجالس الأدبية ، وفي رعاية الأمير الشاعر ، انطلقت الحركة الأدبية والشعرية ، تنشرها وتوسع أصداءها الصحافة اليومية والأسبوعية التي راحت تنتشر وتتزايد وتتسع مع الأيام .



★ الشاعر عبدالمنعم الرفاعي ★



★ صبحي أبو غنيمة ★



★ رفعت الصليبي ★



★ مصطفى وهبي التل ★

في الدور الأول من حياة الأردن ، لم يكن الأمير عبدالله بن الحسين يهدف إلى الاستقلال بهذه البقعة الصحراوية القليلة السكان ، والتي تتألف الأغلبية الساحقة من سكانها من قبائل بدوية تشيع فيها الأمية والبعد عن أساليب الحضارة العصرية ووسائلها . لقد دخل إلى الأردن وكل قصده أن يتخذ من هذه البقعة نقطة انطلاق إلى تحرير سوريا من الحكم الفرنسي ، واسترداد عرش أخيه فيصل فيها ، واسترجاع وحدتها الطبيعية كما كانت في العهد العثماني وما قبله ، وتكملة رسالة الثورة العربية الكبرى . ولهذا فتح قصره وصدره للعرب من كل قطر ، وساوى بينهم وبين الأردنيين في الحقوق والواجبات ، كما كان يقتضي الواقع والواجب معاً : **فإذا الحجازي ، والعراقي ، والسوري ، واللبناني ، والفلسطيني ، كلهم إخوة على أرض الأردن ،** الزعماء السياسيون منهم ، والمحاربون اللائذون بالأمير الهاشمي ، والأدباء والشعراء ، والمدرسين ، لقد استوطنوا الأردن وأصبحوا من أهله ، وتولوا فيه الحكم ، والسياسة ، والتجارة ، والتدريس ، والعمل في وظائف الدولة . وبهم استطاع الأمير الهاشمي السياسي والشاعر أن ينشىء نهضة عصرية في الأردن : يبني المدارس ، ويؤسس الجيش ، ويقيم دعائم الحكم ، وينشر التجارة ، وينشىء المطابع والصحف ، ويبني نهضة الأردن الحديث مدماكاً بعد مدماك ، بالحكمة والتؤدة ، حتى وصل به إلى أن تحول من إمارة إلى مملكة سنة ١٩٤٦م .

وفي سنة ١٩٤٨م ، وقعت المأساة الفلسطينية ، وتدفقت على الأردن أفواج اللاجئين الفلسطينيين في أسوأ حالات التشرد ، فاحتضنهم الأردن وساوى بينهم وبين أهله في كل الحقوق والواجبات ، واحتضن قضيتهم ، وحفظ لهم جيشه قسماً كبيراً من أرضهم ـ الضفة الغربية ـ وصمد فيها من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٧م .

هذه كانت المرحلة الثانية من حياة المملكة الأردنية الهاشمية ، وقد تميزت بوحدة ضفتي الأردن تحت اسم **المملكة الأردنية الهاشمية .**

الدور الأول

عرف عدداً من الشعراء ، كان أعظمهم دون منازع الشاعر **مصطفى وهبي التل** . وكان منهم **صبحي أبو غنيمة ، وعبد المنعم الرفاعي ، وحسني زيد الكيلاني ، وشكري شعشاعة ، ومحمد الشريقي ، وحسني فريز** ، وغيرهم . وقد شارك الشعر في هذا الدور في صنع الحياة الأدبية والسياسية معاً . وفي الوقت الذي كان فيه شعراء الأردن يكتبون شعر الحب ، والطبيعة ، والمرأة ، كانوا كذلك يكتبون الشعر الوطني والسياسي ، يساندون دعوة الوحدة العربية ، والوحدة السورية ، كما كانوا يساندون **الثورات الفلسطينية** المتعاقبة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٤٨ م . وساندوا كذلك **الثورة السورية** (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ م) ، على الاستعمار الفرنسي ، وكل الانتفاضات السورية التي تلتها . **وهكذا كان الشعر في الأردن مع الحركة الوطنية داخل الأردن ضد التسلط البريطاني ، وخارج الأردن في كل بلد عربي يعمل على التحرر من الحكم الأجنبي ، البريطاني والفرنسي** . ونحن نجد نماذج من هذا الشعر في العديد من قصائد الشعراء الأردنيين التي كانت تنشرها الصحف ، والتي اجتمع بعضها في دواوين الشعر القليلة التي ظهرت خلال هذه الفترة وما بعدها .

من ذلك نكتفي ببعض شعر حسني فريز المنشور في ديوانه **(بلادي)** ، فهناك قصيدة بعنوان **(عيد الجلاء الأول ١٩٤٦م)** يقول فيها :

تبسم العيد للفيحاء والعرب
وكان هم المنى والمجد والحقب
كنا نناجيه من أعماق محنتنا
ونتضيه بليل الويل والحرب
لم ننسه والربى جمر مؤججة
ولا تركناه والأرواح في هب
وقد بذلنا له في كل ناحية
دما ودمعا وأعلاقا من النشب
عيد الجلاء ، أرى الحرية انبعثت
ولذ فيك لها أنشودة الطرب
أعراسنا تملأ الآفاق زينتها
من الربى ومن الوديان والكثب

الدور الثاني

وفي الدور الثاني ، منذ **الحرب العربية الاسرائيلية** على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ م ، وما بعدها ، حمل الشعراء الأردنيون هموم القضية الفلسطينية باعتبارها قضيتهم وقضية أمتهم . وكانت المأساة الفلسطينية صدراً غزيراً للأدب الأردني ، بشعره ونثره على السواء . ولعل ديوان **(أناشيدي)** لصاحب هذا المقال دليل على أثر النكبة الفلسطينية في الشعر الأردني ، وحسبي أن أشير ههنا إلى عدد من قصائد هذا الديوان ، مثل : (العام الجديد ـ هوان ـ عودة اللاجىء ـ عيد الأمل ـ عيد الأضحى ـ خيمة اللاجىء ـ ثورة روح ـ نقمة ـ صرخة أسى) وغيرها . وقد قلت في قصيدة **(نقمة)** :

أرض الأباة وموطن الشهداء
لهفي عليك طعينة الأحشاء
لهفي على الأحرار كيف أذلهم
غدر الصحاب وصولة الغرباء
لهفي على البلد الحبيب وقد غدا
بعد الجهال ممزق الأشلاء

* * *

أين الجيوش الزاحفات إلى الوغى
وقلوبها تهفو ليوم لقاء؟
أين المدافع لا يكل دويها
والطائرات تئز في الأجواء؟
أو ما نزال نعد أرقاما بلا
حس يثور وهمة علياء؟

* * *

ولعل النكبة الفلسطينية كانت من أهم الأسباب إلى تحويل الأدب والشعر الأردني إلى الواقعية ، وإلى ظهور دعوة **(الالتزام)** قوية عارمة ، لكي يظل الأدب مجنداً لخدمة القضية الفلسطينية ، التي لم تعد قضية الفلسطينيين وحدهم ، بل صارت قضية العرب أجمعين .

ونتيجة لدعوة الواقعية ودعوة الالتزام ، وعدم تحديد المفاهيم الواضحة لهما ، كان لا بد من شيوع الفوضى في المفاهيم الأدبية ، كما كان لا بد من أن يكثر في الأدب الأردني ـ وفي الأدب العربي المعاصر عامة ـ ما يمكن أن ندعوه باسم **(التصوير الفوتوغرافي)** ـ من جهة ـ والمبالغة في خلق البطولات والأبطال ـ من جهة أخرى ـ والاغراق في التشيع للثورات والثوروية ـ من جهة ثالثة ـ عن وعي وعن غير وعي .

وكان لفقدان النقد الأدبي الواعي أثره الكبير في تمادي الأجيال الجديدة خاصة في هذا الاضطراب في مفاهيم الأدب والشعر . والنقد الأدبي الواعي هو الذي يمكنه أن يوجه الوعي الأدبي ، ويقوم الاعوجاج في المفاهيم ، ويمد الطريق إلى تسديد خطى الأدب في مسالكه السليمة ، غير أن النقد الواعي السليم لا يمكنه أن يعيش في أجواء الفوضى والانقلابات والثورويات ، فهي تقتله ولا تسمح له بالبروز .

وقد لا نستطيع توجيه اللوم إلى الأجيال الجديدة في اضطراب المفاهيم الأدبية ، وفي فصل الشعر عن طبيعته الفنية ، وتسخيره للسياسة ، فقد نشأ الجيل الجديد من الأدباء والشعراء في ظروف المأساة الأليمة والتشرد ، ثم في جو الثورات والانقلابات العسكرية المتلاحقة التي اندلعت في العديد من الأقطار العربية ، وأصبحت السياسة هي التي تقود الأدب

والشعر ، وتقود الحياة كلها إلى يومنا هذا .

في مثل هذه الظروف العاصفة والمتلاحقة ، من الطبيعي أن يعلو صوت السياسة على كل شيء ، وأن تظل نفوس الأجيال الجديدة مشتعلة بالحقد السياسي والوطني ، على الاحتلال الصهيوني وأعوانه .

ومن الطبيعي كذلك أن يقل العمل الفني في الإنتاج الشعري والأدبي الملتهب بالثورة ، وأن يكثر في الشعر خلق البطولات - من الواقع ومن الخيال - والتدخل الشخصي في العمل الفني . كما أن من الطبيعي أن يحاول الشعراء التعبير عما في نفوسهم من ثورة وحقد على الحكم والحكام المتخاذلين برموز تبعد عنهم الشبهات ، وتحميهم من السجن والاضطهاد . ومن هنا كثرت **الرمزية الغامضة** والمللفلة في الشعر الجديد ، المولود في ظلال الثورات والانقلابات العاصفة . **ويجب الاعتراف بأن الرمزية المغرقة لم تعد تقتصر على الشعر السياسي ، بل أصبحت (موضة) عجيبة لا أول لها ولا آخر ، حتى ليحتاج الشاعر الرمزي الجديد إلى ترجمان ، يترجم له هو نفسه معنى ما يكتبه .**

هذا النوع من الرمزية لم يكن يعرفه الشعر الأردني من قبل ، حتى مصطفى وهبي التل ، شاعر الأردن الكبير الذي عاش ثائراً من أجل شعبه وبلده ، وعرف كل أنواع الاضطهاد في السجون والمنافي طوال حياته ، لم يعرف الرمزية في شعره ، بل كان تعبيره مباشراً وقوياً وشديد التأثير .

كقوله :

أنا إن أصمت ، فصمتي حسبه
أنه صوت الأرقاء الأبح
أيها الباكي على أوطانه
لا يرد الروح للميت نوحُ
بارك الظلم ، وصفّق للأذى
فهما نصر من الله وفتحُ !

الشعر اليوم

وأما اليوم فإنك تقرأ الكثير من قصائد الشعراء التي تظهر في الصحف وفي المجموعات الشعرية ، فتجد نفسك في ظلام من التعابير الشعرية ، وفي دهاليز متعرجة معتمة من الألفاظ والعبارات التي لم يألفها الشعر العربي قط . ومن ذلك قول الشاعر **خالد الساكت** في قصيدة عنوانها **(واحات)** من ديوانه الشعري الوحيد **(لماذا الحزن؟) :**

يكتشف مهب الريح على القلب الرغبه
فيطارده شبح اليوم الضائع في العثرات
والصوت المشحون بأوراق صفراء
بأغنيات
لاهثة ، نازفة ، منصبه
في القاع البارد ، في الطرقات

* * *

معزوفة حديقة السلام
وقلب أم عاشق امام
واليد بيضاء بلون الشوق
وزرقة السماء والغدران .

* * *

والحقيقة أن الأدب الصحيح والنقد السليم لا يعيشان إلا في ظروف الاستقرار السياسي والاجتماعي . وهذا ما لم يتوافر بعد في العالم العربي ، ولن يتوافر قبل أن تجد المشكلة الفلسطينية حلاً عادلا ، يطمئن الفلسطينيين ويوفر لهم الاستقرار على أرضهم .

* * *

في الفترة الأولى من عمر الدولة الأردنية الحديثة ، حتى عام ١٩٤٨م ، انتشرت **الجرائد والمطابع** ، في شرقي الأردن ، وكان انتشارها عاملاً مهماً في انطلاق الحركة الأدبية ، وتشجيع الأدباء والشعراء على نشر إنتاجهم في الصحف . وانتشرت كذلك **الأندية الأدبية** في المدن الأردنية الكبرى ، ولا سيما في العاصمة **عمان** . غير أن هذا الانطلاق لم يرافقه ظهور دور للنشر والتوزيع ، فاقتصر الإنتاج الأدبي على الصحف وحدها ، ولم يظهر من المؤلفات الأدبية غير عدد قليل جداً . والشعر خاصة لم يظهر منه غير ديوانين ، هما : **(هياكل الحب)** لحسني فريز ، **و(أطياف وأغاريد)** لحسني زيد الكيلاني : الديوان الأول طبعه صاحبه على حسابه سنة ١٩٣٨م ، ثم قامت مطبعة الاستقلال ، في عمان ، بنشر الطبعة الثانية منه لحسابها . وأما الثاني فقد تولى جمعه ونشره صاحب مجلة **(الرائد)** الأسبوعية التي كانت تصدر في عمان ، وذلك سنة ١٩٤٦م .

حتى شاعر الأردن الكبير مصطفى وهبي التل ، وكان شعره يملأ الأردن ، لم يجد من ينشر ديوانه في تلك الفترة . ولم تظهر الطبعة الأولى منه إلا سنة ١٩٥٦م ، بعد سبع سنوات من وفاة الشاعر ، وقد قامت بنشره مؤسسة تجارية غير متخصصة بالنشر وحده ، وكانت تدعى **(دار النشر والتوزيع والتعهدات)** . وليس من شك في أن للظروف السياسية أثرها الكبير في عدم نشر الديوان قبل سنة ١٩٤٨م ، فقد كان الشاعر خصماً عنيداً للمستعمرين الانكليز المتحكمين بالجيش والسياسة في بلده ، وخصماً عنيداً شرساً لحكام الأردن من غير الأردنيين .

وهو القائل مخاطباً **النورية** التي انتخبها ملكة جمال لوادي **اليابس** في سهرة راقصة صاخبة في مضارب النور في ذلك الوادي ، شمالي الأردن :

يا أخت واد قد دعونك باسمه
وله نسبت تبركاً ديواني(١)
أهلوك قد جعلوا جمالك سلعة
تشرى ، وباع بنو أبي أوطاني
وذووك قد حرموك كل كرامة
وأنا كذلك ، حارسي سجاني

ويقول في القصيدة عينها :

قومي وقومُك في الصِّغار وجهلهم
معنى الحمية كفتا ميزانِ

وأنا وأنت ، على اختلاف قبيلنا
في عرف (بيك) وجيشه سيانِ

و (بيك) هو **القائد البريطاني فريدريك بيك باشا** ، وكان قائداً للجيش الأردني يومئذ ، وقد جاء بعده **القائد كلوب باشا** ، الذي عزله الملك حسين يوم عرَّب الجيش الأردني بعدئذ عام ١٩٥٥ م .

وهناك شعراء آخرون غير مصطفى وهبي التل عاشوا وماتوا ولم يظهر لأي منهم كتاب يجمع شعرهم ، ومن هؤلاء : **الدكتور صبحي أبو غنيمة ، ورفعت الصليبي ، ورشيد زيد الكيلاني ، ومحمد الشريقي ، وجميل دياب ، ونديم الملاح** ، وغيرهم . وكانت الصحافة هي وسيلتهم الوحيدة إلى القراء .

والشاعر عبد المنعم الرفاعي ، الذي عاصر نشوء الحركة الشعرية في عهد الإمارة ثم المملكة ، ونشر الكثير من القصائد الجميلة القوية : العاطفية والسياسية والوطنية ، لم يجمع ديوانه وينشر إلا عام ١٩٧٦ م .

حتى **الأمير عبد الله** نفسه ، مؤسس الإمارة الأردنية ثم المملكة فيما بعد ، لم ينشر شعره في كتاب ، إلى أن ظهرت في **بيروت** المجموعة الكاملة لأعماله الأدبية عام ١٩٧٣ م ، وفيها عدد من قصائده ، هو كل ما استطاع الناشر (الدار المتحدة للنشر) الوصول إليه من شعره .

فلما جاءت الفترة الثانية بعد المأساة الفلسطينية ، استمر ركود حركة النشر فترة غير قصيرة ، وظلت الصحف هي وسائل النشر الوحيدة لإنتاج الأدباء والشعراء . ثم أخذ بعض الأدباء يغامرون يطبع كتبهم على نفقتهم الخاصة . وظهرت بين الحين والحين مكتبات تهتم باختيار بعض الكتب والمجموعات الشعرية ونشرها . ولكن هذه لم تكن تصمد لحركة النشر طويلاً لعدم رواج منشوراتها ، واقتصار توزيعها على السوق الأردنية وحدها . وسرعان ما كانت هذه المكتبات تتوقف عن نشاطها في النشر ، ويعود الأدباء والمؤلفون إلى نشر كتبهم على حسابهم ، إلا عدداً قليلاً جداً من الكتّاب والشعراء استطاعوا أن يجدوا ناشرين لكتبهم خارج الأردن : في لبنان ، وسوريا ، ومصر خاصة . وهؤلاء ما يزالون إلى اليوم بعدد أصابع اليد الواحدة .

وعلى الرغم من ذلك ، وبرغم كل الصعاب والعراقيل ، ظهر في الأردن في هذه الفترة عدد كبير من المؤلفات الأدبية ومن المجموعات الشعرية ، وهذه الفترة هي فترة الازدهار في حياة الأدب الأردني ، وقد كان **لدائرة الثقافة والفنون ـ في وزارة الاعلام أولا** ، ثم في **وزارة الثقافة والشباب** بعد تأسيس هذه الوزارة أخيراً ـ الفضل في ظهور عدد غير قليل من أعمال الأدباء والكتّاب الأردنيين ، كان أقلها من الأعمال الشعرية . ودائرة الثقافة والفنون هي الناشر الوحيد في الأردن الآن ، ولكنها لا تمارس النشر على أسس تجارية ، بل لتشجيع الكتّاب والمؤلفين الأردنيين . ومن المؤسف أن توزيعها يقتصر على السوق الأردنية ، إلا ما يصل عن طريق الاهداء إلى بعض الكتّاب في البلدان العربية .

وكما تقوم دائرة الثقافة والفنون بنشر المؤلفات ، كذلك تحمل مجلتاها **(أفكار) و (الشباب)** الكثير من إنتاج الشعراء ـ ولا سيما الجيل الجديد منهم ـ في كل عدد من أعدادهما . وتفرد الجرائد اليومية الأردنية ملحقات أسبوعية ثقافية ذات ثلاث صفحات أو أربع لنشر نتاج الكتّاب والشعراء . وأغلب ما تحمله هذه الملحقات الأسبوعية من الشعر هو للأجيال الجديدة ، وهو من الشعر المتحرر من الوزن والقافية ، والمشحون بالغموض والرمزية الملفلفة والتعقيد .

الشعر الأردني .. بين الواقعية والرومانتيكية

هنالك مدرستان تغلبان على الشعر الأردني منذ بدايته إلى اليوم ، وهما : **الواقعية والرومانتيكية** . والأخيرة هي الغالبة في الشعر العاطفي والوصفي ، في حين تغلب الواقعية على الشعر السياسي والوطني والاجتماعي . ولا يكاد أحد من شعراء الأردن ينجو من التقلب بين هاتين المدرستين .

وهناك ظاهرة جديدة برزت في الأردن خلال الأعوام الأخيرة ، وهي **الشعر الشعبي العامي** . وانصرفت هذه الظاهرة الجديدة والجديرة بالتسجيل والاشارة إلى التعلق بالأرض ، والقرية ، والحياة الريفية ، والإنسان الريفي . وتميز بين أصحاب هذه النزعة الجديدة عدد من الشعراء ، أذكر منهم : **إحسان الفرحان** ، صاحب مجموعة **(تا تكبر الغله)** ، **ونايف أبو عبيد** . صاحب مجموعة **(هرجه وحكايا ليل)** ، **وموسى الأزرعي** ، صاحب مجموعة **(أيام الورد)** ، ويعني بالورد (ورود النساء على ينابيع المياه البعيدة لنقل الماء إلى البيوت) .

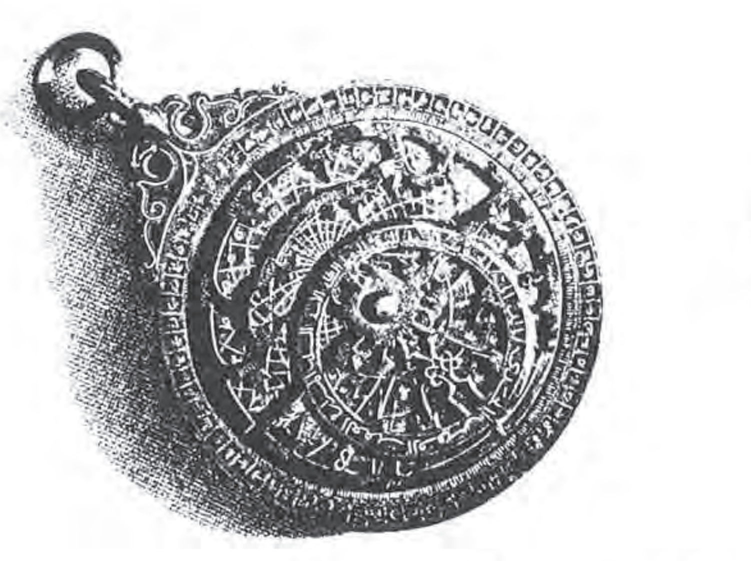
وجدير بالذكر أن مجموعاتهم الشعرية هذه قد لقيت أصداء طيبة في الصحف والإذاعة لدى القراء ، كما لقي أصحابها تشجيعاً ودعماً من قبل وزارة الثقافة والشباب ، فقد عهدت إلى هؤلاء الشعراء بالقيام بجولات ، في مختلف أنحاء المملكة لعقد الندوات ، وإلقاء نماذج من قصائدهم فيها .

* * *

هذه لمحة خاطفة عن الحركة الشعرية في الأردن ، قصدت منها إلى تعريف الأخوة العرب قراء **(الفيصل)** الغراء بهذا القطر العربي وأدبه تعريفاً سريعاً ، ولكن فيه شيئاً من الكشف عن بعض الجوانب المهمة ، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك .

هوامش

(١) اختار الشاعر لديوانه عنوان «عشيات وادي اليابس» .





ابن الشاطر

بقلم: د. علي عبد الله الدفاع

هو أبو الحسن علاء الدين علي بن إبراهيم بن محمد الانصاري المعروف **بابن الشاطر. ولقبه الكثير من علماء عصره بالعلامة**. عاش فيما بين ٧٠٤ و٧٧٧ هجرية (الموافق ١٣٠٤ - ١٣٧٥ ميلادية). وقد **ولد وتوفي في دمشق، وقضى معظم حياته في وظيفة التوقيت ورئاسة المؤذنين في المسجد الأموي بدمشق**. نال شهرة عظيمة بين علماء عصره في المشرق والمغرب **كعالم فلكي**. توفي والده وهو في السادسة من عمره فترعرع في رعاية جده ثم ابن عم أبيه وزوج خالته الذي تعلم عنده **فن تطعيم العاج**، ولذا كان يكنى **بالمطعم**. وقد أكسبته هذه المهنة ثروة كبيرة لأن صناعة تطعيم العاج تحتاج إلى ذوق دقيق ممتاز ومهارة ودقة في العمل. كما أنه لا يحتفظ بهذا النوع من العاج إلا أصحاب الثروة والجاه. وقد تملك داراً تعتبر من أجمل دور دمشق وأثثها بأفخر الأثاث وجهزها بكل وسائل الراحة والمتعة. كما مكنته ثروته العظيمة من زيارة الكثير من بلاد العالم منها **مصر** التي قضى فيها ردحاً من الزمن، ودرس في **القاهرة والاسكندرية** علمي الفلك والرياضيات. **وبرع ابن الشاطر في علمي الهندسة والحساب، ولكنه لم يلبث إلا أن اتجه إلى علم الفلك فأبدع فيه**، وهذا يظهر من ابتكاراته مثل **الأسطرلاب** وتصحيحه للمزاول الشمسية وتعليقه على ذلك، وشرحه وانتقاده لكثير من نظريات **بطليموس**.

طلب الخليفة العثماني **مراد الأول** الذي حكم الشام في الفترة ما بين ٧٦١ - ٧٩١ هجرية (الموافق ١٣٦٠ - ١٣٨٩ ميلادية) من ابن الشاطر أن يصنف له (**زيجا**) يحتوي على نظريات فلكية ومعلومات جديدة. وبالفعل ألف **الزيج الجديد** الذي قال ابن الشاطر في مقدمته إن كلا من **ابن الهيثم ونصير الدين الطوسي** وغيرهما من علماء العرب والمسلمين قد أبدوا شكوكهم في نظريات بطليموس الفلكية ولكنهم لم يقدموا تعديلا لها.

قدم ابن الشاطر نماذج فلكية في الزيج الجديد قائمة على التجارب والمشاهدة والاستنتاج الصحيح، ولكن **كوبرنكس** لم يتورع عن ادعاء هذه النماذج لنفسه وخدمه لاحقوه في أوروبا في هذا الادعاء حتى القرن العشرين. (وقد عاش **نيكولا كوبرنكس** فيما بين ١٤٧٣ و ١٥٤٣ ميلادية وولد في **مدينة بولونية** اسمها تورون ودرس في جامعة كراكاو ببولونيا أولا ثم في **الجامعات الايطالية** كجامعات بولونيا وفيرار وبادوا حتى تضلع في الأدب والرياضيات والفلك والطب والقانون والاقتصاد. وقد استفاد من اطلاعه الواسع العالم حيث وضع معارفه موضع التطبيق).

ذكر المستشرق الإنجليزي الذي اهتم بإنتاج علماء العرب والمسلمين في الفلك **الدكتور ديفيد كنج** في مقالة نشرت في قاموس الشخصيات العلمية، أنه ثبت في عام ١٣٧٠ هجرية (الموافق ١٩٥٠ ميلادية) **أن الكثير من النظريات الفلكية المنسوبة لكوبرنكس قد أخذها هذا الأخير من العالم المسلم ابن الشاطر**. وجدت في عام ١٣٩٣ هجرية (الموافق ١٩٧٣ ميلادية) مخطوطات عربية في بولندا مسقط رأس كوبرنكس، **واتضح بهذا جليا أن كوبرنكس كان ينقل تلك المخطوطات العربية ويدعيها لنفسه**.

ما هو الزيج؟

وقد صنف ابن الشاطر أزياجاً كثيرة، وعرف العلامة عبد الرحمن بن

خلدون الزيج في كتابه **مقدمة التاريخ** «ومن فروع علم الهيئة علم الأزياج . وهي صناعة حسابية قائمة على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى إلى برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به من مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها ، على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والتواريخ الماضية وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات ، واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين وتسمى الأزياج» .

وقام ابن الشاطر بأعمال جليلة تدل على عبقريته الفذة وذكائه الحاد ومهارته وطول باعه في علم الفلك . وقد ابتكر الكثير من الآلات التي وصفها على أتم أوجه الكمال ، كما بنى نظريات فلكية ذات قيمة علمية جيدة .

حركة الأجرام السماوية

وبقيت رسائل ابن الشاطر المتخصصة في الأجهزة مثل **الأسطرلاب والمزاول الشمسية** ذات شعبية لعدة قرون في كل من **الشام ومصر والدولة العثمانية** وباقي البلاد الإسلامية ، حيث صارت مصدراً لضبط الوقت في العالم الإسلامي ، فعلى سبيل المثال عمل آلة لضبط وقت الصلاة وسماها «**البسيط**» ووضعها في إحدى منارات المسجد الأموي في دمشق .

وجه ابن الشاطر اهتمامه البالغ لقياس زاوية انحراف دائرة البروج فوصل إلى نتيجة دقيقة جداً وهي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة .

وصدق المؤلف المعروف **جورج سارتون** إذ يقول في كتابه **المدخل إلى تاريخ العلوم** : «إن ابن الشاطر عالم فائق في ذكائه ، فقد درس حركة الأجرام السماوية بكل دقة وعناية ، فأثبت أن زاوية انحراف دائرة البروج تساوي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة وذلك سنة ١٣٦٥ ميلادية مع العلم أن القيمة الصحيحة التي توصل إليها علماء القرن العشرين بواسطة الآلات الحاسبة هي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة و١٩,٨ ثانية» .

تقول نظرية بطليموس خطأ إن الأرض هي مركز الكون وإن الأجرام السماوية كلها تدور حول الأرض دورة كل ٢٤ ساعة . ووضع بطليموس لهذه النظرية حساباً فلكياً قائماً على هذا الأساس ، وكان العالم كله في عهد ابن الشاطر يعتقد بصحة هذه النظرية ولا يقبل الجدال فيها . **ولكن الأرصاد الفلكية التي قام بها العالم العربي المسلم ابن الشاطر برهنت عدم صحة نظرية بطليموس** . ويعلل ابن الشاطر ذلك بقوله إن الأجرام السماوية لا يسري عليها هذا النظام الذي وضعه بطليموس ، فعلى سبيل المثال ذكر أنه إذا كانت الأجرام السماوية تسير من الشرق إلى الغرب «فالشمس إحدى هذه الكواكب تسير ولكن لماذا يتغير طلوعها وغروبها وأشد من ذلك أن هناك كواكب تختفي وتظهر



★ صورة من كتاب «نهاية السؤل في تصحيح الأصول المخطوط» والذي يعد من مؤلفات ابن الشاطر المعروفة في علم الفلك ، ويتضمن تصحيحاً لنظرية بطليموس في حركة الكواكب ★

وسموها **الكواكب المتحيزة** . لذا فالأرض والكواكب المتحيزة تدور حول الشمس بانتظام والقمر يدور حول الأرض» .

وهذا هو بالحرف الاكتشاف الذي نسب إلى كوبرنكس قرون عدة بعد ابن الشاطر . ثم جاء **غاليلو** الذي تشبع بفكرة ابن الشاطر فابتكر **أول تلسكوب** وأخذ يراقب حركة النجوم باستخدام هذا الجهاز ووجد أكثر من دليل علمي على أن نظرية ابن الشاطر صائبة .

مؤلفات ابن الشاطر

اهتم ابن الشاطر بالتأليف مع عمله كمؤذن في الجامع الأموي ، فألف أكثر من ثلاثين مؤلفا لا زال عددا منها مفقودا ، ومن مؤلفاته :

١ ـ زيج نهاية الغايات في الأعمال الفلكيات .
٢ ـ رسالة في تعليق الأرصاد .
٣ ـ رسالة في نهاية السؤال في تصحيح الأصول .
٤ ـ الزيج الجديد .
٥ ـ كتاب الأشعة اللامعة في العمل بالآلة الجامعة .
٦ ـ كتاب المختصر في الثمار البالغة في قطوف الآلة الجامعة .
٧ ـ رسالة عن ايضاح المصيب في العمل بالربع المجيب .
٨ ـ أرجوزة في الكواكب .

٩ ـ رسالة عن صنع الأسطرلاب .
١٠ ـ كتاب المختصر في عمل الاسطرلاب .
١١ ـ مقالة عن النفع العام في العمل بالربع التام .
١٢ ـ رسالة نزهة السامع في العمل بالربع الجامع .

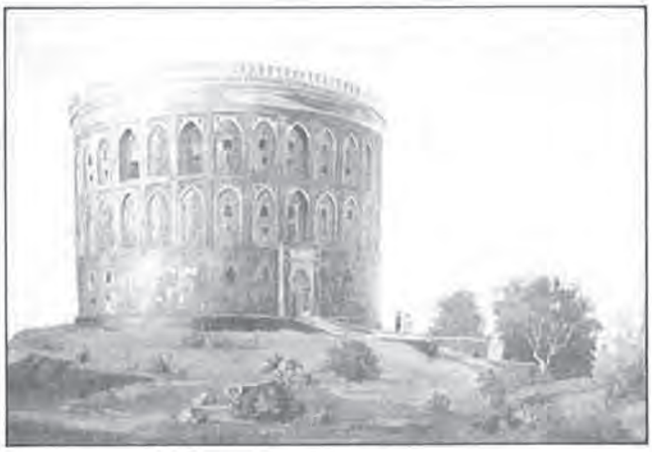


★ اسطرلاب من العالم الإسلامي ★

١٣ ـ رسالة كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع .
١٤ ـ رسالة في العمل بالربع الهلالي .
١٥ ـ رسالة في الربع العلائي .
١٦ ـ رسالة في أصول علم الأسطرلاب .



★ بعض الفلكيين العرب المسلمين يعملون في واحد من المراصد العربية ـ رسم قديم ـ ★



★ مرصد سمرقند ★

جهود ابن الشاطر العلمية

وفي الختام نرى أن ابن الشاطر قد ركز كل جهوده على **علم الفلك** فترجم الكثير من **إنتاج علماء اليونان** وغيرهم ، ودرس بكل اتقان ما ورثه عن علماء العرب والمسلمين في هذا المجال ، فأبدع وأحسن النقل وصحح الأخطاء ، **وابتكر الكثير من النظريات الفلكية التي صححت ما كان مشهوراً على خطئه قبلها** . ولم يخف على ابن الشاطر أهمية علم الفلك حيث إنه يعد من العلوم الضرورية في البحرية والأرصاد الجوية . والجدير بالذكر أن أعمال ابن الشاطر العلمية والتقنية تنحصر في جزءين رئيسيين هما تطوير الآلات الفلكية ونظرية حركة الكواكب . ويقول **أ . س . كندي وعماد غانم** في كتابهما « **ابن الشاطر** » : « تجلى نشاط ابن الشاطر العلمي والتقني في تطوير الآلات الفلكية ، وفي نظرية حركة الكواكب ، حيث نجد فيهما تكملة لجهود الفلكيين السابقين وتنقية لنظام بطليموس من الأخطاء التي وقع بها » .

وهو في الحقيقة فعل أكثر من تنقية نظام بطليموس بل برهن خطأه وفسر النظام الحقيقي للجهاز الشمسي . **ولم يكتشف ابن الشاطر إلا في وسط القرن العشرين لأن نظرياته الفلكية القيمة سيطر عليها كوبرنكس وادعاها لنفسه كذباً وبهتاناً ، وأيده في كذبه علماء الغرب في الفلك لمدة تضاهي خمسة قرون** . أما اليوم فإن المتخصصين في علم الفلك في العالم أجمع المنصفين يسهرون ليلاً ونهاراً على دراسة أعمال ابن الشاطر محاولين بكل اخلاص اعادة الحق إلى أهله . لذا فإننا نتوقع أن يحمل لنا المستقبل مفاجآت مذهلة عن أعمال وإنتاج ابن الشاطر العلمي .

ويجدر بنا أن نلاحظ هنا أن سيطرت علماء ما تسمى بالنهضة الأوروبية على الإنتاج العلمي الإسلامي العربي وادعائهم لأنفسهم كان جارياً به العمل . ولا زال الغرب إلى يومنا هذا يتبعهم في ادعائهم رغم الأدلة القاطعة التي أتى بها علماء الغرب أنفسهم على كذبهم . وتصل هذه الادعاءات إلى كتبنا الثانوية والجامعية التي تترجم حرفياً والتي يندر فيها جداً أن تنسب أية نظرية إلى أهلها الحقيقيين ومبتكرها المسلم . ويا حبذا لو يصحح هذا الوضع حتى نعيد لأمتنا ثقتها بنفسها .

سانبوف

أو.. الناقد اللاذع

(١٨٠٢م - ١٨٦٩م)

ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة

« إلى الذين لا يعملون ويؤذي نفوسهم أن يعمل الناس أقدم كتابي هذا » ، بهذه العبارة استهل **طه حسين** كتابه « **مع أبي العلاء في سجنه** » كي تكون بمثابة إهداء لأولئك الذين نذروا أنفسهم للنقد البناء تارة وللنقد الهدام تارات أخرى ، والذين عانى منهم « عميد الأدب العربي » الكثير في صدر حياته .

ولكن هل هناك ضرورة تقضي بأن يكون الناقد ذاته أديباً ؟ ومن نفس مستوى الذين يتصدى لكشف محاسن ومساوىء مؤلفاتهم ونتاج قرائحهم ، أو يمكن أن يكون على خلاف ذلك ، كما يقول الشاعر :

فالعين تنظر ما نأى وما دنا

ولا ترى نفسها إلا بمرآة

فقد يكون الإنسان موهوباً ، ذوّاقة ، يستشعر بكل أحاسيسه أسرار الفن من رسم ونحت أو موسيقى دون أن يمسك في حياته فرشاة رسام أو إزميل أو أية آلة من آلات العزف .

ومما يثير الحسرة أن النقد الأدبي في عالمنا العربي لا يكون في أكثر الحالات سوى اطراء ومديح يخفي أو يتستر على كل العيوب والنواقص ، أو يتحول إلى تجريح ينأى عن آداب النقد وقواعده المتعارف عليها لدى الأمم التي سبقتنا في مضمار الحضارة ، وسرعان ما ينقلب إلى شحناء وعداوة شخصية ، إذ ليس من أهداف النقد الرئيسية إحصاء ورصد وتعويم مثالب أو أخطاء الآخرين فحسب ، بل يرمي أيضاً إلى ذكر المحاسن وكشف كل تفاصيلها مع سائر النواحي الإيجابية ، هذا بالإضافة إلى المآخذ التي يجب أن تعالج برفق وحذر ، أو بعبارة أخرى ، على الناقد أن يجيد استعمال مبضع أو مشرط الجراح أكثر من اللجوء إلى فأس الحطاب ، وعليه أن يقوم بجراحة شافية لا بتجريح مثبط وقاتل لكل موهبة وتفتح ، أي عليه أن يقوم بمهمة التقييم والتقويم في آن واحد ، وهذا ما ذهب إليه العالم الجزائري الكبير **البشير الابراهيمي** : « إذا لزم النقد فلا يكون الباعث عليه الحقد ولكن موجهاً إلى الآراء بالتمحيص لا إلى الأشخاص بالتنقيص » .

وهكذا يستطيع الناقد اللبق الحصيف أن يساهم في تقدم الآداب والفنون عن طريق توجيه أولئك الذين ينتقد آثارهم نحو الطريقة المثلى كلما نأوا عنها أو حادوا عن جادتها اللاهبة ، فيجنبهم في المستقبل التردّي في نفس الأخطاء طبقاً للحكمة القائلة : « **إن أكبر خطأ هو التمادي في الخطأ** » ، ولكن دون اغفال الاطراء المعقول والتشجيع الموزون ، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً . وهكذا كثيراً ما يقر معظم المؤلفين والكتّاب لمنتقديهم بالفضل والعرفان .

وسأحاول في الصفحات الآتية تقديم صورة عن حياة أمير النقد الأدبي سانبوف Saint-Beure ، صورة مقتبسة في خطوطها العريضة من مقالة نشرت بالفرنسية في مجلة (هستوراما) في شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٦٩م ، أي بعد مضي قرن كامل على وفاته .

نشأة سانبوف

في عام ١٩٦٩م ، لفظ أمير النقاد سانبوف النفس الأخير . ولكن علينا بادىء ذي بدء التعرف على نشأة هذه الشخصية الفذة . فقد رأت عيناه النور في جو حزين ، إذ توفي والده **شارل أوغسطين سانبوف** قبل ولادته بقليل ، في مدينة معروفة بكآبتها هي مدينة « **بولونيه سورمير** » المطلة على بحر **المانش** ، وضمن بيئة عائلية تفتقر للسعادة ، مؤلفة من أرملتين ، هما أمه وعمته الهرمة ، في منزل يطل على شارع يحمل اسم « **شارع العجائز** » . وبالفعل لقد كان ولداً حزيناً دميماً ، وكان هذا من دواعي أشجانه ، وكبداية لسيرة حياته تبدو هذه النبذة قليلة الجاذبية .

يبحث عن موهبته

أذهل طالب المرحلة الثانوية هذا أساتذته ، في مدينة بولونيه ، بحدة ذكائه ونفاذية ذهنه وبشدة حساسيته ، إذ كانت مروحة مطالعاته عريضة جداً تمثلها بالتمام والكمال ، وقد تخلى في سن مبكرة عن نصرانيته شأن الأكثرية من شبيبة

عصره . وبالفعل ما لبث هذا الناشيء أن راح يتمزق بتأثير مأساة داخلية لم يستطع أن يتحرر منها مطلقاً ، فهذا اليافع ذو الملامح المنفّرة ، وهو أقل ما يمكن أن يقال عنها ، بدأ يحسّ بأنه عبارة عن « دون جوان » أو قيس ولهان عاشق ، ولكن من دون « ليلى » .[١]

دفعه كرم نفسه ، وهذا أحد طباعه ، إلى اختيار مهنة تؤهله لأن يعكف على تخفيف آلام بني الإنسان ، فقرر أن يكون طبيباً . ولكن سرعان ما استشف أن هذا ليس بالسبيل الأمثل . فقد خُلِقَ للصراع ، وعلى الأقل ، للصراع الأدبي ، فتخلى عن مشرط طالب الطب كي يدخل في عداد أسرة جريدة « **غلوب** »[٢] ، وهي صحيفة الكفاح بالنسبة للحزب الليبرالي ، وكانت بدايته فيها عاصفة ، وما لبثت أن اكتشفت إدارة هذه الجريدة في المحرر الجديد قوة يحسب لها حساب ، فعهدت إليه بزاوية **النقد الأدبي** وها هو الآن في وسط المعمعة .

وفي يوم من الأيام تقدم منه مدير الجريدة **دوبوا** وأشار إلى مجلدين صغيرين طرحا قبل قليل فوق مكتبه ، وقال لشارل سانبوف : « هل تحب أن تحرر لنا هذا التقرير ؟ والكاتب أديب همجي ناشيء ، ولكنه يملك قريحة » . وكان عنوانا هذين الكتابين « **الأغاني والقصائد** » واسم الشاعر ، وهو شخص نكرة ، هو **فكتور هوغو**[٣] ، وكان لهذا العرض ما له .

ظهر التقرير الذي طلبه المدير دوبوا على صفحات الجريدة بتاريخ ٢ و٩ كانون الثاني (يناير) من عام ١٨٢٧م ، وهكذا غمس هذا النقد قلم سانبوف في **الزاج الأدبي**[٤] . وبما أنه مادي متحمس ، وخصم لدود لرجال الاكليروس ، فقد استهدف الأفكار الموالية لأسرة آل بوربون مثلما راح ينقضّ



★ سانبوف رسم موللورود المكتبة الوطنية في باريس ★

على تعاطف هذا الشاب الملهم ، أي هوغو ، مع التعاليم النصرانية ، هذا كما كان سانبوف لا يتذوق كثيراً الشطحات الخيالية السائدة لدى هذه الموجة الجديدة من الشعراء . بيد أن طريقته في النقد كانت مخلصة للغاية وبريئة ، فهنأ الشاعر على أسلوبه وعلى صحة كتابته من الناحية اللغوية والنحوية وعلى توفيقه في اختيار الكلمات ، ولكن حذّره من الافراط في التصورات ومن اندفاعه الذي يشوه أشكال عباراته . وتقدم إليه بالرجاء بألا يخلط بين العظمة والكلمات الفخمة الجوفاء أو بين القوة والصلف . وإجمالا كان تقريره عبارة عن « فركة أذن » ودية ومحببة .

وكان فكتور هوغو يقطن في شارع « **فوجيرار** » رقم **٩٤** ، في **الحي اللاتيني** ، فسارع إلى مكتب إدارة جريدة « غلوب » يطلب عنوان ناقده ، فقيل له إنه يسكن في رقم **٩٠** من نفس الشارع ، إذن هو جاره . وقصد الشاعر منزل سانبوف فلم يجده ، وترك بطاقته على الباب . وفي اليوم التالي ذهب سانبوف إلى بيت الشاعر فكتور هوغو في وقت الغداء . وكان شاعرنا يعيش في شقة صغيرة في الطابق الأول فوق ورشة للنجارة . وكان اللقاء ودياً للغاية بين سانبوف البالغ من العمر ٢٣ سنة وبين الشاعر الذي يكبره بعامين .

ودار الحديث حول الأدب ، فكشف فكتور هوغو لضيفه ناقد جريدة « غلوب » عن الخطوط العريضة لفن شعري لم يكن لدى الصحفي سانبوف أية فكرة عنه ، مما دفعه لأن يكتب فيما بعد مع كل تواضع المختص بتدبيج مقالات النقد : « **لا أفهم بسرعة كافية جميع الأشياء التي أسمع عنها لأول مرة ، ولا سيما تلك التي فتحت لي فجأة الأنوار الساطعة على أسلوب وفن القريض** » . وكان موقفاً كوميدياً بالفعل ، إذ كان الناقد يتلقى درساً من المؤلف المتهم .

وكان سانبوف ينصت لمحدثه باهتمام ظاهر في الشقة الصغيرة التي كانت تعيش فيها زوجة الشاعر هوغو ، واسمها « **آدال** » والتي كانت لا تزال ترفل في ثوب الصباح . وكانت فاتنة حقاً بجمالها الذي تتميز به بنات إسبانيا ، وبعينيها البراقتين وببشرة وجهها الصبوح ، وبعبارة أخرى كان ينطلق منها إغراء شديد ، فضلاً عن وداعة كبيرة إلى جانب أنفة نبيلة وارستقراطية . ولا حاجة للتذكير بأن رؤيتها كانت ضربة صاعقة بالنسبة للزائر .

أما فكتور هوغو فقد كان وسيماً كما وصفه ، بكل أمانة ، صديقه **تيوفيل غوتييه**[٥] بقوله : « كان الشاعر الشاب يشع عبقرية ، ناشراً حوله بريقاً من المجد » ، وكانت خصلات شعره مرسلة إلى الخلف ، ووجهه حليق بكل عناية ، وعيناه مليئتان بلهيب الحماس والنشاط . وبعبارة موجزة كان شاباً أخاذاً . وكان سانبوف يبدو إلى جانبه قميئاً ، كأنه عجوز صغير ، محدودب الظهر نوعاً ما بين كتفين ضيقين ، ينبثق من وجهه أنف ناتىء بين عينين جاحظتين . وبالاختصار كان بينهما تناقض غريب في المظهر .

وظل سانبوف بعد هذا اللقاء ، وخلال عامين متواليين ، يتردد على هذه الأسرة الشابة التي اعتبرته كواحد منها ، وأصبح سانبوف الدرع الواقي للشاعر الكبير في مقالاته المنشورة بجريدة غلوب ، إذ لم يكن يضن عليه بكلمة العبقرية كلما أخرجت المطابع كتاباً جديداً أنتجته قريحة صديقه . وها نحن في عام ١٨٣٠م أي في السنة التي ظهر فيها كتابه « **هرناني** » أو « **الشرف القشتالي** » ، وهو مأساة شعرية مؤلفة من خمسة فصول تميزت بغنى أسلوبها وببريق شعرها الغنائي .



★ د. طه حسين، عانى من النقاد في أوائل حياته ★



★ هوجو، كشف لسانبوف الخطوط العريضة لفن شعري! ★

كان صاحبنا يحلم بالمجد، فخال نفسه شاعراً، وراح يتطلع لبلوغ نجاح باهر شأن أولئك الشعراء الذين كان ينتقد قصائدهم على صفحات جريدة غلوب، من أمثال فكتور هوغو في بداية شهرته طبعاً، **ولامارتين**، **وفينيي**، مروراً **بالفريد دو موسيه**. ولكن لم يلبث أن عرف بأن طموحاته كانت مفرطة في تفاؤلها.

وما إن انتسب إلى المنتدى الرومانسي حتى أصدر أول مؤلفاته وهو «**لوحة عن الشعر في القرن السادس عشر**»، ثم أصدر مجموعة شعرية تحمل عنواناً طويلاً هو «**حياة وقصائد وأفكار يوسف دولورم**» ويقصد بهذا الاسم المستعار نفسه بالذات، ويعتبر كتاباً غير صالح للمطالعة بالنسبة للقارىء في أيامنا هذه، ثم أخرجت المطابع له «**الحب الأول**» على شكل قصائد و«**نحو المتعة**» و«**وداعا أيها الشعر**» ظهر في صفحاتها جميعاً كشاعر هزيل للغاية. أما روايته «**المواساة**» فلم يفلح فيها في أن يواسي القارىء على احتمال عناده واصراره على التنويع في الإنتاج الأدبي.

وفي ١٨٣٤م، كتب روايته الوحيدة «**الشهوة**» التي تسمح قراءتها بالنفاذ إلى أعماق نفسية سانبوف ولكنها لا تصلح بحال من الأحوال لمنحه شهرة كاتب. وبعدئذ قدم عدة مؤلفات في النقد وفي تاريخ الأدب مثل «**لوحات أدبية**» و«**بور رويال**» وهذه عبارة عن محاضرات ألقاها في **جامعة لوزان** السويسرية. ولكن أفضل ما خطه يراعه كان «**شاتوبريان وزمرته الأدبية**» الذي يعتبر إلى جانب «**أحاديث الاثنين**» و«**أيام الاثنين الجديدة**» أفضل كتب النقد في القرن الماضي والتي كان شطر لا بأس به منها قد سبق أن ظهر على شكل مقالات أسبوعية في صحيفتي «**المونيتور**» و«**الطان**».

والحقيقة كان سانبوف يرى النقد الأدبي وكأنه تجسيد للعبقرية الخاصة بكل كاتب، وابرازا لملامح قدراته الأدبية، وبذلك كانت مزايا سانبوف في هذا المضمار فريدة حقا تتصف بالأصالة في التذوق وفي رقة الاحساس وفي الدقة.

وإجمالا كانت روايته ومحاولاته الشعرية فاشلة، ولكن فشله في الحب كان على نفس المستوى، أما نجاحه في مجال النقد فكان مؤكداً ولا سيما على صفحات جريدة غلوب، ولكن يبدو هذا النجاح في حصيلة حسابه هزيلاً. ترى هل أوصدت في وجهه أبواب المستقبل؟

يحمل كل كاتب في قرارة نفسه موضوعاً يظل مرتبطاً به شعورياً، موضوع يأمل في أن يخلفه للأجيال القادمة. فبعد تكرار فشل سانبوف في مجال الشعر والرواية، تراءى له وكأنه اكتشف الموضوع البراق الذي يتواءم تماماً مع إمكاناته الأدبية مثلما ينسجم مع عواطفه المادية تجاه رجال الكهنوت ألا وهو «**تاريخ بور رويال**» ذلك الدير الذي شنَّ معركة طويلة وشرسة ضد كنيسة روما. وهذا الموضوع ذو الطابع الرومانسي والمعادي للبابا هو الذي يغري كاتبنا صاحب المزاج الذي تغلب عليه العدوانية والتحدي.

وكان أبطال روايته من نوعية غير مألوفة، فهناك **الراهبة انجيليك** التي تقوم بحركة إصلاحية في ذلك الدير الصغير الذي أصبح عصرياً للغاية. أما **آرنو دانديي**، وهو محام في البرلمان، فقد أصبح مستشار هذه الطائفة التي انتسبت إلى عضويتها خمس فتيات اكتسين بثوب الرهبنة الأبيض. لكن **الشماس سانسيران**، وهو صديق **الأسقف جانيسيوس**، أفلح في أن يثبت في أعضاء الدير أفكاراً جديدة ستثير بعد قليل عواطف لاهوتية كبيرة، وقد سانده **الشماس سنغلان** بعلمه وحماسه. واشتعلت هذه الطائفة من الراهبات حماساً لأفكار جانيسيوس الفريدة للغاية، والتي كانت تفتقر للوضوح نوعاً ما، تلك الأفكار التي تعالج قضية النعمة، واندفعت الجماعة فوق دروب تؤدي لمغامرات غريبة. هذا كما استقرت في بلدة **غرانج** جماعة من الزهاد ومن العلمانيين من حملة الأسماء الكبيرة انصرفت لتعاطي أعمال زراعية شاقة ولكن إلى جانب تخصيص بعض الساعات يومياً لتربية البالغين. وهؤلاء هم معلمو مدارس «بور رويال» الشهيرة.

وقد اكتسب هؤلاء، بعد قليل، شهرة عن طريق تعليمهم التربوي المستنير وبسبب حياتهم كتوّابين. وفي هذا الجو يعرفنا الكاتب على **هامون**، وهو طبيب سابق، والذي يعتبر مربي **راسين** الشاب والسيد **نيكول** النحوي، وآخر اسمه آرنو، **وباسكال** المشهور، وهو عبقري فذ في ميدان العلم والأدب.

وفي هذه البيئة التي يحتدم فيها النقاش اللاهوتي كانت الجماعة كالسمك في الماء. بيد أن **السلطة الاكليروسية** قررت التدخل لمعاقبة هذه الجماعة وتدخلت روما، أي **الفاتيكان**، وعهد الملك لويس الرابع عشر، بصفة أداة تنفيذ علمانية، إلى تشتيت الراهبات، بالاستعانة برجال الشرطة.

وهكذا راح سانبوف يتحرك على راحته، كما نتوقع ذلك، في هذه البيئة المشبوهة نوعاً ما، وحيث تجد عداوته للاكليروس غذاءها في كل خطوة يخطوها، ولكن ما إن يتقدم شيئاً فشيئاً في كتابته حتى نستشف تحفظاً يتجلى بصورة متزايدة ويغدو أقل تعاطفاً مع هؤلاء المهووسين الذين كثيراً ما يعبرون عن غطرسة لا محدودة وحتى عن خبثهم وسوء نواياهم أحياناً، ويسمح المؤلف لنا في خاتمة كتابه بالإحساس باعيائه واشمئزازه ورغبته الأكيدة في تحطيم قلمه. ولحسن الحظ أنه أتم بحثه.

على إثر عودته من لوزان في عام ١٨٣٨م، حيث ألقى ثمانين محاضرة حول موضوع «بور رويال» وجد سانبوف نفسه في باريس من جديد كي يرنو بأبصاره نحو كرسي **الأكاديمية الفرنسية**. وكان من المستحيل التقدم

★ دانتي ... كان ضمن الشخصيات التي تناولها سانبوف بالنقد ★



★ لامارتين ... كان يحلم سانبوف أن يبلغ نجاحه ! ★



لترشيح نفسه لهذا المنصب قبل انتخاب الشاعر فكتور هوغو الذي لم يكن بإمكانه التطلع إلى الحصول على **القبعة الأكاديمية ذات القرنين** قبل سنة ١٨٤١م . وفي هذا التاريخ سيخطو سانبوف أول خطوة ومن ثم عليه أن يتقدم بطلب الترشيح . ولما اقترب موعد التصويت استبان له أنه بحاجة لصوت واحد كي يفوز بعضوية الأكاديمية ، هو صوت فكتور هوغو .

تقدم سانبوف بكل جرأة من الشاعر هوغو راجياً أن يمنحه صوته ، وما كان من الشاعر الكبير إلا أن تصرف بكل نبل ورباطة جأش واستقبل الزائر وقال له : ستنال صوتي . وهكذا أصبح الناقد الكبير في عداد **جمعية العلماء** ، وتشاء الظروف أن تعهد الأكاديمية إلى هوغو بمهمة إلقاء خطبة القبول ، ولم يقتقر هوغو في كلمته إلى الملاحظات اللاذعة ، ولكن هذا من التقاليد المعهودة تحت قبة الأكاديمية .

وراح سانبوف يبتعد أكثر فأكثر عن الفئة الرومانسية كي يعود إلى كلاسيكيته الواضحة المتزنة التي كان عليها في شبابه . وفي هذه الفترة عهد إليه الدكتور فيرون مدير صحيفة « **الدستوري** » ، وهي صحيفة معتدلة تتجه نحو المحافظة ، أقول عهد إليه بمهمة ثقيلة ، وهي كتابة مقال أسبوعي يصدر في كل يوم اثنين ، مقال حول موضوع أدبي يختاره كاتبنا . وهنا لا بد وأن يصاب القارىء المتتبع بنوع من ذهول ودهشة أمام تنوع المواضيع والشخصيات التي سيتعرض لها الناقد الكبير ، من أمثال **فيلها ردوان** ، القائد والمؤرخ الصليبي ، **وجان دازك** ، **والكاردينال مازاران** ، **والمؤرخ الروماني بلين القديم** ، والإمبراطور **فريديريك الثاني** ، **وفيوليه لودوك** ، **ومونتيني** ، **وبوفون** ، **ودانتي** ، **وكاترين الثانية** إمبراطورة الروسيا الخ .. وهكذا تعرض لرجال حرب ولزعماء سياسيين ولمشاهير الرجال ولأناس مجهولين أيضاً .

وهنا يجدر بنا القول إن طريقة النقد الأدبي راحت تتجدد وتنتعش بتأثير قلم حر لامع . كما كان لكاتبنا أسلوبه الخاص أيضاً ، وهو أنه كان يحوم حول الموضوع قبل أن يقتحمه ، فيسلك سبلاً ملتوية قبل أن ينقض دفعة واحدة على الموضوع الذي يعالجه كنسر كاسر . وفي حالات أخرى كان يستعين بفقرات قصيرة تتلاحق وتتراكب ، وفجأة وبعد منعطف ، نكتشف على حين غرة ومن خلال نور باهر ، أقول نكتشف الكتاب ومؤلفه الذي يحاول الناقد اعطاءنا سرَّ أسلوبه .

وفي هذه المرة أصاب سانبوف مرماه . فمقالات « أيام الاثنين » كانت وستظل إنتاجا لا نظير له دبجه قلم أستاذ في النقد لا نظير له .

وبعد أن كان سانبوف ليبرالياً وجمهورياً وخصماً لدوداً لآل بوربون ، راح يبتعد شيئاً فشيئاً عن النزعات والأهواء السياسية التي كانت صادرة عن فترة مراهقة سياسية طويلة ، **وشغل وظيفة أستاذ في دار المعلمين العليا** ، وقبل في عام ١٨٦٥م ، ولكن دون حماس كبير ، مقعداً في **مجلس الشيوخ** فدافع تحت قبته عن أفكار متحررة معتدلة في عصر الإمبراطورية الثانية أي أيام **نابليون الثالث** ، ولكنه بدأ يستشعر اقتراب الكارثة . ومن حسن حظه لم يمتد به الأجل ليشهد حرب ١٨٧٠م التي انكسرت فيها فرنسا على أيدي الألمان بزعامة **بسمارك** بطل الوحدة الألمانية(٦) .

غير أن سانبوف ظل على عدائه لرجال الكنيسة ، تلك العداوة التي كانت تتخذ أحياناً أساليب صبيانية . وهكذا كان في عداد المدعوين لحفلة العشاء الشهيرة في يوم الجمعة « المقدسة » عام ١٨٦٨م ، (٧) حيث كان بصحبة **الأمير نابوليون** والشاعر **تين وميريميه وآبو وفلوبير** . وقد استمتع المدعوون بوجبة فاخرة مؤلفة من فتائل اللحم الطرية المشوية إلى جانب ديك رومي محشو بالكمأة ، وكانت مادية تناقلت أخبارها ألسنة الناس وأقلام رجال الصحافة وكان الناقد الكبير لا يسأم من ذكرها والاعتزاز بها في كثير من المناسبات .

وفي ليلة ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٦٩م ، أجريت عملية جراحية لأمير النقد الأدبي . وسأله الطبيب الجراح في اليوم التالي مستفسراً فيما إذا كان لا يزال يشكو من الألم ، فكان جوابه المتشائم الزمن : « **أنا لا أعيش بل أحضر تمثيلية** » . وبالفعل لم يمر عليه ذلك اليوم بسلام .

وفي يوم ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) جرت مراسيم دفنه دون أي مظهر كنسي كما هو متوقع . وسار في جنازته عدد من أعلام الأدب الفرنسي مثل **دوماس الأب** ، ذي الشعر الذي يماثل الثلج بياضاً ، **ودوماس الابن** الذي كان يتأبط ذراع الكاتبة **جورج صاند** ، **وفلوبير** الذي كان يتكىء على كتف الشاعر تين .. وحسب رغبة الراحل لم تلق أية خطبة تأبينية بعد مواراته التراب ..

هوامش

(١) وفي ذلك نوع من شبه مع الشاعر المرحوم علي محمود طه المهندس .

(٢) ومعناها الكرة الأرضية .

(٣) يكتب خطأ في الكتب العربية هيجو .

(٤) تسمية أطلقها علماء الكيمياء القدامى على الأملاح التي تدعى اليوم السولفات أو الكبريتات مثل الزاج الأبيض وهو كبريتات التوتياء (الخارصين) ، والزاج الأزرق وهو سلفات النحاس ، والزاج الأخضر ، وهو كبريتات الحديد . ويقصد بهذه العبارة أن سانبوف دخل في عداد المحترفين والمؤهلين من رجال الأدب ، أو يقال أدركته حرفة الأدب .

(٥) Th. Gautier شاعر وروائي وناقد فرنسي (١٨١١م - ١٨٧٢م) .

(٦) بعد هزيمة فرنسا في تلك المعركة التي وقع فيها إمبراطور فرنسا نفسه أسيراً صرح بسمارك قائلاً : « يجيد الفرنسيون تذوق الخمور ولكنهم يجهلون الجغرافيا » ، أي يريد أن يقول إنهم لا يعرفون قوتهم الحقيقية ولا قوة خصمهم ، ولهذا هزموا .

(٧) تقضي تعاليم الكنيسة بالامتناع عن تناول الأطعمة الدسمة يوم الجمعة الحزينة التي يعتقد النصارى أنها يوم وفاة المسيح عليه السلام .

بمناسبة عام الطفل

من كتب التراث

سياسة الصبيان وتدبيرهم

تأليف: ابن الجزار القيرواني
(٢٨٥ - ٣٦٩ هـ) - (٨٩٥ - ٩٨٠ م)

★ كتب التراث العربي كثيرة، وأكثر من عددها الفوائد التي قدمتها للبشرية. وفي كل يتكشف أمام الباحث والمستقصي أشياء جديدة في علوم المسلمين، ومعارف العرب.

ولئن كان كثير من التراث قد ضاع في غمرة الأحداث التاريخية التي مرت بالمسلمين، أو حاول الأعداء طمسه في فترات الحقد المنصب على المسلمين والعرب، بعد أن أدرك منهم الأعداء غرة، ولمسوا منهم موطن ضعف.. فضاع من التراث أكثر مما أحرقه القوط في الأندلس، وأغرقه التتار في بغداد، وقضى عليه الصليبيون في الشام وصقلية ★

تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة ● عرض وتلخيص: د. محمد بن سعد الشويعر

كما أن الأنانية بلغت ببعض الغربيين إلى أخذ العلوم، ونسبتها إلى أنفسهم، وهذه سرقة علمية للأفكار والمجهودات، فجاء من بعدهم لينسبوها إلى هؤلاء سواء كان عن علم أو جهل، مفضلين أفضلية السبق والتقدم لعلماء المسلمين والعرب: كآراء **الغزالي** (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ)، **وابن النفيس** (.... ـ ٦٨٧ هـ)، **وابن رشد** (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ)، **وجابر بن حيان** (.... ـ ٢٠٠ هـ)، وغيرهم من علماء وفلاسفة كثير جداً.

وإن المتتبع للكتب العلمية، والفلسفية، والاجتماعية، بالذات، ليجد فيها أشياء كثيرة من هذا النوع.

ولم يكن هذا الأسلوب موجوداً عند العرب، إذ كانوا في مؤلفاتهم ينسبون الفضل لأهله، سواء كانوا يونانا أم فرساً أم الروم والهنود.

فالعرب في نهضتهم العلمية، أخذوا بعض المعارف والعلوم من أفكار الأمم التي ترجمت كتبهم في العصر العباسي، وزادوا وتوسعوا فيما وصل إليهم من معلومات، وصححوا معلومات، وابتكروا أشياء جديدة، لكنهم مع ذلك لم يغمطوا أصحاب الفضل مكانتهم، ولم يتجاهلوا أفضلية السبق.

إن هذا الكتاب الذي سنعطي عنه لمحة، ما هو إلا واحد من نماذج العرب في التأليف، حيث يسلط ضوءً على المنهج المتبع عندهم، إذ مؤلفه ينقل عن **جالينوس** في مواضع كثيرة من كتابه (انظر على سبيل المثال ص ٧٠، ٧٢، ٧٤)، ومع هذا فإنه لا يتجاهل النسبة إليه، كما أنه ينسب إلى غيره ما أورده من آراء يناقشها، أو يبقيها على وضعها.

اسم الكتاب

إن من يلقي نظرة خاطفة على غلاف هذا الكتاب، وهو معروض في واجهات المكتبات، يتبادر إلى ذهنه مدلول آخر غير ما قصده المؤلف.

ولعل انصراف الذهن يذهب بالقارىء إلى المفهوم العام عند الناس لكلمة «**سياسة**»، وإن كان **الاشتقاق اللغوي** لا يختلف ـ من ساس يسوس ـ إلا أن المفهوم الذهني المتبادر لدى القارىء ينصرف من أول وهلة إلى الاستعمال السائد بمدلوله العام في عرف الناس، ولا ينصرف إلى المفهوم اللغوي إلا بعد تمعن وروية.

ونموذج آخر لذلك كلمة «**الفن**» أو «**الفنان**»، فهما لا يدركهما كثير من الناس إلا بالمفهوم الشائع عن الغناء والمغنين.

إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، وطباعته في **الدار التونسية**

للنشر عام ١٩٦٨ م ، جهد مشكور من العلماء التونسيين ، الذين شمروا عن سواعد الجد ، وأخذوا على عواتقهم مهمة شاقة ، هي نشر التراث العلمي والأدبي ، الذي يمت للقيروان بصلة ، في جهود متواصلة ، سيذكرها لهم الباحثون وطالبوا المعرفة حاضراً ومستقبلاً ، بعبارات الثناء والفضل ، وجميل العرفان والجهد ، وهم في التزامهم إحياء التراث الإسلامي القيرواني ، لارتباط هذا التراث بتاريخهم القديم ، فهم ليسوا بمعزل عن تاريخ الإسلام والعرب قاطبة ، وتراثهم الحافل ، ذلك أن جهدهم موفق بإذن الله ، وحجم الحصيلة التي سيتركونها أكبر مما يظن ، إذ **مدينة القيروان** مدينة عريقة في العلم ومنبع ثرّ للتراث ، وجسر متين ربط **بغداد** ـ المشرق الإسلامي ـ **بالأندلس** ، المنبع الثاني للعلوم الإسلامية والعربية .

فكانت مدينة تعج بالعلماء ، وتمتلىء بطالبي المعرفة ، ومركز اشعاع امتدت أنواره للأندلس وإفريقيا بأسرها .

هذه القاعدة الصلبة للعلوم والحضارة ، لم يضعف مكانتها ، ولم يزعزع كيانها ، إلا تسليط **الفاطميين** عليها خاصة ، وعلى شمالي إفريقيا عموماً ، حركة قضت على نظارة حضارتها العلمية ، ومحت معالمها المدنية ، فخربها **الهلاليون** عام ٤٤٩ هـ .

ثم إن المؤلف قال في مسمى كتابه « **وتدبيرهم** » ، ولم يقل وتربيتهم ، لأن التربية تتعلق بمن أدرك ، ونما عقله ، وصار لديه تمييز بين حالة وحالة ، أما هؤلاء الصبيان الذين قصر كتابه عليهم ، فهم من قلة الإدراك لمصالحهم الصحية والجسمية ـ لصغر أعمارهم ـ بمنزلة تجعل تدبير أحوالهم ، وتصريف شؤونهم ، أمر متحتم على من يرعى أحوالهم ، من أب ، أو أم ، أو حاضنة ، أو مرضعة .

كما يدلنا هذا على أن العرب يتغلب عليهم في التأليف **الشعور الديني** ، وتتحكم فيهم الثقافة الإسلامية ، إذ في الفقه الإسلامي ما يعرف بالوصاية على القصّر ، لأنهم لا يحسنون التصرف في أموالهم ، ولا تدبير شؤونها .

والتدبير يعني تصريف الشؤون سواء كانت مالية أو غيرها ، ومن هذا أخذ المؤلف هذه العبارة لتكون ضمن تسميته لما يريد توضيحه بالبرهان العلمي ، لمراعاة الأمور التي تحافظ على الصبي ، وترفع مستواه الصحي والعقلي ، منذ أن يتخلق في بطن أمه ، حتى يصبح قوي البنية ، مشتد الساعد ، يستطيع أن يهتم بنفسه ، ويشارك في أمور الحياة .

المؤلف

في القرن الرابع الهجري ، زخرت القيروان بنخبة ممتازة من العلماء ، وكان للطب القدح المعلّى ، والمكانة الغالبة ، من اهتمام العلماء :

في هذه الفترة برز علم من علماء القيروان ، وطبيب من ألمع أطبائها ، نال منزلة عالية بعلمه وفضله ، وطرق موضوعات طبية متخصصة ، لم يتناولها الأطباء قبله ، وسار على منهج لم يسبق إليه :

● فقد أفرد كتاباً متخصصاً **لطب الأطفال ، والعناية بهم** من الحمل حتى السنوات الأولى من العمر .

● استقصى الأمراض التي تعتري **الحامل والمرضع** ، وبحث عن **أسلم الطرق لوقاية الأطفال وتغذيتهم .**

● فتح مجال التخصص الطبي السائد في هذا العصر ، وكان الأطباء قبله لا يأتون إلا بصورة عابرة ، ويدمجون موضوعات الطب العامة مع بعضها .

فمن هو هذا الطبيب العالم ، وما هو أثره العلمي ، وما هو كتابه ؟؟

لعلنا بهذه العجالة ، بمناسبة تخصيص عام ١٩٧٩ م ، عاماً للطفل ، أن نسلط قليلاً من الضوء على شخصية علمية إسلامية وعربية ، اهتمت بالأطفال صحياً وفكرياً ، قبل اهتمام الغرب بعشرة قرون ، وبحثت ودرست متطلبات الطفل الغذائية والصحية ، في وقت كان الغرب يخيم عليه الجهل ، ولا يستطيع علاج الكبار ، فضلاً عن التفاته للصغار .

ولكي نبرهن للآخرين بأن الحضارة الإسلامية كانت تولي عناية بالفرد ، وترعى شؤون المجتمع ، وترعى الصغار ، وتهتم بشؤونهم ، في وقت نرى فيه الحضارات القديمة **كالفينيقية** في حدود عام ٥٠٠ ق . م ، كان أفرادها يضحون بأطفالهم قرباناً لأي أمر يجز بهم ، يقيمون ذلك في حفل يختلط فيه صراخ الأطفال ، بدقات الطبول ، كما حكى ذلك **ديورانت** في كتابه قصة الحضارة (ج ٢ ص ٣١٨ ـ ٣١٩) .

لكي نبرهن للآخرين بذلك ، فسوف نلقي نظرة عابرة على هذا المؤلف الذي سبق عصره ، وأعطى من جهده ما يدين له راغبوا المعرفة ، والمتخصصون في المجال الطبي .

هذا المؤلف هو ابن الجزار ، الذي أبان للعالم بأسره ، أن العرب قد أدركوا أهمية العناية بالطفل ، ورعايته صحياً ، لأن من حكمهم السائرة : « العقل السليم في الجسم السليم » ، ولذا كانت جهودهم منصبة ـ حسب تعاليم دينهم الإسلامي الحنيف ـ إلى تربية النشء ، والاهتمام بهم ، وتوسيع مداركهم ، ورعايتهم صحياً وعقلياً وفكرياً . يتراءى أثر ذلك في الأسلوب التربوي الذي رسمه **رسول الله** ﷺ لأمته في منهجه الأبوي في العناية بالأطفال ، ورعايتهم ، وأسلوبه الأبوي في تربيتهم ، سواء كانوا من أحفاده ، أم من أبناء المهاجرين والأنصار .

وإذا عرفنا مكانة المسلمين والعرب ، وتعاليم دينهم ، وحرصهم الشديد على رعاية الأطفال ، بعكس **الحضارة اليونانية** ، التي يعتبرها المفكرون الغربيون قمة الحضارة : فقد كان **القانون والرأي العام** يبيحان قتل الأطفال ، ويريان فيه وسيلة مشروعة للحد من زيادة النسل ، ومنع تقسيم الأرض الزراعية تقسيماً يؤدي إلى الفاقة (قصة الحضارة لبول ديورانت ج ٧ ص ٨٠) .

فلا بد أن نعطي لمحة عاجلة ، عن أول دراسة مركزة موضوعية ، تسلك مسلك الاختصاص في **طب الأطفال** ، حسب المفهوم المعاصر في الطب ، كما يقضي الأمر إعطاء لمحة أيضاً عن مؤلف هذه الدراسة .

المؤلف : هو **أحمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الجزار** ، ولد في مدينة العلم والثقافة **القيروان** .

تلك المدينة التي شعت منها المعارف الإسلامية ، إلى جانب القوة العسكرية ، ومنها انطلقت الثقافة الإسلامية ، والعلوم العربية إلى منطقة الشمال الإفريقي ، والأندلس فترة طويلة من الزمن .

وقد قال محقق الكتاب بأن ابن الجزار ولد في نهاية **العهد الأغلبي** (١٨٤ ـ ٢٩٦ هـ) بأواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وكان ابن الجزار يعرفه الأوروبيون القدماء باسم (ALGIZAR) ، كما نقل عن كازيري (CASIRI) ، أن اسمه المعروف به عنده : (EBN ALHOZAR ALCARUNI) ، وقد أوضح **ابن عذارى** (... ـ نحو٦٩٥ هـ) ، أنه توفي عام ٣٦٩ هـ ، (البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٧) ، عندما قال توفي الطبيب الكبير المعروف بابن الجزار ، وسماه أحمد بن أبي خالد .

وهذا التاريخ هو الذي أرجحه ، رغم كثرة الاختلافات ، في تاريخ وفاته ، وولادته ، لأن ابن عذارى ممن اهتم بالمغرب ورجالاته في كتابه البيان المغرب .

ولا يتسع المجال لبسط ومناقشة الآراء ، والبرهنة على الترجيح ، ولعل ذلك يتاح في دراسة أشمل ، ومجال أرحب .

لقد كان والد ابن الجزار طبيباً ، كما كان عمه كذلك ، وعنهما أخذ الطب ، ولذا يصح أن يقال بأن عائلته عائلة طب وعلم ، فلا غرابة إذاً أن يبرز هو في فنه ، ويتفوق في علومه .

كما قيل عنه بأنه أخذ الطب أيضاً عن **اسحاق بن سليمان الإسرائيلي** (... ـ ٣٢٠ هـ) ، الذي لقيه بعد وفادته من **مصر** على ابن الأغلب ، ثم صار طبيب **الأمراء العبيديين** ، بعد سقوط دولة بني الأغلب (١٨٤ ـ ٢٩٦ هـ) ، وقيام دولة العبيديين في القيروان (٢٩٦ ـ ٣٦٢ هـ) .

مكانته العلمية

أعطى المحقق **الدكتور محمد الحبيب الهيلة** ، لابن الجزار في مدخله لهذا الكتاب من ص ١٩ إلى ص ٥٠ ، ما يستحقه من التقدير والرفعة ، لما حققه من مكانة علمية ، ومنزلة فكرية ، في عالم الطب ، وأشاد بفضله ومكانته التخصصية ، والاخلاص في عمله وأدائه لأمانة الطب ، إذ بلغ به الأمر إلى فتح بيته لعلاج الناس بلا مقابل ، احتساباً لما عند الله تعالى .

وقد أوضح أن نبوغه هذا بدأ وهو شاب ، عندما نال عن أستاذه اسحاق ابن سليمان الإسرائيلي علماً كثيراً ، ثم فتح داره لمداواة المرضى ، وجعل في سقيفتها **صيدلية** ، وأقام عليها مولى اسمه **رشيق** .

لما اتفق المترجمون لابن الجزار على أنه كان حاذقاً من أهل الحفظ والتطلع ، والدراسة للطب ولسائر العلوم ، حسن الفهم لها مع ذكاء ومهارة .. وإن العلم لا بد أن يصاحبه خلق وسمت ، ووقار وهيبة ، وابن الجزار كما أجمع المترجمون له : صاحب سمت ووقار ، وأخلاق رفيعة ، لم تحفظ عنه زلة ، ولا أخلد إلى لذة ، كثير التواضع ، لا يترفع عن حضور الجنائز ، والولائم ، ولكنه لا ينال من طعامها ، وهو مع ذلك صائن لنفسه ، منقبض عن الملوك لا يزورهم ، فقد كان ثرياً موسراً يبسط نفسه للناس ، ويكتظ المتداوون في محل عيادته ، وبعد فحصهم يحيلهم لغلامه رشيق ، الذي يوزع عليهم الأدوية والأشربة ، ويتقاضى الأجر ، لأن سيده ينزه نفسه من أن يأخذ من أحد ثمناً ، كما كان يعامل وجوه الدولة بمثل معاملته لعامة الناس ، ولا أدل على ذلك من **القصة** التي رواها **ابن جلجل** في طبقاته : وخلاصتها أن أشهر قضاة العبيديين **القاضي النعمان** ، قد مرض ابنه ، فوصف له ابن الجزار علاجاً ، وصاروا يترددون عليه بقارورة ماء كل يوم ، وهو ينظر في النتائج ، ويصف العلاج ، حتى برىء ابن النعمان العليل ، مع كثرة المراجعين له ، والمترددين على عيادته ، فشكره القاضي بكتاب ، على ما تولى من علاج ابنه ، وبعث معه منديلاً بكسوة ، هدية وثلثمئة مثقال ، فقرأ ابن الجزار كتابه ، وجاوبه شاكراً ولم يقبض المال ولا الكسوة ، وعندما قيل له إنه رزق ساقه الله إليك ، قال : لا والله لا كان لرجال معدّ ـ يعني الخليفة الفاطمي ـ قبلي نعمة .

وقد عرف لابن الجزار فضله ومكانته العلمية ، إذ على يده ، ويد أستاذه اسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، وشيخ أستاذه اسحاق ابن عمران (... ـ ٢٥١ هـ) ، ظهرت حركة طبية مزدهرة ، أينعت بها دار الحكمة بالقيروان ، وأسست على قواعدها المدارس الغربية ، عندما ترجمت أهم كتبهم للغات الغربية .

ولعل أكبر دليل مادي على مكانته العلمية ، ومنزلته العالية في الطب ، ورسوخ قدمه في هذا الميدان ، **كتبه التي بلغت « ٤٤ » أربعة وأربعون مؤلفاً** ، حسبما وصل إلينا علمه ، أغلبها يهتم بصحة الفرد ، والمحافظة على حياته ، ووقايتها من الأمراض والسموم .

وقد فقد أعظم هذه الكتب مثلما فقد غيرها من تراث المسلمين والعرب ، في غمرة الأحداث التاريخية ، والحقد المسلط عليهم من أعدائهم .

ويكفي أن نسرد أسماء بعض كتبه التي لا تزال موجودة ، وفي متناول القراء بأسمائها فقط ، وعلى من يريد معرفة أشمل عنها ووصفها وأماكن تواجدها أن يرجع لدراسة محقق الكتاب الدكتور الهيلة من ص ٣٧ إلى ص ٤٤ .

وهذه الكتب هي :

١ ـ الاعتماد في الأدوية المفردة .
٢ ـ الخواص .
٣ ـ رسالة في إبدال الأدوية .
٤ ـ زاد المسافر وقوت الحاضر .
٥ ـ طب الفقراء .
٦ ـ طب المشايخ وحفظ صحتهم .
٧ ـ كتاب في المثاني والكلى .
٨ ـ كتاب في المنخوليا .
٩ ـ المعتمد في الأدوية المفردة .
١٠ ـ مداواة النسيان وطرق تقوية الذاكرة .
١١ ـ كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها .

ويلاحظ من استقراء أسماء هذه الكتب أنها تتسم بالتخصص الموضوعي .

موضوعات الكتاب

يقع هذا الكتاب في ١٩٤ صفحة من القطع المتوسط ، وقد اشتمل نص المخطوطة على ٨١ صفحة فقط ، أما بقية صفحات هذا الكتاب ، فهي دراسة من المحقق لشخصية المؤلف ، وتعريف بمكانته وآثاره ، ووصف للمخطوطة ، والمراجع التي أعانته في البحث والتحقيق ، ثم ختم الكتاب بمعجم لما ورد في النص من ألفاظ فنية من ص ١٤١ حتى نهاية الكتاب ، الذي لا يوجد فيه غير فهرس للموضوعات فقط . أما موضوعات النص فإنها تتجلى للقارىء ، من قراءة أسماء وعناوين أبواب الكتاب ، حسب تقسيم المؤلف البالغة « ٢٢ » باباً .

وقبل أن نورد أسماء هذه الأبواب كما أرادها المؤلف ، يحسن أن نذكر شيئاً من مقدمة المؤلف لكتابه ليكون القارىء على بينة من منهج المؤلف ، كما رسمه لنفسه في مؤلفه هذا ، فقد قدم كتابه قائلاً : « قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن أبي خالد : إن معرفة **سياسة الصبيان وتدبيرهم** ، باب عظيم الخطر ، جليل القدر ، ولم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضيين ، في ذلك كتاباً كاملاً شافياً ، بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته ، من ذلك متفرقاً في كتب شتى ، وأماكن مختلفة ، مما لعل بعض الناس قد عرف بعضه ، وجهل بعضه ، ولعل بعضهم قد عرف ذلك كله ، ولم يعرفه من أسهل طرفه ، وأقصد سبله ، وأقرب مأخذه » ، ثم أعطى تلخيصاً لمحتوى الكتاب ، وعدد أبوابه .

أما أبوابه حسبما جاءت في الكتاب نفسه ، فأسماؤها كما يلي :

● **الباب الأول : في تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم ،** ويشتمل على الموضوعات التالية : الأم وحسن اختيارها ، خروج الطفل وقطع سرته ، وتمليحه ، غذاء الرضيع ، مضجع الطفل ، غسل الطفل وتنظيفه ، إرضاع الطفل ، وقت غذاء الطفل ، جلوس الطفل ، المشي ، البكاء .

● **الباب الثاني : في صفة المرضعة** التي تحتاج لرضاع الصبيان ، وبه الأبحاث التالية : سنها ، خَلْقها وخُلُقها ، حسبها ، جسدها ، الصفة المطلوبة في الحاضنة .

● **الباب الثالث : في صفة لبن الظئر المحمود منه والمذموم ،** وكيف ينبغي أن يكون ، مع عرض لتركيب اللبن ، والنوع المحمود للطفل .

● **الباب الرابع : في الأطعمة والأشربة التي تدبر بها المرضعة ،** ليكون لبنها صحيحاً .

● **الباب الخامس : في سبب قلة اللبن وتغير لونه .**

● **الباب السادس : في تدبير المرضعة القليلة اللبن ،** وإصلاحه إن شاء الله ، ويتعرض فيه لعلاج قلة اللبن ، وغلظه ، ورقته ، ثم يصف الأدوية التي تحسن اللبن .

● **الباب السابع : في الأغراض التي تعرض للصبيان** في كل درجة من أسنانهم ، ويومىء هنا إلى **أسنان الأطفال** ، وما يعرض لهم من قيء ، وإسهال ، وفزع وسهر ، وورم السرة ، ورطوبة الأذنين .

● **الباب الثامن : في السعفة والريه المتولدة في رؤوس الصبيان ،** يتناول فيه هذين المرضين وعلاجهما .

● **الباب التاسع : في الداء المسمى الداوس ، العارض للصبيان وعلاجه ،** يصف فيه هنا علاج كل من كبر الرأس ، **وورم اليافوخ** ، وانتفاخ البطن ، **وداء العطاس .**

● **الباب العاشر : في داء الصرع** العارض للصبيان ، ويسمى **أبامسيا** ، ويورد ما يراه نافعاً لعلاجه .

● **الباب الحادي عشر : في السهر العارض للصبيان وعلاجه .**

● **الباب الثاني عشر : في الرطوبة السائلة في آذان الصبيان وعلاجها .**

● **الباب الثالث عشر :** في زوال **الحدقة** ، وهو **الحول** العارض للصبيان ، وعلاجه ، ويتعرض فيه لانتفاخ العين وعلاجه .

● **الباب الرابع عشر :** في الوجع الحادث للصبيان في حين **خروج الأسنان .**

● **الباب الخامس عشر : في القروح** العارضة في **أفواه الصبيان** ، وهو ما يسمى **القلاع** وعلاجه .

● **الباب السادس عشر : في السعال العارض للصبيان وعلاجه .**

● **الباب السابع عشر : في القيء والاختلاف العارض للصبيان ،** يتعرض لأسباب ذلك ، ويصف العلاج المفيد لهذه الحالات .

● **الباب الثامن عشر : في الحيات والدود التي تتولد في أمعاء الصبيان** وعلاجها .

● **الباب التاسع عشر : في نتوء السرة** العارض للصبيان ، يستعرض فيه **الفتق** في البطن ، **وورم الخصيتين** ، ويصف العلاج الملائم لذلك .

● **الباب العشرون : في الحصى المتولد في مثانات الصبيان ،** يتناول فيه أعراض ذلك ، ويشخص الداء ، ثم يصف الدواء والعلاج .

● **الباب الحادي والعشرون :** لم يرد في هذه النسخة ، ولعله ساقط من النسخة الخطية التي حقق عنها الدكتور الهيلة هذا الكتاب .

● **الباب الثاني والعشرون :** يبدو أنه **علاجي وتربوي** في آن واحد ، وهو وإن أراد به العلاج ، **فهو العلاج العقلي ، والتنشئة الصالحة للطفل ،** وحسن التربية ، وسلامة التوجيه ، إذ بدأه بدون عنوان قائلاً : « الصغر لأن الصغير أسلس قيادة ، وأحسن موافاة وقبولاً » .

وهذا الفصل الذي يقع في خمس صفحات يعتبر مهماً لكل أب ، يحرص على تربية أولاده ، وتوجيههم ، فهو يأخذ بأيديهم ، ويمدهم بمعين دفاق ، قوي في أسلوبه ، يبصرهم بالأمثل في دراسة طبائع الصبيان ، وتوجيههم الوجهة السليمة ، من ترغيب وترهيب ، وتخويف عند الإساءة .

وبعد ..

فإن التأليفات الحديثة التي نراها تتسم بطابع التخصص الموضوعي في طب الأطفال والعناية بالحامل ، والدراسات التي تنتشر في الدوريات الطبية ، عن رعاية الأطفال والعناية بهم ، منذ ساعات الحمل الأولى ، حتى يشبوا عن الطوق ، لم تكن جديدة في موضوعها ، فلقد فتح ابن الجزار الباب على مصراعيه منذ حوالي عشرة قرون ، فجاءت الحضارة الحديثة ، لتلج هذا الباب ، ثم تحاول التوسع والزيادة ، ولكن الفضل للسابق ، والأهمية للمتقدم .

فرحم الله ابن الجزار ، ونفع الله المسلمين والعرب بتراث أجدادهم ، ووفقهم للسير على منوالهم ، عقيدة ، وأسلوباً ، ومنهجاً .

ثم إن هذا جهد مشكور من المحقق الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، أضافه إلى تراث أمته ، وأبناء عقيدته ، وأضاء به شمسه في مسيرة التقدم التي ترنو إليها أمتنا ، وتتطلع إليها أجيالنا ، لنترسم الخطى ، ونسير على الدرب ، زاد ذلك تتويجاً بما ختم به الكتاب من **معجم للمصطلحات** التي وردت فيه ، ليربط القارىء في هذا العصر بما تعارف عليه الأطباء في عصورهم السابقة مصطلحات ، قد تكون شبيهة بالطلاسم ، لكن هذا اللبس يزول عندما يتراءى أمامه مدلول هذه الألفاظ ، وما تعنيه من معنى بالمفهوم الحاضر .



الأرق..!

شعر: محمد فهمي سند

يا ليالي السهاد نجمك أغفى   في تراب المدائن المهجورة
وتلفعت بالصدى تشربين الظل   والصمت بالعيون الضريرة
وأنا خلف يقظتي وانسحاقي   تحت أقدام يأسك المسعورة
كغصون الخريف جلّلها العُرْيُ   فناحت على الجذور الأسيرة
ترتوي بالظمى الشريد وتطوي   خطواتي المجرحات العثورة
في مدارات سهدنا وعلى قمّة   ليل أنفاسه مقرورة
أسأل الساعة الكئيبة أرمي   نظرات على المدى مقهورة
فيعود السؤال يطوي حنيني   في صدى الخوف شهقة مصدورة
وتغوص الأشواق تطفو دماها   فوق أمواج أزمني المهصورة
يتوارى ملاح عمري ويطوي   في ملال شراعه وضميره

• • •

يا ليالي السهاد جفت دموعي   وحبيبي لم يرو بعد غروره
يتباهى بأدمعي ، ويناغي   في حبور مرآته وسريره
أشرب النسمة التي قد تلاشت   في شذاه كهمسة مسحورة
ثم يمضي على طريق وأمضي   خلفه دون أن أمل مسيره

• • •

ندوة الشهر

اشتراك في الندوة

● د. عبدالرحمن السبيت ـ السعودية ● د. شهاب الدين مفتي ـ باكستان
● د. عبدالله الطيب ـ السودان ● د. محيي الدين عبدالشكور ـ أميريكا
● د. عبدالحميد الهاشمي ـ سورية ● د. عابد توفيق الهاشمي ـ العراق
● د. فاروق محمد صادق ـ مصر ● د. عبدالله العجلان ـ السعودية

الطفل المسلم تربيته .. وتوعيته

إعداد: محمد مبارك

مقدمة

★ ما هي أسس ومعايير تربية الطفل المسلم ؟

★ هل يختلف أسلوب تربية الطفل المسلم عن غيره من الأطفال ؟

★ إلى أي مدى تنعكس تعاليم الشريعة الإسلامية على الطفل المسلم في مختلف مراحل حياته ؟

★ [illegible] تربية الأطفال تربية إسلامية ؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير، تدور في أذهان المشتغلين في مجالات التربية الإسلامية وعلماء النفس والعلوم الاجتماعية حول الأسلوب الأمثل لتربية وتوعية الطفل المسلم وتنشئته النشأة التي تنطلق من أسس الإيمان .

وقد رسم القرآن الكريم لنا طريق وأسلوب معاملة الأبناء وتربيتهم وتوعيتهم وتبصيرهم بمختلف شؤون دينهم ودنياهم ، وحث على أن نولي الأطفال كل اهتمامنا في المراحل المبكرة حتى يصلوا إلى الصلح مع غرائزهم مبكراً والسيطرة عليها ، ويهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالوصول إلى سن الرشد الديني مبكراً حتى يكون السلوك في الحياة بعد ذلك مستقراً ، فتتزن انفعالاته وتتوافق دوافعه ، ونزعاته عند المراهقة وذلك بفضل توجيه الوجهة الدينية السليمة ، قال تعالى : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ (سورة طه ـ الآية ١٣٢) .

ومن الأمثلة الفاضلة بأصول التربية والتوعية ما تحدث عنه القرآن الكريم عن لقمان وهو يربي ابنه ويقول : ﴿ **يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ (سورة لقمان ـ الآية ١٧ ـ ١٩) .

وهناك الكثير من الارشارات والتوجيهات القرآنية في مجال تربية الأطفال ففي مرحلة النضوج نجد قوله تعالى : ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ (سورة النور ـ الآية ٥٩) .

ويوضح القرآن الكريم دور الآباء ويهتم بأمر القدوة في التربية : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ (سورة الطور ـ الآية ٢١) .

ويدلل على القدوة السيئة بقوله : ﴿ **انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون** ﴾ (سورة الصافات ـ الآية ٦٩ ، ٧٠) .

ويهتم القرآن الكريم بدور الصحة الجسمية أيضاً وأثرها في تحصيل العلم : ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً** ﴾ (سورة القصص ـ الآية ١٤) .

وأوصى القرآن الكريم الآباء برعاية أولادهم وتربيتهم بأسلوب نموذجي سليم مقرون بتقوى الله عز وجل : ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً** ﴾ (سورة النساء ـ الآية ٩) .

ومن منطلق الحرص على أهمية تربية الأطفال المسلمين ، أمل الأمة ، ورجال المستقبل ، نظمت مجلة « الفيصل » ندوتها لهذا الشهر عن تربية وتوعية الطفل المسلم ، للكشف عن المبادىء والأسس الإسلامية في هذا الصدد ومستلزمات تطبيقها عملياً بصورة ترضي الحكيم العليم سبحانه وتعالى وتتمشى مع سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام .



★ د. عبد الرحمن السبيت ★



★ د. عبد الحميد الهاشمي ★



★ د. محيي الدين عبد الشكور ★

برامج التوعية

●● **الدكتور عبد الرحمن السبيت وكيل كلية التربية بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وعضو هيئة التدريس بقسم علم النفس بها، تناول البرامج التي تعد لتوعيه الطفل المسلم :**

«لوضع برنامج سليم لتوعية الطفل المسلم، **من المهم أن نعرف خصائص الطفل النفسية، حتى نقدم له ما يناسبه من برامج،** فالطفل في فترة **الطفولة المتأخرة** من ٦ - ٨ سنوات، يميل إلى القصص الخيالية، وفي فترة **ما قبل المراهقة** من ٨ - ١٢، يميل إلى قصص البطولة والعلماء والمستكشفين، ومن المهم أن يكون المضمون سواء كان في كتاب أو إذاعة مسموعة أو مرئية موضوعاً في قالب يتفق مع القيم الإسلامية .

وهناك كتب وقصص إسلامية يمكن أن يوجه الطفل إلى قراءتها لما تحويه من توجيه وإرشاد إسلامي .

ومن ناحية أخرى أرى أنه يشترط في **الكاتب المختص بالأطفال،** أن يكون عارفاً بنفسية الطفل وميوله وخصائصه حتى يقدم له المادة المناسبة، وأن يكون ملماً بالثقافة العربية والإسلامية الأصيلة حتى يراعي فيما يكتب حقوق الله تعالى وحقوق المجتمع . كذلك **يشترط أن يكون ذا أسلوب مناسب للأطفال،** متصفاً بالبساطة، وهذا بالطبع إلى جانب شرط الاستعداد المناسب للكتابة للأطفال، **وبوجه عام يحسن مراعاة ما يلي في برامج توعية الطفل المسلم :**

★ **اختيار المتخصصين من الكتاب .**

★ **ألا يكون نشر الجرائم والأحداث في الصحف مصحوباً بالاثارة، بل بالتحليل والتوجيه .**

★ **إنتاج أفلام عربية خاصة بالأطفال من حيث نشر أخبار المجتمع بطريقة مناسبة وإبراز مواقف البطولة العربية والإسلامية .**

★ **الرقابة على المجلات - وخاصة مجلات الأطفال - الواردة من الخارج من حيث الموضوع ومن حيث الصور غير المناسبة .**

★ **تشجيع الأغاني التوجيهية الخاصة بالأطفال، من حيث التأليف والتلحين والأداء .**

★ **حسن اختيار المسلسلات التليفزيونية والإذاعية** مع البعد عن الاثارة والانحراف، ومراعاة المواعيد الإذاعية المناسبة للأطفال .

★ **تشجيع تأليف القصص والمسرحيات والتمثيليات،** كذلك الكتب الثقافية والعلمية المناسبة للأطفال، بأسعار مخفضة .

★ **تشجيع المكتبات المدرسية العامة من حيث تزويدها بكتب الأطفال المناسبة» .**

مشاكل على الطريق

●● **ويقول الدكتور شهاب الدين مغني، أستاذ علم النفس بجامعة بشاور، بباكستان، إن هناك عدداً من المشاكل التي يواجهها الطفل المسلم، ولكن بالتمسك بالشريعة الإسلامية نستطيع حلها، ثم يوضح هذه المشاكل قائلاً :**

«إحدى **المشكلات الأساسية** التي يواجهها الأطفال المسلمون في أنحاء العالم، هي كيف يكون للتعاليم الإسلامية تأثيرها على شخصياتهم ودوافعهم وتكوينهم السيكولوجي ؟

المشكلة الثانية أنه يتعين عليهم تحت تأثير أجهزة الإعلام المختلفة من مجلات وصحف وكتب يرجع أصلها إلى الغرب أن يوفقوا بين ما تدعو إليه هذه الأجهزة وما تحويه مادتها الإعلامية، وبين ما تدعو إليه التعاليم الإسلامية .

ثم إن **هناك المشكلة التي أعتقد أنها تواجه العالم الإسلامي كله، وهي كيف ندفع هؤلاء الأطفال والبالغين إلى التطلع إلى حياة أفضل وأكثر ايجابية، إلى حياة مجيدة وعيش سعيد لهم، وللعالم باعتبار أنهم أناس يستطيعون العمل من أجل سلام وتقدم البشرية، حيث إن ذلك مما يمليه عليهم دينهم الإسلامي .**

وفي رأيي أن للإسلام رؤية واسعة للحياة، وباعتباره دين البشرية جمعاء أعتقد أنه لزاماً وواجب على كل المسلمين ليس فقط أن يوحدوا أنفسهم ويتقدموا، ويقودوا، ولكن أن يساعدوا البشرية في إرساء السلام الدائم على



★ د. عابد توفيق الهاشمي ★



★ د. عبدالله الطيب ★



★ د. فاروق محمد صادق ★

الأرض.

من هذا المنطلق فإن تنشئة الطفل المسلم بطريقة تجعله مسلماً حقاً يدرك واجباته وحقوقه تجعل منه مثلاً يحتذى عندما يكبر، ويراعي الله في أعماله كلها، وكل ذلك راجع إلى التمسك بتعاليم الإسلام».

مكتبة الطفل المسلم

●● ومن السودان يقول الدكتور عبد الله الطيب الأستاذ الممتاز بجامعة الخرطوم، وأستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس بالمغرب :

«تنقص الشباب المسلم **مكتبة مناسبة ميسرة مدرجة**، والنقص في مكتبة الأطفال أكبر، وهذا باب يحتاج إلى بحث سديد رشيد، ومتابعة لا تنقطع، وأستحسن للأطفال ما يلي :

(١) يبدأ **بالقرآن الكريم** بقصار السور بخطوط حسنة واضحة مع شروح مبسطة مختصرة، ومع ذكر القصص في مواضعه، مثلاً **خبر الفيل**، وقصة **نزول الوحي**.

(٢) قصص الأنبياء وسيرة **نبينا عليه الصلاة والسلام** بصورة مبسطة.

(٣) أخبار **رجالات العرب** التي تستفاد منها البطولة وروح المروءة، مثل **ربيعة بن مكرم وعنترة بن شداد**.

(٤) اختيارات مبسطة ممتعة من **ألف ليلة وليلة**، كقصة **السندباد والحسن البصري**.

(٥) أشعار مناسبة.

وعندما يشب الأطفال أستحسن لهم كشباب مسلم ما يلي :

مختارات من الكتب القديمة مع شرح ودرس، مثلاً **مختارات من الحديث** في باب السير والأدب، **ومختارات من أمهات الكتب، مثل مقدمة مسلم، شيء من الملل والنحل للشهرستاني، شيء من ابن تيمية، من المحاصي، والغزالي وابن خلدون والسيوطي**، وهلم جرا مع الشرح والتعليق.

دور الوالدين

●● ومن الولايات المتحدة الأمريكية اشترك في الندوة الدكتور محيي الدين عبد الشكور، أستاذ علم النفس بجامعة ولاية نيويورك، وقد ركز على أهمية رعاية الوالدين لطفلهما المسلم :

«إن لديَّ بعض الأفكار عن الأطفال، وقد بحثت في **دور الوالدين في تنمية شخصية الأطفال**، فأنا مهتم بصفة خاصة بدور الوالدين المسلمين في تربية الأطفال، وفكرتي المبدئية هي أن الوالدين يجب أن يلعبا دوراً أكثر نشاطاً ووعياً في تربية الأطفال. بمعنى أنه يجب أن تتوافر لديهما النية من وقت أن تصبح الأم حاملاً وحتى قبل أن تولد. في هذه الأثناء يجب أن تكون الأم واعية تفكر في الله وتفكر في وليدها وكيفية رعايتها لهذا المولود المنتظر.

وعندما يكون الطفل حديث الولادة، فإنها إذا أرضعته لمدة عامين فإن ذلك في غاية الأهمية، ومن خلال هذه الفترة من الرضاعة التي ذكرها **القرآن الكريم**، والتي تحتضن فيها الأم وليدها وترعاه، تنغرس في نفس الطفل المشاعر والأحاسيس والنظام فيتعرف على ما حوله ويعرف **متى يتناول غذاؤه، ومتى ينام، ومتى يسعى إلى أمه وينال رعايتها**، ولذلك فهذه الفترة في غاية الأهمية، وفي هذا الوقت المبكر في حياة الطفل المسلم، والطفلة المسلمة يكونان في غاية الحساسية، فهذه الفترة مهمة جداً في تشكيل شخصية الطفل المسلم، ولذلك فهو في حاجة لأن يكون في **رعاية أم صالحة ذات دين، وكنف أب صالح**، كما يجب أن يهتم الوالدين اهتماماً خاصاً باختيار من سيقوم برعايته، خاصة إذا كانت مربية. ومن الأشياء الهامة التي يمكن للأبوين أن يقوما بها هي **ملاحظة عادات الطفل**، لأن شخصية الطفل ومداركه تنبني حينئذ، وهذا يعني أنه في الوقت الذي يكبر فيه هذا الطفل، يجب على الوالدين أن يكونا في غاية النشاط في تمضية الوقت معه لمراقبة جميع تصرفاته، ومحاولة تجسيد المثل والقدوة الحسنة متأسين بسيرة النبي محمد ﷺ».

الكتاب المناسب

●● **وعن مواصفات الكتب المخصصة للأطفال تحدث من سورية الدكتور عبد الحميد الهاشمي ، أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بالمملكة العربية السعودية ، قائلاً :**

« الواقع نحن مسؤولون عن توعية الطفل المسلم انطلاقاً من قوله عليه الصلاة والسلام : « **كل مولود يولد على الفطرة** » فنحن مسؤولون أن نقدم له خير غذاء نفسي وروحي . **والكتاب الذي يقدم للإنسان الراشد الكبير غير الذي يقدم للطفل** ، تماماً كالغذاء ، فالغذاء الذي يطعمه ابن عشر سنوات أو عشرين سنة غير الطعام الذي يأكله الطفل الناشىء ، وكذلك الكتب التي نقدمها . وقد غدت الآن القراءة زاداً أساسياً لكل فرد ولكل منزل لا سيما في عصر أصبح فيه العلم في كل دار ، وأصبح في متناول الجميع وفي كل يد .

وكتب الأطفال يجب أن تراعي قبل كل شيء المستوى الادراكي لهم ، وتشبع فهم غرائز حب الاطلاع ، والتشويق والخيال الهادف والاثارة والمفاجآت ، فهذه كلها في الواقع عوامل تدفع الأطفال للقراءة وبالتالي إلى التأثر بها وبمحتواها ومضمونها » .

وسائل التوعية

●● **ويتحدث الدكتور عابد توفيق الهاشمي الأستاذ المشارك بقسم علم النفس بكلية الآداب بالجامعة المستنصرية بالعراق عن مختلف وسائل توعية الطفل المسلم قائلاً :**

« للطفل المسلم مكانته المرموقة في التربية الإسلامية ، وتوعيته ليست مقصورة على البرامج التي تقدم له فحسب ، وإنما هي أوسع من ذلك ، إنها **بيئة الأسرة** ، التي ينظمها الإسلام ، فيجد الطفل المسلم فيها - وهي عاملة - مقومات سلوكه فلا يقع سمعه ولا نظره ولا فكره إلا على المعاني الإسلامية البناءة التي تتجاوب مع فطرته السليمة - والإسلام دين الفطرة - ينميها ويغذيها ، ويسمو بطاقاتها إلى التكامل الشامل للشخصية الإسلامية ، قال تعالى :

﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (سورة الروم - الآية ٣٠) .

ومن أهم وسائل التوعية « **القدوة الحسنة** » بوالديه وإخوانه ، لأنهم أوثق الوسائل في تثبيت القيم الإسلامية وتحبيبها لديه ، وتنشئته عليها .

ومن الوسائل - البرامج المقدمة له - **وأهمها الوسائل الإعلامية** التي تضطلع بها الدولة ، وتنفذ بها إلى كل بيت ، **كالتليفزيون والإذاعة والمجلات الخاصة بالأطفال** ، ومنها البرامج التي يرسمها له الأبوان والأخوة الكبار ، بما يتفق ونماء قدراته وتوسيع أفق فكره وخياله .

ومنها **البرامج المدروسة التربوية المنظمة** التي تقدمها له **رياض الأطفال والمدارس** الأولية الابتدائية ، والتي تشرف عليها الدولة ، وتجمع فيها بين الفكر الإسلامي والوسائل الحديثة المشوقة في أسلوب عرضه .

كما يجب على **كتاب الأطفال** أن يتحلوا بصفتين ، استيعاب فهم حاجات الطفولة التي يقررها الإسلام وعلم النفس ، واستيعاب الفكر الذي يتجاوب معها ويلبيها ، بالإضافة إلى الأسلوب المشوق ، وما يفيده من الوسائل التعليمية والصور المناسبة ، التي تعينه في إيصال الفكر إلى عقول الناشئة الغضة » .

أثر البيئة في التوعية

●● **ومن جمهورية مصر العربية شارك في الندوة الدكتور فاروق محمد صادق رئيس علم النفس بجامعة الأزهر ، وقد تحدث عن أثر البيئات المختلفة في توعية الطفل ، فقال :**

« نفترض أولا أن الطفل المسلم أسرته مسلمة ، فإذا كانت أسرته غير مسلمة فنتصور الآتي :

الطفل المسلم ينشأ في أسرة مسلمة ، يحيط بهذه البيئة تحفظ بسيط هو التأكيد على الأخلاقيات في التعامل . الطفل المسلم أيضاً عندما يتمو ، يجب **الصدق والأمانة** في بيئة المنزل ، يجد **الصوم** في رمضان ، ويجد أيضاً أن الأسرة منتظمة في أداء **الصلاة** ، فيجب أن يرى الطفل المسلم القدوة في أسرته أولا .

فإذا توفر هذا الشرط أستطيع أن أؤكد أن كل الإمكانات التي يمكن أن تعطيها المدرسة أو المجتمع أو الأسرة للطفل ستؤتي ثمارها وتساهم في إعداده كطفل مسلم فعلاً .

وأي نوع من أنواع القصور أو الانحراف في أي بيئة من هذه البيئات سواء في الأسرة أو المدرسة أو المنزل نفسه سيتسبب في قصور في معنى الإسلام في ذهن هذا الطفل .

ولو تصورنا أن توعية وتربية الطفل المسلم واجب من واجبات المجتمع وواجب من واجبات البرنامج التربوي به ، فإنني أعتقد أن البرنامج يجب أن يكون مبنياً أساساً على واقعية الحياة اليومية ، وممارسة المبادىء الدينية البسيطة في أبسط أشكالها وفي وجهها الصريح ، أي يجب على الأطفال أن يمارسوا الحياة الاجتماعية في المدرسة ، يمارسوا المساواة ، يمارسوا ألا فرق بين طفل وآخر أو لون وآخر . وأن يدركوا أن تميز بعض الأطفال في الذكاء عن الآخرين شيء مقبول . أي إن **برنامج الأطفال يجب أن يؤكد على الحب والسلام في نفوسهم** ، والشرط الثاني الذي يجب أن يتوفر في برنامج توعية الطفل المسلم يمكن تصوره كالآتي :

ألا يكون البرنامج أصلاً مرسوماً على أساس برنامج غربي ، فالبرامج الغربية غالباً ما تكون مرسومة لتأكيد الاستقلال الذاتي والاقتصادي لدى الأطفال ، فمن الصغر ينمى لديهم كيفية اكتساب المال بأنفسهم ، وهذا ليس عيباً ، ولكن ليس هذا هو الهدف الأول من تربية وتوعية الطفل المسلم ، فالطفل المسلم نعلمه **الفرائض** أولا ، والأمانة والصدق **واحترام الوالدين** ، ويجب أن يتمكن من ممارسة كل هذه القيم بالمدرسة .

فإذا نشأ الطفل المسلم في بيئة مسلمة ، وكانت البرامج التي تقدم له واقعية وفيها علاقات إنسانية أصيلة ، مع إعطاء فرص بعد فرص في سن مناسبة ، فمثلاً لا نستطيع أن نجبر الطفل على الصوم وهو في سن أربع سنوات مثلاً ، ولكن يمكن في هذه السن أن نبث فيه معنى الصوم بصورة مبسطة .

وقد أكدت الدراسات النفسية ما دعى إليه الإسلام من **ملاعبة وملاطفة** الطفل في السنوات السبع الأولى ، **وتعليمه وتأديبه** ، في السبع التالية ، **ومرافقته وتشجيعه على النضج وتحمل المسؤولية** في السبع الثالثة .

ومن ناحية أخرى ، فمع الأسف إلى الآن لا توجد كتب صالحة مئة في المئة للأطفال المسلمين ، ولكن هناك محاولات جادة في بعض البلاد الإسلامية لتحويل المبادىء الدينية إلى كتب مبسطة وسهلة يمكن دراستها في السنوات الأولى من تعليم الطفل المسلم وتوعيته .

وأرى أن ننقل المعاني للأطفال لا الألفاظ فقط ، حتى نكون على مستوى إدراك الطفل المسلم ، فعلى سبيل المثال ، يمكن تعليم الطفل المسلم الصلاة ، عن طريق لوحة عليها خطوط مصورة ونجعله يقلدها إلى أن يستوعبها وينمو ، فعندئذ نعطيه المعاني المجردة

وقد أثبتت البحوث التربوية والنفسية أن كتب الأطفال يجب أن تكون مطبوعة بحروف كبيرة وغلافها مقوى نسبياً حتى يحتفظ بها الأطفال مدة أطول . أيضاً يجب أن تكتب مواد هذه الكتب حسب قواعد اللغة العربية ، وللأسف فكثيرة من كتب الأطفال حالياً تهمل هذا الجانب الهام» .

مواصفات كتب الأطفال

●● ويركز الدكتور عبد الله العجلان وكيل الرتب العام لتعليم العالي للبنات بالمملكة العربية السعودية على العقيدة الإسلامية في توعية الطفل المسلم ، من خلال الكتاب الذي نقدمه له ، فيقول :

«ينبغي أن يركز في توعية الطفل المسلم على العقيدة الإسلامية والقدوة الصالحة الخلقية المنبثقة عنها ، وعلى ممارسة **العادات الحميدة والآداب الإسلامية** ، وأن يؤخذ بالجوانب العملية أكثر من النواحي النظرية ، وأن يتم هذا كله بطرق تربوية وسيكولوجية سليمة مع استخدام وسائل التعليم والتوعية المجدية ، مثل **التليفزيون** ووسائل الايضاح والتمثيل وغير ذلك **مع الاهتمام بسير الأبطال والمصلحين** ، بما يتناسب مع أعمارهم ومستواهم العقلي **وتشويقهم إلى المثل العليا والآداب الرفيعة** ، وأن يتم هذا كله في جو طاهر بعيد عن كل ما يمكن أن يجذب آثار عكسية . فمثلاً هناك بعض الوسائل الإعلامية الهابطة التي تساهم في ايجاد جيل يقتله التمزق واهتزاز القيم .

وهناك موضوع آخر هام هو **كتب الأطفال** ، ومن أهم ما ينبغي أن تكون عليه :

١ - أن تنطلق في مواضيعها من تصور إسلامي سليم في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب والسلوك .

٢ - أن يكون وراء كل قصة هدف سام ونتيجة محددة قابلة للتطبيق في حياة الطفل .

٣ - أن نختار لها المواضيع في عبارات مناسبة .

٤ - حسن الإخراج وجمال الورق .

٥ - التنسيق بين وسائل الايضاح والصورة والإخراج .

٦ - أن تكون الطباعة بحرف (بنط) مناسب مع تغير الألوان وحسن الابتداء في كل موضوع أو معنى .

٧ - أن يكون طول الكتاب أو القصة أو قصرها متلائم مع قدرة الطفل على التركيز في سنه التي يقدم له الكتاب فيها ، وكلما صغر سن الطفل صغر حجم الكتاب أو القصة .

خاتمة وتعليق

من خلال هذه الآراء المختلفة تتضح أمامنا عدد من النقاط يمكن ايجازها فيما يلي :

★ تربية وتوعية الطفل المسلم مسؤولية في غاية الأهمية والخطورة وتقع على الأسرة أولا ، ثم البيئة والمجتمع .

★ في محكم التنزيل وفي السنّة النبوية الشريفة من الأحكام والأسس الخاصة بتربية وتوعية الطفل المسلم ما يكفي حاجة المسلمين ولكن الأمر يتطلب أن يعكف المختصون في هذا المجال على استخراج واستنباط هذه الأحكام بصورة وبأسلوب يسهل فهمه وتطبيقه .

★ الكتب والمؤلفات في مجالات تربية الطفل المسلم قليلة جداً بل تكاد تكون نادرة .

★ أن تربية الطفل المسلم وتوعيته من حيث الأسلوب والغايات والتكاليف الملقاة عليه حين يشب تختلف اختلافاً جوهرياً عن تربية وتوعية الطفل غير المسلم ، ومن الضروري التنبه لهذه النقطة وأخذها بعين الاعتبار حتى لا يستشري التهافت على المؤلفات الأجنبية التي تبحث في تربية الأطفال بصفة عامة والغريبة عن تراثنا والبعيدة عن عقيدتنا الإسلامية .

ومن المهم بصفة خاصة جداً أن تنشط أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية **في عام الطفل** (١٩٧٩م) ، على تبيان سبق الإسلام لكل النظريات والاتجاهات الحديثة في تربية الأطفال ورعايتهم وأن تقدم هذه الوسائل الإعلامية والأجهزة التعليمية على تشجيع نشر المؤلفات الإسلامية المختصة بتربية الطفل بتحفيز العلماء المسلمين المتخصصين في مجالات التربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى وأن يستفاد من مؤلفات علماء المسلمين الأوائل .

إن أطفال المسلمين اليوم هم دعاة الإسلام وقادته في المستقبل ، وإن توجيههم وتربيتهم تربية إسلامية صالحة سوف يكون لها آثارها الهامة على مستقبل الأمة والبلاد .

فؤاد سزگين وتاريخ التراث العربي

بقلم: د. عبد القدوس أبو صالح

كان أول ما رأيت **الدكتور فؤاد سزگين** عندما دعته **جامعة الرياض** في أوائل الستينات لإلقاء محاضرة فيها . وما هي إلا سنوات قلائل حتى ضمتني وإياه جلسة هادئة في أحد مرابع **استانبول** ، ليملي عليّ من مسودة كتابه في «**تاريخ التراث العربي**» ما سطره عن **الشاعر الأموي ذي الرمة** ، وما عرف من مخطوطات ديوانه التي كنت دائباً في التنقيب عنها . ثم تجدد لقاؤنا في استانبول مراراً ، إذ يممتها في لجنة منتدبة من **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** لتصوير بعض المخطوطات من مكتبات تركية . وقد أعقب ذلك استجابته لدعوة الجامعة ، ليلقي فيها سلسلة من المحاضرات في تاريخ العلوم . . . وكان أن توطدت الصلة بيني وبين هذا العالم الجليل ، واستمرت المراسلة بيننا ، لتزيدني معرفة بشخصيته الفذة ، وتقديراً لجهاده في تجلية التراث الإسلامي ، وتبيان أثره في تاريخ العلوم والحضارات الإنسانية .

ملامح ترجمته

ولد الدكتور فؤاد سزگين في **استانبول** سنة ١٩٢٤ م ، من أسرة تركية محافظة ، هيأت له نشأة إسلامية قويمة . وقد أتم مواصلة دراسته في **جامعة استانبول** إلى أن حصل على درجة الدكتوراه ، وكان موضوع رسالته تحقيق كتاب «**مجاز القرآن**» **لأبي عبيدة معمر بن المثنى** . ثم **نال درجة الأستاذية من ألمانيا** بتقديمه موضوعين مختلفين في الاختصاص ، **أولهما** دراسة مصادر البخاري رضي الله عنه ، **وثانيهما** تأسيس علم الكيمياء عند المسلمين .

وقد **مارس التدريس في جامعة استانبول سنوات كثيرة** ، وعكف خلال هذه السنوات على الاطلاع على كنوز التراث الإسلامي . على أنه ما لبث أن اضطر إلى الاستقالة من الجامعة إثر وشاية مبيتة ، لفقتها بعض العناصر الهدامة في الجامعة ذاتها ، مستغلة فترة الاضطراب السياسي في البلاد . وقد دفعه ذلك إلى مغادرة وطنه ، ليشغل وظيفة «أستاذ» **في معهد «تاريخ العلوم الطبيعية» التابع لجامعة فرانكفورت بألمانيا الغربية .**

ويعيش الدكتور سزگين الآن في إحدى ضواحي فرانكفورت ، مع زوجته الدكتورة هلالة أورسال سزگين ، وهي ألمانية هديت إلى الإسلام ، وتحمل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي . ولعل من الإنصاف أن نشيد بما تقوم به الدكتورة هلالة من كتابة المقالات في المجلات الألمانية رداً على افتراءات الصهيونية ، مع ما تقوم به من مساعدة فعالة لزوجها في أبحاثه العلمية ، وفي إنجاز مؤلفه الموسوعي في تاريخ التراث العربي ، وهو ما أشار إليه الدكتور سزگين في ختام مقدمته لكتابه قائلاً[1] : «إنه لتقصير كبير ، إذا لم أذكر ما قامت به زوجتي من مجهود ، فكل سطر وكل كلمة من هذا الكتاب تشهد بما قدمته من جلد وأفكار ، فالفهرست قامت به وحدها ، وفي الحقيقة أنه لولا مساعدتها ما كنت أستطيع تحقيق هذا العمل ، فإليها أقدم شكري العميق» .

وقد اختير الدكتور سزگين **عضواً في كل من مجمعي القاهرة ودمشق وفي معهد تاريخ العلوم بجامعة حلب** ، وهو يتمتع بمكانة عالية في الجامعات الغربية والهيئات العلمية الدولية ، التي تتنافس في دعوته لإلقاء محاضراته فيها ، أو الاشتراك في مؤتمراتها ، ولكنه يؤثر الاعتذار عن معظم الدعوات الموجهة إليه ، ليدخر وقته لكتابه الضخم . . إلا أن تكون الدعوة إلى **جامعة إسلامية** . . وقد اضطر في مناسبة معينة أن يعدد لي في رسالة مطولة عشرات الدعوات التي تلقاها خلال شهور متوالية ، واعتذر عن قبولها كلها ، ثم ختم رسالته بقوله : «صدقني . . إني لا أذهب إلى إلقاء المحاضرات إلا قليلاً جداً ، وحينما أذهب لإلقاء محاضرة في جامعة إسلامية فلأني آمل أني ربما أستطيع أن أقدم للمسلمين شيئاً لا يمكنني تقديمه إليهم في كتابي ، ولأني أعلم أنهم يقرأون قليلاً جداً» .

مؤلفات الدكتور سزگين

أما مؤلفات الدكتور سزگين المطبوعة والمخطوطة فأهمها ما يلي :

١) **تحقيق كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى** المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ، وقد طبع الكتاب في القاهرة في جزءين كبيرين .

ويقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** في هذا الكتاب[2] : «أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ، ولكن لم



★ فؤاد سزكين ★

يعني بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية » . ويقول فيه أيضاً أستاذنا **الدكتور شوقي ضيف**[٣] : « وظاهر عنوان الكتاب يوهم أنه صنفه في المجاز بالمعنى البلاغي والإصطلاحي ، وحقيقة الأمر أن كلمة المجاز عنده تعني الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة » .

٢) تحقيق كتاب « جامع معمر بن راشد » المتوفى سنة ١٥٣ هـ ، وهو أقدم جامع في الحديث النبوي ، وقد أنهى الدكتور سزگين تحقيقه لهذا الكتاب منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، وعهد به إلى أحد الناشرين في القاهرة ، ولكن الناشر حبس الكتاب لديه ، فلا هو يخرجه إلى النور ، ولا هو يعيده إلى صاحبه !

٣) « محاضرات في تاريخ العلوم » ، وهي سلسلة المحاضرات السبع التي ألقاها الدكتور سزگين منذ سنتين في زيارته لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، وهي قيد الطبع مع مقدمة ضافية لمعالي مدير الجامعة **الدكتور عبد الله التركي** ، وقد عهد إليَّ بإعداد هذه المحاضرات للطبع .

وتعد هذه المحاضرات المتنوعة مدخلاً إلى كتاب « تاريخ التراث العربي » وهي دليل شاهد على سعة اطلاع الدكتور سزگين ، ومدى إسهامه في إنصاف العلماء المسلمين .

وتتوالى عناوين المحاضرات كما يلي : مكانة المسلمين في تاريخ العلوم ـ تاريخ التراث العربي : أهدافي ومنهجي في إعداده ـ أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية ـ الشعر العربي القديم بين الأصالة والإنتحال ـ مكانة الفلكيين المسلمين في تاريخ علم الفلك ـ أثر الفلك العربي في أوروبا ـ مكانة العلماء المسلمين في تاريخ الآثار العلوية . وقد ألحق الدكتور سزگين بهذه المحاضرات لوحات مصورة لمخطوطين هامين : أولهما : « كتاب في معرفة آلات تعلم بها أبعاد الأشياء الشاخصة في الهواء » **للنيريزي** ، وثانيهما : « رسالة في المد والجزر » لمؤلف مجهول .

٤) كتاب **« تاريخ التراث العربي »** ، وهو الكتاب الذي وقف الدكتور سزگين حياته عليه ، ورشحته أكثر من جهة علمية وإسلامية لينال **جائزة الملك فيصل** ، وقد منحت له الجائزة عن جدارة واستحقاق ، مع أن الكتاب لم يكتمل بعد .

قصة « تاريخ التراث العربي »

ولهذا الكتاب الموسوعي قصة جديرة بأن تعرف ، وقد لخصها الدكتور سزگين بقوله[٤] : « لقد كنت أدرس في جامعة استانبول من سنة ١٩٤٢ م إلى سنة ١٩٤٧ م ، على المستشرق الشهير **ريتر** . وطالما سمعت منه أن كتاب **بروكلمان**[٥] لا يشمل الكثير من نوادر المخطوطات في مكتبات استانبول ، وهذا ما دفعني إلى التفكير في تذييل كتاب بروكلمان ، ومضيت في جمع المواد إلى سنة ١٩٥٨ م ، حيث بدا لي أن تذييل كتاب بروكلمان يجب أن توسع حدوده بناء على ثبت المخطوطات العربية في المكتبات المعروفة في العالم .

وابتدأت سعياً وراء تحقيق هذا الأمل بالقيام برحلات متعددة ، ثم شرعت في التأليف سنة ١٩٦١ م ، حيث تبين لي أن تذييل كتاب بروكلمان ليس له فائدة كبيرة ، وإنما يجب أن يجدد عمل بروكلمان بالاعتماد على المواد التي لم تكن معروفة لديه .

وفي سنة ١٩٦٥ م ، كانت مسودة مجلدين قد اكتملت لديَّ . . . وفي أثناء طبع المجلد الأول هداني التفكير إلى أن الكتاب يجب أن يكون مستقلاً عن كتاب بروكلمان ، ويجب عليَّ أن أهتم بتأريخ الفكر ، وبمسألة تطور العلوم العربية والإسلامية بقدر ما تتيح لي ذلك دراسات المتخصصين ودراساتي الشخصية » .

ويستأنف الدكتور سزگين عرض قصة كتابه وموقف **اليونسكو** منه ، فيقول : « وكانت هناك فكرة أخرى ، يشترك فيها معظم المستشرقين ، وهي أن عمل بروكلمان يجب أن توسع دائرة مواده حتى يشمل مخطوطات التراث العربي في العالم بأسره ، وهذا ما سعى إليه عدد من المستشرقين الأوروبيين والأمريكان . وفي **مؤتمر المستشرقين العالمي** الذي عقد في استانبول سنة ١٩٥١ م ، تولت إحدى اللجان دراسة هذا المشروع . . ثم نجحت اللجنة التنفيذية في أن تحصل سنة ١٩٦١ م ، على المساعدة المالية اللازمة من هيئة اليونسكو ، وعلم بعض المسؤولين بالمراحل التي قطعتها في كتابي ، فطلبوا من اللجنة التنفيذية أن تعترف بالعمل الذي أنجزته ، وأن تمنحني المساعدة التي قدرتها اليونسكو لأستعين بها في إتمام عملي ، وقد ألفوا لجنة من عدد من الأوروبيين والأمريكان لتنفيذ مشروع الكتاب الذي كانوا يهدفون إليه ، وذكروا في قرارهم أن المواد التي جمعتها ربما كانت مفيدة لهم في المضي في مشروعهم . واجتمعت اللجنة المشار إليها في سنة ١٩٦٤ م ، في مدينة **بروكسل** لاتخاذ القرار النهائي ، وكتبت إليَّ تسألني عن رغبتي في المضي في العمل ، أو مساعدتها بتقديم المواد العلمية .

وقد أجبت اللجنة أنني أنهيت تأليف المجلدين الأولين من كتابي ، **وأن هذا الكتاب ينبغي أن يؤلف في مرحلته هذه من قبل شخص واحد ، حتى يسوده فكر موحد منسجم دون تناقضات .**

وبناء على هذا ألغيت اللجنة السابقة دون أن تقبل بتقديم مساعدة اليونسكو إلي . وعلى الرغم من ذلك فقد مضيت في تأليف كتابي موقناً أن إيماني وحده هو المعين

الحقيقي الذي هو أقوى من كل العقبات والصعاب .

وإني لأذكر كم كانت السنوات الماضية شاقة ، وكم كانت الظروف قاسية ! .. ولقد كاد اليأس أن يدفعني إلى عدم الاستمرار في العمل ، لولا شعوري بأهمية المسؤولية التي تحملتها ، وهي مسؤولية أقوى من اليأس . وإني لأرى اليوم نعمة الله وفضله علي عياناً ، إذ أتممت طبع المجلدات الستة الأولى من الكتاب ، وأخذت في تأليف المجلد السابع » .

وقد تضمن **المجلد الأول** من « تاريخ التراث العربي » : علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة والتاريخ والتصوف ، وتضمن **ثانيها** : الشعر العربي ، ويضم ترجمة لألفي شاعر تقريباً مع استعراض إنتاجهم ، وتضمن **الثالث** : الطب والبيطرة وعلوم الحيوان ، وتضمن **الرابع** : علوم الكيمياء والنبات والزراعة ، وتضمن **الخامس** : علوم الرياضيات ، وتضمن **السادس** : علم الفلك وأحكام النجوم وعلم الآثار العلوية ، وتضمن **السابع** : علم اللغة والنحو والبلاغة والنثر .

ومن المنتظر أن يتضمن **المجلد الثامن** : علم الفلسفة والمنطق وعلم النفس والأخلاق والسياسة وعلم الاجتماع ، وأن يتضمن **التاسع** : علم الجغرافية والفيزياء والجيولوجيا والموسيقى ، أما **المجلد العاشر** فهو مدخل إلى العلوم الإسلامية ، إذ يتناول نشأة هذه العلوم وتطورها ، ويتحدث عن التجربة والنظرية والمشاهدة ، وعن خلقية النقد وأسلوبه ، وأمانة النقل لدى العلماء المسلمين ، والموازنة بينهم وبين الإغريق واللاتين في صفات الأمانة والدقة والاحتياط .

وتمثل هذه المجلدات كلها المرحلة الأولى من «تاريخ التراث العربي» التي تقف في سنة ٤٣٠ هـ ، وندعو الله تعالى أن يمد في حياة الدكتور سزگين ، وأن يهيىء له من عون المسلمين وتشجيعهم ما يساعده على إتمام المرحلة الثانية ، التي سوف تمتد إلى القرن الحادي عشر الهجري ، ليتكامل الكتاب في عشرين مجلداً إن شاء الله تعالى .

منهج متميز

استطاع الدكتور سزگين أن يجمع بين منهج السلف الصالح من العلماء المسلمين وبين المنهج العلمي الحديث ، حتى استقام له في كتابه منهج متميز ، يتصف بالواقعية والموضوعية ، ويجمع بين الشمول والوضوح . وقد وصف أحد العلماء الألمان هذا المنهج بقوله : « **ربما لا تجد سائر نظريات هذا المؤلف قبولا ، ولكن هناك حقيقة لا تخفى على القارىء : إن الكتاب يسيطر عليه من أوله إلى آخره إيمان هذا العالم بصحة ما يقول في انسجام كامل ، ووضوح لا يشوبه الإلتواء ، وهذا شيء لا يعرفه تاريخ العلم إلا نادراً** » .

وقد وصف الدكتور سزگين منهجه بقوله[٦] : « وأرى لزاماً عليَّ أن أصرح بأني اجتهدت في أثناء عملي أن أكون واقعياً منصفاً ، وأن أقتدي بما عبر عنه **البيروني** أحسن تعبير إذ يقول : « إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله في صناعته .. من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمهنة ، وتصحيح خلل إن عثر عليه بلا حشمة ، وتخليد ما يلوح له فيه تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان ، وأتى بعده » ـ القانون المسعودي ١/ ٤ ـ ٥ .

ويتابع الدكتور سزگين تأكيده على تحري الإنصاف بقوله[٧] : « **وإن آصرة الدين التي تربطني بالعلماء المسلمين ، ومحبتي لهم ، لم تدفعاني إلى أن أبالغ في ذكر ما قاموا به في تاريخ العلوم ، ولكنها حدتا بي إلى أن أبحث عن جهودهم واكتشافاتهم ، وأن أسر بإثباتها ، وأن أسجلها فقط.**

وكثيراً ما كنت لا أنجح تماماً في عرضها وبيانها ، وهذا ما كان يحصل أحياناً نتيجة لعجزي ، وأحياناً لتعبي ، وأحياناً بسبب تسرعي ، إذ أدركت أن العمر قصير أمام ضخامة العمل الذي تصديت له ، وكنت مضطراً إلى أن لا أطيل الوقوف عند مجلد مدة طويلة على حساب المجلدات الأخرى » .

ولعلنا نحس في هذا الاعتراف أو النقد الذاتي بما عهدناه في سيرة علمائنا الأوائل من تواضع جم ، يصل بهم إلى إنكار الذات ، كما نحس بعمق الإيمان بالله في قلب هذا العالم المسلم حين ينهي قصة كتابه بقوله[٨] : « **هذه خلاصة موجزة لعملي بتاريخ التراث العربي ، وحياتي معه ، وربما أشفقتم من هذه الحياة الشاقة ، ولكني أحس بيني وبين نفسي بأنني من أسعد عباد الله ، وهو الذي أسأله العون والتوفيق** » .

تقويم الكتاب

يكفي لبيان قيمة « تاريخ التراث العربي » أن نذكر ما قاله أحد المستشرقين في المؤتمر الذي عقد سنة ١٩٦٨ م ، في مدينة وورزبرغ WURZBURG بألمانيا الغربية[٩] : « **إذا كان كتاب بروكلمان قد حول الأنظار إليه سنوات طويلة ، فإن كتاب «تاريخ التراث العربي» سوف يكون كتاب القرن العشرين في الثقافة العربية وتصنيف التراث العربي الضخم** » .

وإنما جاءت شهادة هذا المستشرق وغيره في كتاب الدكتور سزگين بعد أن ثبت لهم أن كتاب بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ناقص جداً ، لأن صاحبه اكتفى بالرجوع إلى فهارس المخطوطات التي وصلت إلى يديه ، دون أن يكلف نفسه ما قام به الدكتور سزگين الذي زار المكتبات في أكثر من أربعين دولة في الشرق والغرب ، وأولها مكتبات مدينة استانبول التي تضم نحواً من مئة مكتبة ، ثم إن بروكلمان تعوزه الوحدة الموضوعية لأنه قسم كتابه إلى تقسيمات كثيرة زمنية وموضوعية وجغرافية[١٠] ، وأخيراً فإن بروكلمان لم يؤرخ للفكر الإسلامي في ميادين العلوم المختلفة ، ولم يناقش تطور هذه العلوم وآثارها الخطيرة في النهضة الأوروبية .. وكل ذلك قام به الدكتور سزگين بصورة رائعة ، ومن هنا قال **الدكتور فهمي أبو**

الفضل [11] : «ويمتاز هذا الكتاب عن الكتب السابقة ، وبخاصة كتاب بروكلمان ، بأن المؤلف راجع مواده ، وأصلح ما فيها من أخطاء ، وأضاف إليه معلومات جديدة ، مثل : تاريخ المخطوطة وعدد أوراقها أو صفحاتها ، وكذلك عدد أجزائها ، كما يعرِّف بمحتوياتها إذا كان اسمها غامضاً ، كما أنه اشتمل على المخطوطات التي ذكرها بروكلمان» . ويضيف إلى ذلك قوله [12] : «فهذا السفر إذاً ليس سفراً لعلوم فقط ، ولكنه سفر لعمل متواصل ومجهود ضخم . **وإذا قلنا : إن فرداً واحداً قد قام بعمله ، فربما تطرق الشك إلى نفوسنا ، لأنه يجب أن يكون عملاً جماعياً ، ولكن الواقع غير ذلك ، فهو عمل فردي ، بذل صاحبه أكثر من عشرين عاماً في جمعه وتنسيقه وترتيبه ، حتى ظهر في الصورة التي بين أيدينا»** .

صبر العلماء وعزمات الرجال

هذه قصة «تاريخ التراث العربي» ، وهي قصة جديرة بأن يقف عندها علماؤنا وأدباؤنا وطلابنا ليروا كيف يستطيع فرد واحد أن يحقق هذا العمل الكبير الضخم ، بإيمانه وتصميمه وتضحيته وصبره على شظف العيش ومدافعته اليأس دون أن يجد - إلى عهد قريب - من يسمعه كلمة التشجيع أو يمد إليه يد المعونة !

ومن هنا أجاز الدكتور سزگين لنفسه أن يخرج قليلاً عن صمته ليقول في مقدمة كتابه [13] : «وقد كان من الممكن أن يخرج هذا الكتاب في صورة أحسن وأكمل ، لو أتيحت لي فرصة الحصول على مساعدات مالية . فجل رحلاتي العديدة في أنحاء أوروبا ، وإلى شمال إفريقية ، وكذلك إلى الشرق الأدنى والأوسط ، حتى إلى الهند . . أنفقت عليها من مالي الخاص ، وكذلك ما تكلفته للعديد ممن ساعدوني ، وما دفعته ثمناً للمراجع والفهارس ، وتصوير المخطوطات ، واستخراج المقالات من المجلات العلمية» .

قلت : ومن هنا أيضاً أجزت لنفسي - وقد عرفت من حياة الدكتور سزگين ومعاناته ما عرفت - أن أفتح صفحة الآلام والآمال في حياة هذا العالم المسلم الذي كادت أمته أن تضيعه ! .

وهيهات أن أنسى تلك الجلسة التي جمعتنا في **حديقة المكتبة السليمانية باستانبول** ، تحت شجرة الصنوبر التي أفاءت ظلالها علينا وعلى الصديق **الدكتور صلاح الدين المنجد** ، فقد أراد الدكتور المنجد أن يمازح صديقه ، فقال له : «لا بد أنك أصبحت الآن من أصحاب الملايين بعد أن نشرت **مؤسسة بريل** ستة مجلدات من كتابك!» وارتسمت على وجه الدكتور سزگين أطياف ابتسامة حزينة حيرى ، ليقول بهدوء بالغ : «نعم . . لقد أصبحت من أصحاب الملايين» . . وكان من وراء هذه المحاورة العابرة أن أراد الدكتور سزگين أن ينفس عن صدره ، فحدثني عن شجونه وشؤونه في لقاءاتنا باستانبول والرياض ، وفي الرسائل المتبادلة بيني وبينه . وكان أن علمت قبل أن أقرأ في مقدمة كتابه قوله [14] : «وقد بذل السيد **فيدر** F. C. WIEDER **مدير دار بريل** للنشر جهداً كبيراً من أجل هذا الكتاب ، فلم يتأثر بالأصوات التي كانت تحذره من أن فرداً واحداً ، لا يستطيع القيام بمثل هذا العمل . ولم يثقل عليَّ ، وترك لي حرية التصرف ، وتكبد فوق تكاليف الطباعة مؤونة مساعدتي مالياً عند القيام بكتابة هذا الكتاب» .

وعرفت أن الدكتور سزگين لم يتقاض شيئاً على نشر كتابه بالألمانية ، كما لم يتقاض شيئاً على ترجمة الجزء الأول من كتابه إلى العربية . ومضيت أعادل في ذهني بين ناشر أوروبي ، يرهق نفسه بطباعة كتاب موسوعي ، ويتكلف مساعدة مؤلفه مالياً ، وبين ناشر عربي ، عهد إليه الدكتور سزگين بطباعة كتاب صغير في الحديث النبوي ، فحبسه لديه سنوات طوالا كما قدمنا ، وما يزال المؤلف يحاول جاهداً أن يسترد الكتاب .

وعرفت أن الدكتور سزگين يضطر مع قيامه بأعباء كتابه إلى أن يدرس نصاباً كاملاً في **جامعة فرانكفورت** ، ليحصل على راتبه ، الذي ينفق نصفه على شؤون أسرته ، وينفق نصفه الآخر على شؤون كتابه ومتطلبات تأليفه ، ثم ينفق من هذا الراتب أيضاً على طالب مسلم يدرس الطب ، ويريد أن يتفرغ لدراسة تاريخ الطب عند المسلمين .

ومع ذلك كتب إليَّ الدكتور سزگين - بعد استلامه مكافأة من جامعة الإمام محمد بن سعود على طباعة محاضراته - فقال : «اسمح لي أن أقول : إن كل الملاليم التي وصلت إليَّ ستصرف على الكتاب ، ولن يكون أي مبلغ يصرف أكثر من اللازم ، وربما تشاهد حياتي هنا في يوم من الأيام ، وتفهمها أحسن ! . . .» .

ولم يتح لي أن أشاهد حياة الدكتور سزگين كما أراد ، ولكني عرفت ممن شاهد حياته عن كثب أنه الوحيد في حيه الذي لا يملك سيارة خاصة ، وأنه يضيع كل يوم من وقته الثمين في وسائل النقل العامة ساعة في الذهاب ومثلها في الإياب ، حتى يصل من الضاحية التي يقيم فيها إلى معهد تاريخ العلوم في جامعة فرانكفورت .

وعرفت - وما أدري هل يجيز لي أن أتحدث بكل ما عرفت - أن زوجته وابنته قد تشتهيان ما تشتهيه النساء والبنات من الثياب وحلي بسيطة ، فيضن عليهما بالقليل من أجل الكتاب الكبير !!

ولقد كنت يوماً في غرفته بفندق اليمامة في الرياض ، فإذا به يخرج من محفظة سفره قطعاً منضدة من الجلد المدبوغ ، ويضعها بين يديّ قائلاً : «أتعرف ما هذا ؟» . فلما أجبت بالنفي ، قال : «إنها كعوب معدة لتجليد الكتب ، وإني أشتري منها كلما مررت بالقاهرة ، لأني أجلد كتبي بنفسي ، وتعينني على ذلك زوجتي وابنتي الوحيدة» . وأردف العالم الذي يأمل أن يوقظ المسلمين بكتابة تراثهم قائلاً : «ربما تساءلت كيف أجد الوقت لتجليد كتبي بيديّ هاتين ؟! . . ألا فاعلم أني أخصص كل يوم ساعتين كاملتين قبيل النوم ، أراوح فيهما بين تجليد الكتب وتعلم اللغات المختلفة» . . ثم عبرت شهور على هذا اللقاء لتصلني منه رسالة في العام الماضي ، يخبرني فيها أنه يتعلم **اللغة الروسية** تمهيداً لرحلته إلى روسية للاطلاع على مكتباتها . وخطر في بالي أن أحرجه ، فسألته : «كيف

ستتعلم هذه اللغة الصعبة ، ولما يبق على موعد رحلتك إلا شهور قلائل ؟ » . . وجاءني رده المقتضب : « لقد تعلمت اللغة الروسية بعد أن خصصت لها / ١٧ / سبع عشرة ساعة في اليوم لمدة / ٥٠ / خمسين يوماً فقط » .

وتذكرت أن هذا الرجل الذي **يتعلم الروسية في خمسين يوماً** قد تجاوز الخمسين من العمر بسنوات ، **وأنه تعلم قبل الروسية ما يزيد على عشر لغات قديمة وحديثة . وأنه يعمل / ١٥ / خمس عشر ساعة في اليوم** منذ / ٢٥ / خمس وعشرين سنة . . وهذا ما أعلنه في محاضرة عامة على رؤوس الأشهاد[١٥] ! . . ولقد ضمتنا مرة ندوة الصديق **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي** ، ودار الحديث عن ذوي الذاكرة القوية وعن الحفاظ المشهورين من قدماء ومعاصرين . وأثار الحديث حماسة الدكتور سزگين حتى أخرجه عن تواضعه إلى ما يشبه المنافسة ، فقال : « انظروا ! . . إن في ذاكرتي / ٢٥٠٠٠ / خمسة وعشرين ألف رقم ، ما أظن أني أخطىء في واحد منها ! . . » ولم أسأل الدكتور سزگين عن هذه الأرقام ، إذ كنت أعلم أن لديه / ٢٥٠٠٠ / جزازة بأسماء المخطوطات العربية ، و / ١٠٠٠٠٠ / جزازة لمواد كتابه ، و / ١٠٠٠ / ميكروفيلم وأن في مكتبته الخاصة / ١١٠٠٠ / أحد عشر ألف كتاب ! . .

الآمـال المنشودة

إن أكبر آمال الدكتور سزگين أن يعينه الله على إتمام المرحلة الأولى والثانية من كتابه الذي وقف له حياته ، وأن يرى كتابه مترجماً إلى العربية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية ، وقد كتب إليّ في إحدى رسائله قائلاً : « أرجو قبل كل شيء أن تبذل جهودك لأن يترجم كتابي بأقصر وقت ممكن ، فربما كان هذا من أهم أعمالك للمجتمع الإسلامي ، فالمئات من الرسائل تصلني كل سنة من الشرق ، تبين لي أنهم يحتاجون إلى هذا الكتاب أكثر من حاجتهم إلى الأشياء الأخرى ! . . » .

ويقول في رسالة أخرى : « إنني موقن أننا لا نستطيع أن نغير مستوى المجتمع الإسلامي إلا بإعطاء دراسات صحيحة عن تراث المسلمين » .

ويقول في رسالة ثالثة : « إنني أفكر أن تكون بعض محاضراتي لديكم في المهام الحالية والمستقبلة للأمة الإسلامية في نظر مؤرخ العلوم والحضارة الإسلامية . . وإن موقفي الخاص كشخص منكم ، يؤمن بما تؤمنون به ، يحبكم ويقبل منكم ، وقد أنعم الله عليه بدراسة العلوم والحضارة الإسلامية ، وهو يدرس هذه العلوم والحضارة للأوروبيين . . إن موقفي هذا يحملني على أن أتكلم أمامكم ، وأقدم إليكم ما عندي لأرى تغييراً إيجابياً في سنوات قليلة ، بقيت لي من عمري » .

ومن الآمال التي يتطلع إليها هذا العالم أن تنتدب جامعات المملكة وغيرها من جامعات العالم العربي والإسلامي عدداً من الطلاب النابهين ، أو تخصص بعض المنح لفئة من الطلاب المسلمين ليدرسوا تاريخ العلوم في المعاهد المتخصصة في أوروبا وأمريكا ، وليتخرجوا على يدي الدكتور سزگين ، ويفيدوا من خبراته وتوجيهه ورعايته . . وعندئذ يطمئن أنه سيكون بعده من العلماء المسلمين المتخصصين من يحمل الراية التي حملها وحده حتى الآن .

وينبغي أن نعلم أن جامعة فرانكفورت لم تخصص للدكتور سزگين إلا مساعداً واحداً ، وأنها قبلت بصعوبة بالغة أن تعيّن زوجته بنصف دوام ونصف راتب فقط لتعمل معه . وعلى هذا نقدر أنه لو توافر المال والمساعدون لاستطاع الدكتور سزگين أن يمضي قدماً في تحقيق المرحلة الأولى والثانية من كتابه ، ولشهد مشروعه متكاملاً أمام عينيه ، ولرأى كتابه كله مترجماً إلى لغة العرب الذين يحبهم ، وإلى لغات المسلمين الذين هو منهم وإليهم ، وسيتم ذلك إن شاء الله تعالى ما دام العرب والمسلمون بدأوا يعرفون الرسالة التي يؤديها نحو تراثهم العظيم .

وكثيراً ما سمعت شكوى الدكتور سزگين ، وعتبه على العرب والمسلمين لأنهم لم يقدروا عمله ، ولم يترجموه ، ولم يقرأوه ، وهو الذي يقول : « إني ما كتبت كتابي إلا لأخدم العلوم الإسلامية والمسلمين . . » . ولم أكن أملك عند سماعي عتبه وشكواه إلا أن أقول له : « إن الأمة التي تضيع أمثالك إنما تضيع نفسها . ولكن لا بد أن يأتي اليوم الذي يعرف فيه العالم العربي قدرك ، ويفيك المسلمون حقك » . . وحمداً لله أنه قد أتى ذلك اليوم الموعود ! . . **فها هي ذا جائزة الملك فيصل تقدم إلى الدكتور سزگين على كتابه « تاريخ التراث العربي » لتكون إيذاناً وإعلاناً أن قد بدأ العرب يعرفون : من هو فؤاد سزگين ؟ وماذا قدم لهم وللمسلمين جميعاً في كتابه العظيم .**

الهوامش

(١) مقدمة الجزء الأول من « تاريخ التراث العربي » ، ص ٥ ، (الترجمة العربية - الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٧١م) .

(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية ، ص ٣٥ .

(٣) البلاغة : تطور وتاريخ ، للدكتور شوقي ضيف ، ص ٢٩ .

(٤) كتاب « محاضرات في تاريخ العلوم » ، المحاضرة الثانية ، وهو قيد الطبع في جامعة الإمام كما قلنا .

(٥) هو كتاب « تاريخ الأدب العربي » ، وقد ترجمت منه إلى العربية خمسة أجزاء ، (طبع دار المعارف بالقاهرة) .

(٦) « محاضرات في تاريخ العلوم » ، المصدر السابق .

(٧) « محاضرات في تاريخ العلوم » ، المصدر السابق .

(٨) « محاضرات في تاريخ العلوم » ، المصدر السابق .

(٩) مقدمة الجزء الأول من « تاريخ التراث العربي » ، مقدمة الترجمة العربية (الصفحة س) .

(١٠) مقدمة الجزء الأول من « تاريخ التراث العربي » ، مقدمة الترجمة العربية (الصفحة ن) .

(١١) مقدمة الجزء الأول من « تاريخ التراث العربي » ، مقدمة الترجمة العربية (الصفحة م) .

(١٢) مقدمة الجزء الأول من « تاريخ التراث العربي » ، مقدمة الترجمة العربية (الصفحة س) .

(١٣) مقدمة الجزء الأول من « تاريخ التراث العربي » ، مقدمة المؤلف ص ٣ .

(١٤) « المصدر السابق » ص ٤ .

(١٥) « محاضرات في تاريخ العلوم » ، المصدر السابق .

رحلة في



كتاب

القصيدة بنصها





جمع وتقديم :
ستانلي بيرنشو

عرض وتحليل :
علي شلش

★ من الكتب الجيدة التي تظهر من حين لآخر كتاب صدر بالإنجليزية في أمريكا عام ١٩٦٠م ، ثم أعيد طبعه في طبعة شعبية في سلسلة «بليكان» الإنجليزية عام ١٩٦٤م ، وبعدها توالت طبعات اخر مختلفة الأحجام والأثمان .

عنوان الكتاب : «القصيدة ذاتها» أو «القصيدة بنصها» ومؤلفه - أو بمعنى أصح محرره - هو «ستانلي بيرنشو» الذي ولد بمدينة نيويورك عام ١٩٠٦م ، ودرس بجامعة بيتسبورج ثم عمل لفترة بعد تخرجه في حقل الإعلان ، ولكنه ما لبث أن حن إلى الدراسة فنال الماجستير من جامعة كورنل . وبعدها ، منذ عام ١٩٣٦م ، عمل بحقل النشر كمحرر مسؤول بدار درايدن حتى عام ١٩٥٨م ، ثم صار نائب رئيس مجلس إدارة دار هنري التي نشرت أولى طبعات كتابه هذا . وفي الوقت نفسه حاضر بجامعة نيويورك لمدة أربعة أعوام . ولكنه يصرف معظم وقته منذ سنوات في الكتابة والتأليف . ومع أنه نشر عدة أعمال نقدية إلا أنه معروف أيضا كشاعر ★

وقد عاون **بيرنشو** في جمع مادة هذا الكتاب وترجمتها ثلاثة من أساتذة الجامعات الأمريكية هم على التوالي : **ددلي فيتس** أستاذ اللغة الإنجليزية بأكاديمية فيليبس ، **وهنري بير** رئيس قسم اللغات ذات الأصل اللاتيني بجامعة ييل ، **وجون فردريك نيمس** أستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة **الينوي** ، وتتضمن مادة الكتاب أكثر من ١٥٠ قصيدة لنحو ٤٥ شاعراً أوروبياً ، أثبتها بيرنشو ومعاونوه في أصولها **الفرنسية والإسبانية والألمانية والإيطالية والبرتغالية والروسية** ، وزودوا كلاً منها بترجمة حرفية إنجليزية - **بيتاً ببيت وكلمة بكلمة** - مع التعليق والشرح والملاحظات عن صاحبها وطريقة النطق في لغته ، كما تضمن هذا العدد الحافل من الشعراء الأوروبيين المحدثين عبر ١٥٠ سنة أسماء بارزة مثل **هيلدرلين وريلكه** الألمانيين ، **وبودلير وفاليري وإيلوار** الفرنسيين ، **ولوركا وأونامونو** الإسبانيين ، **وليوباردي ودانونتزيو** الإيطاليين .

غير أن هذا كله ليس بيت القصيد في هذا الكتاب الذي يبلغ ٣٣٧ صفحة من القطع المتوسط ذي البنط الصغير ، وإنما بيت القصيد هو ما يثيره من قضايا تتعلق بالشعر والشعراء ، وهي هنا ثلاث قضايا على جانب كبير من الأهمية والخطورة .

١) قضية ترجمة الشعر .

٢) قضية الشعر الحديث .

٣) قضية الشعر كأداة للاتصال .

ولأهمية هذه القضايا الثلاث وخطورتها معاً ، فإننا نؤثر مناقشة كل منها على حدة ، مع التركيز على الجانب النظري ، نظراً لأن التطبيقات كلها غير عربية .

أولا ـ قضية ترجمة الشعر

كتب بيرنشو مقدمة الكتاب ، وفيها طرح قضية الشعر ، ويبدو أنه قد شغل بها منذ شبابه . فقد أشار في مستهل حديثه إلى مقال نشره قبل ثلاثين عاماً واقترح فيه أن يكون تذوق الشعر المكتوب بلغة لا يجيدها القارىء عن طريق تعلم السماع والنطق **(ولو بطريقة تقريبية)** للأصوات التي يحتويها النص الأصلي مع قراءة الترجمات الحرفية في الوقت نفسه . إذ إن الشعر جزء لا يتجزأ من اللغة النغمية **(أصوات القصيدة في لسانها الأصلي)** فكيف يمكن للمرء إذن أن يتذوق قصيدة إسبانية بلغة غير الإسبانية ، أو قصيدة فرنسية بلغة غير الفرنسية ؟ ويعلق **بيرنشو** على تساؤله هذا بقوله :

«لقد ظهر المقال في وقت كان المترجمون فيه يفعلون ما يحلو لهم : كانوا «يعيدون خلق النصوص الأصلية» ! ولم تكن الطبعات التي تضم لغتين قد أصبحت مألوفة بعد ، ولا كان تعريف **فروست** للشعر بأنه **«ذلك الذي يضيع من الشعر والنثر عند ترجمته» قد أصبح مألوفا أيضا» .**

غير أن بيرنشو ، طوال الثلاثين عاماً التي أشار إليها ، كان قد ازداد اقتناعاً بوجهة نظره ، فأخذ يطور الفكرة حتى استقامت في صورة منهج متكامل طبقه في كتابه هذا الذي نعرض له . يقول :

« أما بالنسبة للقارىء الذي يرغب في سماع ونطق النص الأصلي ، ولو بشكل تقريبي ، فلعلنا نرشده بأي عدد من النقاط المفيدة ، لا فيما يتعلق بالقافية والجناس والوزن والمطلع فحسب ، وانما فيما يتعلق بمظاهر التناسق والوقفات والانعطافات وألوان اللباقة الصوتية في التعبير مما يحتوي عليه النص . وحتى يكون المنهج صادقاً مع مقصده كان عليّ أن أوسعه حتى يصبح ترجمة حرفية مضافاً إليها التعليق ، وحتى يصبح مناقشة تهدف إلى تمكين القارىء من أن يفهم القصيدة وأن يبدأ **في تذوقها كقصيدة ...** لما أن يبدأ حتى يستطيع أن يغوص ما شاء له من الغوص . فالهدف هو أن نعينه على دخول القصيدة ذاتها » .

وينتقل بيرنشو بعد ذلك إلى مناقشة **ترجمة الشعر بالشعر** التي تعتبر نوعا من الترضية للقارىء الذي يفضل أن يقرأ الشعر شعراً ، حتى لو كان مترجماً . ولكنه يجد أن هذه الترضية غير كافية لعدة أسباب . فالترجمة الشعرية إلى الانجليزية مثلاً إنما تقدم تجربة في الشعر **الانجليزي** فحسب ، فهي تبعد القارىء عن الأدب الأجنبي وتضعه في أدبه الانجليزي ، كما تبعده عن النص الأصلي وتضعه في نص مختلف . وفور ابتعاده عن كلمات النص الأصلي يبتعد عن شعر هذا **النص** نفسه . لأن الكلمات هي التي تشكل القصيدة . والقصائد لاتصنع من الأفكار وإنما تصنع من الكلمات . وبغض النظر عن براعة الترجمة الانجليزية مثلاً لإحدى القصائد فستظل دائماً شيئاً مختلفاً ، وتكون دائماً قصيدة **انجليزية** . وهذا ما عناه **فروست** بقوله السابق وما تعنيه أيضاً أقوال أخرى مثل قول الايطاليين : **«المترجم خائن»** .. ! traduttore — traditore

ومن جهة أخرى يرى بيرنشو أن الترتيب الذي تصنعه الكلمات ليس أقل حسماً بالنسبة للمترجم من الكلمات نفسها . فحين تظهر الكلمات في سياق ما **(كما في القصيدة)** فإنها تشرع في بث المعنى بطريقة خاصة ، وتعمل مظاهر تفردها ، إذا صح التعبير ، بطريقة انتقائية . والوضع الذي تتخذه كل كلمة في علاقتها بالكلمات الأخرى هو الذي يؤدي إلى تضخيم أجزاء من مضمونها والتقليل من أجزاء أخرى . ومع ذلك فبعض المعاني يتراجع على حين يتقدم البعض الآخر ، ولكنها جميعاً تتسم بالنشاط إلى حد ما أيضاً ، ذلك النشاط الذي ينقل الغنى المتعدد الأشكال في الإحساس والفكر **(الايحاءات والغموض والتناقض ومستويات المعنى ، في المصطلحات المستخدمة حالياً .)** وهذا ما



عبر عنه **كوليريدج** حين عرف الشعر بأنه «**خير الكلمات في خير ترتيب**» ، وحين أبدى ملحوظته المشهورة عن «حالة الانفعال غير العادية مع الترتيب غير العادي» .

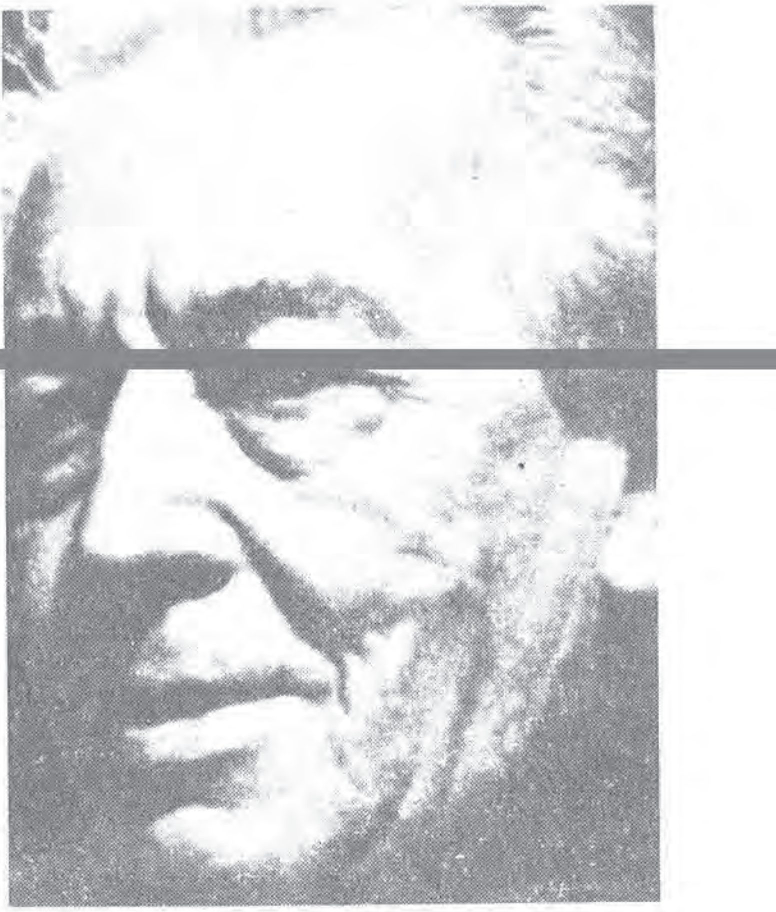
ويستطرد **بيرنشو** في حديثه قائلاً :

« إننا نتحدث اليوم عن العبارة أو الجملة المؤثرة ، التي يختلف ترتيب الكلمات فيها عن ترتيب الكلمات في النثر ، ونقول إن كل قصيدة هي تنظيم لعبارات كهذه . ولكن بعض النقاد يتجاوز ذلك فيقول إن كل عبارة مؤثرة هي مجاز إيقاعي ، والقصيدة هي سلسلة من المجازات الايقاعية Rhythmic Metaphors التي تثير استجابة بدنية في جسد القارىء ، في عضلاته الخارجية والداخلية . ولايتحرك معها العقل فحسب ، وإنما الجسد كله «**ويعكسان**» النمط الايقاعي للكلمات . ولا شك أنه من المستحيل أن يثير المترجم هذه الاستجابة بكلمات مختلفة وترتيب مختلف للكلمات . ولكن ، بغض النظر عن جميع الاتفاقات الحسدية ، هل يستطيع المترجم أن يفكر مجرد تفكير في محاولة أن ينقل إلى لغة مختلفة «**الترتيب غير العادي**» للكلمات الأصلية ؟»

وهو يرتب على ذلك نتيجة مؤداها أن ترجمة الشعر شعراً ليست هي السبيل الأفضل ، وأن منهجه في تعويد القارىء على تذوق الشعر في لغته الأصلية هو خير السبل المتاحة .

الحق ـ **كما سنلمس عند حديثنا عن القضية الثالثة** ـ أن بيرنشو وأصحابه قد بذلوا جهداً غير عادي في تذليل النصوص غير الانجليزية للقارىء الانجليزي . فهم قد زودوه ـ **فضلاً عن النص الأصلي** ـ بترجمة حرفية لكل بيت على حدة ، مع الشرح الوافي للكلمات والعبارات والايحاءات الخاصة ، وكذلك لخصوا له طريقة نطق الكلمات في اللغة المنقول منها النص ونظام العروض فيها . ولكن ، وبرغم هذا الجهد ، ألا يدعونا ذلك إلى التساؤل : **هل هذا يكفي للاستمتاع بالنص الأصلي في لغته الأصلية ؟ ألا يقتضي مثل هذا المنهج من القارىء الانجليزي نفسه قدراً لابأس به من الثقافة العامة ، ناهيك عن الثقافة الشعرية ؟** وإذا جاز ذلك في محيط لغات أشبه ببنات العم ، مثل هذه اللغات المتفرعة عن اللاتينية ، فهل يجوز في لغات بعيدة في أصولها كل البعد ، مثل الانجليزية والعربية ؟ صحيح أن بيرنشو قد أدخل الألمانية إلى منتخبه كما أدخل قصيدة واحدة بالروسية ، وكلتاهما بعيدتان إلى حد كبير عن اللاتينية ومشتقاتها ، ولكن يظل السؤال قائماً : هل هي متعة للخاصة ؟

الحق أيضاً أن تفنيده لدعوى ترجمة الشعر يحمل قدراً واضحاً من التبصر والمنطق والحكمة ، ولكن أليست ترجمة الشعر بالشعر مسألة اختيارية في النهاية ، لا يقدر عليها إلا قلة من الشعراء الموهوبين المثقفين ؟ لقد روى الشاعر الأمريكي الكبير الراحل **روبرت لويل** كيف أنه ترجم عدة قصائد **لباسترناك** دون معرفة سابقة باللغة الروسية ، وكيف عهد بالقصائد الأصلية إلى صديق له يجيد الروسية قام بترجمتها كلمة بكلمة ، ثم صاغها لويل صياغة شعرية . لقد فعل لويل ذلك بسبب إعجاب مفاجىء أحسه إزاء باسترناك وهو يقرأ له بعض ما ترجم من شعره ، فكان أن طالب صديقه بترجمة المزيد منه . وهذه حالة فردية بلا شك أساسها اختياري محض ، **فهل نحجبها ؟** لا شك أن بيرنشو لم يطالب بذلك ولكنه لا يرى فيها عدلا ، فما فعله لويل ينتمي في النهاية ـ بمنطق بيرنشو ـ إلى لويل نفسه ، وإلى اللغة الانجليزية ، لا إلى باسترناك أو اللغة الروسية . ولكن ألم يكسب لويل مؤثراً جديداً ؟ **ألم يكسب قصيدة أو عدة قصائد جديدة ؟ ألم يخرج**



★ أندريه بريتون ★

في النهاية بديوان كامل ضم إليه قصائد باسترناك وقصائد بعض الشعراء الآخرين ممن أعجب بهم؟ ألم يكسب تراث اللغة الانجليزية والشعر الانجليزي أثراً جديداً؟ وهل قضى ذلك كله في النهاية على قصائد باسترناك وغيرها أو على إمكان تذوق القارىء غير الروسي لها على منهج بيرنشو؟ الحق أخيراً أن هذا المنهج الذي اختطه بيرنشو لا غبار عليه، وإن هو في النهاية إلا باب جديد قد فتح أمام الشعر العالمي وقرائه المجاهدين، أو هو طبق جديد قد وضع على مائدة الشعر لتقديم الشعر بذوق معين. وهو منهج صار له اليوم طلاب مريدون كثيرون، فقد انتشرت منذ صدور هذا الكتاب منتخبات الشعر التي تطبع محتوياتها بلغتين أوروبيتين ولا سيما في الانجليزية.

ثانياً - قضية الشعر الحديث

الشعر الحديث .. عبارة تتردد كثيراً في الكتابات النقدية الأوروبية - **ولا سيما الانجليزية** - منذ ثلاثينات هذا القرن، وهي نفسها عبارة استوقفت جيشاً من المؤرخين والباحثين، حتى وصلت إلى بيرنشو فاستوقفته بدوره .. ولكنه نظر إليها نظرة تاريخية ووضعها في الإطار التاريخي الصحيح، وفحصها بدراسة مطولة، جاءت بعد مقدمته مباشرة، تحت عنوان «**حركات الشعر الحديث الثلاث**» يستهل هذه الدراسة الذكية المركزة بقوله:

«**لا بد لمن يفترض أن يعالج حركات الشعر الغربي الحديث الثلاث أن ينتبه إلى تحديد مصطلحاته، ولا سيما مصطلح «الحديث» فأنا أستخدمه بمعنى تاريخي يضم مساحة من الزمن ويوحي بالمناخ الفلسفي الثقافي الذي يحدد شعراء تلك الفترة**».

ويعتقد بيرنشو أن تجزئة أي عصر، ودراسة مشاهيره وأعلامه كل على حدة، أمر لا ينتج نتائج موضوعية مثل ما تتيحه دراسة العصر نفسه في مجموعه، أي دراسة شعراء العصر في مجموعهم باعتبارهم «**شركة مساهمة**». والعصر الحديث عنده يبدأ مع نشوء النهضة الصناعية وينتهي مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وهذا كما يقول يمثل مساحة زمنية عريضة أو هائلة إذ قيست بعصور محدودة مثل عصر **شعراء الثريا** Pléiade في فرنسا أو



★ بودلير ★

الشعراء الميتافيزيقيين في انجلترا.

لقد عاش شعراء العصر الحديث هذا، كما يقول **بيرنشو**، في ظل تأثير واحد لحضارة أعلنت الحرب على الطبيعة في معركة لا تنتهي بأقل من الاستسلام غير المشروط من جانب الطبيعة نفسها، وهذا ما كان. وها نحن، ما بعد المحدثين، الذين ظهروا عام ١٩٤٥م، لما بعدها، نتنفس روح حقبة مختلفة، وعلى عقولنا يلح فزع مختلف يدعونا للتساؤل: **لقد انتصر الانسان فكيف يظل حياً؟** إنه لم يعد منذ ذلك التاريخ يتصل بالباطن والجوهر بل ازداد اتصالا بالظاهر والعرضي، وأصبح يعبد الأشياء بعد أن اقتصرت عبادة الله على ذكره في أيام الآحد. ولكن هذا لم يكن ينطبق على الجميع، ولا سيما الشعراء. فكلما ازداد تركيز الناس الذين يحيطون بالشاعر على الواقع الخارجي ازداد هو تحولا إلى الداخل، داخل ذاته. وبينما كان رجل الصناعة يتقدم في معركته مع الطبيعة، ويبني المزيد من المصانع وينتج المزيد من السلع، ويجعل لكل ذلك أولوية الاهتمام، كان الشاعر لا يهتم إلا بذاته الباطنة، ويجعل منها عالماً من الارتياد الشخصي لا حدود له. وهكذا بعد غياب طويل، عاد إلى الشعر ضمير المتكلم. ولكنه عاد هذه المرة بقوة سيادية وروح جزم وتوكيد جديدة مختلفة كل الاختلاف عما عرفه العصر الأسبق. **وكان الالتزام بالذات، ذات الشاعر، هو الخاصية الأساسية لشعر هذا العصر الحديث. وهي خاصية ازداد اتساعها مع الزمن حتى صارت بلا حدود**. وهكذا إذا نظرنا بشكل إجمالي إلى التاريخ الثقافي الغربي في السنوات المائة والخمسين الماضية، لاتضحت الصورة وبدت شديدة التنسيق والقابلية للتصديق، فمن ناحية نرى إقليم المجتمع على اتساعه: **أي الواقع الخارجي للطبيعة بأسرها**، ومن الناحية الأخرى نرى إقليم الشاعر: الواقع الباطني للذات بأسرها، وكلا الإقليمين قد فتحا أمام الشاعر عملية اكتشاف واستغلال لا نهاية لها.

لقد انفتح ذلك الإقليم أمام الشاعر على يدي **الرومانتيكية** ثم جاءت **الرمزية** فكانت مجرد نمو ناضج للرومانتيكية نفسها، بل كانت كامنة منذ البداية في عدد من الأدباء الرومانتيكيين، ومن ثمة كانت أولى مرحلتين للحداثة ممثلتين في الرومانتيكية وربيبتها الرمزية. **فماذا عن الشعراء الذين جاءوا بعد ذلك؟** إن النقاد الفرنسيين يشيرون

إلى «**ثلاثة أجيال من الرمزيين**» ويوحون بأن السيريالية ، التي عاصرت الجيل الثالث من هؤلاء الرمزيين ، كانت تمثل تطوراً رمزياً بديلاً . والحق - **كما يقول بيرنشو** - إن القرن العشرين كان هو القرن الفرنسي من حيث إنه لم يوجد شاعر غربي ذو قيمة إلا وتأثر بالرمزية **والسيريالية** كما ظهرتا في فرنسا . **فماذا إذن عن القرن التاسع عشر ؟.**

كان نصفه الأول أيضاً امتداداً ماضياً لقرن فرنسا بشكل مباشر (**تمثل في كمية الشعر الممتاز الذي ساهم به الفرنسيون**) وبشكل غير مباشر سواء بسواء (**تمثل في تأثر الشعراء الأوروبيين بالروح التي أشاعها زملاؤهم الفرنسيون**) بل إن بعض الشعراء الفيكتوريين (نسبة **إلى عصر الملكة فيكتوريا في إنجلترا**) ممن يبدون بعيدين عن هذه التيارات كانوا هم أنفسهم نتاجاً للرومانتيكية . فلم يحدث في إنجلترا ولا في أمريكا أن تغنى شاعر ذو قيمة بقيم العصر الصناعي ، وإنما حدث العكس تماماً ، على الرغم من وجود بعض الحركات الهامشية مثل حركة المستقبليين في إيطاليا وحركة شعراء الوعي الاجتماعي في ثلاثينات وأربعينات هذا القرن في إنجلترا . ولكن التيار الرئيسي للشعر الحديث ظل يتدفق باستمرار من المنبع الرومانتيكي والرمزي ، ويشق طريقه على اتساع العالم الغربي محدثاً ثلاث حركات رئيسية . وينتقل بيرنشو بعد ذلك إلى دراسة الحركات الثلاث في هذا الشعر الحديث ، وأولها الحركة في «**تركيب الجملة**» (Syntax) ، وهي حركة حمل لواءها شعراء فرنسا ابتداء من الشاعر الرمزي الكبير **ستيفان مالارميه** الذي قيل عنه إنه «**لوى عنق البلاغة الفرنسية**» . وقد صنع في إحدى قصائده ، بعنوان «**القديسة**» ما لم يصنعه أي شاعر من قبل . إذ جعل القصيدة كلها جملة واحدة مكونة من ستة عشر بيتاً ، وجعل كل بيت مكوناً من ثمانية مقاطع ، ولم يستخدم فيها سوى ثماني شولات (،) وعلامة ترقيم واحدة ذات نقطتين (:) ، وكان **مالارميه** يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق نظريته التي نادى بها في «**ألا يصور الشيء وإنما أن يصور الأثر الذي يحدثه**» . وهذا نفسه ما تردد بعد ذلك في أشعار الكثيرين منذ **مالارميه** حتى اليوم ، على نحو ضيق أحياناً ، أو على نحو موسع لم يحلم به **مالارميه** نفسه في أحيان أخرى . فما أكثر ما تغيرت أجزاء الكلام وما أكثر ما أضيفت البوادئ ، واللواحق ، وقلبت الأفعال والضمائر والأحوال والصفات وحروف العطف إلى أسماء !

أما الحركة الثانية ، فقد تمثلت في «**العروض**» . وترجع أيضاً كسابقتها إلى الرمزيين الفرنسيين ، **فمالارميه وبودلير** اغرما بقصيدة النثر ، ولكنهما لم يجدا ما يدعو إلى الثورة على قواعد العروض الفرنسي الصارمة التي تقوم على العدد الثابت في المقاطع في كل بيت ووضع **الوقفة الشعرية** Caesura والتقفية الكاملة ، الخ . ولكن **رامبو** جاء فخرق قواعد العروض . ففي عام ١٨٨٦ م ، نشر أول قصيدة من الشعر الحر (كتبت عام ١٨٧٣ م) ، ثم تلاها بقصيدة أخرى . وبعدها حذا حذوه آخرون من بينهم **بول لافورج** ، حتى جاء عام ١٨٨٩ م ، فنشر الشاعر **فييل جريفان** ديواناً كتب مقدمته بنفسه ، وأعلن فيها صيحته المشهورة : «**الشعر حر**» وعندئذ بدأت المعارك الصاخبة بين القلة من أنصار الشعر الحر والأغلبية من أنصار القواعد التقليدية . ولكن أنصار الشعر الحر ما لبثوا أن نجحوا في إقرار دعاواهم ، وحقق خلفاؤهم في الأعوام الستين الماضية كل ما كان متعذراً تخيله فيما يتعلق بالبيت التقليدي . **ولا زال الشعراء الجدد في الفرنسية والانجليزية على السواء يدخلون على محاولات سابقيهم الكثير من التجديدات والتحسينات .** ولكي نتبين المدى الذي حققته حركة العروض هذه ما علينا إلا أن نقارن بين منظر الصفحة في دواوين الشعر عام ١٩٠٠م ، ومنظرها في دواوين عام ١٩٦٠م ، لا في الفرنسية والانجليزية فحسب وإنما في الألمانية والإسبانية والإيطالية أيضاً . وما علينا أيضاً إلا أن نلقي نظرة على المجلات التي تنشر الشعر في هذه اللغات لنرى إلى أي مدى سارت حركة العروض نحو النثر في بعض الأحيان ، ولكن بعيداً عن العروض التقليدية في معظم الأحيان . بل إن مصطلحاً مثل «**الشعر المتجه نحو النثر**» Prose-directed Verse أكثر ظهوراً في بعض اللغات مثل الفرنسية .

ولم تقتصر هذه الحركة العامة في العروض على القصائد ذات المؤلف المعروف ، بل تخطتها إلى الأغاني الشعبية وما يغنى بمصاحبة أحدث التيارات الموسيقية . وأصبح للقصيدة في كلا الاتجاهين ، **الفصيح والعامي** ، تراكيب متباينة في الصوت ونظام الجملة وما إلى ذلك . وأصبح تذوق القصيدة عملاً مختلفاً تماماً لا تلعب فيه المعرفة النقدية أي دور .

وأما الحركة الثالثة ، ففيها نواجه أقسى المعارك النقدية ، حيث تمثل الفوران في الاتصال الشعري بوجه عام وفي إشاراته بوجه خاص ، وحيث نلتقي بالنتيجة النهائية لقرار الشعراء بالتحول إلى الداخل ورفض العالم على اتساعه والانسحاب إلى عوالمهم الخاصة . ولأن الشاعر هنا دأب على الكتابة عن الكون الخالص في خصوصيته ، الذي صنعه



بنفسه ، فلا مفر من أن تبدو إشاراته وموضوعاته وتجاربه غامضة - **إذا لم تكن بلا معنى** - بالنسبة لنا نحن الذين نعيش خارج هذا الكون الخاص . وحتى إذا حاول القارىء النفاذ إلى داخل هذا الغموض لم يجد أي عون من الشاعر نفسه . فقد أصبح الشاعر يكتب ما يحلو له ، دونما أية عناية بمعنى إشاراته . غير أن هذا اتهام قديم للشعر والشاعر معاً ، ففي الإنجليزية نجد أغراض الغموض وتحبيذه منذ عصر **بن جونسون** في القرن السادس عشر . وكان **صامويل جونسون** يقول : **« إن كل أديب لا يكتب لكل قارىء »** ويتساءل بيرنشو : **أليس من من الواجب أن تنشأ ثغرة بين الطليعة وأولئك الذين في المؤخرة حتى تضيق المسافة أو تزول ؟** وإلا فكيف نفسر أن القصائد التي اعتبرت ذات مرة **« صعبة »** هي نفسها التي تعتبر اليوم **« سهلة »** ؟ إن الشعر صدق قبل أن يكون وضوحاً ، صدق عفوي فوري قبل أن يكون وضوحاً بارداً عقلياً . والشعر أيضاً شعور ، ولا بد أن يحتكم الشاعر إلى شعوره قبل أن يفكر في جمهوره . والغموض في النهاية ، يتضمن مشاكل اخلاقية خالصة ، لا يمكن أن يقررها أو يحلها إلا الشاعر نفسه .

هي حركة في فهم الشعر وتلقيه إذن ، كان من نتائجها تلك **« الصعوبة »** التي تسم معظم الشعر الحديث وهي حركة كان لها مظاهر فرعية . فمالارميه كان يقول : **« إن تحديد الشيء وتسميته يعني الاستغناء عن ثلاثة أرباع المتعة التي تتيحها القصيدة ، والتي تنشأ عن الارتواء بالتخمين التدريجي . أما الايحاء بالشيء وإثارته فهذا هو ما يسحر الخيال »** . ومعنى هذا كما يقول **بيرنشو** : إن الفرق بين التسمية والايحاء هو الفرق بين الاتصال بالقارىء ومنحه لغزاً كي يحله . أما مالارميه فكان يرى أن القصيدة لا بد أن تكون **« سراً يبحث القارىء عن مفتاحه »** ، وهكذا لم تعد الكلمات تصلح لتسمية الأشياء وإنما أصبحت أشياء في ذاتها ، أشياء مستقلة منفصلة عما قبلها وما بعدها ، ولكنها تنشىء فيما بينها داخل القصيدة علاقات ، وتقوم هذه العلاقات بإحداث أصداء جديدة وغير متوقعة للكلمات نفسها ، كما تؤدي إلى معان جديدة قد لا يدركها الشاعر نفسه وهو يلاحظ تفاعلها وحياتها الجديدة المستقلة . وعلى هذا الدرب سار **مالارميه** وتبعه تلميذه **فاليري** الذي كانت الصور عنده تنفصل عن اشاراتها وإيحاءاتها ، ولكنها تركز طائفة متنوعة من المعاني ، يكون على القارىء أن يجهد نفسه وثقافته واستجاباته في سبيل البحث عنها بين السطور .

ويضرب بيرنشو المثل على هذا التطور الرمزي بعدة نماذج من الشعر الحديث ، ومنها هذه الأبيات والصور :

* نحن أجفان الكهوف المهزومة - للشاعر الأمريكي **الن تبت** .

* شعر عظمة الوجنة القرمزية ، بين البوح وعدم البوح - للشاعر الإسباني **سيزار فاليخو** .

وقد كان من أثر ذلك أن تدخل النقاد بشروحهم وتفسيراتهم التي قد تدهش الشعراء أنفسهم . ولولا ذلك لضل القراء طريقهم !

ومن المظاهر الفرعية لهذه الحركة أيضاً مظهر آخر يعود إلى فرنسا وعدد من شعرائها الرومانتيكيين بصفة خاصة . وقد عبر عنه **جيرار دي نرفال** عام ١٨٣٧ م ، عندما تحدث عن رغبته في **« تكثيف سنوات الحزن والأحلام والمشاريع في جملة واحدة ، أو كلمة واحدة »** ، ولكنه لم ينجح في ذلك التكثيف والتركيز إلا في أواخر حياته ، حين كتب حفنة من القصائد حفلت بالرموز والاشارات التي لا يمكن فهمها بدون الرجوع إلى تفاصيل حياته كما صورها في سيرته النثرية الموزعة على المقالات والرحلات . وبالمثل نجد شاعراً آخر من ألمانيا هو **ريلكه** قد حير قراءه ، وأصبحت كلمات مثل : **الملائكة ، الليل ، النرجس** ، عنده تستدعي من الدارسين جهداً كبيراً لتذليل معانيها وإيحاءاتها للقارىء غير الملم بتفاصيل حياة صاحبها .

أما المظهر الفرعي الأخير لهذه الحركة في تصور الشعر وتذوقه فتمثله أصدق تمثيل قصيدة **« الأرض الخراب » لاليوت** ، حيث نلتقي بالاقتباس من التراث الإنساني ، وحيث نجد السطور الأحد عشر الأخيرة في القصيدة مكونة من فقرات وعبارات تنتمي لخمس لغات مختلفة قام الشاعر باستزراعها في شعره بنصها الأصلي دون ترجمة . ومن هذا الباب الذي فتحه اليوت على مصراعيه دخل العديد من الشعراء المحدثين إلى التراث الإنساني بنثره وشعره على السواء . ولم يكن ذلك في يدي اليوت نفسه أداة لمجرد الزخرف ، أو حتى إظهاراً للبراعة ، وإنما كان أداة لإحداث أصداء للمعنى ، بل وللشعور كما قال أحد دارسي الشعر الحديث .

وهذه المظاهر الفرعية الثلاثة للحركة في التصور الشعري تشترك في خاصية واحدة **هي الغموض** ، وإن كان غموض المظهر الأخير قابل للمداواة ببعض الجهد من الدارس في هداية القارىء إلى مصادر الاقتباس الأصلية كما يقول **بيرنشو** ، عن طريق الشرح **أو** الهوامش .



★ رينكه ★



★ غارسيا لوركا شاعر إسباني ★

لقد دخل **اللاشعور** إلى الشعر الحديث أيضاً فأقام فيه قلعة راسخة . وقد لخص الشاعر **جوستاف مورو** أثر اللاشعور في قوله : **« إني لا أؤمن بما أراه وإنما أؤمن بما أحسه . والمزاج الباطني وحده هو الذي يبدو لي خالداً ومؤكداً بما لا يقبل الشك »** ومن ثمة فقد فتح اللاشعور عالماً جديداً للشعراء وأتاح لهم واقعاً جديداً أيضاً ، أكبر من الواقع الخارجي نفسه ، من خلال مزج الواقع المحسوس بالحلم . وهذا ما جذب انتباه السيرياليين وتمثل لهم هدفاً يسعون إلى تحقيقه حين تجمعوا حول الشاعر الفرنسي **أندريه بريتون** في بيانه عن حركتهم عام ١٩٢٤ م . ولكننا إذا نظرنا إلى الموضوع نظرة تاريخية ، كما يقول **بيرنشو** ، نجد فإن السيريالية تصبح آخر المراحل الثلاث التي مرت بها عملية ارتياد اللاشعور ، والتي بدأها الرومانتيكيون ووسعها الرمزيون .

ويضرب بيرنشو أمثالا للصور السيريالية مثل :

● الخلود هو البحث عن ساعة يد / قبيل منتصف الليل عند الأرض المواجهة للماء - **للشاعر بريتون** .

● على الجدران المحلاة بالأوركسترات العاجزة / التي ترمي آذانها المصنوعة من الرصاص ناحية ضوء النهار / متيقظة لملاطفة ممزوجة بالصاعقة - **للشاعر ايلوار** .

في هذه الأمثلة وغيرها كما تقول **أنا بالاكيان** في دراستها عن **« السيريالية : الطريق إلى المطلق »** مما اقتطفه بيرنشو نجد المستحيل قد صار ممكناً وأن **« التركيب الجديد للكلمات يوجد بدوره تركيباً جديداً للوجود . . . حيث تقوم اللغة بعملية الايجاد ، وتجعل الحلم غير القابل للوصف أمراً واقعاً ، وتقيم أرض الميعاد وتمكن الانسان من اكتشاف المطلق »** ولكن بيرنشو يعقب على ما تقوله هذه الباحثة بأن مجرد القراءة لا يجدي هنا ، لأن القصيدة السيريالية تتطلب من القارىء قدرة نشطة على الإبداع .

غير أن شعراء هذه الحركة ما لبثوا أن تفرقوا بعد عشر سنين من الحماس والنشاط العنيف . **فهل كانت السيريالية إذن ضحية مبتسرة لخطر الحرب ، والفاشية في منتصف الثلاثينات كما يتساءل بيرنشو ؟ أم انها أجهدت نفسها ودخلت التاريخ بعد أن ساهمت في إثراء إنتاج أصحابها الذين هجروها ؟!**

لقد قال الشاعر الفرنسي **بول كلوديل** ، وقت ظهورها : إن **« هدف الشعر ليس كما قال بودلير أن يغوص إلى (أعماق اللامتناهي بحثاً عن شيء جديد) . وإنما أن يغوص إلى أعماق المتناهي لايجاد ما لا ينضب »** وبعد بضع سنوات قال الشاعر الأميركي **والاس ستيفنز** : **« إن الخطأ الأساسي للسيريالية هو أنها تبتكر وتخترع دون أن تكتشف »** وهذا ما يصدق على الحركات الأخرى في الشعر كما يقول **بيرنشو** .

ولكن إذا كان الشعر قد بدأ في التراجع عن موقفه المتطرف إزاء السيريالية ، فلم يكن ذلك كما يقول بيرنشو إلا وسيلة لتحقيق خطوة جديدة إلى الأمام : خطوة من نوع آخر ، بمساعدة المعرفة المتزايدة ، وبإدراك غير دفاعي للدرس الذي تعلمه . **وهو درس يعني أن ما كان لم يكن سوى بداية .**

والآن : **ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ ما الطريق الذي سار فيه شعر فترة ما بعد الحداثة ؟** يجيب بيرنشو على سؤاليه هذين بقوله :

« إذا لم يكن المرء مضطراً لتحديد البذور التي ستنمو والتي لن تنمو ، فإنه يجرؤ على تأمل بذور الزمن وبعدها يغمغم في غير شجاعة بأن الحركات كثيراً ما تحولت إلى نقيضها . فما تحقق في السنوات الخمسين بعد المائة الأخيرة لم يكن فوق هذا كله في طريق مسدودة ، إذ ماذا تبق للمحاولة مما تمت محاولته ؟ القليل ، ربما - أو ربما قدر كبير . ولكن أياً كانت المحاولة فلن يقدر شعراء ما بعد الحداثة على رفض العالم ككل ، إلا إذا تعلموا وسائل للهروب من الطبيعة التي قد تتعرض للابادة . لقد أفسح عصر القلق الطريق منذ بضع سنوات لعصر المسؤولية : وشعر هذا العصر الأخير لا يمكن أن يتفادى الطريق الرئيسية ، نحو مواجهة الذات التي إما أن تحقق سلطانها أو تموت » .

لقد عرض بيرنشو قضية الشعر الحديث في العالم الغربي - بما في ذلك أمريكا - عرضاً ذكياً ينم عن ثقافة وخبرة كما قد اتضح لنا . ومع أنه ركز في عرضه على الجانب الجمالي إلا أنه استطاع أن يستخلص من قصة الشعر الحديث عبر نحو ١٥٠ سنة أهم الخصائص التي تميزها .

نحن نعرف أن اللغة أداة للاتصال بين البشر . والشعر لغة كما نعرف



★ ت.س. اليوت ★

أيضاً ، فهو إذن أداة للاتصال ولكن ليس بين البشر على اطلاقهم ، وإنما هو اتصال بين فرد واحد هو الشاعر ، أو المرسل ، وبين البشر على اطلاقهم ، أو ما يسميهم علماء الاتصال المحدثون : الجمهور أو المستقبل . ولكي يكون الاتصال مثمراً لا بد من وضوح الرسالة كما يقول علماء الاتصال أيضاً ، وهذه مسألة نسبية في الشعر ، ولكن الوضوح الذي نقصده هنا هو قابلية اللغة في إطارها الخارجي للفهم ، أي من حيث إجادة جمهور المستقبلين لها . **فكيف نتوقع مثلا أن يحقق الاتصال غرضه من خلال قصيدة مكتوبة بالفرنسية موجهة إلى جمهور لا يعرف إلا العربية ؟**

ومنهج بيرنشو ، كما أشرنا في بداية حديثنا ، يقوم على « **القصيدة بنصها** » ، دون ترجمة ، وهذه هي المشكلة . فإذا كان القارىء الانجليزي يجد في النصوص المكتوبة باللغات ذات الأصل اللاتيني شيئاً من السمات المشتركة مع لغته ولا سيما في المفردات ، فلن يتوفر ذلك للقارىء العربي بالطبع ، وهذه هي المشكلة مرة أخرى ، ولكن لأن المنهج طريف فلا بأس من رؤيته في التطبيق . وقد اخترنا نصاً واحداً للشاعر الفرنسي **بول ايلوار** (١٨٩٧ ـ ١٩٥٢م) ، وهو شاعر كبير تقلب بين عديد من مدارس الفن ، ولكنه جعلها جميعاً « **تحت حكمه** » على حد تعبير **ابن رشيق** في « **عمدته** » ، وكان من أشد المؤمنين بالاتصال بالغير عن طريق الشعر ، إذ يقول : « **الفن والشعر لا يكونان ذا معنى إلا باعتبارهما وسيلة للقضاء على الحدود التي تقف بين العالم وذاتي وكذلك بين الآخرين وذاتي** » ، ويقول أيضاً : « إن الشاعر يجب عليه ألا يحدق في ذاته مطلقاً فرآته هي الآخرون » . وفضلاً عن هذه المعلومات فقد قدم بيرنشو للقارىء معلومات أخرى عن ايلوار قبل أن يقوم بشرح قصائده المختارة ، ومن هذه المعلومات أن الحب لدى ايلوار كان قوة جذب بالمعنى الذي كانت تعنيه كلمة (Eros) أو « **العشق** » في اللغة اليونانية . وهذه القوة مهمتها جذب شخصين في عناق يؤدي إلى ميلاد فهم جديد وأعمق . ومن هنا يتحرك الحب من عبارة « **أنا لك** » وقد قال ايلوار نفسه لامرأة في بعض شعره : « **إن حبي لك يعيدني إلى البشر كافة** » .

أما النص الذي اخترناه فهو نفسه أول قصيدة بدأ بها بيرنشو مختاراته لايلوار ، وهي بعنوان « **الملكة الماسية** » **أو الديناريه** La Damme de Carreau وهي من أوراق اللعب المثبت في أطرافها شكل « **المعين** » ذو الأضلاع الأربعة المتساوية غير قائمة الزوايا . وقد أورد بيرنشو نص القصيدة بالفرنسية فيما عدا بيتين رأى أنهما لا يضيفان كثيراً للقصيدة ، وها هي ذي بالعربية الحرفية :

في صغري فتحت ذراعي للطهارة . لم يك ذلك إلا خفق جناحين
في سماء وجودي ، إلا خفق قلب محب يخفق
في الصدور المغزوة ،
لم يعد من الممكن أن أسقط
إنه الحب للحب فالحق أن النور يبهرني .
إني استبقي بداخلي ما يكفي منه كي أنظر
إلى الليل ، كل الليل ، وكل الليالي .
إن جميع العذارى مختلفات .
وأنا دوماً أحلم بعذراء
أراها تجلس في المدرسة أمامي ،
وترتدي رداء أسود .
وحين تلتفت نحوي لتسألني عن حل مسألة ،
تبلبلني براءة عينيها حتى ترثي لاضطرابي ،
وفي مكان آخر أراها تتركني وتستقل باخرة .
لقد قال الورق إني سألتقي بها في الحياة ،
ولكن دون أن أعرفها .
إنه الحب للحب .

وبعد أن يورد **بيرنشو** النص كاملاً في لغته الأصلية على هذا النحو يبدأ في تقديم الشاعر للقارىء ، وبعدها يشرع في شرحه للقصيدة فيقول :

تعتبر قصيدة (**ملكة الماس**) من قصائد **ايلوار** النثرية القليلة جداً . وعنوانها يشير للتوقعات التي ولع بها السيرياليون في ذلك الوقت فراحوا يقرأون الطالع في أوراق اللعب أو المصادفات . أما **الملكة** ، التي تظهر في القصيدة في ثوب عذراء دائماً ، فتتمثل أولا في صورة تلميذة بمدرسة ، ثم مسافرة على باخرة ثم تتحول ، حين يحلم بنهاية العالم ، إلى رؤية مواسية ، ومثل هذه الرؤى تزود العاشقين من الرجال بالحب ذاته (**مثلما قال القديس أوغسطين عن نفسه في « اعترافاته » إني أحب الحب**) وكل مقطع من مقاطع القصيدة يستحضر صورة مختلفة للملكة ، كأنها سلسلة من الهذيان العفيف . والايقاع لا يحاول أن يقرب ذلك للشعر . فالجمل مباشرة ، تفرض على القارىء بصورة ملحة واقع أحلام الشاعر بما أسماه **فرلين** « امرأة مجهولة أحبها وتحبني / وليست على صورة واحدة في كل وقت / ولكنها لا تتغير تماماً ، وتحبني وتفهمني » .

ثم يأتي **بيرنشو** بترجمة حرفية لأبيات القصيدة وسطورها الفرنسية . وفي نهايتها يعقب عليها بقوله :

« **إن نهاية القصيدة تحمل لمسة حزينة ، وذلك أن هذا التجسيد للأنثى الطاهرة لا يبدو حقيقياً إلا في أحلام الشاعر** : فما هي إلا شبح من أشباح الليل » . وقوله : « **أعيدها إلى ضوء النهار** » يعبر عن استحالة كاستحالة مقاومة **أورفيوس** لإلقاء نظرة وراءه على **ايريديسي** . ومثل هذا الحب يحمل تطلعاً حنيناً أكثر مما يحمل تملكاً أنانياً . والحق أنها تجربة طريفة وممتعة في آن واحد أن تقرأ النص بلغته الأصلية ثم تقرأ شروحاً وحواشي عنه مع ترجمته الحرفية بلغتك . ومن اليسير بالطبع أن يكتفي قارىء مثل هذه التجربة بما ترجم وكتب بلغته . ولكنه إذا كان على شيء من الإلمام بلغة النص الأصلية فتلك هي المتعة الحقيقية ، متعة المقارنة ، واقتحام لغة أخرى ، واكتساب خبرة جديدة بالمفردات والتراكيب في أصلها . وبذلك تصبح القصيدة عندئذ أداة اتصال حقيقة بين الشاعر وقارئه .

موضوع خاص



★ رعاية الأمومة
عند القردة
فالصغير يلوذ
مطمئناً بصدر أمه ★

★ أحد صغار طيور الشادي ، يفتح منقاره للأم لإعطائه الطعام ★



سلوك الحيوان

بقلم : د. أحمد محمد غندور

★ أحد صغار السعدان وهو يعتلي ظهر أمه ★



★ زوجان من الطيور البحرية يتناجيان ★



الإنسان له اتصال وثيق بكل الحيوانات التي تعيش على وجه المعمورة . فهو يقتات بها .. وقد يسود عليها ويسخرها لخدمته .. وهي قد تفترسه أو تتطفل عليه بأن تعيش على أو داخل جسده أو تتنافس معه في البيئة .. لذلك اهتم الباحثون والعلماء بدراسة كل النواحي المتعلقة بحياة الحيوان .

ومن أطرف وأهم هذه الدراسات سلوك الحيوان .. فالحيوان ككائن حي يستجيب للمؤثرات النابعة من البيئة التي يعيش فيها أو من داخل جسمه كالتغيرات الفسيولوجية والكيمياوية . وهو يملك من التصرفات والأساليب الكثير الذي أذهل العلماء وعامة الناس !!

نوعية السلوك : وراثي أم مكتسب

عند ولادة أو وصول أي حيوان إلى الدنيا ، فلا بد من أن يتصرف بطريقة محددة تساعده على المعيشة في عالمه .. **صغار الشمبانزي** يرضعون من ثدي الأم حال ولادتهم . **وصغار العنكبوت** ينسجون بيتاً شبيهاً ببيت الأم من غير أي مساعدة أو رؤية الأم وهي تنسج بيتها .. وهناك أنواع مختلفة من السلوك تسيطر عليها الجينات وتلعب فيها الوراثة أو الغريزة دوراً هاماً .. ولكن هناك أنواع كثيرة من السلوك لا تورث وإنما يكتسبها الصغار ويتعلمونها من الكبار حولهم ... فلعب ولهو الصغار ما هو إلا محاكاة وتعلم من الكبار .. **عند عزل صغار الطيور عن الكبار من نوعها من الطيران فإنها تستطيع أن تحلق عند رميها في الهواء ولكن مقدرتها على النزول إلى الأرض والصعود منها ليست مكتملة .**

لذلك فإن سلوك الحيوان خليط بين سلوك غريزي وراثي وسلوك مكتسب .. وقد أجريت دراسات كثيرة عن مقدرة الحيوان على التعلم ومن أول هذه الدراسات كانت الدراسة التي قام بها العالم الروسي **بافلوف** على الكلاب ، إذ وجد أنها قد ربطت بين ميعاد تقديم الطعام وصوت جرس كهربائي .. وأجرى **كوهلر** دراسة عن **الشمبانزي** ، ولاحظ أن بإمكانها حل المشاكل المعقدة دون صعوبة فباستطاعتها وضع عدة صناديق على بعض للحصول على طعام بعيد عن متناول يدها .

أما العالم **يونج** فقد استطاع أن يعلم **الأخطبوط** التمييز بين الطعام المصحوب بإشارات وتيارات كهربائية .. وقد طور الإنسان هذه المقدرة عند الحيوان للتعلم ، فظهرت **الدببة والأفيال** التي تقوم بأعمال معقدة في السيرك .. وظهرت **الدرافيل** التي علمت كل شيء ، وأصبحت عروضها البهلوانية من أطرف وأمتع العروض في عالم الحيوان .

إن نجاح الحيوان في التعلم يعتمد على المقدرة الأساسية في الحركة وتعلم الحيل التي عادة ما يستعملها الحيوان في الطبيعة وغالباً في تجارب التعلم ، ويتم ذلك إما بمعاقبة الحيوان إن أخطأ في تعلم شيء ما أو بمنح حافز أو مكافأة إن نجح في القيام بالمطلوب منه .

التزاوج والغزل

التزاوج من أهم طرز السلوك عند الحيوان . فبواسطته تتم



★ وليد البطريق الملكي بين أرجل أمه ★

★ زوج من البجع في حالة مناجاة ★



المحافظة على جنس ونوعية الحيوان وبالتالي تساعد في منع انقراض الحيوان .. وقد يتم التزاوج طوال العام ، ولكن في أغلبية الحيوان هناك أوقات محددة يتم فيها التزاوج ، وخلال هذه الفترة تتم عدة طرق معقدة وصلت إلى قمة روعتها **عند الطيور** .. الذكر من الطيور يبدي جماله ورونقه للفت انتباه الأنثى والتزاوج معها ، فيملك الذكر ألواناً زاهية قد تنمو وتزدهر أثناء شهور التزاوج ، وقد يقوم برقصات وحركات استعراضية كرقصات النعام وطيور الجنة وطيور الحجل .

وكما في الطيور فعند أغلبية الحيوانات ، الذكر منها هو الذي يتغزل في الأنثى ويبدي مفاتنه ويحاول دائماً أن يحظى بها .. وعند الثدييات فإن رائحة الأنثى تجذب الذكر وتزداد شدة أثناء فترة التزاوج .. وفي أغلبية طرق الغزل فإن الأنثى دائماً تبدي رضاءها وخضوعها ، إلا أنه في بعض الأحيان تكون أقوى من الذكر الذي لا بد أن يحاول تفادي فتك الأنثى به .. فذكر البومة يعطيها هدية من الطعام قبل التزاوج .. أما **ذكر العنكبوت** فإنه يواجه موقفاً خطراً لأن الأنثى دائماً تحاول أن تفتك بكل من يقترب منها من الحشرات .... فذكر هذه الحشرات يقدم للأنثى هدية وهي عبارة عن ذبابة مغلفة بالحرير لجذب انتباهها بعيداً عنه أثناء التزاوج .. وقد يفلح وينجو بحياته إلا أنه قد يفشل وتنتهي حفلة العرس بمأساة بأن تلتهم الأنثى الذكر الذي يضحي بحياته من أجل المحافظة على نوعه من الانقراض !

رعاية الصغار

بعد عملية التزاوج تضع الأنثى البيض أو تلد الصغار . وتختلف رعاية الآباء بالصغار من حيوان إلى آخر .. فالحيوانات التي تضع الكثير من البيض **كالأسماك** أو الحشرات قد لا ترعى صغارها بالمرة .. أو تعطيها القليل من الرعاية كبعض أنواع **سمك القرش** الذي يضع بيضه داخل كيس في قاع البحر ويعرف بمحفظة عروس البحر !! أما بعض الأسماك فإنها تبذل رعاية قصوى واهتمام بالغ بصغارها .. وقد درست هذه الظاهرة في **سمك أبو شوكة** .. فالذكر من هذا السمك يبني عشاً في قاع البحر مكوناً من الأغصان والأعشاب وعند رؤية الأنثى تحوم حول العش فإنه يسبح نحوها ويظهر ألوانه محاولا إغراءها بدخول العش . وقد تستجيب الأنثى وتدخل جسمها داخل العش ، وعندها يجذب الذكر ذيلها وتستفزها هذه الحركة فتضع البيض داخل العش .. وبعدها فإن الذكر يمر داخل العش ويلقح البيض وعند فقسه ، فإنه يهتم بالصغار ويرعاهم حتى يكبروا .

بعض الأسماك الأخرى **كسمك الكاردينال** الاسترالي فإنه يحمل البيض والصغار في فمه ، ووصل عدد الصغار الذين يرعاهم بهذه الطريقة حوالي مئة وخمسين .

الحشرات لا تهتم بصغارها ولكن بعض العناكب مثل العنكبوت الذئبي يحمل البيض والصغار في خيط من الحرير متصل بجسمه ... والعقرب يحمل صغاره على ظهره .

بعض الحيوانات قد تتطفل على غيرها وتضع بيضها أو صغارها داخل أعشاش الحيوانات الأخرى .

فبعض الخنافس تضع بيضها داخل بيوت النمل الذي يتولى الرعاية بالصغار عند فقس البيض .. أما الطيور فمن أشهرها **طائر الوقواق وطائر البقر** اللذان يسببان الذعر لكثير من الطيور وضرب بهم المثل في التطفل .



★ العقرب .. تحمل صغارها على ظهرها طوال الأسبوع الأول من مولدهم ★

أما **الثدييات** فإنها تعطي صغارها رعاية شديدة ، فصغار القردة تعيش مع الأم لفترة ثلاث إلى أربع سنوات حيث تحملها الأم وتطعمها وتنظفها وتعلمها الكثير من شؤون دنياها في المستقبل .. **وصغار الأسود** قد يبقوا لمدة سنتين مع الأم حتى يتعلموا الصيد والدفاع عن النفس .. أما بعض **القوارض** مثل الجرذان فإن الصغير يكتمل نموه ويترك أمه بعد خمسة أسابيع فقط .

الدفاع عن النفس والسلوك العدواني

كل حيوان يحافظ على منطقة معينة في البيئة التي يعيش فيها ويحاول إبعاد غيره من الكائنات منها ونادراً ما يبدأ الحيوان العراك ، فهو يحاول في البداية إظهار عضلاته وبأسه فإن لم يتراجع المتطفل ، فيبدأ العراك الذي قد ينتهي بموت أحد الطرفين .

درست هذه الظاهرة عند بعض **الزواحف** ، فقد وضع الدارسون في **جامعة بورت ريكو** بعض السحالي داخل قفص في المعمل ووجدوا بأنه لا بد أن تكون هناك مساحة كافية لأي من الحيوانات لفرض سطوته عليها ، وعموماً فإن الزواحف قد تقاتلت حتى الموت .



★ صغار طائر البطريق ، يتدفأون من البرد بالاحتضان والتلاصق ★

ولوحظت هذه الظاهرة عند الجنادب والديكة وأصبح عراك هذه الحيوانات من الرياضات المحببة عند أهالي **الشرق الأقصى** .. وهناك عدة عوامل تؤثر على **السلوك العدواني عند الحيوانات** ، منها العوامل الكيماوية ، فقد لاحظ « الدكتور هويل » ، عالم النفس من **جامعة بريستون بأمريكا** بأن إضافة مادة **الكارباكول** إلى مخ فأر المعمل قد أثار فيه السلوك العدواني . أما **مادة الاتروبين** فإنها تقلل من العدوان .. وقد علق الدكتور هويل على هذه الظاهرة وتعجب إن كان الإنسان يملك مراكز مخية تسيطر على الغضب والعدوان وإمكانية السيطرة عليها بهذه الكيماويات .

★ صغار الخنزير البري حول الأم التي ترعاهم وتحميهم من الأعداء ★



بعض الحيوانات لا تملك المقدرة الجسدية للدفاع عن نفسها ، لهذا فهي تلجأ إلى عدة أساليب للدفاع عن النفس ، من أهمها التضليل فإنها قد تتلون بلون البيئة التي تعيش فيها **كالحرباء** أو بعض **أسماك القاع** ، أو قد تتماوت عند شعورها باقتراب العدو الذي لا يفتك بها لأنه لا يلتهم إلا الفريسة التي قد قتلها .. بعض هذه الحيوانات كالحشرات يتشابه مع الأشياء الجامدة المحيطة حوله كالأغصان أو الأعشاب أو الزهور .. أما البعض فإنه يربك العدو فيقفز فجأة في كل الاتجاهات أو يصدر أصواتاً عالية أو يفقد أجزاء من جسده كذنب السحلية ... أما بعض الحشرات السامة فإنها تملك ألواناً زاهية للإعلان عن الخطر حتى تتفاداها الحيوانات الأخرى .



★ مجموعات من الايل أثناء الهجرة السنوية في موسم الشتاء ★

التنظيمـات الاجتمـاعية

قد تعيش الحيوانات في مجموعات ضخمة تختلف من حيوان إلى آخر في تنظيمها .. فقردة الحيون تعيش في مجموعة كبيرة مكونة من عائلات صغيرة من الأم والأب والصغار مستقلة بذاتها وليس تحت لواء قائد .. ونفس الشيء عند **البجع والأوز** .

ولكن قد تكون المجموعة منظمة أكثر من ذلك بأن يوجد قائد يتولى سيادة القطيع الباقي من الذكور والإناث والصغار الذين يتبعونه .. مثلاً **قردة السعدان** تعيش في مجموعات مكونة من أربعين إلى ثمانين قرداً يتولى قيادتها أكثر الذكور قوة وبأساً .

وأكثر التجمعات الحيوانية نظاماً تلك التي توجد عند الحشرات كالنمل والنحل والزنبور .. فالمجموعة مكونة من ملكة تسيطر على الجميع بفرز مواد كيماوية ... وهذه التجمعات تساعد الحيوانات على المعيشة في البيئة .

وقد أجرى العالم كالهون من **جامعة روكفلر في أمريكا** ، تجارب عن تجمعات الحيوانات ولاحظ بأن وضع **الفأر النرويجي** تحت ظروف مناسبة ولكن في حيز ضيق نتج عنه عراك شديد وعدم الإنجاب وعدم الاهتمام بالصغار حتى أن عدد الفئران نقصت وتدهورت .

وعند إنشاء جبلاية للقرود في **حدائق الحيوان بلندن** لم يكترث العلماء لظاهرة التنظيمات الاجتماعية ووضعوا عدداً كبيراً من الذكور والإناث في قفص واحد ، ونتج عن ذلك معارك ضارية أدت إلى تقطيع الإناث إرباً إرباً ، ونقص رهيب في عدد القردة .



★ ذكر الطاووس الهندي يستعرض جماله في محاولة لجذب انتباه الأنثى ★



★ الشمبانزي ، تمد يد الرعاية إلى الصغير الملتاع القلق ★

★ صغار الاسماك ، وهي تسبح حول فم الأم حيث تحتمي بها وقت الخطر ★





★ بعد هذه المعركة بين ذكري الظباء، يتحدد قائد القطيع ★

إلا أن هناك بعض الأنواع من الحيوانات التي تتجمع أثناء فترة التزاوج فقط وعند انتهاء هذه الفترة فإنها تعيش حياة منفردة .. وأغلبية **الطيور البحرية** تتجمع أثناء فترة التزاوج وتحتل كل أنثى مكاناً محدداً ترجع له كل عام، ومن أهم هذه الطيور، **طائر البطريق الملكي** الذي تصل أعداد تجمعاته إلى مئة ألف أثناء فترة تزاوجه.

التـــواصـــل

اهتم عامة الناس والعلماء بلغة الحيوان وبطريقة اتصالها ببعض، وحتى الآن لم تفهم حقيقة هذه اللغة المتباينة الدقيقة التي تستعمل فيها الأصوات والإشارات والكيماويات، فمن الحيوانات تستعمل الأصوات كالطيور، أما الخفاش وبعض الفراشات وبعض الحيوانات البحرية **كالدرفيل والحوت**، فتستعمل الصدى، ومن الحيوان ما يستعمل الألوان والإشارات والحركات **كالنحل** الذي درس بدقة من قبل العالم الألماني **كارل فون فرش** الذي سماه «**لغة النحل**» لدقته، فالنحل يوصل كل المعلومات إلى غيره في الخلية بالحركات الدقيقة المعبرة.



★ معركة بين فيلين ★

ومن أهم الحيوانات التي تستعمل الكيماويات الحشرات التي تنتج مادة كيماوية تسمى **الفيرمون** وتسيطر على التنظيم الاجتماعي للمستعمرة .. ومن الأسماك ما يستعمل الموجات الكهربائية في التواصل .. ولكن حتى الآن لم نفهم لغة الحيوان، وربما نرى في المستقبل وصفاً دقيقاً لها قد يساعد الإنسان في الاتصال بالكائنات الحية التي تعيش معه على وجه المعمورة !!

الإنســان والحيـوان

★ عائلة من قرود السعدان في غابات إفريقيا ★



منذ آلاف السنين والإنسان ينظر إلى الحيوان حوله .. يعجب به أو يرهبه .. فقد وجد في كهوف **جبال الألب** جماجم دببة مدفونة في صناديق حجرية .. أما في **مصر القديمة**، فقد قدس الناس **التماسيح والثعابين** وكانت آلهة **الفراعنة** نصف إنسان ونصف حيوان كأبي الهول ... وحتى عند **الإغريق** فإن الإلياذة تحوي العديد من الآلهة على شكل حيوانات.

أما الشعراء والأدباء فقد كتبوا الكثير عن الحيوان وهو في صورة إنسان وله مفاهيم الإنسان من الخير والشر .. فقصص الشاعر الانجليزي الشهير **كبلنج** حافلة بكل ذلك ... أما أعظم وأشهر من جسد الحيوانات في شكل الإنسان وأوجد لها عالمها الخاص فهو الفنان «**والت ديزني**» الذي ملأ الدنيا فناً وشهرة بحيواناته المثيرة التي طالما ألهمتنا ونحن صغار والتي نرجع لها الآن ونحن في ريعان الشباب نسبح في عالم الخيال والجمال.



★ الإسهام في تثقيف الطفل العربي ، يتلون وفق البرامج التي تقدم بشكل فني ، يجمع بين المعرفة والمتعة الثقافية ★

الطفل والإذاعة

بقلم : عبد التواب يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾

« صدق الله العظيم »

« سورة النحل ـ آية ٧٨ »

كثيرة تلك البحوث والكتابات التي تتناول قضية الطفل والإذاعة .. بعضها يتجه نحو الأمور النظرية والأكاديمية والبعض الآخر يمضي نحو الدراسات الميدانية ، وهذه الدراسات قد تكون من زاوية البث والإرسال ، وقد يقتصر اهتمامها على التلقي والاستقبال .. على أننا هنا نقدم « محاولة » نأمل أن تكون شاملة ، تجمع بين الأسس النظرية ، والممارسة العملية ، وتهتم بالبرامج وإعدادها من جانب ، ولا تغفل الجانب الآخر ، وهو المستمع والمشاهد .. خاصة وقد زادت



★ الإذاعة المرئية تستطيع أن تدخل البهجة إلى قلب الطفل العربي وتضيف إليه أيضاً الكثير من المعلومات ★

نسبة جماهير الأطفال في وطننا العربي ، حتى انهم بلغوا قرابة ٤٠٪ من عدد السكان ، لا تستوعبهم المدارس بالتالي ، ولا نظن أن أجهزة الإعلام والثقافة تستطيع أن تصل إلى هؤلاء الذين لا مكان لهم في حجرات الدراسة ، ولا نحسبها تبث برامجها للذين يتسربون منها .

ولكن هذه الأجهزة ولا شك تشارك المدرسة والبيت والمجتمع في تشكيل مفاهيم أطفالنا ، ومداركهم ، وأصبح لها عليهم تأثير كبير ، تحتاج معه إلى بذل جهد حقيقي لكي تؤدي وظيفتها بكفاءة واقتدار ، ولكي تحقق الأهداف المنوطة بها ، وما من سبيل لذلك إلا أن تكون هذه البرامج ملائمة ومتوائمة مع الأطفال الذين يستمعون إليها ويشاهدونها . . **إن جهاز الاستقبال يجب أن يتلقى البرامج المرسلة على الموجة الصحيحة ، والقناة السليمة ، كذلك الأطفال يجب أن يكونوا على استعداد لهذا التلقي من ناحية نضجهم العقلي والوجداني والاجتماعي من أجل الاستمتاع والاستفادة بما يقدم إليهم . . ومن هنا لا بد من دراسة عميقة لخصائص هذه الأجهزة ، والافادة لأقصى حد من إمكاناتها وقدراتها ، مع دراسة أخرى لخصائص الأطفال ونموهم واهتماماتهم ، حتى يلتقي هذا بذاك ، وتتحقق الفائدة المرجوة من أجهزة الثقافة والإعلام ، أخطر أجهزة العصر ، وأكبرها أثراً على الأجيال الناشئة .**

أهداف الإذاعة

لقد انتشرت أجهزة الإذاعة المرئية والمسموعة انتشاراً واسعاً ، وأصبحت موضع اهتمام الجماهير ، ومنذ وقت بعيد وهي توجه البرامج الخاصة للأطفال ، إذ أدرك المسؤولون أن الإذاعة وسيلة فعّالة للتلقي والاستمتاع كما أنها أسلوب علمي عملي لتثقيف العين ولتربية الأذن وتدريبها على الاستماع فضلاً عن قدرتها على إثارة الخيال وتثبيت الحقائق ، والمواد التي تقدم عن طريق الإذاعة تستهدف غالباً :

● **أولا** : امتاع الطفل **والترفيه** عنه وتسليته وإشباع رغباته في الاستمتاع بالأغنية والموسيقى والكلمة الحلوة إلى جانب شغل تفكيره ومشاركته في الكثير مما يقدم له مشاركة إيجابية في بعض الأحيان ، وبذلك نستثمر وقت فراغه فيما يعود عليه بالمتعة والمنفعة .

● **ثانياً : إعلام** الطفل بما يدور ويجري من حوله في عالمنا الواسع ، ليواكب العصر ويعايش الأحداث ويتابع أنباء الدنيا والعالم بقدر ما يستطيع تدريباً له على المشاركة فيها وصنعها في المستقبل .



★ هناك مشقة بالغة لجذب الأطفال للإذاعة المسموعة .. ولذلك لا بد من الاستعانة بالكلمة الحلوة والنغمة العذبة والحكاية المثيرة ★

● **ثالثاً :** التعاون مع البيت والمدرسة في **تعليم** الطفل وزيادة معرفته وتيسير البرامج الدراسية عليه وتدريبه على الاستذكار وتلقي المعلومات وهي بهذا الدور واحدة من أروع الوسائل التعليمية ، بشرط الا نحولها إلى حجرة دراسة جديدة ، بل لا بد من استثمارها كشيء ممتع للإفادة منها في مجال التعليم وفي زيادة المعرفة .

● **رابعاً :** المساعدة على **تربيته وتوجيهه** للسلوك الطيب وتعويده على الأخلاقيات الحميدة وتمثل القيم الإنسانية والسلوكية التي تجعل منه في المستقبل مواطناً صالحاً ، دون أن نلجأ إلى أسلوب الوعظ والارشاد ، ومن غير أن نلح على الطفل بالنصح المباشر الممل .

● **خامساً :** الاسهام في **تثقيفه** ثقافة واسعة عريضة تتلون وفق البرامج التي تقدم بشكل فني يجمع بين المعرفة والمتعة والثقافة والتربية في شتى المجالات ، فما من شيء إلا وتستطيع الإذاعة مرئية ومسموعة أن تضيف إليه الكثير وأن تضفي عليه ألواناً من البهجة والإثارة .. والثقافة هنا أشمل من المعرفة وأوسع ، ولا نعني حشر ذهنه بالمعلومات ، بل مساعدته على أن يستوعب علماً وقيماً يسلك على ضوئها .

كما أن الإذاعة تسعى إلى تدريبه على تذوق الجمال سواء أكان ذلك موسيقى أو أغنية أو كلمات .. وهناك أهداف أخرى فرعية غير أنها قد تندرج تحت البنود السابقة كأن تقوم الإذاعة بالنسبة للأطفال بدورها في المجالات القومية والوطنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن تنمية الوعي في شتى أمور الحياة ، وفتح أعين الأطفال على عالم يموج بالصراعات ، دون أن ندفعهم بعيداً عن طفولتهم في سن مبكرة ، فإنهم إن لم يعيشوها كان لذلك أسوأ الأثر على نفوسهم مستقبلاً .

الوســائل

إذا كنا قد حددنا الأهداف من الإذاعة ، فلا بد لنا من تحديد الوسائل التي تيسر لنا تحقيق هذه الأهداف ، خاصة والإذاعة تعتمد على حاسة واحدة هي السمع ، والإذاعة المرئية تضيف الصورة والحركة .. وهي تشد الأطفال إليها بشكل كبير .. ونحن نعرف أن الأطفال لم يكتمل نموهم العقلي واللغوي بعد ، لذلك فإننا سوف نجد مشقة بالغة في اجتذابهم للإذاعة المسموعة ، اللهم إلا إذا استعنا على هذا بالأغنية الحلوة والنغمة العذبة والكلمة الجميلة والحكاية المثيرة .. ولعل خير ما يمكننا أن نفيد منه بالنسبة للتقنية الإذاعية وفنونها أن نرجع إلى **دائرة المعارف البريطانية** بحثاً عما تعنيه « **الإذاعة** » .. إنها تقول :

«تتطلب تقنية الإذاعة الصوتية جهداً كبيراً في استخدام العناصر الجوهرية المجردة لنظم الارسال والاستقبال اللاسلكي ، ويلزم توفير تسهيلات ليس فقط للأداء الفعلي الخاص بالبرنامج ، ولكن أيضاً بالنسبة للتجارب (أي البروفات) التي تسبق الإذاعة الفعلية لكل برنامج . ويمكن تقسيم المراحل العديدة التي تقع ما بين المؤدي الذي يقدم لنا البرنامج الإذاعي وبين المستمع وفقاً لتسلسل أعمالها إلى :

١ ـ الاستديو (أو الإذاعة الخارجية) .

٢ ـ الميكروفون (أي ناقل الصوت ومكبره) .

٣ ـ المازج (أي ضبط الصوت) .

٤ ـ غرفة المراقبة الرئيسية .

٥ ـ خط ربط الموجات الدقيقة .

٦ ـ محطات الارسال . . وصولا إلى جهاز الاستقبال .

ولا تختلف برامج الأطفال عن غيرها في سبل وصولها للمستمع الصغير . . ولكننا في حاجة ماسة إلى تيسير اقتناء الصغار لجهاز الإذاعة المسموعة ، خاصة في **الريف** ، ولدى **البدو** . . وتيسير مشاهدة برامجهم في الإذاعة المرئية . وكل الإذاعات ـ**مسموعة ومرئية**ـ تخصص برامج للأطفال ومن البديهي إنه إذا كان لهذه البرامج أن تؤدي وظيفتها بكفاءة لا بد أن تجري عملية موائمة بين طبيعة الوسائط الإذاعية التليفزيونية من جهة ، وطبيعة الطفل المتلقي من جهة ثانية .

وأول ما ينبغي أن نهتم به هو : **ما مرحلة النمو التي نقصدها عندما نعد برنامجا إذاعياً أو تليفزيونياً للناشئين . هل نقصد مرحلة الرضاع والطفولة المبكرة التي تمتد من الولادة إلى السادسة من العمر ؟ أم مرحلة الطفولة الوسطى التي تمتد من السنة السادسة إلى الثانية عشرة من العمر ؟ أم مرحلة البلوغ والمراهقة من الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة ؟**

والسؤال الثاني الذي يعنينا هنا هو : **ما دور برامج الإذاعة والتليفزيون في معاونة الطفل على تعلم واجبات النمو والترقي ؟**

إن برامج الإذاعة والتليفزيون تقع في نطاق المؤثرات الاجتماعية الثقافية ، لكنها تتميز بأسلوب خاص إذ تعتمد كلية على الكلمة المنطوقة ، واللحن المعزوف ، والصورة الفوتوغرافية . أما الكلام المنطوق فهو عبارة عن رموز صوتية لها دلالة ومعنى يتعلمها الطفل بادىء ذي بدء بالاتصال المباشر بالأشياء والأحياء في العالم المحيط به ، وبالتفاعل الواقعي مع أحداث عالمه . أي إن الطفل يكتسب دلالة الكلمات ومعانيها من خلال خبرته الشخصية وسلوكه وهو يشارك مشاركة نشيطة في الحياة من حوله . ولا يمكن أن تكون للكلمات فعالية لدى الطفل إلا في إطار تجاريه الواقعية .

فإذا أراد واضع البرنامج الإذاعي أن يسهم مثلاً في معاونة الطفل على اكتساب معرفة أشمل وفهماً أعمق للعالم المادي والاجتماعي ، يتعين عليه أن يصمم البرنامج الإذاعي بحيث يستحث الطفل على استطلاع



طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

★ اللوحات التوضيحية المرسومة . . تساعد الطفل على التخيل وتدفعه للإقبال على الثقافة بشكل عام ★

عالمه الخارجي ، ويرشده إلى كيفية **الملاحظة** ، ويدفعه إلى التقصي **والبحث والممارسة** . إذا نجح البرنامج الإذاعي في تحريك الطفل إلى **تحصيل الخبرات بمجهوداته الذاتية** في العالم الواقعي ـ بدلا من حشر ذهنه بالمعلومات ـ لكان بذلك قد عاون الطفل على النمو والترقي . ودراسة احتياجات الطفل الأساسية أمر ضروري ، ومنها احتياجاته الجسمانية الحياتية مثل **الطعام ، والماء** ، واحتياجاته إلى **السلام** وتفادي الضرر والأذى ، والحاجة إلى النشاط الحركي والتنبيه الحسي . . أما على **المستوى النفسي** فيحتاج الطفل إلى إشباع رغبته في حب الاستطلاع ، كما يسعى إلى اكتساب الكفاءة والمقدرة فضلاً عن الحاجة إلى الأمن والطمأنينة وإلى الشعور بالانتماء ، وتأكيد الذات ، بجانب أن يكون محبوباً متقبلاً ممن حوله ، كما أنه يرغب في التقدم والاكتمال ، ويجب أن تحاول برامج الإذاعة ـ**المرئية والمسموعة**ـ تحقيق هذه الاحتياجات من أجل أن ينمو . . وترسم **د . سمية فهمي** ـأستاذة علم النفس ـ الواجبات التي يجب أن يتعلمها الطفل في مرحلة الوسطى (٦ـ١٢ سنة) فيما يلي :

(١) اكتساب معرفة أشمل وفهماً أعمق للعالم المادي والاجتماعي .

(٢) تكوين اتجاهات سوية نحو فكرته عن ذاته ، مثل قبول الذات والرضى عنها ، والشعور بأن له قيمة وأنه جدير باحترام الآخرين .

(٣) أن يتعلم دوراً اجتماعياً ذكياً أو أنثوياً مناسباً .

(٤) ترقي الضمير والأخلاق وتكوين مقياس مدرج من القيم .

(٥) تعلم القراءة والكتابة والحساب ، وتعلم مهارات عقلية أخرى مثل الملاحظة الموضوعية المنظمة ، والتصنيف ، والمقارنة ، والتعميم ، واستخدام معلوماته في حل المشكلات . . . الخ .

(٦) تعلم مهارات جسمية معينة .

(٧) تنمية اتجاهات سوية نحو المجموعات الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية الأخرى مثل القيام بدوره في خدمات الأسرة ، والتعاون مع زملاء المدرسة ، **والمحافظة على قواعد المرور ونظافة الشوارع** ، الخ .

(٨) تعلم الحصول على مكانة بين رفقاء السن الواحد والمحافظة عليها .

(٩) تعلم الأخذ والعطاء ومشاركة المسؤولية .

(١٠) اطراد التقدم في إنجاز الاستقلال الشخصي .

هذه هي أبعاد النمو والترقي التي يجب على الطفل أن يحققها في المرحلة الوسيطة من عمره ، مستعيناً بعدته الوراثية البيولوجية من ناحية ، وبيئته الاجتماعية الثقافية من ناحية أخرى ، وبفكرته عن ذاته من ناحية ثالثة .

ولسنا بكل هذا نريد أن نعقد المهمة أمام المهتمين بثقافة الأطفال عامة ، وإذاعاتهم بصفة خاصة ، لكنها أمور يجب أن تكون واضحة لكل من يتصدى لهذا العمل الحيوي الخطير ، لما له من أبعاد كثيرة في التأثير على جمهور كبير من الناشئة .. إن فكرة البرنامج يجب أن تكون أساسية ، فالشتات يصيب الأطفال إذا لم يكن لدينا محور ندور من حوله ، كما لا بد وأن يكون الاستهلال والعرض جذاباً مثيراً حتى لا ينصرف الطفل عنا ، وما أسرع ما يفعل ذلك .. وقد وضع كتاب « **أنت تذيع على الهواء** » بعض ملاحظات نوردها لأنها من أخص الخصائص المطلوبة للبرنامج الإذاعي عامة ، وللطفل خاصة .

الخصائص المطلوبة لبرامج الأطفال خاصة

١ - ضع في اعتبارك أنك تكتب للأذن فقط تكتب صوتيات وحواراً يسمع ولا يقرأ .

٢ - الامتاع في النص خير وسيلة لنجاحه .

٣ - تحديد معالم الشخصيات ليحس بها المستمع ويتجاوب معها .

٤ - لا بد من جذب المستمع باستمرار للاحتفاظ به حتى نهاية التمثيلية .

٥ - البعد عن الحشو والتكرار .

٦ - الجمل القصيرة أفضل للمستمع .

٧ - اقرأ السمع المكتوب ثم احذف ما فيه من تكرار .

٨ - الشخصيات يجب أن تكون حية وبسيطة وليست معقدة .

٩ - ابتعد عن الوصف الأدبي والزخارف اللفظية .

١٠ - استخدم المؤثرات المختلفة التي توفرها الإذاعة ولا تستخدم مؤثراً واحداً .

وإلى جانب هذه الملحوظات هناك بعض النقاط التي تبرز خصائص الكاتب الإذاعي من بينها أنه يجب أن يكون الكاتب الإذاعي على معرفة تامة باللغة التي يكتب بها ، فاللغة الفصحى سهلة ولكن يجب أن تحمل صفات البيئة التي تقدمها للمستمع ، فأكثر ما يضايق المستمعين صعوبة اللغة ، كما أنه لا بد من توفر المعلومات عن الموضوع الذي يتناوله ، ويجب أن يحسن اختيار الموضوع ، وأن يراعي الشروط الواجب توافرها في النص الإذاعي ، ولا بد من تحقيق احتياجات الأطفال من جانب ، ورغباتهم من جانب آخر .

هذا ونود أن نقدم عرضاً موجزاً لتاريخ برامج الأطفال عبر إذاعات القاهرة ، كنموذج لما تقدمه الإذاعات العربية للطفل ، خاصة وإذاعة القاهرة بدأت هذه البرامج ١٩٣٤م .. وفي البداية كان يعهد إلى أحد الأشخاص بإعداد البرنامج ومادته ، بكل ما يحتويه من أغانٍ وموسيقى وتمثيل وحكايات .. وعرفنا من أسماء الذين قدموا هذا البرنامج (**بابا صادق**) و(**أبله زوزو**) .. ثم عهد إلى الأستاذ **محمد محمود شعبان** بتقديم هذا البرنامج ، ونهض بهذا العبء بنجاح كبير تحت اسم (**بابا شارو**) ، ولقي برنامجه إقبالا منقطع النظير تمثل في اهتمام الآباء والأبناء في استقباله ، وفي فيض الرسائل التي كان يتلقاها ، بل إن الأغنيات التي كانت تنطلق من البرنامج كان يرددها الأطفال في المدارس والنوادي والشوارع ، فاشتهرت أغنية (**يا عسكري يا أبو بندقية**) و(**كان فيه واحدة ست**) بجانب تمثيليات عديدة منها (**الفلوس في الحصالة**) و(**الساعات في الصالة**) .. الخ .

★ إذاعة مدرسية في فناء المدرسة حيث يقف الأطفال في طابور الصباح قبل دخولهم إلى الفصول ★





★ دائرة تلفزيونية مغلقة ، حيث يتلقى من خلالها التلاميذ دروسهم ـ تطبيق العلم الحديث من أجل التعلم ★

وقد بدأت **إذاعة بغداد** برامجها بعد ذلك ، في عام ١٩٣٨ م ، وكان يقدمها (**أبو زكي**) الذي لقي في العراق شهرة (**بابا شارو**) في القاهرة .. ونسجت بقية الإذاعات العربية على نفس المنوال تباعاً حتى لو لم تعد هناك إذاعة واحدة إلا وهي تقدم حصة من برامجها للأطفال .

وعندما زادت مسؤوليات الأستاذ **محمد محمود شعبان** تخلى عن هذا البرنامج وإن كان ظل مشرفاً عليه كما أن الجيل الذي دربه للعمل قد بدأ ينهض بالمسؤولية بجانب أن عدداً كبيراً من الكتاب والممثلين يدينون له بفضل كبير بل إن كثيرين من المؤلفين قد بذلوا جهوداً في مجال ثقافة الأطفال بعيداً عن ميكرفون الإذاعة كما أن الممثلين عملوا معه طويلاً وشاركوا في إنشاء مسرح الأطفال وفي برامج التليفزيون وبعض أدوار السينما .

ونود ، في آخر هذه الدراسة التي طالت ، أن نشير إلى المنهج الذي اخترناه لمناقشة قضية الطفل مع الإذاعة .. لقد أشرنا إلى قضية مراحل عمر الطفل واهتماماتها ، وإلى فنية الكتابة للإذاعة ، وإلى غير ذلك من قضايا هامة وحيوية في هذا المجال .. **على أن هناك أموراً تستحق الدراسة من زاوية العاملين من وراء الميكرفون ، لأن ذلك يشكل عنصراً بالغ الحساسية بالنسبة لجمهور الأطفال الذين يتلقون هذه البرامج** .. وكثير من هذه الأمور لم يحسم بعد ، ويحتاج منا إلى أن نقول عنها كلمة .. فقد نجد قطاعات كثيرة من الذين يحاولون أن يبذلوا جهداً من وراء الميكرفون والشاشة لأبنائنا .. خاصة ونحن في **العام الدولي للطفل** .

إننا نواجه بموضوع مثل الطفل والدين .. أو الطفل والسياسة .. ونجد نظريات كثيرة في هذين المجالين فكثيراً ما يسأل الطفل عن (الله) .. وهو يخوض الحديث في السياسة أردنا أم لم نرد .

ونحن نعيش في **عصر العلم** ، ولا بد من أن نناقش **قضية الطفل والعلم** ، وهي قضية لا تنفصل عن الطفل والخيال ، وتأتي بعد ذلك مشكلة « **اللغة** » ، خاصة في ظروف ننادي فيها بتوحيد فكرنا العربي ، وقد أصبحت لنا في وطننا العربي لهجات كثيرة ، **واللغة الواحدة من أهم المشكلات التي تواجه العاملين من أجل الطفولة .**

ملاحظات حول برامج الأطفال

وفي إيجاز شديد نحاول أن نضع بعض **ملاحظات عامة موضوعية حول البرامج التي تقدم للأطفال في الإذاعة** كما نشير إلى بعض التجارب المتقدمة في الإذاعات العالمية .

● **أولاً** : من الواضح أن هناك جهداً يبذل في الحصول على مواد صالحة للإذاعة ، غير أن كثيرين ممن يجيدون الكتابة ينظرون آسفين إلى الابتعاد عن الميكرفون نتيجة لتهافت الكثيرين ممن لا يحسنون الكتابة إلى الأطفال ولا يحسنون فهم الإذاعة كأداة للتثقيف والترفيه . وقد تلقى كثيرون دراسات عن الكتابة للأطفال ، ولم تحاول هي من جانبها أن تعد دورات تدريبية للكتاب لصقل موهبتهم بالعلم والدراسة ، خاصة وأن وقت مقدمي البرامج مزدحم تشكيلاً لا يتيح لهم الانطلاق والابتكار والتنوع في برامجهم ، الأمر الذي يلقي على الكتاب مسؤولية أكبر ، ويحتم عليهم ضرورة إبتكار أشكار جديدة للبرامج ، وتقديم مواد متنوعة وموضوعات مختلفة تجذب المستمعين .

● **ثانياً :** هناك محاولات للفصل بين جمهور الأطفال المستمعين حسب أعمارهم ، إلا أنه ما زال هناك خلط بين ما يجب أن يقدم للصغار وللناشئين وللأطفال كل حسب معارفه وتجاربه الأمر الذي قد يصرف الكثيرين عن الاستماع بسبب تقديم برامج قد تكون أدنى أو أعلى من مستواهم .

● **ثالثاً :** تقدم البرامج لجمهور من الأطفال من طبقة فوق المتوسطة ، وقلما تتجه هذه البرامج إلى جماهير الأطفال العريضة في الريف والمدن الصغيرة والأحياء الشعبية . وقد يرى البعض أن « **الراديو** » ليس في متناول أيدي هؤلاء الأطفال ، ولكننا لو استطعنا أن نقدم إليهم برامج مجتذبهم لحفزهم ذلك على الإقبال لإيجاد الفرص للاستماع الى هذه البرامج عند الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء أو في النوادي الريفية وغيرها من أماكن التجمع . وهذا الأمر بالغ الحيوية حيث أن جماهير الأطفال في هذه الأماكن أكبر بكثير منهم في المدن الكبرى وعواصم المحافظات .

● **رابعاً :** تضيع برامج الاطفال في زحمه ساعات الإرسال الطويلة ، إذ يتعذر على الطفل ملاحقتها ، خاصة إذا لم يكن لديه ساعة ، أو لم تعاونه الأسرة في ضبط المؤشر على البرنامج المذاع في وقت معين . وعلى ذلك فإن الأطفال يستمعون إلى برامجهم بالصدفة ، في حين يكونون فيه متتبعين لها بانتظام ودقة تربطهم بها أكثر من صلة .

كما يجدر بالإذاعة أن تضع في ثنايا برامجها العادية أغنيات للأطفال إذ إنها تجتذب الكبار أيضاً ، والدليل على ذلك قائم في برامج الإعلانات التي ينتظرونها في لهفة ويحفظونها عن ظهر قلب لا لبساطتها وحلاوتها فحسب ، بل لأنها تتكرر وتعاد إذاعتها على فترات متقاربة .

● **خامساً :** سبق أن احصينا **الوقت المخصص لبرامج الأطفال** وهو وقت متواضع جداً إذا قيس بعدد ساعات الإرسال اليومية ، وقد ذكرنا بعضها ، كما أن هذا الوقت لا يتناسب قط مع النسبة العددية للأطفال المستمعين وهم يقدرون بربع عدد السكان في جميع أنحاء الوطن العربي . وتتضح هذه النسبة العددية من كثافة الأطفال في مدارسنا الابتدائية .

● **سادساً :** العناية بالبرامج التعليمية والإذاعات المدرسية غير كافية ، ولدينا مثل من بعض دول أوروبا حيث يقدمون لأطفالهم ٦ ساعات صباحية تعاد في المساء لتضمن استماع كل الأطفال إليها ، إذ إن التعليم هناك على فترتين مثلما هو متبع لدينا .

● **سابعاً :** هناك دستور تطبقه الإذاعة بالنسبة لما تقدمه من برامج للأطفال ، يباعد ما بينها وما بين معالجة الكثير من الموضوعات . وإذا تجاسر بعض الكتاب وعالجوا مثل هذه الأمور فإن القلم الأحمر يجتزىء منها ما يجعلها تقدم بشكل سريع يؤدي إلى أن تصبح غير واضحة أو سطحية أو قليلة التأثير . وهناك في الواقع مئات المحظورات وآلاف (**العفاريت**) التي يخافها المسؤولون عن برامج الأطفال في الإذاعة ، في حين أن أشياء هامة كثيرة قد تفوتهم وتجعل من برامجهم مؤثراً سيئاً بالنسبة إلى المستمع الصغير الشديد الحساسية لما يسمع ، إلا أن مثل هذه الحساسية يجب ألا تجعلنا حساسين تجاه الموضوعات الحيوية التي يجب معالجتها بوضوح وعمق وشجاعة .

● **ثامناً :** ما زالت العناية **بالموسيقى والأغنية** قاصرة عن أداء الدور المطلوب منها حتى إن أطفالنا أصبحوا يغنون للميلامين ورابسو وسافو ، ولم نسمعهم يرددون أغنية إذاعية ناجحة في برامجهم تتغنى بالوطن أو القيم ، في حين تستطيع الإذاعة أن تربي آذان الصغار وترسب فيهم حب النغم والاستمتاع بالموسيقى ، ولدينا فرصة واسعة لكي ندربهم على استقبال "المعزوفات العالمية" واستيعابها لو اننا بذلنا جهدا لاشعارهم بها وافهامهم لها ، فضلا عن اننا نستطيع بالاغنية التي تتكرر كثيراً أن نغرس فيهم القيم والأخلاقيات ولو في برامج الأطفال . فإذاعة **اليابان** مثلاً تقدم في الثامنة صباحاً أغنية وطنية قومية تربوية يغنيها ملايين الأطفال في آلاف الجزر اليابانية في لحظة واحدة خلال إذاعتها كرمز للوحدة التي تربط بين ابناء اليابان .

● **تاسعاً :** المتتبع لبرامج الأطفال في الإذاعة لفترة طويلة ربما لا يشعر أن وراءها فلسفة شاملة وخطة متكاملة بل ربما يحس أن هذه البرامج متفرقات منوعات وشذرات لا يربط بينها إلا أنها موجهة للأطفال فحسب . وقد يكون كل منها مفيداً في حد ذاته ، إلا أنه ليس كلاً شاملاً متكاملاً يسير وفق فلسفة خاصة وتخطيط معين .

وهناك في الواقع خلط شديد بين سياسة (**دعهم يعيشون طفولتهم**) وبين (**ضرورة معايشة الحياة والمشاكل من البداية**) وذلك على الرغم من أن بلادنا قد أخذت منذ وقت ليس بالقصير بسياسة التخطيط ، حتى أنه من الملاحظ أن البرامج يتم إعدادها قبيل إذاعتها بوقت قصير الأمر الذي نستنتج منه أنه ليس هناك تخطيط موضوعي ولا برنامج زمني لهذه البرامج رغم الخرائط والدورات التي تقدم كل ثلاثة أشهر .

● **عاشراً : هذه البرامج التي تذاع على الهواء هل تضيع في الهواء ؟**

هل لدينا دراسات عن الاستماع إليها ؟ أين ؟ كيف ؟ ما هو صداها في نفوسهم ؟ هل تعجبهم ؟ هل تؤثر فيهم ؟ . . إن هذا يفقدنا عامل الارتباط بالطفل ارتباطاً حقيقاً ومعرفة احتياجاته لا كما نتصورها بل كما هي بصدق .

والاعتماد على الدراسات النفسية الأجنبية غير كاف مطلقاً لكي نتفهم أطفالنا ونقدم لهم ما نتصور أنهم في حاجة إليه ، أو نتخيل أنه يرضيهم فذلك أمر غير علمي . والحق أننا في مسيس الحاجة إلى دراسة علمية واقعية عن الطفل العربي في شتى أرجاء الوطن العربي لكي نعرفه ونفهمه ، فذلك هو السبيل الوحيد للوصول إليه ، والوسيلة السليمة لنؤثر فيه من أجل اعادة بنائه .

هذه الملاحظات السريعة التي لا تدخل في التفاصيل تقودنا إلى ما يجب علينا أن نفعله لكي نحصل من هذا الجهاز على أقصى ما يستطيع أن

يقدمه إلى أطفالنا ، خاصة وإن هناك إحصائية تقول إن لدينا الآن في الوطن العربي (**٥٠) مليون جهاز راديو** . وهذا الرقم يطرح سؤالاً : **هل يترك الآباء لأبنائهم في صحارينا وريفنا فرصة لكي يستمعوا إلى برامج الطفولة ؟ وهل تنصح الأسر في المدينة ابناءها وتعينهم على متابعة برامج الأطفال في الإذاعة ؟ وهل يشاركنا المدرسون ورجال التربية الاهتمام بالمادة المذاعة ليدلوا تلاميذهم عليها ولينصحوهم بمتابعتها ؟ وهل هناك جهد جماعي يبذل من أجل سماع الأطفال لبرامجهم في النوادي والساحات ؟ هل حاولنا أن ننشىء نواد للاستماع في المدارس وفي مراكز الشباب وقصور الثقافة لنتعرف على ميول الأطفال ؟ وهل لدينا من البرامج والمسابقات والجوائز ما يثير اهتمام أولادنا بمتابعة هذه المواد المذاعة ؟** هذه الأسئلة والخواطر ينبغي أن تثار مع العاملين في حقل الإذاعة والمسؤولين عن ثقافة الأطفال ، وتحتاج منا إلى ضرورة التكاتف والتعاون لكي تمتع أطفالنا بالكلمة والنغم ، ونفيدهم بهما ، فإن ملاحظة عابرة في برنامج ما قد تخلق في سامعيها ما لا نستطيعه عن طريق البيت أو المدرسة ، عن خطورة هذا الجهاز بالنسبة لخيال الأطفال ، فهو يوسع من آفاقهم ويمنحهم قدرات غير عادية على التصور والتخيل ، الأمر الذي لا يتوفر في الصحيفة المرسومة أو الفيلم أو الكتاب أو المسرح .

فعندما نقول للطفل « **جزيرة الكنز** » فإنه يتخيل جزيرة خاصة به تصبح هي العالم الذي تجري فيه الأحداث ، كما أنه ما إن يسمع صوت شخصية حتى يجسدها في ذهنه بشكل خاص حتى يذهلنا التفاوت الكبير في قصور الأماكن والشخصيات والأحداث التي تجري . وتنمية خيال الطفل ضرورة إذ إن ذهنه أشبه بالبالونة والخيال هو الهواء الذي يملؤها من أجل أن تكبر ويستطيع ذهنه بعد ذلك أن يستوعب المعارف والمعلومات ليتمثلها حتى تصبح سلوكاً .

وهذه الملاحظات التي نوردها لا تقلل من قدر الجهد الذي يبذل والذي لا نريد له أن يتبدد . ومن أجل تلافي ضياع الجهد وتفادي الخسارة الناجمة عن ضياع هذه البرامج في الهواء فإننا نود أن نعرض بعض الأفكار التي قد تفيد في هذا المجال :

١ ـ زيادة ساعات الإرسال الخاصة بالأطفال لكي تتناسب مع عددهم وتثبيت مواعيدها بينها في الإذاعات المختلفة ، ونرجو أن تسارع الإذاعات التي لا تتضمن برامج للأطفال بتقديم مواد تتناسب مع لون الإذاعة والأطفال الذين يمكن أن يجتمعوا حول جهاز الراديو .

٢ ـ ضرورة الاتفاق على فلسفة شاملة وخطة متكاملة لبرامج الأطفال ، إذ لا يمكن أن تترك للاجتهادات ولتقدم عفو الساعة . ولا بد من التركيز على موضوع معين في فترة محددة ، والإلحاح عليه من شتى الزوايا ، وتكرار الحديث عنه بطرق وأساليب مختلفة لتؤتي ثمرتها . مثلاً **العمل اليدوي** ، يمكن أن يكون موضوع برامج دورية لمدة ثلاثة أشهر أو على مدى عام كامل ، والخطة يجب أن تكون لمدى قصير وآخر طويل ، وأن تكون خطة موضوعية ذات أهداف محددة ، ونستطيع أن نقيس مدى نجاحها وفق برنامج زمني معروف .

٣ ـ يجب الاهتمام بجماهير الأطفال العريضة في الصحارى والريف والأحياء الشعبية ومحاولة اجتذابهم للاستماع بشتى ألوان التشويق والمغريات ، كالمسابقات ذات الجوائز ، والبرامج المثيرة التي تضم مغامرات من أجل أهداف سياسية تافهة و بهذا الاهتمام بالمجال يجب ألا ينسينا الطفل العربي خارج الحدود ، والذي يجب أن نخاطبه مع أطفالنا من أجل وحدة فكرية وأرضية ثقافية يمكن نقيم عليها بناء شاملاً فيما بعد ، فإن هؤلاء الأطفال هم الذين سيحملون أمانة وطننا العربي في المستقبل .

٤ ـ لا بد من إنشاء أندية استماع لبرامج الأطفال في كافة أماكن التجمعات التي يتواجدون فيها **كالمدارس وقصور الثقافة والنوادي** ، كما يجب استفتاء الأطفال فيما يقدم إليهم ، والاهتمام بآرائهم من أجل أن يطابق ما نقدمه واقع ما يريدونه .

٥ ـ ضرورة تقديم الموسيقى والأغاني بشكل أوسع ، وبالذات **الأغاني الجماعية وأغاني الرحلات والحفلات** . . الخ . ويجب ألا يكتفى بعدد قليل من العازفين بل لا بد من وجود فرقة موسيقية تعزف للأطفال ، وفرقة من الأطفال ، ودروس في الموسيقى . . الخ .

٦ ـ التوسع في البرامج التعليمية على أن تخرج من نطاق الكتب إلى ما حولها .

٧ ـ التحرر من الخوف من النقد ومعالجة كل المشاكل والقضايا بشكل واضح .

٨ ـ تدريب العاملين والمتعاونين مع الإذاعة ، وتشجيع المجيدين منهم بشتى الطرق والأساليب وبالذات في المجال المادي ، وإيفاد بعثات من بينهم لدراسة ما يقدم للأطفال في الهيئات الإذاعية المتقدمة .

* * *

إن للكلمة المسموعة عبر الأثير خطورة ما بعدها خطورة . . فهي تمر عبر الأذن لكي تستقر في القلب والعقل معاً ، ومما لا شك فيه أن الإفادة من جهاز الإذاعة حتى اليوم بالنسبة للطفولة ما زالت قليلة ومتواضعة ، وفي استطاعتنا أن نبث إلى الناشئين ما يمتعهم ويربيهم ، ما يعلمهم ويثقفهم إذا نحن تفهمنا طبيعة هذا الجهاز الحيوي ، وإذا ما عرفنا اهتمامات الأطفال وميولهم واحتياجاتهم . . ومن هذه وتلك نقدم حفيزة تهديهم للذي هو أقوم .



شعر : مصطفى عكرمة

. . وَتَلَفَّتُ ، مَنْ نَرَاهُ يُنَادِينِي !! وَمَنْ ذا أثَارَهُ تَفْكِيرِي !!
وتَسَمَّرْتُ مُصْغياً ، وَمَضى الصَّمْتُ بِظَنِي ، وهَاجِساتِ شعوري
وَلَعَنْتُ الظنونَ تعْصِفُ بالحُلْمِ ، وتَابَعْتُ في الظلام مَسِيري
أَسْتَحِثُّ الخُطىٰ ، وأوشِكُ أنْ أهْتفَ في سَمْعِها : هَلمِّي . . . طِيري
قد أمِنْتُ الرقيبَ ، والعَاذلَ الواشي ، وأهلي بِألْفِ سِتْرٍ ، وسورِ
وأنا مَنْ كَتَمْتُ أمْرِيَ حتّى عَنْ عُيوني . . . فما تحِسُّ سروري
أوْشَكَ القَلْبُ أنْ يَطيرَ مِنَ الصَّدْرِ فَقدْ لاحَتْ مِنْ وراءِ السّتورِ
وتراءَتْ كما اشْتَهَيْتُها اشتِهَاءاتي فيها ، وجائِعاتُ فجوري
قَدُّها اللَّدْنُ يَسْبَحُ الآنَ بالطِّيبِ ، ويَطْفو على شَفيفِ النّورِ
لَحَظاتٌ . . . وطَوْعُ كفّيَ ما شِئتُ ، ومَا شاءَ في الزمانِ غروري
لَحَظاتٌ !!! ومَا أشَدَّ على النَّفس الثَّواني لَبِسْنَ عُمْرَ الدهورِ
وَتَلَفَّتُ ، مَنْ تراهُ يُناديني !! وَمَنْ ذا أثارَهُ تفكيري !!
وَتحسَّسْتُ . . إنَّ جِسْميَ في ثوْبِي ، وقلبي !! في حُلْمِهِ المخمورِ
لا تَطِرْ أيُّها الفؤادُ مِنَ الصَّدْرِ ، وَعُدْ بي قَبْلَ افْتِضَاحِ الأمورِ
هُدِمَ السّورُ ، والسُّتورُ تَعَرَّتْ فالمُنَادي يا قَلْبُ . . . صَوْتُ الضّميرِ



★ حكاية عنترة وعبلة من الحكايات الشعبية التي ظلت وما تزال متداولة حتى اليوم ★

الحكاية الشعبيّة العربيّة

بقلم: د. أحمد بسام ساعي

تدل كلمة **(حكاية)** نفسها في اللغة العربية على المعنى الذي وضعت له في الأصل ، فهي من الفعل **(حكى)** الذي يعني **(شابه)** ، وهذا يشير إلى الصفة التمثيلية التي كانت تتخذها الحكاية في البدء كما يشرح ذلك **عبد الحميد يونس** في كتابه **(الحكاية الشعبية)**[1] .

وليس من الضروري أن يحمل **معنى التمثيل** هنا إقامة مسرح وحضور مشاهدين إلى آخر ما تتطلبه التمثيليات من تكلف واستعداد ، فقد يعني التمثيل هنا تلك الحركات التي يصطنعها القاص وهو يروي حكايته لمن حوله من المستمعين ليجلب بها انتباههم ، أو لتساعده هذه الحركات في ايضاح ما يريد أن يقول ، فيضفي على الأحداث صفة الواقعية لتبدو لمستمعيه وكأنها تحدث أمامهم فعلاً ، وأقرب مثال لنا صورة **(الراوي)** الذي ما زلنا نراه في عدد قليل جداً من مقاهينا ، حيث نشاهده والعصا تروح وتجيء بين يديه ، وهو يتقدم ويتأخر ، ويقفز ويهدأ ، وتصغر عيناه ويبتعد حاجباه ، وقد تمتد يده إلى طربوشه بين الحين والحين ليقدمه أو ليؤخره أو ليرفعه ، ولا بد له من شاربين كبيرين ليساعداه على إضفاء مظهر القوة لشخصية **عنترة أو الملك سيف أو الملك الظاهر** وهو يمثل كلاً منهم يخوض المعارك ويبارز الأعداء ويرتجل الشعر والخطب والقرارات .

وكأن في معنى **(المحاكاة)** الذي تتضمنه الحكاية ما يدل على أنها شيء قد وقع فعلاً ويقوم القاص (بمحاكاته) وهو يرويه لمستمعيه ، فكأنما يقتصر عمله هذا على الإخبار عما حصل وهو إنما يقوم بمحاكاته وتقليده ، ومعنى هذا أنه لا بد أن يكون للحكاية الشعبية في الأصل شيء من الحقيقة أو ما يمت إلى الحقيقة بصلة .

وقد عرف العرب ، في أدبهم الرسمي وفي أدبهم الشعبي ، أنواعاً من الحكايات كثيراً ما تتخذ سمة « **الشعبية** » وإن كانت تروى في كثير من الأحيان عن أدباء معروفين ، أو شعراء أو أمراء أو ملوك أو ندماء أو عشاق أو بداة ، ولكن هذا لا يفقدها تلك الصفة الشعبية التي وسمت بها ، سواء أكان ذلك في أسلوبها أم في بنائها وأحداثها وأبطالها . ونطالع المئات وربما الآلاف من هذه الحكايات في أمهات المصادر العربية القديمة ، **كالأغاني للأصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وبلوغ الأرب للنويري ، ومجمع الأمثال للميداني** ، وغيرها مما لا مجال لحصره هنا ، هذا إذا تركنا جانباً **ألف ليلة وليلة** مستودع الحكايات العربية الأكبر .

وتتنوع الحكايات فتشمل حكايات الحيوان والجن والعشاق وحكايات الألغاز والنوادر أو الحكايات المرحة ، وسنقف عند كل نوع من هذه الأنواع معرفين ، وموضحين وجودها في التراث العربي القديم .

أ ـ حكايات الحيوان

من أقدم ما نعرفه من قصص إذا لم تكن أقدمها على الاطلاق ، ويقال إن الهند هي مصدر هذا النوع من الحكايات . وأقدم مجموعة هندية وصلتنا منها هي **(البانشاتانترا)**[2] التي قيل إن **ابن المقفع** ترجم جانباً منها في كتابه « كليلة ودمنة » . وأقدم ما وصلنا من هذه الحكايات تلك المجموعة المعروفة باسم « **خرافات إيسوب** » . وإيسوب هذا عبد يوناني ، ومن أصل سامي في رأي بعض

الدارسين . وتعتبر حكاية الحيوان من الحكايات المفسرة أو الشارحة ، فهي في ذاتها وسيلة وليست غاية ، إنها تفسر لنا ما يتعلق بالحيوان نفسه حيناً : صفاته وطبائعه وعاداته ، ثم إنها تستغل هذا العالم الحيواني في الرمز إلى الواقع البشري الذي لا علاقة للحيوان به حيناً آخر . ويغلب على حكايات الحيوان القصر وقلة الأحداث والجزئيات .

ويذهب الكثيرون إلى إقامة علاقة تاريخية بينها وبين الأساطير فيجعلونها متقدمة عليها « ويجوز أن نقول إن حكايات الحيوان كتلك التي تتكلم عن خلود الحيوان ، أو التي تفسر سواد الأغربة قد تنمو وتصبح أساطير كاملة التكوين . ولعلنا نضيف إلى ذلك أن آلهة الأوليمب ، وأضرابهم من الآلهة السيلتية والتيوتونية ، إنما يدخلون تاريخ المعتقدات ، في فترة متأخرة بعض الشيء . فقد سبقهم جميعاً ، نشوء معتقدات أمعن في بدائيتها وسذاجتها ، فكان أكثر هذه المعتقدات يتجسد في شكل حيوانات وطيور ، فالإله « **زيوس** » كان نسراً ، والآلهة « **أثينا** » كانت بومة ، و « **هيرا** » كانت بقرة »[٣] .

ويتصرف الحيوان في كثير من هذه الحكايات تصرفاً إنسانياً وينطق بلغة البشر ، ولعل لقصة **النبي سليمان** ، الذي كان يفهم لغة سائر الحيوان ، أثرها في خلق شخصيات أخرى ، إنسانية غالباً ، نعثر عليها في الحكايات وقد ألم بها حادث جعلها تفهم لغة الحيوان . « وفي إحدى الحكايات اليونانية يروى أن **ميلامبوس** عرف لغة الطير لأن الحيات كانت تلعق أذنيه . . . وفي حكاية أخرى استطاع البطل **سيجفريد** أن يفهم لغة الطير عندما تذوق دم التنين . . . وفي حكاية ثالثة تنسب هذه المعرفة إلى أكل لحم حية بيضاء »[٤] .

وفي الأدب العربي ـ إذا نحينا كتاب كليلة ودمنة جانباً ـ بعض الحكايات التي تجري أحداثها بين الحيوانات ، أو بين الإنسان والحيوان ، ويمكن أن نذكر منها (أعلمك ثلاث خصال ـ مجير أم عامر ـ حكومة الضب ـ لا أحب تخديش وجه الصاحب ـ كيف أعاودك وهذا أثر فأسك[٥] ـ حكاية الإسرائيلي مع العصفورة ـ دعني وربي الذي لا يبخل ولا يذهل)[٦] . ومن هذه الحكايات حكاية المثل **(أكلت يوم أكل الثور الأبيض)** التي أوردها الميداني في « مجمع الأمثال »[٧] .

ويرد هذا المثل أيضاً في كتاب كليلة ودمنة ، ويرد مختصراً في خرافات **إيسوب**[٨] ، ويعلق **الدكتور عبد المجيد عابدين** على ذلك بقوله : « فإذا صحت رواية هذا المثل عن علي بن أبي طالب ، وهو أسبق في التاريخ من ابن المقفع مترجم كليلة ودمنة ، فمن الممكن أن نفترض أن المثل عرفه الآراميون ، الذين سكنوا الحجاز أو اليمن ، عن طريق الترجمة السريانية لكتاب كليلة ودمنة ـ وقد ترجم حوالي ٥٧٠ م ـ أو نفترض أن المثل عرفه الكتابيون في هذه المنطقة من طريق خرافات إيسوب التي كانت قد عرفها اليهود من قبل وتدارسوها في مجالسهم ومدارسهم »[٩] . ومع هذا يبقى لهذا الاتفاق بين المصادر الثلاثة في إيراد المثل أهميته في الدلالة على أصالة حكايات الحيوان عند العرب .

ويذهب كثير من الدارسين إلى أن هذا النوع من الحكايات يمكن أن يظهر في كثير من بقاع العالم ، وبالسمات والشروط نفسها دون حاجة للاتصال بين هذه البقاع . وفيما يتعلق بكليلة ودمنة ، هناك أكثر من سبب واحد يدعونا إلى إثبات شخصية العرب فيه . فأسلوب ابن المقفع في مقدمته يشبه أسلوب-الكتاب نفسه من حيث استشهاده بحكايات تجري على ألسنة الحيوانات ، ومن حيث استطراده من حكاية إلى أخرى ، مما يوحي بأن أسلوب الكتاب واحد والمؤلف واحد ، سواء أكان ذلك في عرض الكتاب أم في متنه . ثم إن مؤرخي الأدب يذهبون إلى أن ابن المقفع قد قتل لعدة أسباب ، من أولها كتاب كليلة ودمنة الذي اشتم منه الخليفة روح الثورة والتمرد على نظام حكمه . ولو أن ابن المقفع كان مترجماً لهذه القصص وحسب ، لما قتل فيها ، ولكنه ـ كما يذهب فاروق خورشيد ـ قد أعاد تأليفها « بما يعطي معطيات تلائم اتجاهه الفكري وتسهم في المشاركة في بناء المجتمع الذي كان يعيش فيه »[١٠] .

ولا نريد بهذا أن نثبت عروبة كليلة ودمنة أصلاً ومنشأ ، وإنما نحاول أن نثبت الشخصية العربية فيه ، وأن العرب قد عرفوا ـ على الأقل ـ حكايات الحيوان في زمن مبكر جداً قد يسبق القرن الأول للهجرة . وللعرب اعتقادات غريبة بحيوانات خرافية كثيراً ما تطالعنا في الشعر والأدب ، ومن هذه الحيوانات **العنقاء والهامة والصدى والغول** ـ وإن كان هذا الأخير كثيراً ما يختلط مع **الجن والعفاريت** ـ وينسجون حول هذه الحيوانات الخرافية شتى الأقاصيص رغم أنهم يدركون حقيقتها الوهمية ، بينما نجد في ألف ليلة وليلة حيوانات خرافية أخرى **كالرخ والحصان الطائر والتنين** وغيرها .

وفي أصل « العنقاء » قال **الزمخشري** في أمثاله حول قولهم « طارت به عنقاء مغرب » : زعموا أنها طائر كان على عهد **حنظلة بن صفوان الحميري** نبي أهل الرس عظيم العنق . وقيل : كان في عنقه بياض ولذلك سمي عنقاء ، وكان أحسن طائر خلقه الله تعالى ، فاختطف غلاماً فأغرب به ولذلك سمي المُغرب ، فدعا عليه حنظلة فرمي بصاعقة ، وقال **الدميري** في حياة الحيوان : هو طائر غريب تبيض بيضاً كالجبال ، وتبعد في طيرانها ، سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق . وقال **القزويني** : إنه أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة ، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر ، وكانت قديماً بين الناس فتأذوا منها ، إلى أن سلبت يوماً عروساً بحليها ، فدعا عليها حنظلة النبي ، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء ، وهي جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن والجاموس والببر والسباع وجوارح الطير . وعند طيرانها يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف والسيل ، وتعيش ألفي سنة ، وتتزاوج إذا مضى لها خمسمائة عام .

وقال **العكبري** في شرح المقامات : كان لأهل الرس جبل شامخ فيه طيور شتى ، منها العنقاء ، وهي طائر عظيم الخلق طويل العنق ، ووجهه وجه إنسان ، من أحسن الطير شكلاً ، وكانت تأكل الطير ، فجاءت مرة فأخذت صبياً ، ثم جارية ، فاشتكوها لنبيهم حنظلة بن صفوان ، فدعا عليها حنظلة فذهبت وانقطع نسلها . وقيل أصابتها صاعقة فاحترقت . وكان حنظلة في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام . وسميت العنقاء لطول عنقها . وقيل إنها كانت في زمن موسى . وفي المثل **(كالعنقاء تسمع بها ولا ترى كالغول)** . والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض المذكور . وسميت مُغرباً بزنة اسم الفاعل من أغرب لأنها كانت تجيء بالغرائب . وقد وقع استعمالها في هذا المثل بدون الوصف . ومنه يعلم جواز استعمالها دون الوصف كقول الشاعر :

لما رأيت بني الزمان وما بهم
خل وفي للشدائد أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي

ب ـ حكايات الجن

يعتبرها **كراب** ـ على عكس حكايات الحيوان ـ من أحدث أنواع الحكايات ، ويقول إن النصوص التاريخية لبعض نماذج هذه الحكايات تدل « على أنها تبلغ من العمر آلاف السنين »[١١] بينما يرى آخرون أنها من أقدم أنواع القصص الشعبي ، لأنها تتناول الجانب غير اليقيني من تجربة الإنسان ، كما تتناول تصوراته الغيبية . وعلى الرغم من أن « **بنفي** » يكاد يجزم بالأصل الهندي لهذه الحكايات يرجح « كراب » بعد مناقشته المفصلة لآراء « بنفي » وغيره برجح أن « **جزيرة كريت ، ومصر ، وبلاد ما بين النهرين كانت المواطن الأصلية لحكايات**



الجان »[١٢] ويعتبرها أكمل إبداعات العبقرية الشعبية من الناحيتين الفنية والأدبية ، وأكثرها جدية .

ويعرض لنا في هذا النوع من الحكايات مجتمعات غريبة يتعامل فيها الأنس مع الجن ، يتفقون ويختلفون ، ويتزوجون ويفترقون . وقد يشتركون في تصرفات ومغامرات واحدة أو متشابهة . وأبطالها مجرد « نماذج » تتكرر في أكثرها ، وعددهم قليل يكاد لا يتجاوز البطل والبطلة والشخصية الشريرة أو المعارضة ثم الخادم أو المنقذ أو المساعد ، وقد يتعدد هذا الأخير ، أما البطل فواحد على الأغلب ، وكثيراً ما يكون له أخوان أحمقان » أو يكون للبطلة أخت حاسدة ، وقد تتصف بأي شيء إلا الجمال ، ويحاول هؤلاء الإخوة أو الأخوات إنجاز المهمة الموضوعة ، لكنهم يفشلون فشلاً ذريعاً ، ثم يستطيع البطل أو البطلة أن يصل بهذه المهمة إلى غايتها من النجاح .

ويتجلى **الطابع الميلودرامي** في هذه الحكايات ، من وصف الظروف التي تحيط بالبطل أول ما يبدأ عمله ، فيقال إنه يجد نفسه وسط ظروف تعسة بائسة ، ولعله يكون أصغر الأبناء ، يقابله الآخرون بالسخرية والإنكار »[١٣] . ويكافح البطل ويخوض سلسلة من المغامرات والأخطار تلعب فيها الخوارق دوراً ملموساً حتى يصل بالنتيجة إلى غايته ويعيش سعيداً إلى جانب زوجه .

وقد وصلتنا بعض حكايات الجن عن المصريين القدماء واليونان والهنود . أما العرب فكانت عوالم الجن الغريبة تستهويهم وتجتذب أفئدتهم ، وقد تخيلوا لهذه العوالم الغريبة مكاناً غريباً هو « وادي عبقر » الذي تجتمع فيه الجن ، وكانوا يعتقدون أن لكل شاعر جنياً يوحي إليه بما ينشده من قصائد . وفي كتب الأدب أخبار كثيرة عن علاقة الشعراء بالجن . وفي **خزانة الأدب** أن الشاعر **الأعشى** قال : خرجت أريد **قيس بن معد يكرب** بحضرموت ، فضللت في أوائل أرض اليمن ، لأني لم أكن سلكت ذلك الطريق قبل ، فأصابني مطر ، فرميت ببصري أطلب مكاناً ألجأ إليه ، فوقعت عيني على خباء من شعر ، فقصدت نحوه وإذا أنا بشيخ على باب الخباء ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت ، فحططت رحلي وجلست . فقال : من أنت؟ وإلى أين تقصد ؟ قلت : أنا الأعشى ، أقصد قيس بن معد يكرب . فقال : حياك الله ، أظنك امتدحته بشعر؟ قلت : نعم . قال : فأنشدنيه ، فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سمية غدوة أجمالها
غضباً عليك فما تقول بدالها



فلما أنشدته هذا المطلع قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك؟ قلت نعم ، قال : من سمية التي تنسب بها؟ قلت : لا أعرفها ، وإنما هو اسم ألقي في روعي ، فنادى : يا سمية ، اخرجي ، وإذا جارية خماسية قد خرجت ، فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت؟ قال : أنشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معد يكرب ، ونسبت بك في أولها . فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها ، لم تخرم منها حرفاً ، فلما أتمتها قال : انصرفي ، ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك؟ قلت : نعم ، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له **يزيد بن مسهر** ما يكون بين بني العم ، فهجاني وهجوته فأفحمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ قال : قلت :

ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

فلما أنشدته البيت الأول قال : حسبك ! من هريرة هذه التي نسبت بها ؟ قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها ، فنادى يا هريرة ، فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت ، فقال : أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها يزيد بن مسهر ، فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفاً ، فسقط في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة .

فلما رأى ما نزل بي قال : ليفرح روعك يا أبا بصير ، أنا هاجسك **مسحل ابن أثاثة** ،الذي ألقى على لسانك الشعر . قال الأعشى : فسكنت نفسي ، ورجعت إلي ، وسكن المطر ، فدلني على الطريق ، وأراني سمت مقصدي ، وقال : لا تعج يميناً ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس[١٤] .

ومما يثير اهتمام الدارسين في هذا الموضوع وحدة المظاهر الحياتية للجن في سائر حكايات العالم ، ففي حكاياتنا ـ مثل بقية الحكايات ـ نجد أن الجني مخلوق « قادر على التشكل وعلى الاستخفاء وقد يكون مارداً يطاول الجبال ، وقد يكون قزماً يصغر عن الأطفال ، وهو يعيش في العادة تحت الأرض ، أو عند سفح جبل أو تل ، أو بين كومة من الصخور ، ويتخذ اللون الأخضر لزيه في الغالب . ومن الجان نوع قلما يؤذي الناس ، وهم إذا خطفوا الأطفال فإنهم لا يمسونهم بأذى ، وإذا أسيئت معاملتهم فإنهم يغضبون ويتلفون الزرع ويحرقون الدور ، ويميلون بطبعهم إلى المرح والمداعبة ، ويحلبون البقر ، ويعدون الطعام ، ومنهم فئة تعطف على الفقير ، فتحمل له الطعام ، وتملأ كيسه بالدراهم ، وتعطي اللعب والهدايا للأطفال ، وتفسد السحر الضار وتقضي على ما دبر الساحر »[١٥] .

ولعل سيرة **سيف بن ذي يزن** أهم المجموعات الشعبية العربية المدونة التي

نستطيع بوساطتها أن نستخلص صورة واضحة عن عالم الجن وتصرفاتهم وطبائعهم وأشكالهم ، وفي ألف ليلة وليلة ـ إلى جانب ذلك ـ حكايات تدخل الجن في عداد شخوصها ، ومنها حكاية «**معروف الاسكافي**» وحكاية «**عبد الله البري وعبد الله البحري**» وقصة الصعلوك الثاني من حكاية «**الحمال والثلاث بنات**» وغيرها .

وكثيراً ما يكون ظهور الجني أو العفريت في حكاياتنا عن طريق السحر ، إذ يرمي القدر بين يدي البطل بأداة سحرية يتخذها وسيلة للتحكم بجني من جن سيدنا سليمان ، وقصص سليمان عليه السلام مع الجن وحبسه لها في القماقم ورصده لبعضها كان وراء وجود كثير من هذه الحكايات .

ج ـ حكايات الألغاز

يضعها بعض الدارسين إلى جانب الأساطير في ميلادها وأسباب نشوئها ، إذ إنها في الأصل محاولات إنسانية لتفسير الغامض من المسائل الكونية الصغيرة ، مثلما كانت الأساطير محاولات لتفسير الغامض من المسائل الكونية الكبيرة . ويشترك الأطفال مع البدائيين في حبهم للألغاز واهتمامهم بها انطلاقاً من هذا المبدأ ، لأنهم يحاولون بذلك حل ما في نفوسهم من عقد الغموض المحيط بهم ، والذي عجزت إدراكاتهم الأولية البسيطة عن ملاحقته وتذليله ، فجاءت الألغاز لينفثوا فيها ما كبت في نفوسهم من تطلع لحل مسائل الحياة المحيطة بهم .

ويذكر **جيمس فريزر** في موسوعته «**الغصن الذهبي**» THE GOLDEN BOUCH أن بعض القبائل كانت تعتبر اللغز بمثابة تعويذة تحقق لها الخير ، ويقع هذا في أكثر من مكان واحد في العالم «فبعض **قبائل الهند الصينية** تجتمع قبيل موسم حصاد الأرز ، ويقوم بعض أفرادها بطرح الألغاز على الآخرين ، وعند حل كل لغز يهتف الجميع : دع أرزنا ينمو في الجبال والسهول»(١٦) ويمتنع إلقاء الألغاز عند هذه القبائل في الفترة بين انتهاء الحصاد وبدء الزراعة في الموسم التالي .

ويذكر **ماكدونالد** في موسوعة الإسلام أن الألغاز انتشرت بعد موت **الإسكندر الأكبر** بين ملوك الطوائف ، بعد أن تركزت المنافسة بينهم في النواحي الفكرية ، بدلاً من النواحي العضلية أو الحربية . ومن هذه المنافسات ما حصل بين **فرعون** وكل من **ملك بابل وملك الحبشة** ، وكذلك الألغاز ، التي طرحتها **بلقيس** قبل ذلك على سليمان لتختبر قوته وذكاءه .. ولعل من أشهر ألغاز التراث العالمي القديم «**لغز أوديب**» .

ويطالعنا (اللغز) في كثير من مظاهر حياتنا الأدبية اليوم فهناك ـ إلى جانب الألغاز القائمة بذاتها والحكايات المتضمنة للألغاز ـ القصص والمسرحيات الحديثة ونعرف أن أحداثها تتصاعد حتى تصل إلى نقطة يقف القارىء عندها حائراً أمام تعقد الأحداث وتداخلها بشكل يصعب حله ، وهذه «**العقدة**» يمكن أن تكون قد حلت مكان «**اللغز**» في الحكاية الشعبية .

ويقول الدكتور عبد الحميد يونس : إن «**الأصل في الحكاية الشعبية القائمة على الألغاز : أولا أن تحل معضلاً ، وثانياً أن ترسب معرفة ، وثالثاً أن تؤكد فضيلة اجتماعية أو أخلاقية ، ورابعاً أن تقوّم الحياة بالنقد الساخر من أدعياء العلم المتشبثين بمظهره في الزي والإشارة والحديث . وحكاية الجارية تودد** كما وردت في «**الليالي**» تقوم بهذه الوظائف جميعاً ببراعة قل أن تضارع ، ومن ثم اقتحمت آداب الشعوب الأخرى ونقلت إلى لغات مختلفة»(١٧) . وحكاية «تودد» هذه التي وردت في ألف ليلة وليلة تقوم على مجموعة من الألغاز تطرحها الجارية على علماء بلاط **الرشيد** ، بعد أن يطرح عليها هؤلاء ألغازهم ، وتثبت ـ بحلها لألغازهم دون أن يستطيعوا حل ألغازها ـ انتصارها عليهم .

وفي الأدب العربي كثير من القصص والحكايات والسير الشعبية التي تتضمن الألغاز ، كاللغز الذي يرد في أول سيرة عنترة ويحكي قصة أبناء نزار بن معد بن عدنان الأربعة : إياد وربيعة ومضر وأنمار ، الذين اختلفوا في ميراث والدهم ، فذهبوا يحتكمون إلى الملك الأفعى الجرهمي . وفي الطريق شاهدوا بعيراً عن بعد ، فحزروا صفاته الدقيقة (أهوج ، أعور ، أزور ، أبتر ، ويحمل عسلاً ودقيقاً) ، ثم يمرون برجل يسأل عن البعير ، فيصفونه له ، فلا يشك في أنهم سرقوه ، ويحتكمون جميعاً إلى الملك الأفعى حيث تتوسع حلقة الألغاز هناك ، مع تقدم الأحداث ، لتثبت في النهاية ذكاء الرجال الأربعة وصدق فراستهم .

وفي السير الأخرى وفي ألف ليلة وليلة كثير من حكايات الألغاز ، وكذلك في حكايات الأمثال العربية ومنها حكاية مثل (**وافق شن طبقة**) التي أوردها الميداني في (مجمع الأمثال)(١٨) .

د ـ حكايات العشاق

نوع من القصص الاجتماعي عرفته شعوب العالم في الشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة بدءاً من قصة «**إيزيس وأوزيريس**» المصرية إلى قصص الحب الهومرية وعلى رأسها قصة «**أوليس وبنيلوبا**» ، ثم قصة «**سلامان وابسال**» اليونانية ، وقصة «**ويس ورامين**» الفارسية ، وقصة «**مموزين**» الكردية ، و«**روميو وجولييت**» الإيطالية ، وغيرها إلى جانب قصص الحب العربية الكثيرة .

ومعظم هذه القصص يدور حول قصة **حب أفلاطوني أو عذري** ينشأ بين فتى وفتاة منذ الصغر ، ثم ينمو مع نموهما ، وتنمو معه الحواجز الاجتماعية التي تفصل بين الاثنين ، وتصطنع هذه الحواجز من قصة الحب مأساة لا تلبث أن تنتهي بموت مأساوي سريع للحبيب الآخر .

ويوشك الأدب العربي أن يكون من أكثر الآداب العالمية احتواء لمثل هذه القصص ، فهناك أعلام كثيرة مشهورة من المحبين أضحت أسماؤها المركبة من امتزاج اسمي كل محبين مضرباً للمثل في التفاني بالحب ودوام الصدق مع العذاب فيه ، وإذا ذكرنا منها بعضها ، فلن يكون هذا إلا على سبيل المثال لا الحصر ، كقصة **كليب وجليلة** التي أخذ عنها كورني فكرة مأساته الشهيرة «**السيد**» . وقصة **عنترة وعبلة** التي يعتبرها المستشرقون ملحمة العرب الكبرى ، ولكن هذه الملحمة تنفرد عن الملاحم العربية والإفريقية الأخرى بأنها تتناول «مشكلتين لا تزال لهما خطورتهما حتى اليوم ، وقطعت فيهما برأي ، هاتان المشكلتان هما مشكلتا الجنس ، أو مشكلة اللون ، والمشكلة الطبقية»(١٩) . وقصة حب «**مي ومضاض**» وتمثل غيرة الحبيبة الشديدة التي تصل بها إلى هجرة الحبيب الذي يقضي نحبه أسى ولوعة لفراقها ، ثم تدرك إثمها بحقه فتلحق به . ثم قصتا «كثير وعزة» ومعاصريهما «**جميل وبثينة**» من قبيلة «**عذرة**» التي اشتهر أفرادها بالحب العفيف المنزه عن الجسد ودناياه ، ومن هذه القبيلة سمعنا بمجنون ليلى «**قيس بن الملوح**» وسميه الآخر «**قيس بن ذريح**» الذي اشتهر بحبه للبنى ، وكان **العصر الأموي** بشكل خاص حافلاً بضروب هذا النوع من القصص .

ومن هذه القصص ما يبدأ على مستوى الفرد لينتهي على صعيد الجماعة ، وقد تتحول قصة حب بين فردين إلى قضية قوية تجتمع لها كلمة العرب ليواجهوا عدواً خارجياً كبيراً كما فعلوا حين أثارت ثائرتهم **ليلى بنت لكيز** وقد أحبها **البراق** ، ووقعت أسيرة بيد الفرس وعذبت على أيديهم بوحشية ، وكان بيتها المشهور وهي تصف حالها بين أيدي الفرس :

قيدوني عذبوني ضربوا
ملمس العفة مني بالعصا

صرخة صكت آذان العرب وألهبت حماستهم «فقاتلوا قتال المستميت في سبيل فتاتهم

العربية المعذبة وشرفهم المهدور ، قبل أن تكون حربهم في سبيل استعراض فتوتهم وقدرتهم على قهر الرجال وسفك الدماء»[٢٠] .

ولقد كانت المثالية التي صبغت كثيراً من قصص الحب العربية ميزة عرفت بها بين سائر الأمم ، وتأثرها شعراء التروبادور في إقليم بروفانس في جنوبي فرنسا خلال القرن الثاني عشر ، وهذه المثالية التي عرف بها الحب العذري هي إلى الواقع أقرب منها إلى الخيال ، خلافاً لقصص الحب الأوروبية أو لكثير منها ، وأبيات جميل توضح لنا موقف العذريين عامة من أحبابهم :

نحن بني عذرة محبتنا ... أنبل وجد يحسه بشر
لا والذي تسجد الجبال له ... ما لي دون ثوبها خبر
ولا بفيها ، وما هممت به ... ما كان إلا الحديث والنظر

وفي كتب الأدب العربي وفي مدوّنات الأدب الشعبي وألف ليلة وليلة كثير من قصص الحب الطويلة والقصيرة ، ويغلب عليها الهدف الأخلاقي ، وإن لم يظهر هذا الهدف فيها بشكل مباشر . بل إن قصص الحب قد تتعدى البشر إلى الحيوانات ، ونجد ذلك في بعض كتب الأدب .

هـ - الحكايات المرحة

من أقصر أنواع الحكايات ، ومن أقلها حظا باهتمامات الدارسين الفولكلوريين ، رغم أنها كانت أكثر أنواع الحكايات حظاً باهتمام الجامعين منذ فجر التاريخ . وهي حكايات محض اجتماعية ، وجدت في مناسبات وظروف اجتماعية تطلبتها ، ولذلك بقيت بعيدة عن تناول أصحاب كثير من المدارس الأصولية للحكايات ولا سيما المدرسة الأسطورية .

« **الحدث** » على الأغلب وتعتمد على جزئية واحدة أو جزئيات قليلة ، وقد تكون الحكاية المرحة مؤلفة من نادرة أو سلسلة من النوادر ، وتستغرق زمناً أطول من النكتة ، « ومن المعروف أن الايجاز يعد من أهم لوازم النكتة فإن هي طالت فإنها تتميع »[٢١] . ومن السهل معرفة جنسية النكتة وعمرها ، فنميز **النكتة الانكليزية** مثلاً من **النكتة المصرية** ، أو النكتة المصرية زمن الحرب منها في عصرنا الحاضر[٢٢] لأن النكتة تحمل خصائص بيئتها الزمانية والمكانية في أغلب الأحيان خلافاً للحكاية المرحة التي تحاول أن تتموه بلون البيئة الجديدة التي تدخلها . ويذهب بعض الدارسين إلى أن بعض هذه الحكايات عاش لمدة أربعة آلاف سنة يتردد على ألسنة الناس ، وقد وجدت في الأدب الرسمي مثلما وجدت في الأدب الشعبي ، وهذا مما ساعدها على بقائها واستمرارها مع الزمن .

وغالباً ما تتجمع هذه الحكايات لتشكل وحدات متميزة ، تختص كل منها بطبقة اجتماعية معينة أو نوع من الشخصيات ، كالأطباء والمحامين ورجال الدين وأصحاب المهن المختلفة ، فتقتحم حياتهم الخاصة لتكشف دقائقها ودخائلها لأبناء الشعب الذين يطمحون إلى معرفة هذه الأسرار التي حال بينهم وبينها الأعراف والطبقية والفواصل الاجتماعية القاسية .

ولعل أهم ما يميز الحكايات المرحة تلك « المفارقات التي يستحدثها الغباء أو البلادة أو الخدعة ، وقد يكون موضوعها ماجناً ، وهي خالية من التعقيد ، ولها محور رئيسي واحد ، وقلما تتجه إلى الخارق » . وتختلف عن الأساطير والحكايات الخرافية في أن الناس أقرب إلى الاعتقاد بإمكان وقوعها ، فهي إذن أكثر أنواع الحكايات



★ د . سهير القلماوي :
«كتاب ألف ليلة وليلة ، ينقسم إلى قسمين ، قسم بغدادي والثاني مصري» ★



★ د . عبدالحميد يونس :
«أصل الحكاية الشعبية قائمة على الألغاز» ★

اقتراباً من الواقع ، وكثيراً ما تكون أكثر أنواع الحكايات معالجة لهذا الواقع ، إن أتت هذه المعالجة غالباً في صورة ساخرة ولاذعة معاً .

وشاعت النوادر في الأدب العربي منذ السنين الأولى للحضارة الإسلامية ، وقام كبار الأدباء بتدوين مجموعات كاملة من هذه النوادر أو الحكايات التي تدور حول فئات معينة من الناس كالبخلاء والمغفلين والأذكياء والحمق ، ووضع كثير منها حول شخصيات معروفة اتصفت بالمجون (**أبو نواس**) أو بالتطفل (**أشعب**) أو بالذكاء الساذج (**جحا**) وشخصية « جحا العربي » أبي الغصن « **جحا الفزاري** » من قبيلة فزارة ، والذي قيل إنه عاش في عصر **هارون الرشيد** ، تختلط اختلاطاً عجيباً مع شخصية « أبي نواس » الشاعر العباسي من ناحية ، وشخصية « جحا » الرومي « **نصر الدين خوجه** » الذي عاش في عصر **السلاجقة** ، وشهد **الصراع المغولي - التركي** العنيف ، من ناحية أخرى ، فنوادر أحدهم كثيراً ما تنسب للآخر ، رغم اختلاف شخصياتهم والطابع الاجتماعي الظاهر في نوادر كل منهم ، وقد شاعت نوادر جحا في أنحاء شتى من الشرق وحوض المتوسط وإفريقيا ، وإن كان التحريف يصيب اسمه في بعض هذه البقاع فهو « **جوجن** » في مالطة و« **جيوفه** » أو « **جيوشه** » في صقلية ، ولكن الوطن العربي أكثر مناطق العالم معرفة بجحا ، إذ غدا « شخصية قومية عاصرت الشعب العربي قروناً متطاولة فتطورت بتطوره وانتشرت بانتشاره ، وعملت على ترسيب حكمته العملية من ناحية ، والترويح عنه من وطأة الأحداث والوقائع من ناحية أخرى »[٢٣] . وهذه الشخصية التي أنجبها المجتمع العربي - إنجاباً جسدياً أو إنجاباً فكرياً - تشير ، بذكائها وبساطتها ، إلى ذكاء الشعب المبدع وبساطته وتعبيره عن رأيه بحرية قد تصل في عرف بعضهم إلى الشذوذ . ولكن جحا لم يكن شخصية منحرفة أو شاذة ، والواقع « أن الشعب العربي الفنان إنما آثر على مدى العصور ما يؤثره الرسام الكاريكاتوري في زماننا ، من الاخلال المقصود بين التناسب الواجب لهذه الصورة ابرازاً لموقف ، وترسيباً لحكمة ، وترويحاً عن النفس ، ولم يكن جحا مخبولا أو ناقص العقل ، ولكنه كان يتناول الأمور من أقرب الزوايا إلى الحق والواقع فيبدو مناقضاً لصنيع الآخرين الذين لا يتصورون الحق قريباً ، ويمدون أبصارهم وبصائرهم إلى بعيد . كما أنه كان صريحاً غاية الصراحة في التعبير عن نفسه ، لا يشغل باله بأن الإطار الاجتماعي كثيراً ما يفرض على الناس أن يسكتوا أو يرمزوا ، وهذه الصفة تنطبق أيضاً على أفعاله فهو

يستسلم دائماً لرغباته في لحظاتها . وهذه الفلسفة الخاصة به تجعله بريئاً من الخوف والكبت ، وتبرزه أقوى من غيره ، ولعلها هي التي جعلت شخصيته أقرب ما تكون إلى من يسقط عنه التكليف الاجتماعي(٢٤) .

والنادرة ـ بما جبلت عليه من ايجاز وقصر ـ تستطيع اكتساب عدد أكبر من المهتمين بها والمتذوقين لها ، كما أنها تستطيع ـ بهذه الصفة نفسها ـ العبور إلى العصر الحديث والعصور المنتظرة التي تتجه نحو السرعة والعجالة ، فهي بهذا أوفى بالغرض وأدعى للاستمرار وأكثر حدة ومضاء في جسم الزمن من سائر أنواع الحكايات .

ألف ليلة وليلة

اختلطت الحكايات العربية منذ القديم ، حالها حال الشعب العربي نفسه ، وساعد على اختلاطها عوامل كثيرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ، حتى نكاد لا نميز ، أو لا نميز مطلقاً ، بين شخصية الحكاية السورية وأختها المصرية مثلاً ، وهذا لا يمنع أن يكون هناك بيئتان للحكايات في الوطن العربي بشكل عام : **البيئة البدوية والبيئة الحضرية** ، وتتوزع كلُّ بلد عربي تقريباً هاتان البيئتان ، فنجد معهما من ثم حكاياتهما المتميزة ، وإن كانت إحدى البيئتين تطغى على الأخرى في بعض البلدان ، تبعاً لطبيعتها البشرية أو الجغرافية أو الحضارية .

وللحكايات **السورية** ذلك التأثير القديم في النهر الفولكلوري العالمي الكبير ، وإن كان هذا التأثير كثيراً ما يختلط مع التأثير المصري ، فيختلط معهما الأمر على الباحث ، **وكتاب ألف ليلة وليلة هو خير مثال لحصيلة هذا الاختلاط العربي القديم ، والتمازج الثقافي والفكري بين الأقطار العربية** ، وهو

★ رسم شعبي لشخصية هارون الرشيد مع وزيره ، في عصره ازدهرت الحكاية الشعبية ★





ولا شك كاهن حكاياتنا الذي أدلي إليه بكل أسرارها . وحين تحاول **الدكتورة سهير القلماوي** البحث عن أصول هذا الكتاب تنتهي إلى هذه النتيجة : «كل ما نستطيع أن نؤكده هو أن الليالي التي بين أيدينا قسمان منفصلان : قسم بغدادي وقسم مصري ، فالقسم البغدادي يدخل فيه كل القصص الهندي أو الفارسي الذي دخل العربية زمن العباسيين ، والقسم المصري ما كتب من هذه القصص في مصر أو سورية لاتصال البلدين صلة وثيقة أيام المماليك وتحت حكم الأتراك»(٢٥) .

وقد وردت عدة روايات تاريخية عن (سورية) ألف ليلة وليلة ، ومن المفيد أن ننقل هنا ما كتبه **شفيق المعلوف** عن ذلك «**الشيخ المجهول**» الذي وضع القسم الأكبر من ألف ليلة وليلة ، فيقول : «وحين كان «**سترن**» في القاهرة أورد في يومياته ، بتاريخ حزيران (يونيو) ١٨٠٧ م ، فقرة عما اكتشفه «**اسلين**» من أن مخطوطات ألف ليلة وليلة التي كانت متداولة عهدئذ في مصر ، جمعها شيخ مسلم مات قبل ذلك التاريخ بست وعشرين سنة . وأن الأصل لم يكن يجاوز المئتي ليلة ، فأضاف إليها ذلك الشيخ قصصاً مختلفة كانت معروفة قبل ذلك ، وجعل من الجميع مؤلفاً واحداً صار مع بعض مخطوطات سواه أساساً للنسخة التي أقرها «**زوتمبرغ**» بعد تحقيقها ، وطبعت عام ١٨٣٥ م ، فعرفت بطبعة بولاق الأولى»(٢٦) . ومن ناحية أخرى يجتهد «**لين**» في تعيين وطن مؤلف الليالي «بأنه مصر ، ويعلل هذا التعيين بأن الحال الاجتماعية هي حال مصر»(٢٧) . والشيخ **الشيرواني** يرى في مقدمة الطبعة الإيرانية أن واضع الكتاب سوري ، **ودوساسي** يرى رأياً قريباً من الشيرواني ولكنه لا يستبعد أن يكون النقلة قد زادوا على حكايات ألف ليلة وليلة في كل زمان ومكان(٢٨) . وقد كتب الشيرواني بالفارسية في مقدمة نسخته ـ نسخة كلكتا الثانية ـ أن هذا المؤلف السوري «كتب الكتاب بقصد تسهيل تعلم اللغة العربية لمن يريد تعلمها»(٢٩) .

وفي عام ١٧٨٨ م ، ترجم **دانيس شافيس** حكايات من العربية إلى الفرنسية في أربعة أجزاء ألحقها بترجمة غالان ، ودانيس شافيس هذا ، ولعل اسم عائلته **شاويش**(٣٠) «هو كاهن سوري استقدمه **البارون ده بروتاي** من روما إلى باريس على نفقة الحكومة الفرنسية ، وإلى هذا الكاهن السوري يعود الفضل بالعثور على إحدى المخطوطات المدرجة فيها **قصة علاء الدين**»(٣١) .

وفي بعض نسخ ألف ليلة وليلة ـ غير النسخ المصرية ـ قصة **(سول**

وشمول) ، وأشار (ماكدونالد) في بحثه إلى المخطوط الفريد لهذه القصة الموجود في **جامعة توبنجن الألمانية** والذي نشره **(زيبلد)** وترجمه إلى الألمانية . وقد أرخ زيبلد هذا المخطوط بالقرن الرابع عشر وعزاه إلى أصل سوري(٣٢) .

ويقول كراب إن الإغريق أنفسهم قد استعاروا «قصص **اهيكار** من الساميين ، وكتاب **السندباد** من السوريين ، وقصة **الإمبراطور ورئيس الدير** من العبريين السكندريين . وقصة **رئيس المنسر** من المصريين»(٣٣) .

ومن المعروف ان **غالان** بعد أن ترجم ألف ليلة وليلة ونضبت المادة بين يديه انقطع عن العمل عدة سنوات ، حتى هيأت له الظروف أن يلتقي برجل سوري يدعى **(حنا الحلبي)** جاء إلى باريس برفقة الرحالة الفرنسي «**يول لوكا**» ، وكان يختزن في ذاكرته حكايات كثيرة رائعة ، فراح يرويها له بالعربية ، ودوّن غالان بعضها ، ثم قدّم له حنا بعضها الآخر مكتوباً ، فأنجز بذلك كله الأجزاء الأربعة الأخيرة من ترجمته(٣٤) .

يظهر أن **(حلب)** مصدر هام من مصادر حكايات ألف ليلة وليلة في الطبعات الغربية ، بل إن بعض أشهر مخطوطات الليالي التي طبعت في الغرب جاءت من حلب **(طبعة ريتشاردسن)** ، ثم طبعة **الشيخ اليمني** المعروفة بطبعة كلكوتا الأولى(٣٥) والتي يفهم من أقوال ماكدونالد في «**موسوعة الإسلام**» أنها جاءت من **مخطوطة باتريك راسل** التي أتى بها من حلب . ولا عجب إذا كانت حلب على هذا القدر من الاهمية في هذا الباب ، فهي التي تولت ، كما يقول **خير الدين الأسدي** ، «مركز التطاحن السامي الآري»(٣٦) لعدة قرون من الزمن .

ويستنتج **سلفستر دي ساسي** DE SACY بعد دراسات طويلة وعميقة أن ألف ليلة وليلة عربي الأصل ، معتمداً في استنتاجه هذا على الأسس التالية :

أ ـ مسرح أحداث الحكايات غالباً ما يكون ضفاف دجلة والفرات .

ب ـ الإشارات إلى العلم والسحر لم تكن مجهولة لدى العرب .

جـ ـ الجن والعفاريت الواردة أخبارها في الحكايات هي وليدة الترهات والأساطير العربية .

د ـ في الكتاب أحاديث شتى عن موسى وداوود وآصاف لم يعرفها الهنود والفرس قبل دخول الإسلام بلديهما .

هـ ـ الإشارات إلى الهند وفارس هي بحد ذاتها دليل على عروبة الكتاب ، إذ إن اللجوء إليهما ما كان إلا لايجاد مسرح رحب للخيال ، ووصفهما كان وصف من يسمع لا من يرى .

و ـ أن تأليف الكتاب قد بدأ في سورية ، ثم تابع النساخ اكماله ، إما بإضافة قصص معروفة من قبل كحكاية (السندباد والوزراء السبعة) ، وإما بتأليف حكايات تتفاوت في الجودة ثم تحشر مع حكايات الكتاب الأصلية(٣٧) .

ولا شك أن الشعوب الشرقية عامة تتشابه في تفكيرها إلى حد كبير ، وعلى هذا يمكن لألف ليلة وليلة أن يكون فارسياً أو هندياً كما يمكن أن يكون عربياً ، مصرياً أو سورياً أو عراقياً ، ولا يهمنا ، هنا ، إثبات عربيته بقدر ما يهمنا إثبات أن العرب كان يمكن لألف ليلة وليلة أن يكون من إبداعهم الخاص ، وقد كانت لديهم الحكايات والقصص الشعبية المناظرة والمجانسة لحكاياته ، مما يصلح أن يكون كتاباً كألف ليلة وليلة .

وعلى الرغم من أن الليالي هي نفسها مجموعة من الحكايات الشعبية ، وأن كثيراً من حكاياتنا تعود إلى أصولها في الليالي ـ وربما كان العكس أحياناً ـ يظل ألف ليلة وليلة كتاباً مدوّناً مثله في ذلك مثل السير الشعبية العربية ، مما يحتم علينا أن نفصل بين هذه المجموعات الشعبية المدوّنة وبين حكاياتنا ، فنطلق على الأولى اسم **(الأدب الشعبي الكلاسيكي)** وعلى الثانية **(الأدب الشعبي الشفوي)** .

هذه هي البحيرة الكبيرة التي انحدر منها القصص العربي الأصيل ولو أردنا أن نأتي بكل ما لدينا من هذه القصص والاعتقادات لما وسعتنا مجلدات ، وما نريد إثباته في النهاية هو عربية الحكايات والقصص ، وهذه (العربية) لا تنفي ـ كما بينا ـ وجود أصول لها غير عربية ، ولكن هذه الأصول دخلت المصنع العربي وخرجت منه عربية ، ترك العرب شخصيتهم وآثارهم وعقائدهم في كل جانب منها ، بل إن الحكايات العربية نفسها قد اندمجت اليوم فيما بينها اندماجاً كاملاً جعل لها شخصية مميزة متوحدة . وقد أدرك الدكتور «**رودي باريت**» قيام صلة متينة بين قصص الأدب الشعبي العربي و«أن بعض المشكلات التي يكتنفها الغموض في بعض القصص قد تجد حلاً واضحاً لها في بعضها الآخر»(٣٨) .

وما يزال بين أيدينا ـ حتى اليوم ـ كثير من الاعتقادات والعادات والموروثات التي وصلتنا عن قدامى العرب ، والتي تدلنا على أصول هامة وحقيقية للقصص والحكايات الشعبية العربية .

الهوامش

(١) ص ٥ ، القاهرة ١٩٦٨م .
(٢) أي : صناديق الحكمة الخمسة .
(٣) كراب : علم الفولكلور : ١١٨ ـ ١١٩ ، ترجمة رشدي الصالح ، القاهرة ١٩٦٧م .
(٤) عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية : ٣٢ .
(٥) راجع قصص العرب ، جاد المولى بك : ٣٤٨ ـ ٣٥٢ ، القاهرة ١٩٤٨م .
(٦) نفسه : ٣١٩ .
(٧) ج ١ : ٣٦ .
(٨) الأسد والثيران الثلاثة : ص : ٢٤٧ .
(٩) قصة الأدب في الحجاز : ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، عبد الله عبد الجبار وعبد المنعم خفاجة ، القاهرة ١٩٥٨م .
(١٠) أضواء على السير الشعبية : ٢٧ ، القاهرة ١٩٦٤م .
(١١) علم الفولكلور : ٣٢ .
(١٢) علم الفولكلور : ٨٤ .
(١٣) علم الفولكلور : ٥٢ .
(١٤) البغدادي : خزانة الأدب ٣ : ٥٤٩ .
(١٥) عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية : ٤٥ ـ ٤٦ .
(١٦) JAMES FRAZER : VOL : 7, P :194.
(١٧) الحكاية الشعبية : ٩٩ .
(١٨) مجمع الأمثال : ٢ ـ ٣٢١ ، القاهرة ١٣٥٢هـ .
(١٩) محمد مفيد الشوباشي : القصة العربية القديمة : ٣٨ ، القاهرة .
(٢٠) المرجع السابق : ٥١ .
(٢١) نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي : ١٨١ ، القاهرة .
(٢٢) المرجع السابق : ١٧٦ .
(٢٣) عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية : ٧٨ ـ ٨٠ .
(٢٤) المرجع السابق : ٨٠ .
(٢٥) ألف ليلة وليلة : ٣٢ ، القاهرة ١٩٦٦م .
(٢٦) شفيق المعلوف : حبات زمرد : ٣٦ ، دمشق ١٩٦٦م .
(٢٧) سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة ، ٢٩ .
(٢٨) فاروق سعد : من وحي ألف ليلة وليلة ١ : ٢١ ، بيروت ١٩٦٢م .
(٢٩) القلماوي : ٢٩ .
(٣٠) شفيق المعلوف : ٦٥ .
(٣١) د . ب ماكدونالد : ملحق موسوعة الإسلام . عن المرجع السابق .
(٣٢) القلماوي : ٤٥ .
(٣٣) كراب : ١٩ .
(٣٤) شفيق المعلوف : ٦٢ .
(٣٥) نفسه : ٦٧ .
(٣٦) حلب كوجود فكري وحضاري : مجلة العمران السورية : العدد (٢٠ ـ ٢٢) ص : ١٠ .
(٣٧) فاروق سعد : من وحي ألف ليلة وليلة ١ : ٢٩ .
(٣٨) نبيلة إبراهيم : سيرة الأميرة ذات الهمة : ٣١ ، القاهرة .

بمناسبة

عام الطفل



★ لوحة . يميل رسامها الكبير إلى التعبير عن حزن هذه الطفلة التي نراها في لحظة ألـم .. لعصافير حبيسة القفص .. إنه موضوع يشغل بـال أطفـالنا ، ويضع أمامهـم علامة استفهام وتعجب ! ★

كبار الفنانين يرسمون للأطفال

●● هناك فنانون ، من العرب والأجانب ، تميز أسلوبهم الفني بخاصية معينة جعلوا منها وسيلة للترفيه عن الأطفـال .. فعمـر أطفـالنا كالورود ، في حاجة دائمة إلى الرعاية .. والعناية .. يتم هذا اللقاء بين الفنان الكبير والطفل من خلال برامج التلفـزيـون الملـون وأفـلام الكرتون .. والرسومات في المجلات المتخصصة للطفل ، وكلها محاولات للتقرب من شخصية الطفل ، ودراسـة حـالاته النفسـية وأحـلامه .. وتخيلاته ، وبحثه عن المعرفة ، وسؤاله الدائم الباحث عن إجابة لكل ما يراه حوله من كائنات وأشياء .. فعلى الصفحتين التاليتين ، اخترنا بعض النماذج لكبار الفنانين ، حاولوا فيها التعبير بالرسم ، بما يتناسب ومفهوم الأطفال ●●







● اللوحات الثلاث :

★ الأولى لوحة فيها بساطة وتلقائية قريبة من نفسية الطفل ، عندما يراها لأول وهلة يحاول تقليدها رسماً لتكويناتها المبسطة والتخلص من التعقيدات التي تزدحم بها لوحات أخرى ، علاوة على استخدام اللون في أشكال هندسية غاية في البساطة ، وهي من أعمال الفنان العراقي جواد سليم ★

★ والثانية لوحة للفنان المصري «إيهاب شاكر» ، حاول فيها تصوير فرحة الأولاد بدمية كبيرة الحجم ، مستخدماً أنواع الألعاب المحببة إليهم .. والنماذج التي يرتاحون إليها ★

★ والثالثة لوحة لأحد الفنانين الإيرانيين ، من مجموعة قصص خاصة بالأطفال .. حاول فيها مزج البراءة بالتراث في أسلوب مبسط رقيق ، محبب وقريب من قلب الطفل ★

★ لوحة لأحد الفنانين البولنديين ، حاول فيها أن يصور بهجة الأطفال بحبهم للحياة .. والموسيقى .. والتحليق في آفاق رحبة من السعادة والانطلاق .. فالكل .. يعزف لحنه الخاص .. والكل يريد أن يغني أغنيته السعيدة .. فالأمل في المستقبل بالنسبة لأطفالنا ، مشرق الوجنات .. وقد راعى الفنان هنا ، تقريب أسلوبه من أسلوب الطفل في التحريك والألوان وبساطة الموضوع ★

★ لوحة رسمها أحد الكبار وفيها طفلة تتخيل .. وحلماً غريباً لا يوجد إلا في خياله .. حيث يحمله طائر الفرح إلى دنياه الأثيرة « البراءة » بعيداً عن ضجيج الحياة وتغريبها وغربتها ، فنرى في عينيه نظرة حلم شجاع لا يعرف الخوف مطلقاً ★







★ لوحة ، استطاع فيها الفنان الكبير أن يصور طفلاً يحتضن حيواناً في رقة متناهية ، معبراً بذلك عن صداقة الأطفال في هذا العمر للطيور والحيوانات ★

من تاريخ المكتبات

بقلم: حمد عبد الرحمن الجنيدل



على مدى التاريخ كله كان للكلمة المكتوبة سحرها الذي لا ينتهي ، ولقد كان كارلايل على حق حين قال : « إن الكتابة كانت أكبر معجزة حققتها الإنسانية » ، وأنا أقول إن الكتابة كانت الهدية التي أكرم الله البشر بها ، وحين بدأ الإنسان بالكتابة بدأ يرسي حجر الأساس لتاريخ الحضارة .

جيل بعد جيل ، وقرن بعد قرن ، كان البناء يرتفع وكانت البشرية تضيف إلى تراث الأمم الحالية ما تتوصل إليه من المعرفة والابداع . ومن الممكن القول إنه مرت قرون عديدة لم يكن أمام الإنسانية من وسائل المتعة والترفيه ، سوى الكتب ، فمن أجل هذا صارت الكتب وسيلة تثقيف وترفيه معاً ...

وحينما ألهم الإنسان صنع الآلة الحديثة كوسيلة للإعلام والتعليم ، لم تفقد الكلمة المكتوبة رواءها ، لأن هذه الأجهزة تستق مصدرها ومعينها من الكلمة المكتوبة ليس إلا ...

في المكتبة يلتقي الماضي بالحاضر ، ويطل الحاضر على المستقبل ، وعلى مدى التاريخ الإنساني كانت الكتب والمكتبات هي الوعاء الذي تتجمع فيه عصارة الفكر الإنساني .

المكتبة في مصر والشرق القديم

في أرض مصر والشرق القديم تمتد أعمق البذور ، **فمنذ ما يقارب من خمسة آلاف عام عرف المصريون الكتابة وسجلوا بها وصاياهم** . ففي المكتبة الأهلية بباريس بردية كتبت في عصر الأسرة الثانية عشرة (٢٢١٢ قبل الميلاد) ، وهي تحمل نصوصاً ترجع إلى ما قبل سنة ٣١٠٠ ق . م . إلى جانب ما تم الكشف عنه من كتابات مصرية قديمة منذ **عهد زوسر** الذي حكم مصر حوالي سنة ٣١٥٠ ق م ، وكان من مشجعي الآداب والفنون ، ولقد وجدت عبارة على أحد القبور تقول إنه كاتب دار الكتب ، ويقول **ديورانت** في كتابه «**قصة الحضارة**» في حدود سنة ٢٠٠٠ ق م ، كانت هناك ـ في مصر ـ مكتبات تحوي برديات مطوية ومحفوظة في جرار معنونة ومصفوفة على رفوف (**قصة الحضارة ١١٢/٢**) .

وقد وجدت في مصر مجموعات من الكتب ، فقد أخبر **ريووردس** أنه كان **لرمسيس الثاني** مكتبة في طيبة كان منقوشاً على بابها (دار شفاء النفس) ، وفي أدفو وجدت مكتبة كانت فهارسها منقوشة على حوائطها . وقد اهتم ملوك مصر بالاحتفاظ بالوثائق التي جرت بينهم وبين حكام آسيا ، وقد وجدت نماذج من هذا في **قصر أخناتون** .

فإذا انتقلنا إلى **الشام** وجدنا آثار مكتبة عثر عليها سنة ١٩٢٩م ، **برأس شمر** في الشمال الغربي من سورية ، يرجع تاريخها إلى النصف الأول من الألف الثاني ق م ، وفي **زابونا** مكتبة كاملة من الألواح الطينية بعضها مكتوب **بالهيروغليفية** وبعضها بحروف هجائية سامية ، وأكبر الظن أن هذه الألوان يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر ق م ، (**قصة الحضارة ٣١٧/٢**) .

ونعبر من الشام إلى بلاد ما بين النهرين (**العراق**) لتطالعنا **كتب البابليين والآشوريين** منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، فقد كانت **الألواح الطينية** مصفوفة ومصنفة على حروف تملأ عدداً كبيراً من المكتبات في هياكل الدولة البابلية وقصورها (**قصة الحضارة ٢٣٦/٢**) ، وقد عثر في سنة (٨٨٨ ـ ١٩٠٠) ، بواسطة البعثة الأمريكية في **نيبور** في وادي الفرات على نحو ثلاثين ألف ورقة وثيقة تتضمن الشؤون الأمارية وآلاف أخرى تتعلق بالفنون الأدبية وكلها منقوشة على ألواح من الطين يرجع تاريخ كتابتها إلى حوالي سنة ٢٧٠٠ ـ ١٩٠٠ ق م) . (**تاريخ الكتاب ص ٩**) ، وفي آثار **مدينة نينوى** في منتصف القرن الماضي ، عثر على مخطوطات وألواح من مكتبة **الملك آشور بانيبال** (٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق م) ، الذي عني بجمع تراث البابليين والآشوريين في مختلف فروع المعرفة فأنشأ مكتبة وجند لها عدداً من النساخ والموظفين ، وأمر بأن تودع بها نسخ من المدونات الهامة كتباً كانت أو رسائل أو وثائق ، فبلغت مقتنياتها ثلاثين ألفاً من الألواح الطينية . وقد توصل الباحثون إلى أكثر من هذا عن هذه المكتبة فوجدوا أن المكتبة مفهرسة على ستة مواضيع «التاريخ ـ القانون ـ العلوم والسحر والقصائد والأساطير» .

وما دمنا في الشرق فلنذهب معاً إلى **الشرق الأقصى** ، تاركين القارة الهندية بأكملها ، لنصل إلى **الصين** ، فقد كان له أدبه وتاريخه وكتابته ومؤرخوه إذ يقول مؤرخوه إن **لودز** ملَّ من عمله الرسمي المتواصل في أمانة مكتبة جو الملكية ، فاعتزم أن يغادر الصين وهذا الفيلسوف قبل **كونفوشيسوس** فيلسوف الصين المشهور وهذا تقريباً قبل ألف عام ق م ، (**قصة الحضارة ٣٠/٤**) .

وأما في **اليونان** فيكتنف الغموض تاريخ المكتبات فلم يبق لنا الزمن من آثارهم المكتوبة شيئاً ، موغلاً في القدم ويرجع الخبراء هذا إلى المواد الخام المستعملة لكتابتهم مهما كانت من المتانة فهي عرضة لرطوبة الجو لا سيما مثل أوراق البردى ولكن على مقربة من اليونان عثر **آرثر ايفانز** على ألواح في **جزيرة كريت** تؤكد أن الكتابة عرفت واستعملت في تلك الجزيرة منذ سنة ٢٠٠٠ ق م ، ولسنا نشك أن شعباً كشعب اليونان يجهل أمر الكتابة التي يعرفها مجاوروهم في تلك الحقبة ولا يمكن أن تكون **الإلياذة والأوديسة** ميراثاً يعتمد على الذاكرة فحسب لا سيما وقد حفظت ووصلت إلينا سليمة بنفس النصوص التي كتبت بها دون تبديل ، واليونانية قد عرفت الكتابة منذ عهد **هوميروس** وإن لم تتوسع في استعمالها إلا بعد وقت طويل وأكبر الظن أن الكتب لم توجد في بلاد اليونان إلا ابتداءاً من القرن السابع قبل الميلاد ، وهذا تاريخ قريب جداً إذا قيس بتاريخ الكتابة في مصر والشرق القديم ، **ولم يبلغ الأديب اليونان عصره الذهبي ، إلا في عهد آخيل وبندار وسوفكليس وهيرودوت** وهذا في القرن الخامس قبل الميلاد . وبدأ عصر المكتبة الخاصة عندهم يظهر بنسبة ضعيفة ، ولكن ما إن جاء القرن الرابع قبل الميلاد ، وهو عصر **أفلاطون** ، حتى ظهر عصر **المكتبة العامة** ، حيث استمرت **أكاديمية أفلاطون** عشرة قرون بعد ذلك إلى سنة ٥٢٩م ، حيث أغلقت أبوابها استجابة لرغبة **جستينان** .

وإلى جانب مكتبة أفلاطون ، وجدت **مكتبة أبيقور** في سنة ٣٠٦ ق م ، وسلم أفلاطون الأمانة من بعده إلى عهد **أرسطا طاليس** حيث أنشأ مكتبة ومدرسة سنة ٣٣٥ ق م . ولكن من الجدير بالتنويه أن هذه المكتبات مع أنها عامة إلا أنها مقتصرة على الصفوة المختارة من المثقفين .

ويمتد بنا الخيط الحضاري إلى **الرومان** فنجد أنهم يعلقون أهمية كبرى على الأدب في التعليم ، ومن أجل هذا كان البيت الروماني يقوم بوظيفتين تربوية وتعليمية في وقت واحد والنتيجة الطبيعية أن تظهر **المكتبات الخاصة** في المنازل قبل ظهور المكتبات العامة **ولقد أصبحت المكتبات الخاصة** سمة **بارزة من سمات الحضارة الرومانية منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وحتى أوائل القرن السادس الميلادي** ، وأهم مكتبة خاصة وأقدمها التي أنشأها **لوكولس** (١١٧ ـ ٥٦ ق م) ، والتي هيأها لكل من يحتاج إليها من الباحثين والعلماء .

وفي نفس الوقت كان **لشيشرون** ثلاث مكتبات خاصة في **روما وأينتم وتسوسكلم** ، ومنذ عهد شيشرون أصبحت المكتبات الخاصة شيئاً أساسياً بالنسبة لكل دارس أو مسؤول أو معلم ، وأصبحت كل مكتبة تحوي التراثين اليوناني والروماني على السواء وخصوصاً منذ عهد **أغسطس**

(٦٣ - ٦٤ بعد الميلاد) ، حيث بلغت **مكتبة بيرشيوس** سبعمئة مجلد **والمؤرخ المشهور بليني** عندما كتب كتابه « **التاريخ الطبيعي** » رجع إلى ألفي مجلد وجمع عشرين ألف معلومة ، واعتقد أن أغلب هذه الكتب في مكتبته الخاصة .

ويقول **سيديوس** إن أحد العلماء الرومان جمع مكتبة قوامها ثلاثين ألف مجلد ، ولكن لم تستمر هذه النظرة عند الرومان بل إنه مع اندثار هذا الجيل الذي نتكلم عنه وهو القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده كثرت الهجرة إلى الرومان ، وأغلبهم من **آسيا الصغرى واليونان** ، انخفض مستوى التعليم وأخذ في الانحدار ، وبدأ البيت الروماني يتخلى عن رسالته وكثرت الأموال نتيجة لنمو التجارة وبدأوا ينفقون عن سعة ويجتهدون في تأثيث القصور ، وأصبحت الكتب تقتنى لا لتقرأ وإنما لتعرض لا لقيمتها العلمية بل لقيمتها الشكلية ، وهذا وإن أدى إلى ثروة من الكتب إلا أنها ثروة كاذبة ومظهر خداع .

وقد ثار على الرومانيين ثورته الفكرية الشهيرة **العالم سينكا** حيث نعى على قومه أنهم إنما يجمعون الكتب ليزينوا بها الجدران وأنهم يصنعون في القطع الفاخرة من الأثاث كتباً تافهة لا يعرفون قيمتها الفكرية ولا يهتمون إلا بجلودها المزخرفة . وتبعه **لوسيان** في الهجوم وقال إنهم يجمعون الكتب للارتقاء السياسي والاجتماعي لا بقصد التعليم والثقافة وكانت نهاية السخرية من **الشاعر الساخر أوسينوس** ، حيث سخر ممن يظن أنه بإمكانه أن يصبح أديباً لمجرد اقتنائه الكتب الأدبية تماماً كمن يقتني الأدوات الموسيقية ظناً منه أنه بذلك يصبح موسيقياً .

هذا عن المكتبات الخاصة عند الرومان ، أما المكتبات العامة فنلاحظ أنها لم تظهر في روما قبل عصر أغسطس إذ كانت أول مكتبة عامة سنة ٣٩ ق . م ، في **معهد الحرية** وتبعها مكتبتان أخريان هما **المكتبة البالايتنية** التي أنشأها القيصر أغسطس بجوار **معبد أبولو** بروما **والمكتبة الأكتافية** التي أنشئت في ميدان مارس ، وفي القرن الثاني بعد الميلاد أصبح عدد المكتبات العامة ستاً وعشرين كلها في المعابد والهياكل ، وأطولهن عمراً **مكتبة أوليبا** التي أنشأها **الإمبراطور تراجان** بجوار معبده .

وبانتشار الحكم الروماني والحضارة الرومانية انتشرت المكتبة الرومانية في شمالي إفريقيا وإسبانيا وجنوبي فرنسا وشرقي البحر المتوسط، ولم تكن هذه المكتبات مجرد أوعية للكتب بل ملتقى للدارسين والباحثين .

وبوصولنا للقرن الرابع الميلادي وهو بداية حزر الإمبراطورية الرومانية حيث حلت **المسيحية** محل الوثنية فتقوقع الأدب الوثني وترك مكانه للأدب الجديد ، وجاء **المد الإسلامي** بعد ثلاثة قرون ، أي في القرن السابع الميلادي ، ليكتسح بلاداً ومناطق شاسعة ويزيل كل ما على وجه الأرض من تراث وثني وأخرجه لنا في صورة جديدة أثرت في مجرى الفكر العالمي والحضارة الإنسانية . والفضل الذي يمكن أن نذكره للمكتبة الرومانية أنها احتفظت بالتراث القديم حتى نقله العرب المسلمون إلى لغتهم عن طريق **السريانية** ، وفي هذا يقول السير **البروفسور ريموند ايرون** في كتابه « **أصول المكتبة الانجليزية** » : « لقد وصلنا التراث اليوناني عن طريقين طريق الرومان وطريق العرب » .

المكتبات عند العرب المسلمين

بعد هذه الجولة في تاريخ المكتبات ما قبل الإسلام نصل إلى العرب المسلمين ودورهم في تاريخ الكتب والمكتبات ، إذ إن دورهم خطير جداً ، فقد نقلوا كل ما وجدوا من تراث من سبقهم إلى لغتهم لا سيما الرومان واليونان والفرس وأضافوا بعد هذا كل ما في وسعهم من قدرة على الابتكار والتجديد وظلت هذه النقولات والافادات أمانة في أيديهم حتى سلموها إلى أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي .

ولقد كان المسلمون نقطة كبيرة في مساحة الثقافة الإنسانية وكانت مكتباتهم مستودعاً أميناً لتراث الإنسانية في أقدم عصورها . **وتاريخ الكتاب والمكتبات عند العرب يرتبط بطبيعة الحال بتاريخ الإسلام ، والدولة الإسلامية في جميع عصورها** . فالعرب في جاهليتهم كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب . وكانوا شبه منعزلين في جزيرتهم عن العالم الخارجي ، وكانوا شيعاً وأحزاباً تحولوا بفضل الله ثم بفضل الإسلام إلى أمة متماسكة قوية مؤمنة رأت النور فاستضاءت به وحملته إلى غيرها ، ولم يستكمل قرن على إشراقة الدعوة الإسلامية حتى أصبح ما يزيد عن ثلثي المعمورة تدين لله جل شأنه ، وأصبحوا سواسية همهم خدمة الدين الإسلامي الذي اعتنقوه عن عقيدة وإيمان ، **فقدم الإسلام أعرق حضارة وأمتنها وبنى دولة قوية هي دولة الإيمان** .

والعرب أمة تسحرهم الكلمة والبلاغة فنزل **القرآن الكريم** عليهم بلغتهم ، فداروا حوله وحملوه إلى أصقاع المعمورة ، ودوّن **الحديث النبوي** فأصبحت **المكتبة القرآنية ومكتبة الحديث النبوي** هما أثرى المكتبات في أزهى عصور الدولة الإسلامية الأولى ، وتكونت نواة المكتبات الأخرى دائرة حول القرآن والسنّة ورحلة المسلمين خارج البلاد الإسلامية الذين لفتت أنظارهم الكتب الجديدة فقاموا بترجمتها ، وشرحها ، والتعليق عليها وتمحيصها ، وحاولوا تقريب مفاهيم هذه الكتب للقراء بثوب جديد ولم يتركوا نقطة ضعف في هذه الكتب إلا وأشاروا إليها وأضافوا من قرائحهم ما يعتقدونه متمشياً مع الفكر الإسلامي .

وصار الكتاب هو رمز الأمة الإسلامية ذلك لأن الأمة الإسلامية أمة قارئة كذلك أمر الله جل شأنه في أول آية نزلت على رسوله ﷺ « **اقرأ** » ولا أدل على تنفيذ هذه الأوامر من هذا التراث الهائل الذي لم يصلنا منه سوى القليل الأقل . وهذا القليل هاجر معظمه بطرق شرعية وطرق أخرى إلى بلاد الأجانب وأعداء الإسلام .

ولقد أدهش علماء الغرب في العصور الحديثة ما كتبه علماؤنا السابقون ، فمنذ بدء التدوين لم يقف رعاف القلم الإسلامي ولم ينته قلم إلا ليبدأ قلم آخر أكثر نشاطاً ، كل هذا النشاط مستوحى من التوجيهات السماوية في القرآن الكريم والسنّة النبوية ، فالله جل شأنه أنزل آيات كثيرة في شأن العلم لا تخفى على من يتلو القرآن : **﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ . ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ ، ﴿ فيها كتب قيمة ﴾** .

وقال تعالى : **﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾** .

من أجل هذا كان القرآن الكريم فتحاً جديداً ورائعاً لا في تاريخ العقيدة فحسب ، وإنما في تاريخ المعرفة الإنسانية كلها . فقد كرم العلم والعلماء وأقسم الله تعالى في محكم آياته بالكتاب وبالقلم . وكي يعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام جعل فداء أسرى قريش في **غزوة بدر الكبرى** أن يعلم الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

ومن أجل هذا اتجه المسلمون إلى تأسيس المكتبات بأقلام إسلامية عربية فبدأت المؤلفات تخرج إلى حيز الوجود منذ القرن الأول .

ابن النديم مثلاً يحدثنا أن **عبيد بن شرية الجرهمي** وفد على **معاوية بن أبي سفيان** فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد ، فأجابه إلى ما سأل فأمر معاوية أن يدون ذلك في كتاب وأن ينسب إلى ابن شرية (**الفهرست ١٣٢**) .

ويروي ابن سعد في الطبقات عن **هشام بن عروة بن الزبير** أن أباه أحرق يوم الحرة كتب فقه كانت له ، وأنه كان يقول بعد ذلك لأن تكون عندي أحب إلي من يكون مثل أهلي ومالي (**الطبقات ١٣٣/٥**) .

وممن عني بجمع الكتب على مستوى المكتبة أمراء بني أمية وأبرزهم خالد بن يزيد بن معاوية الأموي ذلك أن خالداً نفسه كان من أعلم الناس بالكيمياء والطب وكان بصيراً بهما ، وله رسائل تدل على معرفته وبراعته ، وبأمره ترجمت الكتب اليونانية والقبطية وبقيت رسائله إلى زمن ابن النديم ، ففي هذا العهد وضعت البذور الأولى للمكتبة الإسلامية وبعد هذا بزمن **بدأ جمع الحديث النبوي على يد الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبدأت الدراسات القرآنية والحديثية تظهر بالإضافة إلى علم الأنساب والشعر ، وسجلت السيرة النبوية** .

وتأسست **لعبد الحكيم الجمحي** ندوة أدبية ألحق بها مكتبة ودفاتر من كل علم وذلك على غرار مكتبة خالد بن يزيد بن معاوية ، فهما أول مكتبتان أكاديميتان على وجه التقريب ، وإن كان صاحب كشف الظنون يرى أنه لا وجود للمكتبة العربية في عهد الدولة الأموية وقد يحتاج هذا القول إلى مزيد بيان وتفصيل ليس هذا موضعه ومهما يكن فالأمر واضح لا سيما من يطلع فقط على التدوين وكثرة ما ألف في عهد بني أمية .

وأزيد على ذلك أن **ابن خلكان** رحمه الله حدثنا أن **الزهري** وهو الإمام المشهور عاش في عصر بني أمية كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله واشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا حتى قالت له امرأته يوماً : والله هذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر (**الوفيات ٣١٧/٣**) .

والجاحظ يروي أن **عمرو بن العلاء** يملك مكتبة ضخمة وصلت إلى سقف بيته ولما تقرأ - أي نسك وزهد - أحرقها جميعاً (**البيان والتبيين ٣٢١/١**) .

ولكن إذا كان من يرى أن الدولة الأموية لم تنشأ فيها المكتبة فلعله يقصد المعنى الأكاديمي الكبير أو المكتبة بمفهومها العلمي الحديث ، إذ إن الكتب المؤلفة في هذا العصر أو أغلبها مجرد رسائل صغيرة **كمسائل نافع بن الأزرق لابن العباس** وهذا ما **يحضرني الآن وقد نشرت** هذه المسائل مع **معجم غريب القرآن لأبي عبيد** ، واعتنى بالنشر الشيخ **محمد فؤاد عبد الباقي** .

وفي عصر **هارون الرشيد** ظهرت طبقة لها أهمية في تاريخ المكتبات والكتاب تسمى « **طبقة الوراقين** » ومهمتهم كما هو واضح استنساخ الكتب وتوزيعها لمن يريدها ، فكانوا على هذا بمثابة دور النشر في عصرنا الحاضر ، وكان لهم تأثير بطبيعة الحال في إنماء وإثراء المكتبة العربية ، ليس هذا فحسب ، بل **أصبحت دكاكين الوراقين منتديات أدبية للأدباء والمؤلفين والمفكرين** ، وكان الجاحظ ممن استفاد من هذه الحوانيت إذ كان يستأجر حوانيت الوراقين بعد انتهائهم من عملهم ويسهر فيها طول ليله للقراءة والتأليف . وإن شئت الاطلاع على ما كتبه الوراقون بأيديهم في القرن الثاني والثالث فعليك بكتاب **الفهرست لابن النديم** .

فستجد فيه أول عمل ببلوجرافي متكامل يعكس مرآة صادقة لجهود علمائنا العاملين تلك الجهود المخلصة في صناعة الحرف والتقاؤهم دائماً بالوراقين لتوزيع ونشر جهودهم . وابن النديم رحمه الله من طبقة الوراقين أنفسهم فلا ينبئك مثل خبير . ونذكر في هذه الفترة نموذجاً للمهتمين بالمكتبة لمن أبرزهم **الصاحب ابن عباد** رحمه الله واسمع ما يقول المؤرخ **«أرثر بوب عن مكتبته»** : «إنها تحق تعادل ما كان موجوداً في مكتبات أوروبا مجتمعة في العصور الوسطى» . وقرأت أن فهرست مكتبته عشرة مجلدات .

ويعجب **ديورانت** صاحب الكتاب العظيم (قصة الحضارة) بالعرب وحبهم للقراءة ، ويثني عليهم قائلاً : **« لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم ، اللهم إلا في الصين ما بلغته دار الإسلام في القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر الميلادي ، ففي هذه القرون - والكلام لديورانت - بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية ، ولم يكن العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية من قرطبة إلى سمرقند يقلون عن عدد ما فيها من الأعمدة ، وكانت ايواناتها تردد أصداء علمهم وفصاحتهم ، وكانت طرقات الدولة لا تخلو من الجغرافيين والمؤرخين»** ، إلى أن قال : **«لم يكن أحد يجرؤ على جمع المال دون أن يعين بماله الآداب والفنون» (قصة الحضارة ١٣/١٧١)** .

هذه المؤلفات كلها قبل أن يظهر عصر المطبعة بمئات السنين ، بل إن الآلات للكتابة وأدواتها غير متقدمة ، إذ كانت آلة الكتابة عندهم ما وجدوه في بيئتهم كأكتاف الإبل وعظام الحيوانات واللخاف (وهي الحجارة الرقاق البيض) ، وسعف النخل ، واستعملوا بعد الفتوحات الإسلامية ما سموه **بالمهراق** (وهو الحرير) ، وعرفوا في مصر **أوراق البردى** ويقول بيكر : «إن أكبر مخطوط عربي مكتوب على أوراق البردى هو بردية ذات سبعة وعشرين صفحة يعود تاريخها إلى سنة ٢٨٨ هـ» ، **(راجع مقالة في المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها بعنوان الكتب والمكتبات في العهد الأموي)** .

واستخدموا **الجلود** ولكن المحو فيها سريع والحرير غال وثمنه باهظ التكلفة والحاجة أم الاختراع ، فبحثوا عن بديل لذلك حتى يشبعوا رغبتهم في التأليف وافادة الأجيال بعدهم دون اللجوء إلى الذاكرة المعرضة دائماً للنسيان أو بموت أصحابها الحفاظ فيموت علم كثير بموتهم ، فعرف العرب أن أقرب بديل هو ما استعمله الصينيون للكتابة وهو بقايا الحشائش ، فأخذوا منهجهم في هذا الاكتشاف وأدخلوا تحسينات عليها حسب جهدهم وابداعهم حتى توصلوا إلى عمل ورق سموه **الورق الخراساني** يصنع من الكتان والخرق البالية ، وأسموه أيضاً **بالقرطاس** ، ثم أخيراً أسموه الورق .

وانتشرت مصانع الورق في **بغداد والقاهرة وسمرقند ودمياط وبلاد المغرب** وخصوصاً **مدينة شاطبة** وكان يسمى ورقها **«الكاغد»** ونقلوه إلى فرنسا وما بينها ومنه إلى أوروبا بأكملها فكان هذا العمل ايذاناً بنهضة صناعة الكتاب ونشاط الوراقة . . وهذا كله مما شجع الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون على إنشاء **دار الحكمة** في بغداد ذلك لأن الخليفتين علماء ومن المخلصين للعلم وحب الكلمة .

فأنشأ الرشيد هذه المكتبة وأكمل ابنه الخليفة المأمون ما أسسه والده واستحضر ما استطاع من علماء ومترجمين ونساخ ، وكانت هذه المكتبة نواة المكتبات في العصر العباسي . وقلد كبار المؤلفين والوزراء الدولة في إنشاء المكتبات والناس على دين ملوكهم ، فتكونت لدى العلماء مجموعات خاصة بهم وجعل أغلب العلماء كتبه في المساجد وقفاً ، فظهرت مكتبة المسجد والرياضيات والمكتبات الخاصة .

وتلي مكتبة دار الحكمة في الأهمية **مكتبة سابور بن أروشير** في القرن الخامس الهجري ٩٩١م ، وقد سماها **دار العلم** وزودها بكتب كثيرة زادت على عشرة آلاف كتاب في مختلف الفنون وقد أسسها بالكرخ في العراق وكانت مركزاً ثقافياً يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمناظرة . ومن أبرز من زارها عالم المعرة أبو العلاء المعري عندما كان في بغداد ، واستمرت سبعين عاماً حتى احرقها **السلاجقة** .

وأسس نظام الملك الوزير المشهور مكتبته التابعة **للمدرسة النظامية** ، وبقيت ملجأ للدارسين حقبة طويلة وسلمت نفسها مع بغداد حين غزاها المغول سنة ٦٥٦ هـ . وفي مصر أنشئت دار العلم وهي خزانة للعبيدين بمصر ألحقها الحاكم العبيدي حاكم مصر بدار الحكمة وجمع فيها كثيراً من الكتب ، وكانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضى ، وبقيت إلى أن انقرضت **دولة الفاطميين** سنة ٥٦٧ هـ ، وقد اشترى **القاضي الفاضل** جزءاً منها نقلها لمكتبته المشهورة باسم **المكتبة الفاضلية** نسبة إليه .

وفي قرطبة أنشأ الأمويون المكتبات العظيمة ذات الأثر العلمي الواضح في بلاد **إسبانيا** وأوروبا عموماً بعد ذلك ووصل عدد المكتبات المهمة في الأندلس إلى سبعين مكتبة عدا المكتبات الخاصة والتي قل أن تجد بيتاً ليس فيه مكتبة . وقد بلغ قمة أهمية المكتبة في الأندلس بجهود **الحكم المستنصر** سنة (٣٥٠ - ٣٦٦) ، الذي أنشأ **مكتبة قرطبة** العظيمة وكان له وكلاء في أنحاء العالم الإسلامي يزود رواق المكتبة بكل ما يجد من الكتب والمؤلفات في جميع الفنون وقد قيل إنها بلغت اكثر من أربعمئة ألف مجلد وقد ذكر ابن خلدون أن فهرس الشعر وحده في أربعة وأربعين كتاباً كل كتاب في عشرين ورقة ، فلك أن تقدر بعد ذلك ضخامة هذه المكتبة إذا عرفت أن المكتبة مهتمة بجميع المؤلفات ولها هذا النشاط الذي ذكرناه آنفاً ، ويقال إن نقلها من مكان إلى مكان آخر استغرق ستة أشهر .

وفي النجف في العراق أنشئت **المكتبة الحيدرية وهي المكتبة الوحيدة التي لا تزال موجودة حتى عصرنا الحاضر** ، وسميت الحيدرية نسبة إلى **الإمام علي بن أبي طالب** وتسمى **خزانة المشهد الشريف** ومن أشهر من اهتم بها وأولاها عنايته **عضد الدولة البويهي** (في القرن الرابع الهجري ، ولعل سر بقائها حتى هذا الوقت هو الحاقها بالمشهد ولكن الاستفادة منها في الوقت الحاضر محدودة جداً لأنها غير مفتوحة للجمهور) .

وقد أسس **ابن سوار** مكتبتين وهو كاتب الدولة البويهية المكتبة الأولى في **البصرة** والأخرى في **رامهرز** . ذكر ذلك ياقوت في **كتابه معجم البلدان والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم ٤١٣** . . وفي **اليمن** أسس أحد ملوك **الدولة الرسولية** في صنعاء مكتبة حدثنا عنها **القلقشندي** قال بأنها اشتملت على مئة ألف مجلد .

وما ذكرناه مجرد أمثلة فقط للمكتبات الخاصة والعامة ، ولو أردنا الحصر لطال الحديث ، وقد ذكرت أن كل وراء عالم مكتبة وفي كل مدرسة أنشئت في العصور الإسلامية الأولى ألحقت بها مكتبة وسأذكر بعض العلماء ذوي التأثير الواضح في الثقافة الإسلامية .

ففي الأندلس مثلاً **مكتبة القاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن فطين** في القرن الرابع حيث جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره من أهل الأندلس وكان إذا لم يستطع شراء الكتاب استعاره ونسخه ، وقد استغرق بيعها سنة كاملة كما ذكر ذلك **ابن بشكوال صاحب الصلة** (١/٢٩٨) .

وابن حبان رحمه الله ، العالم المشهور المتوفي سنة ٣٥٤هـ ، أوصى بمكتبته ومؤلفاته للعلماء بعده وجعلها في دار خاصة به في بلده - لست راجع **(تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٣/١٢٥)** .

والبشر بن فاتك في مصر كان يملك مكتبة غنية بالمراجع الكبيرة وهو من علماء القرن الخامس وميزتها أنها مكتبة متخصصة في العلوم الرياضية والحكمية ، وغيرهم كثير .

ولكن ما إن أفلت شمس المكتبات الثلاث الكبرى ودار الحكمة في بغداد وخزانة العبيدين في مصر ومكتبة قرطبة في الأندلس ، حتى كان هذا إذاناً ببزوغ شمس جديدة على القارة الأوروبية ، وبهذا انتهت رحلة حضارية هامة من أهم المراحل للمكتبة الإسلامية ، حيث حملت مشعل الحضارة للإنسانية فترة استمرت سبعة قرون وعلمت الغرب بعد أن سلمت له هذا التراث القديم المضاف إليه ما أبدعته العقول الإسلامية الناضجة في مختلف الفنون سلمته بضاعة أمينة مزوداً بالزخم الحضاري الإسلامي الهائل والقدرة الابداعية الرائعة ، وأعظم من هذا هدية هو ادخال صناعة الورق للبلاد الأوروبية التي نقلوها من أقصى شرق آسيا . .

المكتبات في أوروبا

وحتى يكون الخيط الحضاري للمكتبة متصلاً نقف بعض دقائق لنقرأ أسطراً يسيطة متواضعة عن المكتبة الأوروبية . . أقول ما إن استلم الأوروبيون راية العلم حتى صحوا صحوة لها قيمتها الفكرية بعد أن ناموا طويلاً ، ويعتبر المؤرخون هذه الصحوة في القرن الثاني عشر الميلادي وهو تاريخ معتدل نوعاً ما ، لا سيما إذا اعتبرنا أن ما في الأديرة والهياكل من الكتب الحديثة القليلة ، نموذجاً للمكتبات في أول وجودها في أوروبا وإلا فهي لا تمثل مجتمعة ما في مكتبة الصاحب ابن عباد ، كما نقلت لكم آنفاً عن ديورانت في كتابه قصة الحضارة .

ومع انتشار هذه المكتبات في زوايا الأديرة ، فإنها لم تقم بدور مهم في إنما الكتاب والمكتبة في أوروبا ، وكان دورها يقتصر على الحفظ وبأمانة على ما كانت تضمه من كتب التراث البيزنطي الذي لا فائدة تذكر من ورائه ، ولكن الشرارة الحقيقية للمكتبة الأوروبية عند بداية الهجرة الأوروبية لبلاد الأندلس وهي هجرة علمية أطلعت أوروبا من خلالها على شموس المعرفة والفكر والثقافة وشدت ذلك الطفل الرضيع وأعجب بالعلم فبدأ ينهل من معينه ، وأسس عند ذلك **أسقف طليطلة ريموند** مدرسة للترجمة إلى اللغة اللاتينية وترجم خلال قرنين ثلاثمئة كتاب في الطبيعة والكيمياء فقط ، **ونشطت حركة الترجمة وأمدت اللغة العربية المكتبة الأوروبية برصيد طيب من الكتب وبدماء جديدة من المعرفة سرت في عروق الأوروبيين بقوة وعنف لا سيما في القرن الثالث عشر الذي ظهرت فيه جهود الفرنسيسكان** ، حيث أنشأوا المكتبات في أنحاء أوروبا ، وإن كان تمركزها في **باريس وأكسفورد** في بريطانيا .

ومن أبرز المكتبات في هذا القرن **مكتبة الفيلسوف روبرت جروستت** وقد أوصى بها من

بعده إلى **مكتبة الإخوان** من الرهبان بأكسفورد ومنها نقلت إلى **مكتبة كلية درم** وآلت في النهاية إلى **مكتبة البودليان بأكسفورد** .

وببداية ظهور الجامعات في أوروبا في القرن الثالث عشر في باريس وبولون في فيينا وبراغ وكمبردج وأكسفورد في القرن الرابع عشر بدأت المكتبة تحتل جزءً مهماً في الجامعات ، ونشطت بذلك تجارة الكتب وانتقلت صناعة الكتاب من الأديرة إلى رحاب الجامعات ودور النشر ، تحت إشراف أكاديمي منظم وظهرت أيضاً **المكتبات الملكية في فرنسا** على يد **شارل الخامس** الذي قيل إن مكتبته تضم أكثر من ألف مخطوط عند وفاته في سنة ١٣٨٠م .

والرجل الذي يحتل مساحة كبيرة في تاريخ المكتبة الأوروبية هو **الأسقف الانجليزي ريتشارد دي بيري** الذي أعلن الثورة على ما رآه من اضمحلال الثقافة واستهانة الأديرة بالكتب حتى جعلها بعض الأساقفة تكأة لهم وفراشاً لطعامهم ، وألف في هذا الصدد كتاباً شهيراً لدى الباحثين في تاريخ المكتبات واسمه «**صديق الكتاب**» ، وعالج فيه النظم المكتبية ويعتبر رائداً في بابه .

وهناك شخص آخر أحب أن أشير له هو **الشاعر الايطالي بترارك** الذي أنفق شطراً من حياته مرتحلاً وراء الكتب يجمعها ويبحث عنها وعن نوادرها ويدأب على مقابلتها ببعضها وتصحيحها . ولم ينته القرن الرابع عشر حتى كان الأوروبيون يعرفون الورق وكيفية صناعته **فأنشئ أول مصنع للورق في أوروبا في إيطاليا سنة ١٢٧٦م** ، تلتها فرنسا وانجلترا ثم هولندا وتأخرت الدول الاسكندنافية فلم تعرف الورق إلا في القرن السادس عشر .

ولكن بدخول القرن الخامس عشر حصل أهم حدث في تاريخ البشرية والكتاب ألا وهو **اختراع المطبعة** على يد العالم الشهير **جوتنبرج الألماني** الذي ولد سنة (١٤٠٠م ، وتوفي سنة ١٤٦٧م) ، ومن ألمانيا تعلمت إيطاليا الطباعة سنة ١٤٦٤م ، ثم تلتها فرنسا .

والبداية للمكتبة الخاصة على مستوى الأفراد بدأت في القرن السابع عشر على أيدي أمر النبلاء في فرنسا وغيرها ، وتتصدر فرنسا بطبيعة الحال القائمة في النهضة المكتبية الخاصة **وفي عصر لويس الخامس عشر والسادس عشر** يبلغ الشغف باقتناء الكتب منتهاه ، وذورته وتصبح المكتبات الخاصة لازماً من لوازم البيت الفرنسي في هذين القرنين السابع عشر والثامن عشر وأصابهم بعد ذلك داء الرومان والأندلسيين بعد ذلك من اتخاذ الكتب مدعاة للفخر والزهو مما دعا الكاتب الشهير لابردير وهو فرنسي إلى تأليف كتاب أسماه «**الشخصيات**» ضمنه السخرية الشديدة بهؤلاء المدعين للقراءة ، وقد وصل فيه إلى أشد السخرية والنكاية للشعب الفرنسي المتلاعب بأقدس مهنة وأشرف صناعة وهي صناعة الكتاب .

وفي فرنسا لمعت شخصيتان مهمتان في تاريخ المكتبة الفرنسية أحدهما **مازاران** وأمين مكتبته **جبرائيل نوديه** ، وترجع أهمية الأول إلى اقتنائه من الكتب ما يربوا على الأربعين ألف مجلد حيث أغنت مكتبته بعد ذلك أهم المكتبات الفرنسية وترجع أهمية الثاني إلى اهتمامه بالتأليف في علم المكتبات ولعله هو الثاني بعد الرجل الانجليزي الذي حدثتكم عنه منذ قليل الذي بدأ يكتب في هذا الميدان ، فهما أول عالمان أوروبيان حاولا أن يضعا نواة لعلم المكتبات بتخطيط جديد سليم وقد ترجم الكتاب للغة الانجليزية فور تأليفه سنة ١٦٦٠م .

ومـا إن أطل القرن التاسع عشر حتى أصبحت انجلترا وفرنسا أغنى الدول الأوروبية بالكتب حتى إن **نابليون** كان يحمل معه مكتبة متنقلة كما كان يفعل **فردريك الأكبر** ، وكان نابليون جماعة للكتب يقتنصها إبان حروبه المعروفة ويودع ما يقتنصه كله في المكتبة الشهيرة في باريس «**المكتبة الأهلية**» ولا آتي بجديد إذا قلت إنه لم يفت نابليون أن ينقل ما استطاع من تراثنا حين حروبه في مصر ، وقلده الفرنسيون حين استعمروا الشام ، فهذا سبب لم أر أحداً ذكره عن أسباب هجرة الكتب إلى أوروبا .

فالاستعمار هو السبب الأول ولعله الأخير في انتشال تراثنا بعد أن سلب حرية شعوبنا فترة من فترات الزمن ونسينا أن نحافظ على التراث الحفاظ اللازم .

ومع منتصف القرن التاسع عشر حتى هذا العصر الذي نعيش فيه والتوسع المكتبي على أشده في جميع أنحاء القارة الأوروبية ، وقلدتها بعد ذلك الشعوب الأخرى بعد أن صحت واعترفت بأهمية العلم وسبق الأوروبيين إليه ووصولهم إلى عصر التكنولوجيا وتطور مفهوم المكتبة بحيث لم تعد متحفاً للكتب فحسب وإنما أصبحت مركزاً حياً لنشر الثقافة **وعقد أول مؤتمر لعلم البيبلوجرافيا في بروكسل عاصمة بلجيكا سنة ١٨٩٢م** ، وأهم نتائجه **تأسيس المكتب الدولي للبيبلوجرافيا في بروكسل** .

دعوة مخلصة

والآن وقد وصلنا إلى القرن العشرين بعد رحلة سريعة تعرفنا خلالها على اشعاع العرب وشمس المعرفة في أوروبا وخروج الضوء من جديد في أنحاء المعمورة يظهر سؤال مهم وهو **مصير تراثنا ؟**

والإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى بحث طويل ، ودراسة مستفيضة . ولكني أقول إن مكتباتنا بحمد الله في الوقت الحاضر تحوي الشيء الكثير من تراثنا ومع أن الكثرة الكاثرة منه قد هاجر شرقاً وغرباً بفعل عوادي الزمن والاهمال المقصود أحياناً والاضطرار أحياناً أخرى إلا أن في ردهات المكتبات في أنحاء العالم سوى البلاد العربية ما ينيف على مئة ألف مخطوط كلها باللغة العربية ، **وتتركز أكثر هذه المخطوطات في أهم مكتبات العالم كالاسكوريال في مدريد والمتحف البريطاني في لندن ومكتبة البودليان في أكسفورد ومكتبة ليدن في هولندا والأمبروزيانا في إيطاليا وفي بلاد تركيا قسم كبير جداً من كتبنا وتراثنا ، وفي روسيا وأميركا مخطوطات كثيرة سافر بها واشتراها أو استعارها المستشرقون فكونت مكتبات ضخمة هناك .**

وأشير بهذه المناسبة إلى ما كتبته **الدكتورة بنت الشاطىء** عن التراث بين الماضي والحاضر وهي عبارة عن محاضرات طبعت في كتاب اسمه «**تراثنا بين ماض وحاضر**» أتمنى أن يقرأه جميع العرب ليعرفوا مصير تراثنا .

ولكن عودة الروح الثقافية إلى مجتمعاتنا المعاصرة قد أبدت جهوداً واضحة في سبيل الحصول على أكبر كمية من مؤلفاتنا الإسلامية وتحقيقها ، ولو ذهبت أحصي المراكز العلمية في البلاد العربية لما أدركت ذلك ، ولكن أشير باختصار إلى جهود **معهد المخطوطات بالقاهرة والمجامع العلمية** في بغداد والقاهرة ودمشق ، **وجامعات العالم العربي والإسلامي** كلها تقوم بنشاط كبير ومكثف بالإضافة إلى الجهود الفردية التي يقوم بها الأساتذة والمتخصصون في علم المكتبات والبيبلوجرافيا وهم مع قلتهم في العالم العربي إلا أنهم بحمد الله قد فعلوا الشيء الكثير .

ومما يبشر بالخير أن جامعاتنا تتسابق إلى احتضان التراث بجميع أشكاله وتتسابق في المنافسة إلى استيراد تراثنا المسافر والأوبة به إلى مقره الأول ، وأرجو أن تكثف الجهود أكثر وأن تبذل الأموال حتى نرى تراثنا تحت نظرنا ، والأهم من هذا بعد ذلك أن نقوم نحن المسلمين بإحياء هذا التراث وإخراجه للمطبعة ، أما أن يبقى في مكتباتنا دون تحقيق فالأمر سيان بين وجوده في مكتباتنا أو مكتبة الاسكوريال في مدريد .

ولا ننسى جهود المستشرقين في سبيل إحياء تراثنا ، وهي جهود مشكورة لولا ما يشوبها من نوايا ثم أليس من العجيب أن يفني الغربيون ليلهم ونهارهم يقلبون عيونهم في طرس التراث العربي الإسلامي ، ننتظر منهم الأكلة جاهزة ؟ لا .. لا يجوز هذا .

إن لدينا العلماء والمال والإمكانات التي تساعدنا على إعادة بعض تراثنا إلى مكانه الطبيعي فلماذا لا نحاول أن نخرجه إلى المطبعة ليرى النور دون أن يكون عالة على غيرنا دائماً .

لقد مضى الزمن الذي نستورد فيه الأفكار . إننا أمة مسلمة متعلمة عندنا الثقة في الله تعالى ، ثم في أنفسنا ، نحن ورثة علماء القرون الخمسة الأولى جدير بنا أن نجدد ما أهمله غيرنا .

المطلوب أن تتبنى المملكة العربية السعودية مع الدول العربية المسلمة فكرة إحياء التراث بأقلام إسلامية على مستوى كبير ، إذ لا يكفي الجهود المحلية الفردية .

إن جهود الكويت وحدها أو مصر أو المغرب أو العراق أو المملكة لا يكفي ، بل نريد الانضمام إلى بعضنا البعض لنقوم جميعاً بتراثنا ونقدمه للقارىء العربي وغير العربي في ثوب جديد يسلم من آفات المستشرقين وأوهام المستغربين .

وأحب الاشارة إلى **وزارة المعارف** وجهودها المخلصة حول زرع المكتبات العامة والخاصة في المدن الرئيسية في المملكة ، ولكن تمنيت أن تولي الوزارة مهمة المكتبات ولا سيما أمناؤها في الدرجة الأولى لمن لديهم شهادات خاصة بعلم المكتبات وإن لم يتيسر ذلك ، ففي معهد الإدارة مثلاً حسب علمي دورة للمكتبات بين الحين والآخر تستطيع الوزارة أن ترشح كل عام مجموعة من الشباب لهذه الدورات وترشحهم بعد ذلك لتولي مسؤولية الكتاب والمكتبات .

وأتمنى أن تكون هناك توعية إعلامية بوجود مكتبة في البلد التي تفتح فيها الوزارة مكتبة وذلك بدعوة بعض الأهالي والطبقة المثقفة ، إلى الإهداء لهذه المكتبة واعتبارها مكتبة لهم ولا يضير الوزارة في هذا شيئاً ، فالعلم لا يعترف بالشكليات وهذه مكتبات العالم تضم أضخم تراث المكتبات الخاصة للأفراد على سبيل الإهداء فالمكتبة في البلد هي خير موئل للكتب الشاردة والنادرة واليتيمة تحفظها وترعاها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إذا أحس المواطن بوجود مركز علمي في بلده يلجأ إليه بين الفينة والأخرى قويت أواصر الصداقة بينه وبين المكتبة وحببنا إليه الكتاب وهذا هو أهم هدف من أجله أوجدت المكتبات .

ولا أعرف هل آن الأوان لأن تصدر جامعاتنا أو إحداها مجلة خاصة بالمكتبات وبحوثها وتاريخ الكتاب وما يتعلق بذلك . هذه فكرة أطرحها للجامعات وهي القادرة بتوفيق الله أن تفعل ذلك ولا أنسى ما يقوم به معهد الإدارة العامة من جهود متواضعة وما تصدره بعض المجلات بين الحين والآخر من أبواب خاصة بالمكتبات . كما أن ما تقوم به إدارة المكتبات في وزارة المعارف من إصدار نشرة خاصة بالكتاب لأمر طيب يدعو إلى الاعجاب ولكن يحتاج مع ذلك إلى تكثيف الجهود وأعمال أكاديمية متكاملة .

والكلمة الأولى والأخيرة للمراكز العلمية الكبرى في بلادنا .

مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ

أَوَّلُ الغَزْوِ أَخْرَقُ

وصف الغزو بالخرق لخرق الناس فيه ، كما يقال « ليل نائم » لنوم الناس فيه .. يضرب هذا المثل في قلة التجارب .

الظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ

يضرب في كراهية الظلم .. وما يخاف من سوء مغبة .

قال حنين بن خشرم السعدي :

البغي يصرع أهلـه والـظلم مـرتعه وخـيم
ولقد يكون لك البعيـد أخـاً ويقـطعك الحمـيم

أَوَّلُ الْحَزْمِ الْمَشُورَةُ

يضرب في الأمر بالمشاورة .. والشورى من المبادىء التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية .

سَكَتَ أَلْفاً وَنَطَقَ خَلْفاً

أطال رجل الصمت عند الأحنف حتى أعجبه ، ثم تكلم فقال له : يا أبا بحر ! أتقدر أن تمشي على شرف المسجد ؟ فقال الأحنف : « سكت ألفاً ونطق خلفاً » فذهب مثلاً .. والمقصود أنه قال قولا رديئاً .

على أَهْلِهَا جَنَتْ بَرَاقِشُ

ويروى « على أهلها دَلَّتْ براقش » ، وبراقش في رواية كلبة نبحت ، فدلت العدو على أهلها فأوقعوا بهم .. وفي رواية براقش هي الحية التي تدل على نفسها بجرسها ، ولهذا يقال : « على نفسها جنت براقش » .. وهناك رواية ثالثة .. قال حمزة بن بيض :

لم تـكن عـن جنـاية لحقتـني
لا يسـاري ولا يميـني جـنى
بـل جنـاها أخ عليَّ كريم
وعلى أهلهـا بـراقش تجـني

قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ

يروى أنه بينا قوم يخطبون في صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر رجلاً ويسألون الرضا بالدية جاءت أمة اسمها جهيزة فقالت : إن القاتل ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله فقيل ذلك .. يضرب لأمر قد فات وأيس من إصلاحه .. وقيل : هي جهيزة التي يضرب بها المثل في الحمق .. وهو مثل فيمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها .

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِ مِثْلَهُ

قال المتوكل الكناني :

لا تنه عـن خلـق وتـأتي مثلـه
عـار عليـك إذا فعلـت عـظيم

فذهب صدر البيت مثلاً .

ما كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً ، ولا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً

يضرب في اختلاف أخلاق النـاس وطبـاعهم .. قـال الشاعر :

وكنا حسـبنا كل بيضـاء شـحمة
ليـالي قـارعنا جـذاماً وحمـيرا

غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ

أي قليل من كثير .

أَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا

أي استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه .. قـال الشاعر :

يا باريَ القوس بَرياً لَسْتَ تُحْسِنُهَا
لا تُفْسِدَنْهَا واعـط القـوس بـاريها

من أمثال الشعوب



- أكثر التفاح حلاوة ما كان في الطرف الآخر من السياج .
- لن تفقد الماء حتى تجف البئر .
- لا بد من شخصين لإجراء حوار .
- نباحه أسوأ من عضته .
- الجرس المكسور لا يصدر رنيناً .

(أميريكا)

- الضمير الحساس وسادة وثيرة .
- الانتقاد سهل ، والفن صعب .
- المدخنون المعمرون ، أكثر عدداً من الأطباء المعمرين .
- مصمم الأزياء رجل مجنون يتبع آراءه العاقلون .
- يظن الثعلب أن الجميع يحبون الدجاج مثله .

(فرنسا)

- لا تجفف قمحك على باب دار جارك .
- حياة بلا صديق موت بلا شاهد .
- الحب والحقد والمال لا يمكن اخفاؤها .
- الخطيئة الصغيرة تتبعها خطيئة أكبر .

(إسبانيا)

- الطباخ العاشق يضيف كثيراً من الملح للطعام .
- من يناقش الأحمق عليه أن يتحمل إجاباته .
- السمعة الطيبة إرثٌ ثانٍ .
- من يبيع حصاناً أعمى يمتدح قوائمه .
- الشرر المخفي يخيف أكثر من النار الظاهرة .

(ألمانيا)

- احذر من يقدم لك كثيراً من الهدايا .
- من أراد أن يحبه الناس عليه أن يحبهم أولا .
- ليس من السهل أن تدل أعمى البصيرة .
- ثلاثة يجدون طريقهم بسهولة : الجندي والماء والنار .

(إيطاليا)



- ليس كل يوم عيداً .
- [illegible] أساس كل مصيبة .
- في النار يتحول الحديد إلى فولاذ .
- مع أن الشجرة تعلو في الهواء، لا بد لأوراقها من السقوط قرب جذورها .
- الجدار المتصدع يسقط سريعاً .

(الصين)

- الجوع يتحدث بأفصح لغة .
- الحكمة طبع فطري والحمق مكتسب .
- إن كفت ألسنة النساء عن الحديث فتلك هدنة ، لكنها ليست سلاماً دائماً .
- عندما تصل إلى المجد بكفاحك يأتيك التكريم دون عناء .
- ازرع أملاً تحصد حُباً .

(روسيا)

لوحة و فنان

محمد طه حسين

- من مواليد (١٩٢٩ م) .
- تخرج في كلية الفنون التطبيقية عام (١٩٥١) ، بالقاهرة .
- درس الخزف في ألمانيا الغربية .
- أعد بحثاً في مادة تاريخ الفن ، ونال عنه الدكتوراه ، من جامعة كولونيا بألمانيا الاتحادية .
- نتاجه الفني بتنوع بين التصوير .. والخزف .. والنحت .
- تمتاز أعماله بالتطور المستمر .
- يميل أحياناً إلى التجريد الرمزي في أعمال التصوير .
- أقام العديد من المعارض في القاهرة وفي العالم الغربي .

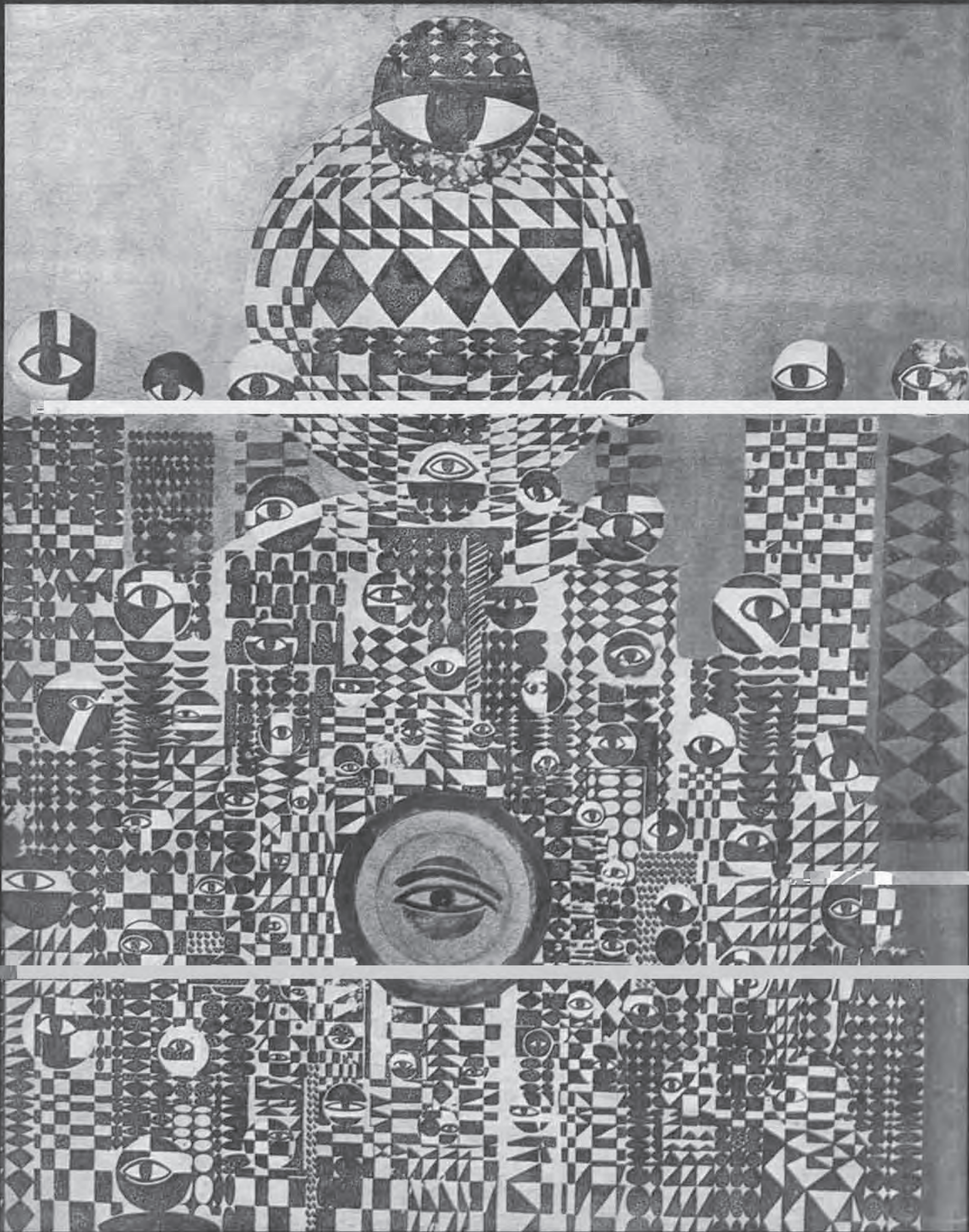
ترقب !

● نلاحظ من الوهلة الأولى ، أن الفنان قد أقام بناءه - الشكل - على هيئة منازل وعمارات ، تكاد تكون كلها من منظور مواجه ، مسطح ، باستثناء ، المنازل الباهتة التي تظهر في الخلفية في لون قريب من أرضية اللوحة ، والأفق ، في لون واحد ، يتدرج في هدوء قريب من الصمت .. وفي أعلى هذا البناء يجسم لنا الفنان شكل رجل له وجه وعين واحدة ، وكأنه أحد التماثيل التي تقف مشلولة الحركة ، منزوعة الإرادة .

● وكما يبدو لنا - أيضاً - من الوهلة الأولى ، نشعر أن هذه المنازل متشابكة مترابطة وكأنها في النهاية تكون عمارة سكنية ضخمة ، يربط أهلها جميعاً حدث واحد ، فالإيقاع الزخرفي الذي يشبه الفسيفساء ، هو الذي يؤكد هذا الترابط .. فكل النوافذ لها عيون لا تعرف غير لغة الصمت .. وكأنها قطع من الشطرنج تنتظر من يحركها .. ولكن .. لا أحد !

● استطاع الفنان أن يستفيد في لوحة الـ «ترقب» ، من الفن الإسلامي الذي يعتمد في طابعه على الإيقاع الزخرفي المتكرر الوحدات ، مع تطويره في شكل ينطلق نحو آفاق جديدة لرؤية الفنان الخاصة نحو الفن الحديث ، والاحتفاظ بالطابع الشرقي .

● إن الفنان يريد أن يقول لنا من خلال تكوين لوحته ، «ترقب» إن الإنسان في حياته اليومية يظل متوجساً من شيء لا يعرفه .. شيء قد يطرق بابه فجأة .. شيء قد يصادفه في الطريق .. شيء قد يشل أفكاره .. شيء قد يفرحه .. أو يحزنه .. إلا أن العصر الحديث ، وحياة القلق واللهاث والسباق التي يعيشها الإنسان ، تجعل ترقبه مجسداً في حالة واحدة ، هي الرعب من المجهول .. ذلك المجهول الذي لا يأتي بالفرح أبداً .. لكنه يجيء بالأحزان ، والخوف ! !



الأزمنة والأطلال

شعر: محمد العيد الخطراوي

عللّيني بذكرها يا مَغاني
فلقد تهت في دروبِ الزمانِ
أينما سرتُ تلثم العينُ ذكرى
من هيامي بها، ومن تحناني
صُورٌ لم تزل تعيش بفكري
حلماً نابضاً بحلو الأماني
جنّحتها الأشواقُ فهي نشاوى
راقصات في مَوْكبٍ أرجواني
كيف أنسى وفي شفاهي بقايا
مِنْ هواها مدلّهاتٍ حوانِ
وبسمعي من صوتها أغنيات
ذاب من رقةٍ لها وجداني
وبكفّي براعمٌ مِنْ وُرُودٍ
زاهيات تتيهُ في عُنفوانِ
كرُموز في لوحةٍ رَسَمَتْها
لمساتٌ من شاعر فنانِ

• • •

يا اخضرارَ الوعودِ في مهجةِ الصـ
ـب، وبوْحَ النسيمِ للأقحوانِ
وغناءَ الأرغول في هدأةِ الليـ
ـل، ولُقْيا الولهانِ بالولهانِ
خبّريها عن محفل الموتِ لما
جاء يسعى بمأتمِ الأحزانِ
عن ضمورِ الأحلام، عن أرقِ الـز
ـهر، جففته الأنداءُ في نيسانِ
عن ليالي المسهّدين الحيارى
ونواح الآمال في الشطآنِ
علّها يطرقُ الحنينُ رؤاها
ألقاً في مَدامع الهِجْرانِ
وشموعاً تضيءُ ظلمةَ روحي
وتقيها عوالمَ النسيانِ

• • •

يا عهوداً شيّعتُها وبنفسي
لوْعةٌ لمْ تزل تهزُّ كياني
أقبلتْ كالرّبيع .. كالأمل العذ
ـب، كفَيْض الأوتارِ بالألحانِ
كالسماء الضحوكِ، كالقمر الحا
ني، كلمع البُروقِ للظمآنِ
ثُمّ ولّت كبسْمَةٍ خنقتْها
عبْرةٌ، قد طغتْ على الأجفانِ
لِمَ أجفلتِ .؟ أرْهبتْكِ قلاعي .؟
فامتطيتِ الهروبَ دون عِنانِ
وتركتِ الأسلابَ صرْعى ببابي
تتلوّى .. تلومُ كفَّ الجبانِ
لمْلميها فلستُ أرغب فيها
الذُّرى الشمُّ همّةُ العقبانِ
عوّدتكِ الحياةُ أن تركبي السهـ
ـل، وتلقي بالدرع في الميدانِ
وتُرودي الأوهامَ .. تبنين منها
لحظاتِ الخلودِ في الكثبانِ
إيه . ! هيهات أن تباهي قلاعي
صهواتُ الأكواخ بالعيدانِ
لا تميتي الأفراحَ في بهجةِ الفجر
وتدمي مُطهّماتِ الأغاني
فركابُ الشموس أكرمُ مما
تدّعي فيه سافياتُ الدخانِ

لقاء مع:

الدكتور
محمد عبده غانم



إعداد:
محمد سليمان القويفلي

اليمن حضارة.. وفكرًا

★ يقول ولفنسون : «تعد بلاد العرب الجنوبية أقدم مراكز الحضارة عند الأمم السامية ، إذ كان موقع بلاد اليمن الجغرافي ، من أهم الأسباب التي أدت إلى نشوء الحضارة في ربوعها ، قبل أن يظهر لها أثر في المناطق الشمالية من جزيرة العرب» .

ويقول الدكتور عبد الحميد يونس : «إن حضارة اليمن القديم لم تندثر ، وإن كانت قد توقفت مع انهيار السد .. ويرى أنها عائشة وحية في وجدان اليمنيين ، حتى بعد أن حولتهم عصور التخلف إلى بدو رحل» .

وكما أن جذوة اللهب الصغيره تتنامى مع هبوب النسيم .. فالجذوة الحضارية المترسبة في أعماق اليمنيين منذ أقدم العصور .. نراها اليوم مع هبوب نسمات المدنية الحديثة بدأت تتلألأ .

عن اليمن قديمه وحديثه ، كان لنا هذا الحوار ، مع الدكتور محمد عبده غانم أحد أدباء اليمن وشعرائه ، والمشتغلين بأدبه وحضارته .. وإذا عرفنا أن الدكتور غانم له كتاب قيم ، موضوعه له حظ وافر من الطرافة وهو «شعر الغناء الصنعاني» .. عرفنا معرفته الدقيقة بشعاب الوجدان والحضارة اليمنية ★

اليمن . . والرحلات

ولما للرحالة من دور في تعريف العالم الحديث بالحضارة اليمنية . . فقد آثرنا أن يكون منطلق حوارنا ، عن **أثر وأهمية كتابات الرحالة العرب والأجانب الذين زاروا اليمن بالنسبة لتاريخ اليمن .**

عن هذه النقطة تحدث الدكتور غانم قائلاً : « إذا استثنينا الرحالة الشهير **ابن بطوطة** ، الذي زار اليمن في **العصر الرسولي** ، وما ذكره عن هذه الزيارة في رحلته ، فإن الرحالة العرب الذين زاروا اليمن وكتبوا عن رحلاتهم لم يزوروها إلا في القرن الحاضر ، بعد أن سبقهم إليها الرحالة الأجانب الذين بدأت رحلاتهم في القرن الثامن عشر ، عندما زار **نيبوهر الدانمركي** ورفاقه اليمن عام ١٧٦١م ، **وتمتاز رحلات الأجانب إلى اليمن بأنها اهتمت بدراسة الآثار والنقوش** ، كما يعرف من قرأ عن **رحلات هاليفي** (١٨٦٩م) ، **وجلازر** (١٨٨٢ ـ ١٨٨٧م) ، **ووندل فيلبي** (١٩٦١م) ، بينما اقتصرت رحلات الرحالة العرب ، **كأمين الريحاني ونزيه المؤيد** ، على وصف الأوضاع السياسية والاجتماعية وإن كانت الرحلات العلمية ، التي قام بها **الدكتور خليل نامي** (١٩٣٦م) ، **والدكتور أحمد فخري** (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩م) ، تحت رعاية **الجامعة المصرية** ، تمتاز أيضاً بدراسة النقوش والآثار .

مراكز الآثار في اليمن

● النقوش والآثار ترتبط بوجود الحضارة . . واليمن نتاج عدد من الحضارات التي نشأت داخله . . أين مراكز هذه الحضارات . . وهل هناك عناية بآثارها ؟

●● يقع معظم هذه الآثار في **مأرب** ، حيث كان يقف السد المشهور الذي لا تزال بعض أطلاله قائمة ، **وفي الجوف** ، حيث ما تزال بعض الآثار قائمة **في مدينة براقش عاصمة المعينيين** ، وإلى الشمال الغربي من **صنعاء** ، حيث **أطلال حصن ناعط** ، وبالقرب من **يريم** ، حيث أطلال حصن ظفار ، وما تزال بعض الحصون التي شيدت في **العصور الإسلامية** ، تطل من مواقعها في أعالي الجبال على الوديان المجاورة ، **كحصن التكلر** ، الذي كان فيه **المكرم الصليحي زوج الملكة أروى** ، أو سيدة بنت أحمد ، وهو يطل على **مدينة جبلة** ، حيث قبر الملكة أروى ، وحيث بقايا قصرها تبدو عبارة عن جدران متداعية . . وبعض أنقاض هذه الآثار قد رمم وبوّب ، وفهرس وهو معروض في **دار الآثار بصنعاء** . ولكن الكثير من هذه الآثار ما يزال ينتظر الانقاذ من عوادي الخراب والاهمال والضياع .

اليمن وتراث المخطوطات

● هذا عن الحضارة المادية وشواهدها البنيانية . . وماذا عن شواهد الحضارة الفكرية ، وهي المخطوطات التي تزخر بها خزائن اليمن ، وهل هناك اهتمامات معينة بهذه الثروة ؟

●● لا ريب في أن خزائن اليمن تحتوي ثروة ضخمة من المخطوطات ، بالرغم من تسرب الكثير من هذه المخطوطات إلى الخارج ، ولا سيما إلى **المكتبات الأوروبية في روما وميلانو وليدن ولندن** . وقد بدأ الاهتمام بالاستفادة من المخطوطات الموجودة داخل اليمن ، لكنه لم يبلغ بعد الدرجة المطلوبة ، من حيث العمل على صيانتها وفهرستها وتمكين الباحثين من الوصول إليها بيسر وسهولة .

بيد أن تجديد **مركز الدراسات اليمنية** وارتباطه أخيراً ، **بجامعة صنعاء** ، وانضمام **الدكتور عبد العزيز المقالح** ، إلى هيئة إدارته ، كل هذا قد أتاح فرصة عظيمة لتغيير الموقف السلبي ، الذي كان وما يزال يتخذ في بعض الجهات من المخطوطات اليمنية ، والذي لم يتعد الرغبة في المحافظة عليها ، أو تكديسها في الخزائن بعيداً عن أيدي القراء والباحثين ، والجدير بالذكر أن بعض المخطوطات اليمنية الموجودة بالخارج قد حقق ونشر ، أذكر من ذلك على سبيل المثال ، « **تاريخ اليمن** » لعمارة ، الذي حققه ونشره **المستشرق كاي** و« **تاريخ ثغر عدن** » **لبامخرمة** ، الذي حققه ونشره **المستشرق لوفجرن** و« **صفة جزيرة العرب** » للهمداني ، الذي حققه ونشره **الأستاذ حمد الجاسر** ، والجزء الثاني ، من كتاب « **الاكليل** » ، الذي حققه ونشره **الأب انستاس الكرملي** ، والجزء العاشر من « الاكليل » الذي حققه ونشره **الشيخ محب الدين الخطيب** ، وقد أعاد **الأستاذ محمد علي الأكوع** ، تحقيق ونشر تاريخ عمارة ، كما حقق ونشر من المخطوطات الموجودة في الداخل الجزء الأول والثاني من كتاب الاكليل ، وقد حقق غير الأكوع من العلماء والأدباء اليمنيين عدداً من المخطوطات التي نشرت ، أذكر منها على سبيل المثال ، ديوان « **ترجيع الأطيار** » لعبد الرحمن الآنسي ، وديوان « **وادي الدور** » ، لعلي بن محمد العنسي ، وديوان « **مبيتات وموشحات** » ، وهو يضم ما جمعه **عيسى بن لطف الله المطهر** من شعر **محمد بن عبد الله ابن شرف الدين** . وللأستاذ **عبد الله الحبشي** ، عدة مؤلفات ، في التراث





اليمني ، أذكر منها على سبيل المثال ، كتابه الذي نشر أخيراً بعنوان « **دراسات في الأدب اليمني** » .

الأديب اليمني بين التراث والمعاصرة

● لا شك أن عظمة تاريخ اليمن القديم المادي والأدبي ، تهيء للأديب اليمني خلفية ضخمة يستعين بموروثها في انطلاقته الحاضرة .. فما هي علاقة الأديب اليمني المعاصر بالتراث من ناحية ، وبالأدب المعاصر من ناحية أخرى ؟

●● يختلف الأدباء اليمنيون من حيث علاقتهم بالتراث والمعاصرة ، ولكن الاتجاه السائد هو الجمع بين الاثنين ، فعلى سبيل المثال ، هناك قصيدة للدكتور المقالح ، بعنوان « **أحزان الليلة الأخيرة من حياة عمارة اليمني** » ، في ديوانه « **عودة وضاح اليمن** » تتناول موضوعاً معاصراً ، هو عن الذين يلقى بهم في السجون ، ويعلقون على أعواد المشانق ، لأنهم أوفياء لمبادئهم ، ولكنه يتناول ذلك من خلال ما وقع لعمارة اليمني ، حين شنقه **الأيوبيون** ، لأنه كان وفياً للفاطميين ، ويربط **محمد الشرفي** وغيره ، في مسرحياتهم الشعرية بين التراث والواقع .. أما في النثر ، فقد ربط كتاب القصة القصيرة ، أو بالأحرى حاولوا الربط في بعض قصصهم ، بين الأسطورة المستمدة من التراث اليمني والمشاكل التي يعيشها المجتمع .

موقع الحركة الشعرية في اليمن

● ما دمنا قد تطرقنا للأدب اليمني المعاصر .. فأين تقع الحركة الشعرية في اليمن اليوم من الحركة الشعرية العربية عامة ؟

●● للحركة الشعرية في العالم العربي ، كما هو معروف ثلاثة اتجاهات : اتجاه يحافظ على ما يسمى خطأ بالشكل العمودي للقصيدة ، وأقول خطأ ، لأن كلمة عمودي مأخوذة على ما يبدو من عبارة « عمود الشعر » ، الذي كان النقاد المحافظون في **العصر العباسي** ، يطالبون الشاعر بالتزامه ، وجعلوا له أركاناً سبعة ، هي شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء الوزن على اختيار من لذيذ الوزن وشدة اقتضائه للقافية ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى .

وعندما جاء **أبو تمام** ، باستعاراته الغريبة ، ومعانيه الغامضة ، قال **ابن الاعرابي** : « إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل » ، واتهم أبو تمام بالخروج على عمود الشعر . ولذلك فإن **التسمية الصحيحة للقصيدة التي يكون البيت فيها وحدة الوزن في النظم ، هي في رأيي القصيدة البيتية ، وللشعر الذي يلتزم هذا الوزن بالشعر البيتي .**

أما الاتجاه الثاني ، فقد خرج على وحدة الوزن البيتية واتخذ التفعيلة وحدة للوزن ، ولذلك فإن التسمية للقصيدة التي تكون وحدة الوزن فيها التفعيلة هي **الشعر التفعيلي .**

أما حين لا يلتزم ما يسمى **بالشعر الحر** التفعيلة ، فإن التسمية الصحيحة له في رأيي **الشعر المنثور** ، وللقصيدة التي تلتزم هذا الضرب من الشعر **القصيدة النثرية .**

هذا من حيث الشكل ، أما من حيث المضمون فللحركة الشعرية في العالم العربي ، منذ أيام **البارودي** إلى اليوم ، نزعة إلى تناول المضامين الجديدة تحت تأثير ما تسرب إلينا من أدب الغرب ومذاهبه ، بين **كلاسيكية**

لقاء مع

ورومانسية ورمزية وواقعية . ولما عرف العرب أن للغرب ملاحم شعرية «**كالفردوس المفقود**» لملتون ، ومسرحيات شعرية «كروميو وجولييت **لشكسبير**» ، أرادوا أن يكون لهم ملاحم ومسرحيات شعرية ليثبتوا أن الشعر العربي يتسع للجديد . وقال الذين لا يؤمنون بالشعر البيتي ، إن الشعر العربي لا يتسع للشعر الملحمي والمسرحي إذا ظل متمسكاً بالبيت والقافية الموحدة ، كل هذا كان له صداه في اليمن ، فبقي بعض الشعراء **كالزبيري والبردوني** ، محافظين على البيتية وخرج بعضهم ، كالدكتور **المقالح وأحمد الشامي** ، على البيتية أو جمع بينها وبين التفعيلية ، وكتب بعضهم **كحسن اللوزي** ، القصيدة النثرية . أما من حيث الجنس الشعري ، فقد كتب **أحمد الشامي** الملحمة ، وكتب **علي لقمان** ، المسرحية ملتزماً البيتية . وكتب **محمد الشرفي** المسرحية الشعرية بالوزن البيتي تارة ، والتفعيلي تارات . وكما يعكس الشعر اليمني الاتجاهات الشعرية في بقية أقطار العالم العربي من حيث الوزن والجنس ، فإنه يعكسها أيضاً من حيث المضمون ، فقد **هجر معظم الشعراء قصائد المديح والرثاء ، إلى التعبير عن موقف الشاعر من الأحداث والتطورات في اليمن بخاصة وفي العالم العربي بعامة .**

ندرك ذلك من عناوين القصائد والملاحم والمسرحيات ، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر «أحزان الليلة الأخيرة من حياة عمارة اليمني» ، عنواناً لقصيدة في ديوان «عودة وضاح اليمن» للدكتور القالح ، و«وادي الخطايا» عنواناً لقصيدة في ديوان «وجه صنعاء» **لمحمد سعيد جرادة ، و«سندباد يمني في مقعد التحقيق**» عنواناً لقصيدة في ديوان «**وجوه دخانية في مرايا الليل**» ، لعبد الله البردوني و«الله والحب» عنواناً لقصيدة في ديوان «منها وإليها» لمحمد الشرفي ، و«أباطيل» عنواناً لقصيدة في ديوان «انات شعب» ، لمحمد علي لقمان .

شعر مسرحي .. ومسرح شعري

● ذكرتم فيما سبق أن من عارضوا البيتية في القصيدة العربية ادعوا عدم قدرتها على احتواء الأشكال الأدبية الغربية كالملحمة والمسرحية .. ومع ذلك نرى أنه قامت عدة محاولات لكتابة المسرحية الشعرية .. فهل أثبتت هذه المحاولات وجوداً فعلياً للمسرح الشعري في العالم العربي .. وأي اللونين أكثر تجاوباً مع المسرح الشعر الحر وشعر التفعيلة أم الشعر البيتي ؟

●● في رأيي أن ما كتبه **أحمد شوقي وعزيز أباظة** في مسرحياتهما من شعر بيتي ، هو لا ريب شعر مسرحي يمكن أن يقوم عليه المسرح الشعري . وكذلك هو رأيي فيما كتبه **صلاح عبد الصبور** في مسرحية الحلاج من شعر تفعيلي . وقد قيل إن ما كتبه شوقي وعزيز أباظة في مسرحياتهما الشعرية ، إنما هو مجموعة قصائد غنائية تنقصها الحركة المسرحية والتفاعل الدرامي الديناميكي بين الشخصيات ، وإن الانطلاق من قيد البيت والقافية الموحدة ضروري لتحقيق النجاح للمسرح الشعري . كما قيل أيضاً إن المسرحية التي يقوم فيها الشعر على وحدة البيت والقافية ، والتي ينتقل فيها الشعر من بحر إلى بحر يتعارض مع الحركة المسرحية ، ولكني أجد في هذا



القول مبالغة ، لأنه يمكن عند الشعراء الفحول تحقيق الحركة المسرحية ، سواء كانت المسرحية متقيدة أو غير متقيدة بوحدة البيت ، أما الانتقال من بحر إلى آخر ، فهو في رأيي يساعد على تخفيض الرتابة التي نجدها في اتباع البحر الواحد أو حتى في التفعيلة الواحدة . . وهناك من يقول باختلاف البحور الشعرية في ملاءمتها للموضوع . وإذن فلا يكون في تنويع البحور في المسرحية تخفيض في الرتابة ، بل افساح لبروز المواقف الشعرية المختلفة .

الأشكال الأدبية الحديثة

● تحدثت عن محاولات التجديد الشعري في اليمن شكلاً ومضموناً . . فهل هناك محاولات معاصرة لدى الأدباء اليمنيين لكتابة الأشكال الأدبية الحديثة كالقصة القصيرة والرواية والمسرحية ؟

●● لقد أشرت في ثنايا اجاباتي السابقة إلى هذه المحاولات ـ إذا صح أن تسمى كذلك ـ في أكثر من موضع . وأعود فأؤكد أن بعض ما كتبه الأدباء اليمنيون أخيراً في القصة القصيرة هو أفضل بكثير من أن يسمى محاولة ، فقد ذكر **الدكتور عبد الحميد إبراهيم** في كتابه الذي صدر أخيراً عن القصة اليمنية المعاصرة أن القصة القصيرة عند **محمد عبد الولي** لا تقل في مستواها عن القصة القصيرة الممتازة التي كتبت وتكتب في بقية الأقطار العربية . أما الرواية ، فلم يظهر لها في اليمن حتى الآن أثر يستحق الذكر ، وأما المسرحيات ، فقد كتب منها شعراً ونثراً عدد غير يسير ، وفي رأيي أن بعض هذه المسرحيات قد تجاوز دور المحاولة إلى دور الإبداع .

● من أشعاره :

الثرى النابض

هذا الثرى في قبضتي صنعاء تنبض فيه نبضا
وتهزني هزّ الرياح الغصن قد وافته غضّا
أزكى وأندى من ثرى الجادي بل أزهى وأوضا[1]
قد طيبته بعطرها بلقيس لما سال أرضا
وجرى على « نقم » و« حدة » موجه طولا وعرضا[2]
أو ليس هذا طيبها نفضته في الساحات نفضا
فأعاد للترب الحياة بمخضه الذرّات مخضا

* * *

بلقيس عادت يا تراب وعدت للأجيال بضا
وسخرت بالأشباح ترجو للمنى غمطاً وغضا
وسخرت بالنوم العميق يجور بالأجفان غمضا
فلأنت أوّل من يهبّ إذا استشاط الفجر ومضا
لم ترض نوم المغلسين فكيف نوم الفجر ترضى
إن نام غيرك في الضحى فلقد رفضت النوم رفضا
ونبضت في كفي فكنت السيف مسلولا وأمضى

* * *

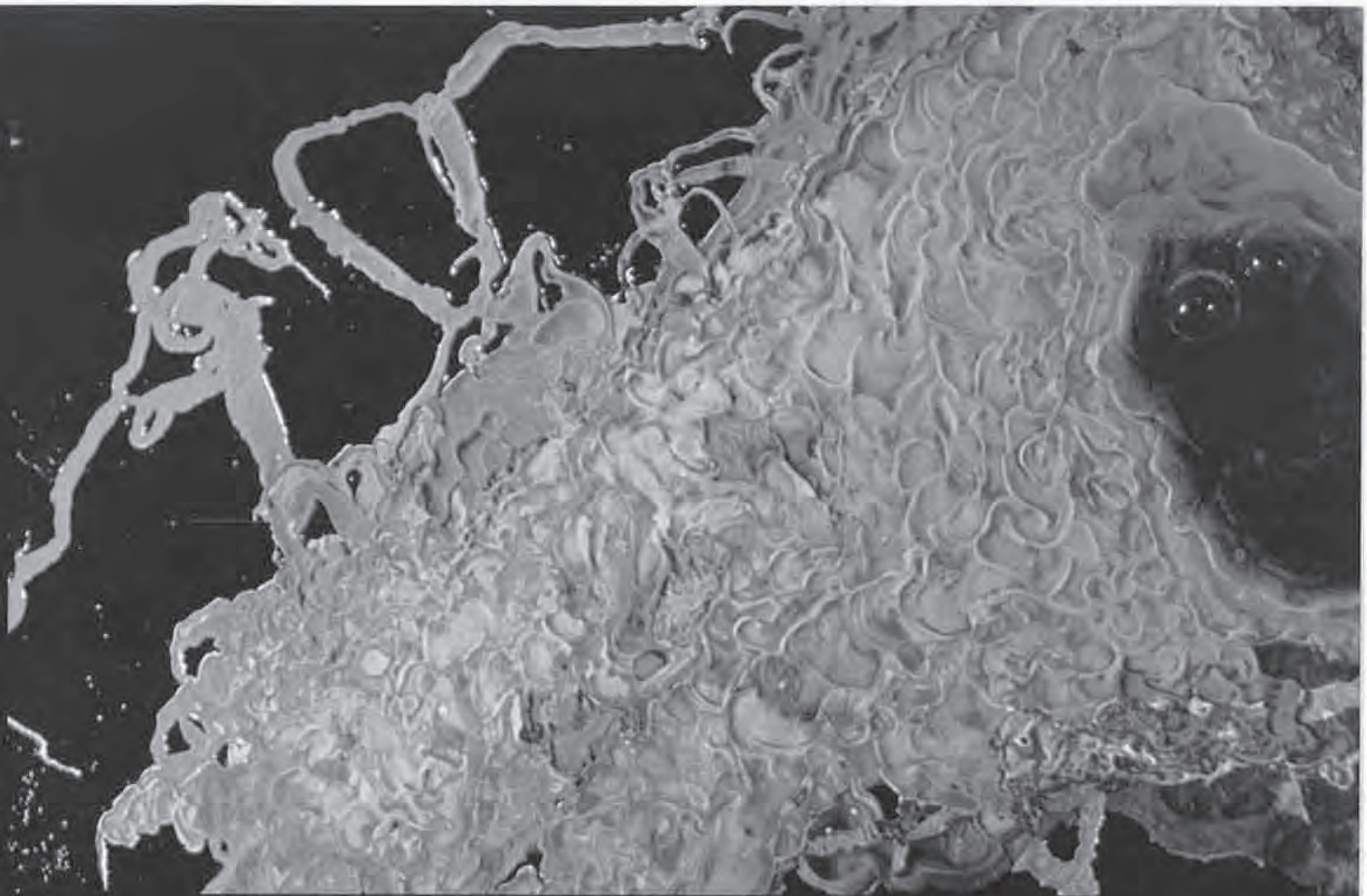
وطن الجدود لشد ما أولعت بالأحفاد حضّا
ما زلت تدعوهم إلى السعي الحثيث تراه فرضا
حتى استجابوا للنداء وأقبلوا وثبا وركضا
وأتى المهاجر من ضفاف النيل حيث السود محضا
ورحابة السودان في الأخلاق والأذواق أيضا
لولا الولاء لكان شطُّ النيل أولى منك ربضا
لكنها صنعاء نادت فاستجاب لها وأمضى
وغدا يشمّ كرومها ويذيبها لثماً وعضا
ويرى بها شتى المفاتن بعضها قد فاق بعضا

* * *

صنعاء كم يحلو الرجوع إلى رحابك حين أفضى
فلقد وجدتك تنهضين إلى اعتناق الصب نهضا
ووجدت تربك يستبيه بنبضه رفعاً وخفضا
صنعاء يا وطن المآرب في المكارم حين تقضى
عاد العميد إلى رحابك فامحضيه هواك محضا
وتقبّلي منه القوافي تزدهي بسناك عرضا

هوامش

(١) الجادي ، الزعفران .
(٢) « نقم » جبل يطل على صنعاء ، و« حدة » ضاحية من ضواحيها .



★ الخامات ، تلعب الدور الأساسي في عملية التشكيل الفني المعاصر ★

الفن.. والصناعة

بقلم : د. صالح رضا

« إذا كان الفن والصناعة هما السمة البارزة على جبين هذا العصر ، وكانت هذه السمة قد تتجه عن حتمية التطور الذي خاضه الفن قرون بعد قرون ، كان مما يتفق وطبائع الأشياء، أن تصطبغ حضارة هذا العصر بصبغة الفن والصناعة ، وأن يفرض عليها العلم طابعه الخاص وقيمه الجديدة » .

مفهوم الفن وعلاقته بالمجتمع

لن أكون مبالغاً إذا قلت إن الفن والمجتمع هو أداة التطور الحضاري وليس عكس هذا ، كما عرف من قبل على أن الفن « **مرآة عاكسة للمجتمع** » بل هو « **علم تغيير الحياة** » ، لأن الفن لا يتطور بمنطقه الداخلي الخاص دون تدخل أية عوامل تنتمي إلى مجال خارج عنه ، بل هو يرتبط دائماً (بالعامل الاجتماعي) ، الذي هو في واقع الأمر عامل اقتصادي وسياسي وثقافي وتاريخي في آن واحد .

والفن هو تاريخ تطور البشرية ، ذهناً وحساً ، وهو التطور الذي يستهدف به الإنسان حياة أفضل على الدوام ولا يمكننا أن نتخذ من الفن موقفاً محدداً ونكتفي بايضاح طبيعة الفن من خلال الفن ذاته ، وإنما ننظر إلى الفن داخل إطار أوسع ، وهو إطار الحياة الاجتماعية والحضارية والإنسانية في عمومها وشمولها اعتباراً على أن الفن هو الاحتياج الحقيقي للإنسان لتحقيق رغباته ووجوده ولا يمكن أن نأخذ الفن من موقف محدد ونكتفي بايضاح طبيعة الفن من خلال الفن ذاته .

ولتوضيح كلمة الفن عبر تاريخ النضال الإنساني التي أخذت صوراً متغيرة نتيجة للمراحل التي مر بها الإنسان ، ورغم أن التوضيحات والتفسيرات الكثيرة التي كتبها الفلاسفة والمؤرخين ، إلا أن هناك تعبيراً واحداً لا يختلف عليه إنسان . هو أن الفن افراز اجتماعي . وهذا التحديد العلمي لمعنى الفن ، هو نفس التحديد العلمي



★ لعبة من الورق (اميل شوماخر) ★

لمنطق الكيمياء ، هو أن جزيء المادة يحمل صفات المادة ، أي إن الجزيء هو جزء من المادة الذي استخرج منها .

ونظراً لأن كلمة (مجتمع) كلمة شمولية تتضمن أنماطاً اجتماعية مختلفة ترتبط ارتباطاً كلياً وجزئياً . فإذا تصورنا مجتمعاً ما نتج عنه فن ، ذي شكل يختلف عن الشكل الاجتماعي الكائن به ، يصبح هذا الفن كالعضو الغريب داخل هذا المجتمع ويصبح أمراً مرفوضاً ولا يمكن أن يتعايش معه . . . كما يرفض الجسد عضواً غريباً عنه .

إذن لا بد أن يكون الفن هو نتاج مجتمع يحقق له رغباته واحتياجاته ، هذا إذا اخذنا في الاعتبار أن « **الفن هو شمول حضاري** » وبالنظرة السريعة إلى الحضارات القديمة نرى كيف كان الفن والمجتمع دائماً في وحدة متكاملة ، لأن الرغبات الإنسانية هي التي تحدد شكل الفن داخل مجتمعها وإذا اعتبرنا أن الفن هو إحدى الرغبات أو الرغبة الأولى في الحياة ، على أساس أن الفن هو الاحتياج بمعناه الشمولي نرى أن الفن ملتصقاً التصاقاً كلياً بالحياة الاجتماعية ، أو بالمعنى الأوضح أن الفن هو نتاج لرغبة الإنسان داخل إطار المجتمع .

إن الفن سيكون ضرورة في المستقبل كما كان في الماضي ، ويمكننا القول إن تلك الوظيفة لم تتغير مع تغير المجتمع إن لم تنشأ للفن وظائف جديدة .

وإذا كان الفن خاضعاً لهذه الظروف الاجتماعية المرحلية ، وعبر التاريخ الإنساني كان الفن هو الحقيقة الثابتة بالرغم من السيطرة عليه في بعض العصور ، نتيجة لسيطرة السلطة ، إذ كان الفن يقوم بدوره مع اختلاف مراحله المختلفة والمتغيرة .

وفي أهم مراحل التطور الإنساني كان الفن دائماً سائداً وليس مسوداً ، رغم القيود التي فرضتها عليه الظروف الاجتماعية والسياسية ، وهذا مما لا شك فيه يدل على قدرة الفن في تحديد موقفه من النظام القائم ، سواء كانت هذه النظم في صالحه أو لغير صالحه .

فقد عرف تاريخ الفن الكثير من مواجع بني الإنسان من الطرف والأسى ، فغنى لها وبكى ، وشكل حياة الإنسان رغم كل الظروف من حروب وانتصارات وانتكاسات ، وعبر عنها في ملحمة بشرية رائعة سواء بالكلمة أو الشعر والموسيقى والتشكيل وبكل مقومات الحضارة الإنسانية ، على أن لا يكون للفن موقف محدد ، ولا نكتفي بايضاح طبيعة الفن من خلال الفن ذاته . وإنما ننظر إلى الفن داخل إطار أوسع ، إطار الحياة الاجتماعية في عمومها ، وإذا كان بعض الشراح يتصورون أن ادخال عوامل خارجة عن مجال الفن عند شرح اتجاه أو عمل فني معين ، هو خطأ منهجي أساسي فإن الفن في مفهومه على عكس هؤلاء الشراح ، عن هذه النظرة إلى الفن داخل سياقه الاجتماعي والحضاري الأوسع .

وإذا كانت فكرة الحرية تساير دائماً ظروف وأهداف طبقة محددة ، أو نظام اجتماعي معين ، فهي مع ذلك تتحول إلى فكرة شاملة ، كذلك الفن فإنه مهما يكن وليد عصره فهو يضمم قسمات ثابتة من قسمات الإنسانية .

الفن والحرفة

لقد ذكرنا أن الإنسان الأول كان محكوماً عليه بسد احتياجاته المعيشية في بادىء

الأمر ، لاعتبارات نفعية بحتة . ثم أضاف الجمال إلى مصنوعاته النفعية جنباً إلى جنب للتعبير عن مكنوناته وارضاء احتياجاته النفسية المعقدة ، وكانت الحرف اليدوية كالحفر على الخشب والحجر والمعادن ، والتشكيل بالطين والجص والسجاد والكليم والنسيج والطبع على الأقمشة وغيرها ، كلها مجالات حفر فيها كفايته الإبداعية وظل يحذق فيها قدراته الخلاقة ، تارة يطور فيها الشكل الكلي ، وتارة يغير فيها المظهور السطحي الملمسي ، وتارة يصنع فيها الصور والقصص والأساطير بتعبيرات متنوعة اختلفت من عصر إلى عصر ومن بلد إلى بلد ومن فنان إلى آخر ، بمثل ما اختلفت أحياناً من حرفة إلى أخرى ، وحتى في المجالات المتعددة في ذات الحرفة .

ومع كل ذلك فقد اتسمت جميع الفنون العربية بسمات عامة مشتركة كان أهمها ، وحدة الفكر في اختيار الأشكال الزخرفية وفي معالجة مفيدة بكل ، بطريقة ذكية مخلصة وأمينة .

وقد عادت عليه مهاراته الخفية وخدمته في تناول المواد ومعالجة هيئة الشكل فنياً وتكتيكياً في كل العصور وفي كل البلدان بنتائج اقتصادية أفاد منها مجتمعه فوائد كثيرة لا نستطيع أن نغفلها أو نتجاهلها .

فالفن المجرد إذن ، كان وما زال في بلاد الشرق ، على علاقة وثيقة بالحرف اليدوية يقويها ويتقوى بها وسار جنباً إلى جنب مع الفن الإنساني ، ولم يختلف أو ينأى عنه إلا بالقدر الذي تمليه الاعتبارات العملية الضرورية لاحتياجات الإنسان المادية .

وكان جهده في الحرف اليدوية في الماضي مركزاً بصفة خاصة على الجانب الشكلي ومن ذلك استمدت كلمة الإبداع أو التصميم في الحرف اليدوية ، معناها التقليدي المعروف بأنها تعني الزخرفي ، حين كان الاهتمام بالتصميم مقصوراً على الناحية الشكلية أو التركيز عى الشكل لذاته .

أما في الوقت الحاضر فقد حدث ويجب أن يحدث تحول كبير لمفهوم التصميم مؤداه تركيز الانتباه على الغالبة فيه ، بدلا من اقتصاره على الشكلية واعتباره بالنسبة لماهيته نظام إنساني وأحد الأسس الفنية لحضارتنا .

وعملية التصميم تعني العمل المبدع الذي يحقق غرضه وهو الذي يحقق شيئاً جديداً . وعملية الابتكار لا تولد في فراغ إذ هي جزء من السلوك الإنساني فردياً كان أو جماعياً . . فبقدر حاجتنا إلى شيء نصنعه ونحن نقوم بذلك العمل على الأقل إذا كنا مبتكرين . وهذا هو الخيار الوحيد لنا في الحياة . فإما أن نضغط احتياجاتنا ورغباتنا لكي تناسب ما تقدمه لنا الظروف ، وإما أن نستخدم كل ما لدينا من خيال ومعرفة ومهارة في ابتكار ما يحقق لنا هذه الاحتياجات . . إننا نقوم بهذا الاختيار على حدة كأفراد كما نقوم به معاً كجماعات وجميع الأشياء ، مثل : الملابس والمنازل والمدن والطرق العامة والعدد والآلات وغير ذلك مما نستخدمه قد اخترعت بناء على قدر من الحاجة .

وليست هذه الحاجة دائماً مادية بل تكون روحية كذلك ، وهي حاجة تتطلبها نفوسنا ، كما أنها حاجة إنسانية أساسية يشترك فيها جميع البشر . . وقد لا نميل إلى تسميتها بالحاجة إلى الجمال ، ذلك أن لفظ الجمال اعتراه بعض الغموض ولنطلق عليها الحاجة إلى ما في أعمالنا الخاصة من منفعة أمانة وانعكاس ذلك على أعمال الآخرين .

وهيئة الشكل تعبير عن متعة الابتكار والأمانة في العمل وكل هيئة تبتكر ، لا بد أن تتوافر فيها : المتعة الناشئة عن كوننا لا نستطيع الابتكار إلا من خلال حب المهارة كما تتوفر فيها الأمانة . . ومن طبيعة الابتكار أنه عملية اكتشاف ، ثم التعبير عن الهيئة العامة للشكل من خلال هذه العوامل .

هكذا سارت وتسير مفاهيم الابتكار الفني في شتى مجالات الحرف اليدوية التي حققت بذلك أغراضها .

وهناك عدة تساؤلات تفرض نفسها في هذه الظروف أهمها ما يلي :

●● هل لا زال للحرف اليدوية على هذا الأساس الفني في الدول العربية نفس المفهوم في العصر الحديث ؟

●● وهل يكون من الأفضل أن تظل سائرة في نفس الطريق الذي سارت فيه ، أم تتطور تطوراً آخر يتفق ومتطلبات الإنسان العربي في العصر الحديث ، كما تتفق والتطور الذي أحرزه عصر الآلة ؟

وفي سبيل محاولة الإجابة الموجزة عن هذه التساؤلات نلاحظ أن الحرف اليدوية في الدول العربية قد تطورت شوطاً كبيراً في طريق الكمال الشكلي على الأساس التقليدي واشتهرت بذلك في العصور الغابرة ولا تزال تشتهر بذلك في العصر الحديث ، وحققت ولا تزال تحقق الرواج المنشود لكنها لم تواكب التطور الجديد الذي غزا العالم في العصر الحديث نتيجة للتقدم الإنتاجي الآلي الذي أصبح يخشى معه على مصير الحرف اليدوية . وما حققته وتحققه من رواج اقتصادي وأضحى لا يكاد يفي بالاحتياجات المتعددة للإنسان العربي في العصر الحديث .

وفي الحقيقة أن القطعة المفردة أو التي تنتجها اليد في مجالات الحرف ، اليدوية تتطلب منا في الوقت الحاضر جهداً مضنياً لرفع مستوى مهارة عمالنا اليدوية ونشاطهم العقلي بدرجة تتيح لنا أن نعيد من جديد ذلك النظام وذلك السرور اللذين لا تستطيع إنتاجهما سوى يد الإنسان تقودها روحه الخاصة .

وهذه الجهود إذا سارت في الطريق التقليدي للأشكال الفنية التي اعتادتها الحرف اليدوية ، فإنها لن تؤدي في النهاية إلى تحقيق التكامل في العمل الفني ، فضلاً عن عجزها عن الوصول إلى الرواج المادي عن طريق هذا الفن الحرفي ، إلا إذا تغيرت مفاهيم التصميم في المجتمع العربي بما يتلاءم مع ظروف الحياة الحديثة للفنان العربي وإلا إذا تغيرت كذلك مفاهيم وسائل تعليم الحرف اليدوية من ناحية ، وتعليم المستهلك من ناحية أخرى ، ويقتضي هذا التغيير في مفاهيم التصميم وتعليم المنتج والمستهلك ، أن يسير في خط مواز مع نظام متكامل خاص بإنتاج الفن الصناعي بطرق آلية تعتمد أساساً على إنتاج القطعة اليدوية المفردة بطريقة آلية ، كما تعتمد على إنتاج القطعة التي تنتجها الآلة بطريقة كمية . . وبهذا نصون الإنتاج اليدوي من الزوال قبل أن تجرفه الآلة ، بحيث نجعله في خدمتها وأساساً لها ، ونفتح الطريق أمام الإنتاج الصناعي المعاصر .

الفن الصناعي

لقد سارت قضية الاعتراف بالفن الصناعي أو فن الآلة في طريق طويل من البحث والدراسة . . كان منها أن الآلات يجب أن تستمر في نموها وتطورها بهدف توفير جهد الإنسان ، حتى تجد جماهير الناس فراغ حقيقي متسع يمكنهم من الاستمتاع بمباهج الحياة .

ومنها أن « الفنون النفعية » ، وهي الأشياء التي صممت بقصد استعمالها في نواحي المعيشة ، تستجيب للحساسية الجمالية كفن مجرد . . وهذه الاستجابة العقلية أو **الحدسية** ، لا تقتصر على كونها انسجام أو تناسب بالمفهوم الهندسي بل قد نبتكرها ونتذوقها ، ونحن في حالات إدراكات حدسية كما سبق القول .

وحيث إن التجريد العقلي في الفن شيء قابل للقياس والتحليل إلى قوانين عقلية كما أشرنا ، فإن من الواضح أن الآلة وهي التي تنتظم في عملها في ضوابط ومقاييس تستطيع بغير شك إنتاج مثل هذه الأعمال ، دون تعثر وفي دقة لا تجاريها اليد ، كما تستطيع إنتاج الأشياء الجميلة التي أحببنا فيها تلك الأشكال غير المزركشة من فنوننا الشرقية القديمة عامة . ومن الممكن أن تحقق هذه الأشياء جميع قوانين الجمال التي ترتكز على تناسب عددي . والفنان الذي نسميه عادة المصمم هو الفرد الذي يقرر ذلك التناسب الشكلي الذي تعمل الآلة على أساسه .

والمشكلة الوحيدة التي يواجه بها تكمن في الطريقة التي يكيف بها قوانين التماثل والتناسب مع كل من الوظيفة والمادة الخام وطرق المعالجة في الشيء المراد تصنيعه .



★ نحاس مطروق ـ جمال السجيني ★



★ طبق معدني ، صناعة إيران ، القرن الثالث ـ الرابع الهجري ، حيث تظهر دقة الفنان وحرفته ★



★ طبق معدني من القرن السادس الهجري ★

ومثل هذا المصمم بالنسبة لتصميم أدوات المعيشة لا يختلف عن ذلك الذي يصمم السيارة أو المهني أو الدوبري ، إلا اختلافاً طفيفاً يتعلق بطبيعة خاماته وبساطة عملياته ، والمصمم الذي يمثل عصر الآلة أصدق تمثيل هو المهندس الانشائي . . ويكون هذا المصمم فناناً تجريدياً بالقدر الذي يستطيع فيه التوفيق بين الأهداف والوظيفة ومثاليات التماثل والتناسب .

وقد روعي في هذه القضية أيضاً ، أن القطعة الفريدة التي كانت من مقومات الفنون الحرفية يلزم التضحية بها في عصر الآلة ، على أساس أن صفة التفرد ليس وراءها قيمة جمالية جادة ، ذلك لأن التفرد هو في الأصل انعكاس لغريزة حب تميزت بها المرحلة الانعزالية من مراحل المدنية الغابرة ، وقد أصبحت الآن مستهجنة من الناحية الأخلاقية وفوق ذلك ، فالمميزات الأخرى لها في الإنتاج الآلي مميزات معادلة .

وفي النهاية حسمت القضية بعد استبعاد المنتجات الآلية ذات الوظيفة الخالصة (التي لا تحمل أي معنى جمالي والتي صنعت في غربة الفنان التجريدي) ، بتقرير أن الآلات في الواقع تتضاعف وتتغير منتجاتها في سرعة مثيرة ، ومن ثم تحفر لنا كل ما نصبو إليه من تنوعات في الحياة اليومية وفاقت منتجاتها في اختلافها وتنوعها ما أنتجته وتنتجه الحرف اليدوية .

كما أوصت الدراسة في سبيل الاعتراف الالزامي بالفن الصناعي باعتبار التصميم وظيفة الفنان التجريدي (وقد يكون غالباً هو المهندس أو الفني) ، ووجوب إعطائه دوراً في جميع الصناعات التي لم يتقرر له مكاناً فيها حتى الآن ، وأن تكون قراراته في جميع مسائل التصميم نهائية وألا يطلب من المصممين على (كروكيات) الورق فقط ، توضع بعد ذلك تحت رحمة مديري المصانع والبائعين يكيفونها وفقاً لتخيلاتهم عن احتياجات الجماهير ونزواتهم والتوصية بموجب ذلك أن يصمم الفنان مستخدماً الخامات الفعلية والإمكانات الإنتاجية التي في حوزة المصنع ومندمجاً في عملية الإنتاج الكاملة مع اطلاق نفوذه في جميع شؤون التصميم ، على أن يتكيف المصنع لقدرات الفنان التي يسخرها في خدمة الكفاية الوظيفية للمنتج ، وتحقيق الآمال العريضة للمستهلك ، مع الحذر من اخضاع الفنان لنزوات المصنع .

وبالطبع لا يمكن تحقيق هذا التنظيم في ظل النظام الصناعي القائم ، فرغم أن رجال الصناعة في الوقت الحاضر على علم بالقيمة التجارية للتصميم الفني الجيد الذي يحقق غرضه الأشمل ، إلا أن الصناعة لا يزال يديرها غالباً أناس بعيدون عن فهم معنى الفن في الصناعة الفهم الواجب ، وليس لديهم أي استعداد للتنازل طواعية عن أي من أعمالهم للفنان .

من هذا تتبين حاجة الإنسان العربي إلى الفن الصناعي أو لفن الآلة ، وإلى وضع الفنان العربي في مجال الإنتاج الصناعي الوضع الصحيح المناسب ، الذي يتيح له أداء دوره فيه كاملاً ليحقق لهذا الإنتاج التقدم والاستقلال الفكري ، ويدفعه في الطريق الصحيح للرواج المادي عن طريق فتح أسواق شرقية وغربية أمام الإنسان العربي على أساس علمي وفني سليم .

وبهذا يتسنى للفن المجرد أن يسير مع الفن الإنساني جنباً إلى جنب مع طريق اسعاد الكلية العامة للإنسان العربي خاصة والمجتمع الإنساني عامة .

النبات الاقتصادي لجزيرة العرب عند الدينوري

بقلم: د. محمد نذير سنكري

بدأت الاشارات إلى النبات الاقتصادي في **كتاب النبات لأبي سعيد عبد الملك الأصمعي** (١٢٨ - ٢١٦ هـ)، إلا أن التقدم الكبير في هذا العلم قد تم تحقيقه على يد **أبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري** في القرن التاسع الميلادي[1]، وقد قال **السيوطي** عن كتابه النبات، في **البغية** (١ : ٣٠٦)، إنه لم يؤلف في معناه مثله. **وميزة أبي حنيفة أنه كان من أوائل الباحثين النباتيين في العالم الذين درسوا موضوع النبات الاقتصادي** Economic Botany **لجزيرة العرب الجافة، وللنباتات التي عرفها العرب في تجارتهم وترحالهم**، وتلك التي بقيت آثارها في أمثالهم وشعرهم. أي إن كتاب أبو حنيفة هو موسوعة البيئة النباتية والنبات الاقتصادي لجزيرة العرب في القرن التاسع. والمدهش حقاً أن نشأة علم النبات الاقتصادي عند أبي حنيفة كان مبعثه لغوياً وذلك لفهم لغة القرآن الكريم والتراث العربي.

وقد أفرد أبو حنيفة أبواباً مميزة لمجموعات النباتات الاقتصادية في جزيرة العرب، ومن هذه الأبواب باب الصمغ واللثا والمغافير ونحو ذلك من نضوح الشجر وسائر عصارات النبات المجمدة مما يكون بأرض العرب. فمن نباتات الصمغ **الطلح** (أم غيلان) Acacia flava **والسلم** Acacia asak **والسمر** Acacia tortilis، **والكثيراء** Astragalus gumifera، ومن نباتات العلك علك الأنباط الذي يستخرج من **البطم** Pistacia atlantica، **وعلك الضرو** Pistacia palestina، وعلك الأمطي، **وعلك المر** Commiphora myrrah، **واللبان** Boswellia، أما المغافير فصمغ حلو يجف فيكون كالسكر. ومن النباتات المنتجة للمغافير الرمث Haloxylon salicornicum، **والعشر** Calatropis procera، **والثمام** Panicum turgidum. أما **اللثا**، فهو ما سال فجرى مجرى العسل، كما هو الحال بالنسبة لعسل الطرفاء Tamarix spp. **وعسل الكمثري** Pyrus spp.، ومن الصموغ الطبية **صمغ الأيدع** (دم الأخوين) Calamus draco، **والمقل** Commiphora mukul، ومن الطيبات أيضاً، **صمغ الصبر** Aloe perryi و A. soccotrina. ومن العصارات الصباغية تلك المأخوذة من العظلم (النيلة) Indigofera tinctoria، وغيرها من أنواع Indigofera spp.، والتنوم Chorzophora plicata.

كما كتب أبو حنيفة عن نباتات **القطران** (الخضخاض)، مثل **العرعر** Juniperus procera **والعتم** Olea chrysophylla، وإن الزفت النباتي يؤخذ من أشجار الأرز والصنوبر لتزفيت المراكب.

كما تكلم عن نباتات القلي وذكر أن أجود القلي ما اتخذ من الحرض Seidlitzia rosmarinus و Anabasis spp.، أما قلي الزجاجين فيتخذ من زغف الرمث Haloxylon salicornicum.

وقد أفرد باباً أيضاً للنباتات الفطرية والعليا المتضخمة التي تؤكل أو قد تؤكل مثل الكمأة Terfezia leonis والجبأة، والعراجين، والافانيخ، والضغابيس، والطراثيث، ونبات أوبر والقعبل، والعساقيل.

كما أفرد باباً للنباتات التي تستخدم لدباغ الجلود، مثل **القرظ** Acacia nilotica وهو أجودها، ثم بقية أنواع Acacia spp. في جزيرة العرب مثل السلم Acacia flava والسمر Acacia tortilis وغيرها ... والأرطي Calligonum comosum والظيان Jasminium. أما الغلقى Daemia tomentosa فلإزالة الشعر، فإن لم توجد مرط الجلد بلبن العشر Calatropis procera.

كما خصص باباً للنباتات الصباغية والخضابية مثل **الورس** Memecylon ramiflorum **والعصفر** Carthamus tinctorius، **والزعفران** (الجادي) Crocus sativus، **وقرف السدر** Zizyphus **والفوة** Rubia tinctoria، والعندم (البقم) Caesalpinia sappan **وهنة الطرثوث** Cynomorium coccinium، **والحناء** (اليرناء) Lawsonia inermis **والكتم** Myrsine







★ علماء النبات العرب، استطاعوا أن يتركوا وراءهم عدداً من الأبحاث عن النبات الاقتصادي لجزيرة العرب ★

africana **والشقائق** Papaver spp. الخ .

كما كتب عن نباتات الزناد ذاكراً منها **المرخ** Leptadenia pyrotechnica، **والعفار** Buddleia polystachya **والدفلى** Nerium oleander **والحرمل** Rhazia stricta .

ومن الأبواب أيضاً باب عن أسماء **الرياحين البرية والريفية** التي تنبت بأرض العرب ، وقد ذكر فيما ذكر ، الريحان Ocimum basilicum **والخزامى** Salvia shimperi وبعض أنواع Lavandula والضيمران (الشاهسفرم) Ocimum minimum **والأقحوان** Calendula offcinalis **والحنوة** Calendula arvensis **والعرار** Asteriscus graveolens **والجثجاث** Pullicaria crispa وبقية أنواع Pullicaria ، والبسباس Pimpinella cratica **والحوذان** Picris abyssinica و P. radiata **والقيصوم** Achillea fragrantissima **والعبيثران** Achillea spp. **والحبق** Mentha longifolia **والجعدة** Teucrium Polium **والندغ** (صعتر البر) Satureia spp. والعبهر (النرجس) Narcissus spp. والنمام (الحبق) Mentha aquatica **والخرنباش** Origanum maru والآس Myrtus communis **والرند** (الغار) Laurus nobilis ، والظيان **(الياسمين)** Jasminum floribundum **والشوع** (ثمر البان) Moringa peregrina **والزنجبيل** Zingiber officinalis **والقرنفل** Eugenia aromatica **والضرو** Pistacia palestinaوالاترج **(الترنج)** Citrus medica var Cedrata. والشث Dodonia viscosa **واللبني** (الميعة) Styrex officinalis **والزرنب** Taxsus baccatus والصندل Santalum album والتامول **(الفوفل)** Areca faufel وغيرها .

كما أفرد باباً **لنباتات البساويك** مثل الأراك Salvadora persica والأسحل Tamarix spp. والبشام والضرو Pistacia palestina والعتم Olea chrysophylla والشث Dodonea viscosa واليستعور والعرفج Rhanterium eppaposum والدارم والتامول والأشاء (صغار النخل) ، والفوفل Areca faufel للمضغ .

وقد أفرد الدينوري أيضاً باباً **لنباتات الحبال والنباتات التي تتخذ منها الألياف** فبعد أن ذكر القطن Gossypium arborea **والقنب** (الابق) Cannabis sativa **والكتان** (الزير) Linum usitattisimum ذكر كثراً من النباتات البرية ، مثل **الأذخر** Cymbopogen schoenanthus **والسخبر** Andropogon parkeri والثداء (المصاص) Cyperus conglomeratus **والأسل** Juncus maritimus **والكولان** Gladium **والدوم** Hyphaene thebaica والسلب وبعض أصناف النخيل Phoenix dactylifera .

وذكر أن أجود الليف للحبال الكبار وهو ليف النارجيل (جوز الهند) Cocos nucifera . ومن نباتات الألياف الأخرى ذكر القطف Atriplex halimus والطلح والسمر والعرفط والسمر (أنواع Acacia) والعشر Calatropis procera وغيرها .

فإذا كان الدينوري ومن أتى بعده من علماء النبات العرب والمسلمين قد وضعوا الأبواب الكثيرة عن النبات الاقتصادي لجزيرة العرب ، فما أحرانا أن نعيد النظر اليوم عبر ما خلفوه من تراث تليد ، وأن نربطه بالمعرفة المعاصرة والمتطورة . إن هذا ليس ضرورياً لفهم تراثنا العربي فحسب ، وإنما هو في غاية الأهمية لتطوير المناطق الجافة والصحراوية العربية عن طريق إعادة استزراع الأنواع النباتية التي لا تزال تستعمل محلياً أو عالمياً ، أو تلك التي يمكن أن تستعمل اقتصادياً ، وتطوير الصناعات المعتمدة عليها ، سواء التقليدية منها ، أو تلك الحديثة جداً ، مثل استعمال أنواع الحلب (اللبينة) Euphonbia spp. كمصدر للمطاط أو كبديل لبعض المركبات البترولية واستعمال غيرها كمصادر للشموع أو الصموغ النباتية أو العطور أو العقاقير الطبية .

هوامش

(١) توفي عام ٢٨١ للهجرة المقابل لعام ٨٩٤ ميلادي .

النمو
والعوامل المؤثرة في النمو

عام الطفل

النمو والعوامل المؤثرة في النمو

من الأبحاث التي يتناولها **علم النفس التربوي**، بحث النمو، لما له من أهمية كبرى في سير العملية التربوية. فمعرفة النمو، المعرفة العلمية، تساعد في التعرف على المعايير التي تناسب كل مظهر من مظاهر النمو. وعلاقة هذه المظاهر بعضها ببعض. مثل العمر وعلاقته بالطول، والوزن وعلاقته بكل من العمر والطول.

وتساعد هذه المعرفة أيضاً، في **قياس النمو الجسمي والنفسي والاجتماعي** بمقاييس تمكننا من معرفة النمو العادي السوي، والنمو المتأخر، وكذلك معرفة ألوان الشذوذ التي تطرأ على النمو.

النمو هو سلسلة من التغيرات التدريجية المنتظمة والمتماسكة في طبيعة الكائن الحي، والتي تهدف إلى النضج. وهو عملية معقدة تدمج عدة بنى ووظائف، وكل تغير يتوقف على ما سبقه ويؤثر فيما سيأتي.

قوانين النمو

مهما كانت عملية النمو وحركتها، بطيئة أو سريعة، فإنها تسير وفق قوانين ثابتة لا تتغير عند كافة الجنس البشري، هذه القوانين هي:

التغير في الحجم: عندما ينمو الطفل ويكبر، يزداد وزنه وطوله، وتتغير قياساته الجسدية، وتكبر أعضاؤه الداخلية، ويزداد حجمه، بالإضافة إلى نمو عقلي واتساع في حجم مداركه وزيادة مفرداته اللغوية.

التغير في النسب: مع تقدم عملية النمو يظهر تغير في نسب أعضاء جسم الطفل نلاحظ ذلك في نسبة طول رأس الوليد إلى جسمه هي ١/٤ بينما تصل في مرحلة الرشد إلى ١/٨ طول الفرد.

اختفاء صفات أو أعضاء قديمة: مع مراحل النمو نشاهد اختفاء صفات قديمة مثل الزحف والرضاع والمناغاة بالاضافة إلى اختفاء أعضاء مثل الأسنان اللبنية وشعر الوليد.





★ البيئة.. والتعلم، كلها عوامل تؤثر في عملية نمو الأطفال، ودرجة التأثير تختلف من طفل لآخر ★

اكتساب صفات جديدة : اختفاء صفات قديمة يؤدي إلى ظهور صفات جديدة مثل القدرة على المحاكاة والتجريد ، واكتساب الصفات الجنسية .

هذه هي قوانين النمو لا تختلف مهما اختلفت عملية النمو ومهما اختلفت النماذج التي نريد دراستها .

الخصائص

النمو كما ذكرنا عملية معقدة ، هذه العملية تتميز بعدة **خصائص وميزات** يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ **النمو متماثل عند جميع الأطفال :** مهما اختلفت البيئة أو الوراثة أو مهما تأخرت أو أسرعت عملية النمو ، فإنها واحدة وتسير في خطوات متجانسة لدى جميع الأطفال . مثل عملية المشي حيث الجلوس فالحبو والوقوف وأخيراً المشي .

٢ ـ **النمو يتجه من الاستجابات الاجمالية إلى الاستجابات النوعية :** فالطفل في المراحل الأولى ، يتجه نحو أي صوت يسمعه ، ومع استمرار عملية النمو فإنه يتحول إلى الاتجاه نحو نوعية الأصوات ، فالتي تعنيه يهتم بها ويترك ما لا تعنيه .

٣ ـ **النمو عملية متصلة :** ذكرنا أن النمو سلسلة من التغيرات أي هو حلقات متصلة ، كل حلقة تؤثر في المراحل اللاحقة وتتأثر في المراحل السابقة مهما كانت ظروف عملية النمو .

٤ ـ **النمو يسير بمعدلات مختلفة :** ليست كل أعضاء الجسم أو ادراكاته تسير بمعدلات واحدة ، نلاحظ ذلك في نمو الأعضاء الداخلية ، **فالقلب** مثلاً ينمو ببطء في الطفولة ويسرع في السنوات الأولى من المراهقة ، **والتخيل المبدع** ينمو سريعاً في الطفولة ويبلغ ذروته في المراهقة .

٥ ـ **النمو مترابط:** النمو في ناحية واحدة مرتبطة كل الارتباط بنواح ثانية مثلاً النمو الجنسي مرتبط باهتمامات وأنماط سلوك خاصة ، والمشي مرتبط في توسيع دائرة محيط الطفل وبالتالي توسيع آفاقه .

٦ ـ **النمو متكامل :** لا يمكن أن نجزىء عملية النمو مثلاً : المشي ، لا يمكن أن نقول بأن شد الساق وتحريكها ثم استقامتها هذا هو المشي . بل المشي هو عملية متكاملة في سلوك راقٍ .

٧ ـ أخيراً من خصائص النمو أنه يختلف في سرعته حسب المؤثرات من طفل لآخر هذه المؤثرات تؤدي إلى اختلاف عملية النمو من طفل لآخر ، فما هي هذه المؤثرات ؟

هناك عدة آراء تبحث في العوامل المؤثرة في عملية النمو ، من هذه الآراء من تذكر **عامل الوراثة** . ومنها تصنع أهمية كبرى للبيئة وآخر هذه الآراء تذكر بأن **للتعليم** أكبر الأهمية في النمو . وسنبحث هذه العوامل بشيء من التفصيل .

الوراثة

ما هي المورثة ؟ هي : خلايا محددة للوراثة تتكون من صبغيات **(كروموزومات) ومورثات (الجينات)** متحدة ، تحتوي على صفات الرجل والمرأة ، من مزاج ودم وميول ، ولون ، وقامة . ويبلغ عددها من ١٥ ـ ٢٠ الف مورثة ، وكل مورثة مختصة بصفة أو أكثر من تخطيط الجسم العام ، وأي خلل يطرأ على المورثات يعطي نتائج مروعة في عملية نمو الجسم ، وهذه المورثات مقسمة إلى ٢٤ مجموعة . وكمثال على التشوه الوراثي نضرب المثال التالي : زيادة صبغي واحد في المجموعة ٢١ تؤدي إلى انخفاض الذكاء بمعدل ما بين ٤٠ ـ ٨٠٪ والعينان تنحرفان واللسان يتدلى والقلب يعتل .

لهذا ذكر أصحاب هذا الرأي ، **بأن الطفل يحمل صفات معينة من خلال المورثات التي جهز بها** ، وهنا تبقى عملية النمو محددة سلفاً من حيث الدرجة والسرعة نتيجة للمواهب والاستعدادات الموروثة عند الطفل .

البيئة

ما هي البيئة؟؟ هي : مجموعة العوامل التي تؤثر في الكائن الحي ونشاطه منذ بدء تكوينه ، وحتى آخر حياته . البيئة ذات تأثير كبير على النمو ، نلاحظ ذلك في المثال التالي : عندما يتكون الطفل جنيناً ، وتتناول الأم هرمونات جنسية (استروجين ـ بروجسترون) تناول هذه الأدوية تسبب تشوه في الأطراف أو شذوذات قلبية ، وتؤثر البيئة في الطفل بعد ولادته من خلال أن الطفل الذي يعيش في **مجتمع المدن** يختلف عن الطفل الذي يعيش في **مجتمع القرية** من حيث ادراكه وسلوكه ، واكتساب صفات تميز كلاً من المجتمعين . هذه الصفات تتبلور في سلوك كل من الطفلين .

التعلم

هو عملية اكتساب مواقف واستجابات يستطيع بها المتعلم مجابهة كل ما قد يعترضه من مشاكل الحياة .

هذا هو التعلم **فما أثر التعلم في عملية النمو؟؟** من خلال نظرة تأملية نتعرف على **أن التعلم لا يؤثر في عملية النمو خلال المرحلة الجنينية والخمسة أشهر الأولى من حياة الطفل .**

يبدأ التعلم أثره عندما تزداد مقدرة الطفل على ادراك محيطه ، وكلما ازداد نمو الطفل يزداد أثر التعلم . نلاحظ ذلك في تقليد الأطفال للكبار في بعض الأنماط السلوكية ، وفي تقليد معلمهم وتمثيل أنماط سلوكية خاصة يستخدمها الطفل وقت حاجته .

أخيراً لا يمكن أن نقول بأن هناك عاملاً يؤثر أكثر من الآخر ولا يمكن الفصل بين هذه العوامل بل كلها تؤثر في عملية النمو . فالوراثة والبيئة والتعلم كلها عوامل تؤثر في عملية النمو ولكن درجة تأثير كل منها تختلف من طفل إلى آخر .

ومهما يكن فإن الطفل يخلق كما يشاء رب العالمين . وتبقى عملية نموه بعد ذلك خاضعة للأهل والمجتمع والبيئة التي يعيش فيها ، فهي التي تساعد في نمو الطفل بشكل سوي ، وهي التي تحرفه عن الطريق المستقيم .

اعداد : جمعة حسين جمعة

المراجع

١ ـ مشكلات الأطفال اليومية ، اسحق رمزي .

٢ ـ علم النفس التربوي ، فاخر عاقل .

٣ ـ الطب محراب الايمان ، خالص جلبي .

٤ ـ التعلم ونظرياته ، فاخر عاقل .

٥ ـ علم النفس التربوي ، بلقيس عوض ـ أحمد القادري .

ستظلين وحيدة

شعر: أحمد العقباني



سَتظَلِّينَ وَحِيدَهْ !
يَأكلُ الصَّمْتُ لَياليكِ الـحَزينَهْ
فَتمُدِّينَ اياديكِ لأمْسٍ تفْتَحينَهْ
ثـمَّ ... تبْكينَ كثيراً قصَّةَ الـحُبِّ الوَئيدهْ

سَتظَلِّينَ وَحِيدَهْ !
أنا لَنْ أوقفَ عُمْرِي عِنْدَ مَاضٍ قَدْ تركْتُهْ
عِنْدَ حُبٍّ كانَ وهْماً ...
وَقَتلْتُهْ
وَعَلى اعْتَابِ أيّامي دَفَنْتُهْ
دُونَما دَمْعَة حُزْن ...
أوْ عَزاءٍ فِي جَريدَهْ

سَتظَلِّينَ وَحِيدَهْ !
تسْحَقُ الأشواقُ قَلْبَكْ
وتعيشينَ لأمْسٍ بهِ قَدْ ضَيَّعْتِ حُبَّكْ
أنا لَنْ أرْجعَ فِي يَوْمٍ إلَيْكِ
أنا لَنْ أصْفَحَ عَمَّا كانَ نحْوِي منْ لَدُنْكِ
حِينَ مَزَّقْتِ نفْسِي بيَدَيْكِ !
ثـمَّ ... سافَرْتِ ـ كأيَّامكِ ـ فِي الدُّنيا شَريدَهْ

سَتظَلِّينَ وَحِيدَهْ !
بَيْنَما تمْتصُّ أقْدامُ اللَّيالِي فِي تماديها شبابَكْ
ثـمَّ ... لا يَأتِيكِ مَنْ يَطْرُقُ بَابَكْ
فَأنا غَيَّرْتُ عُـمْري
بَعْدَمَا ألْقيْتُ للنَّار سَرَابَكْ
وَمَعَ الشعْر سَأبْقَى
من دمي تأتِي القصيدَهْ

سَتظَلِّينَ وَحِيدَهْ !

سَتظَلِّينَ وَحِيدَهْ !

قصة قصيرة

بقلم: إبراهيم أحمد الشنطي

أم صابر

قلقيلية قرية كبيرة من عشرات القرى الكبيرة والصغيرة التي احتلها **اليهود** في عام ١٩٦٧ م . وأم صابر واحدة من مئات السجينات وآلاف السجناء المضطهدين المعذبين خلف قضبان السجون في الأرض المحتلة .

وقصة **أم صابر** ومأساة سجنها لا تختلف كثيراً عن قصص الأخريات والآخرين من السجناء إلا من حيث التفاصيل ، وهي بلا شك ، قد تكررت في مختلف أرجاء الوطن المحتل ولكن بصور شتى متشابهة وغير متشابهة ، أصلها واحد وهدفها واحد ، وإن اختلفت السبل وتعددت الوسائل .

كان ذلك في الصيف الثاني لاحتلال العدو للبلدة ، أي **في صيف عام ١٩٦٨ م** ، وفي الذكرى الأولى المشؤومة لاحتلالها . وكالعادة في كل ذكرى مؤلمة يقوم الناس بالاضراب والتظاهرات في مختلف المدن والقرى ، ومنها قلقيلية التي هبت للتظاهرات في وجه العدو الغاشم .

وكالعادة أيضاً تبدأ التظاهرة بعدد قليل من **أبناء المدارس** ، ثم تنمو وتزداد بينما يجوب أفرادها الشوارع هاتفين ضد المحتل الغاصب وراجمين أفراده وسياراته بما يحملونه من الحجارة والعصي .

ويأتي **الغزاة** المحتلون ، وكالعادة أيضاً ، **بمصفحاتهم** وهم يحملون **الرشاشات والعصي والقنابل المسيلة للدموع والدماء** ليفرقوا التظاهرة ، وليلقوا القبض على من يستطيعون من الصبيان والصبيات . وهكذا دواليك في كل ذكرى مشؤومة .... وما أكثرها في فلسطين .

وما كان صابر ليشذ ، وهو ابن الخامسة عشرة ، عن زملائه وأقرانه ، بل كان في مقدمة المتظاهرين الذين رموا العدو بالحجارة ، أما أمه ، فكانت في ذلك الضحى جالسة في المنزل في ظل جدار عال تشحذ سكيناً قديمة على أبريق من الفخار لتفرم بها الملوخية ، كغذاء لأسرتها ، بينما ابنتها الكبرى «**هدى**» تطل من الباب والشوق يملؤها للسير مع المتظاهرين الذين أخذت أصواتهم تقترب من المنزل ، وهم ينشدون : **لازم تخرج يا محتل .. في الوطن ما لك محل .**

ولاحظت الأم على ابنتها الشابة تحرقها للخروج ، فخشيت عليها أن يصيبها مكروه ، والفتاة غير الفتى في مثل هذه الأحوال ، فقالت تأمرها بالابتعاد عن الباب :

— هدى .. أبعدي عن الباب .. خلي هاليوم يمضي على خير ، ترى أنا شفت في المنام إن الدم سايل في الدار !؟

● هذا دم الفرخة اللي ذبحتيها قبل شوي !؟

وأفحم الجواب أم صابر ، التي لم تكن تتوقعه ، فرفعت صوتها آمرة :

— أقول لك ، سدي هالباب وادخلي شوفي الفرخة على النار .

وصفقت هدى الباب على مضض .. ومن شدة الصفقة عاد الباب فانفتح . فتركت الأم فرم الملوخية وقامت إلى الباب لتسده بينما صوت أقدام خفيفة وثقيلة تقترب مسرعة نحوها . فأمسكت بطرف الباب وقد دفعها الفضول لتمد رأسها منه فترى ما يجري ، لكنها قبل أن تفعل اندفع الباب ودخل منه صابر يلهث وفي أثره جندي صهيوني يحمل هراوة كبيرة دفع بها صابر لدى دخوله ، فسقط الفتى على الأرض وانهال الجندي عليه ضرباً بالعصا .

وجن جنون أم صابر ... ولدها الوحيد مطروح على الأرض ويهودي يضربه بعصاً غليظة .. وأين !؟ في وسط الدار !؟

وهجمت الأم على الجندي تشده من وسطه لتبعده عن ولدها .. ولكن هيهات أن تستطيع ذلك امرأة حامل .

وعلى الجلبة أطلت هدى من باب المطبخ ، فصاحت بها أمها :

— الحقي يا هدى .. اليهودي قتل أخاك !؟

وفي تلك اللحظة لمعت في عيني هدى سكين الملوخية ، وفي مثل لمح البصر اختطفتها ، وبقوة الخائف المضطهد طعنت بها خاصرة الجندي ، المنحني على شقيقها يضربه ، فنفذت السكين إلى قلبه !

— قتلتيه .. روحي انخبي !

* * *

قبل أن ينهض صابر من تحت الجندي الذي انكفأ فوقه يلفظ آخر أنفاسه كان ثلاثة جنود صهاينة يدخلون المنزل .

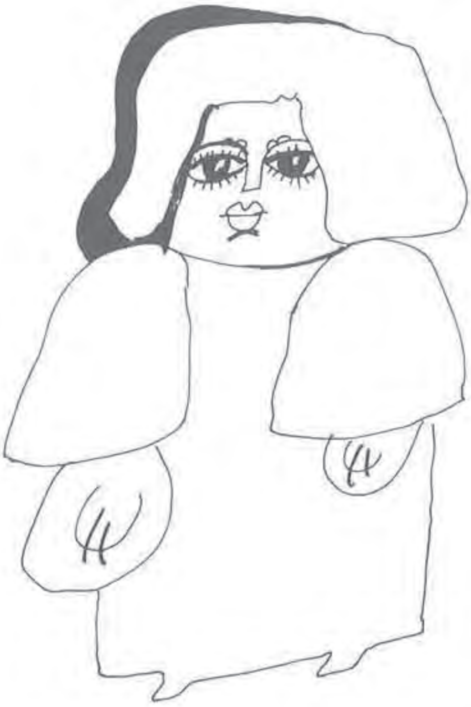
شدوا وثاق صابر وأمه - قبل أن تغسل يديها من الملوخية - بقيد واحد وساقوهما إلى السجن .

وضعت أم صابر ولدها الذكر الثاني «**فتحي**» في السجن ، فكانت السيدة الأولى التي تلد فيه .

الذين زاروا قلقيلية ، في الصيف الماضي ، قالوا إن أم صابر قد توفيت في السجن . لكنها ، في هذه المرة ، لم تكن الأولى التي تموت فيه .

قصة قصيرة

بقلم: أنطون تشيخوف
ترجمة: علي محاسنة





ذات يوم في الريف

الساعة ما بين الثامنة والتاسعة صباحاً وكتلة قاتمة من السحب تزحف على صفحة السماء وخيوط البرق النارية المتعرجة تلمع هنا وهناك وصوت الرعد يدوي في البعيد.. بينما ريح دافئة تداعب العشب فتتمايل معها الأشجار وتثير القليل من الغبار.. ويبدو وكأنه ربما خلال لحظات ستنهمر **أمطار ايار** (مايو) أو أن عاصفة حقيقية على وشك أن تهب.

«**فايولا**» الصبية المتسولة ابنة السادسة الشقراء، حافية القدمين شاحبة اللون.. بعينين واسعتين وشفتين ترتجفان تنطلق عبر القرية تبحث عن **تيران الاسكاف**.

هل رأيت تيران؟ وأين هو؟ كانت تسأل كل من يصادفها، لكن ما من أحد يجيب.. إنهم جميعا منشغلون سلفاً بالعاصفة القادمة وقد التجأ الجميع إلى أكواخهم..

وأخيراً.. هذا هو «**سيلانتي سيليش**» حارس الكنيسة الصديق الحميم لتيران قادم نحوها يترنح تعبث به الرياح.

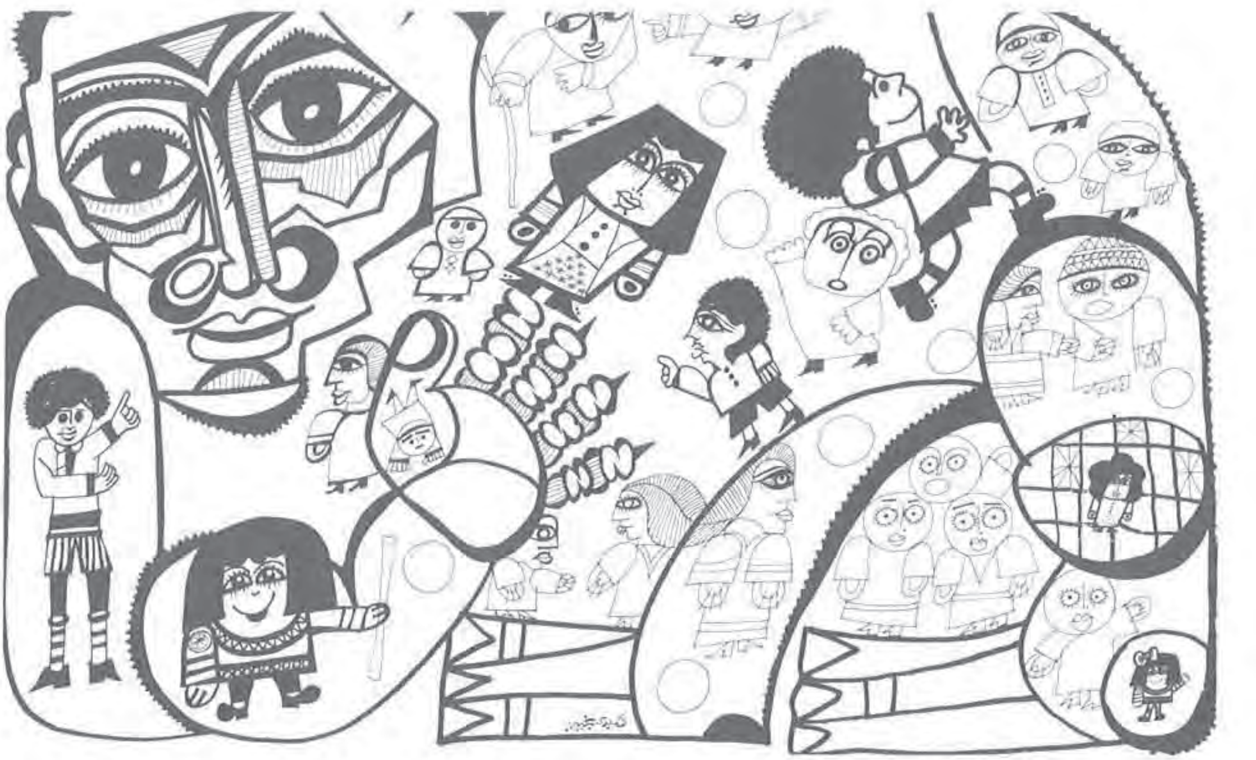
هل رأيت تيران يا عماه؟ أين هو؟ ويرد سيلانتي:

-بلى.. إنه هناك.. في المزرعة.

وتنطلق المتسولة الصغيرة إلى مزرعة الخضار في ما وراء الأكواخ حيث «تيران» الطويل القامة ذو الوجه النحيل، المنقوش بآثار الجدري والسيقان البالغة الطول، حافي القدمين، وقد ارتدى معطفاً نسائياً بالياً ووقف على مقربة من القسائم المزروعة بالخضروات يرنو بنظرات متراخية ثملة إلى سحاب العاصفة المدلهم.. فبدا مترنحاً على ساقيه الطويلتين كساقي الرافعة وكأنه أحد أبراج الحمام..

«**تيران.. عمي العزيز**» نادته المتسولة الصغيرة ذات الشعر الأشقر..

انحنى «تيران» إلى الصبية «فايولا» وقد اكتسى وجهه المتجهم الثمل بابتسامة كتلك التي تعلو وجوه البعض لدى رؤيتهم أشياء صغيرة مضحكة ساذجة ولكن يحبونها بحرارة.. «فايولا» أيتها الطاهرة.. أين كنت؟ قال



بلثغة خفيفة .

● « عمي تيران هيا تعال معي .. » قالت وهي تنشج متشبثة بطية معطفه .

أخي « دانيل » .. إنه في مأزق ..

— وأي مأزق هو فيه ؟ .. أوه .. ما هذا الرعد المخيف .. يا إلهي .. ماذا جرى له ؟

● إنه الآن في غابة الكونت وقد استعصت ذراعه في تجويف شق بإحدى الأشجار ولم يستطع إخراجها .. تعال معي يا عماه .. أتوسل إليك .. تعال وأخرج ذراعه من الجحر ..

— كيف حصل ذلك ؟ ولماذا أدخل يده ؟

● لقد أراد أن يستخرج لي بيضة الوقواق من الجحر .

— ما كاد النهار يطلع حتى تورطتم في المتاعب ..

هز « تيران » رأسه متأملاً ..

— حسناً .. ماذا علي أن أفعل من أجلكم الآن ؟ يجب أن آتي .. يجب أن أفعل فقد تفترسكم الذئاب .. أيها الأشقياء الصغار .. هيا تعالي .. أيتها اليتيمة ..

ويخرج « تيران » مسرعاً من المزرعة وينطلق بساقيه الطويلتين يذرع طريق القرية ويمضي مسرعاً دون توقف أو التفات كما لو كان خائفاً مطارداً أو أن هناك من يدفعه من الخلف .. حتى أن « فابولا » كانت بالكاد تلحق به ..

خرجا من القرية وانعطفا عبر الطريق الترابي نحو **غابة الكونت** التي تبدو زرقاء قاتمة من بعيد .. إنها على بعد ميل ونصف تقريباً وقد غطت السحب الآن قرص الشمس ولم تعد هناك أية بقعة زرقاء في عرض السماء .. إنها تزداد قتامة أكثر فأكثر ...

« قدوس .. يا رب .. » تمتمت « فابولا » مسرعة خلف تيران وقد بدت النقط الأولى من المطر كبيرة غزيرة داكنة على عرض الطريق وسقطت نقطة كبيرة على وجنة فابولا فتدحرجت كدمعة على خدها ..

— لقد انهمر المطر ـ همهم الاسكاف وهو يضرب الأرض بأقدام عارية ناتئة عظامها ـ وهذا حسن أيتها الصبية فابولا .. إن العشب والأشجار تعيش على المطر كما نتغذى نحن بالخبز .. أما الرعد .. فلا تخافي منه أيتها اليتيمة الصغيرة .. لما أظنه سيلتفت إلى شيء ضئيل في مثل حالك ؟

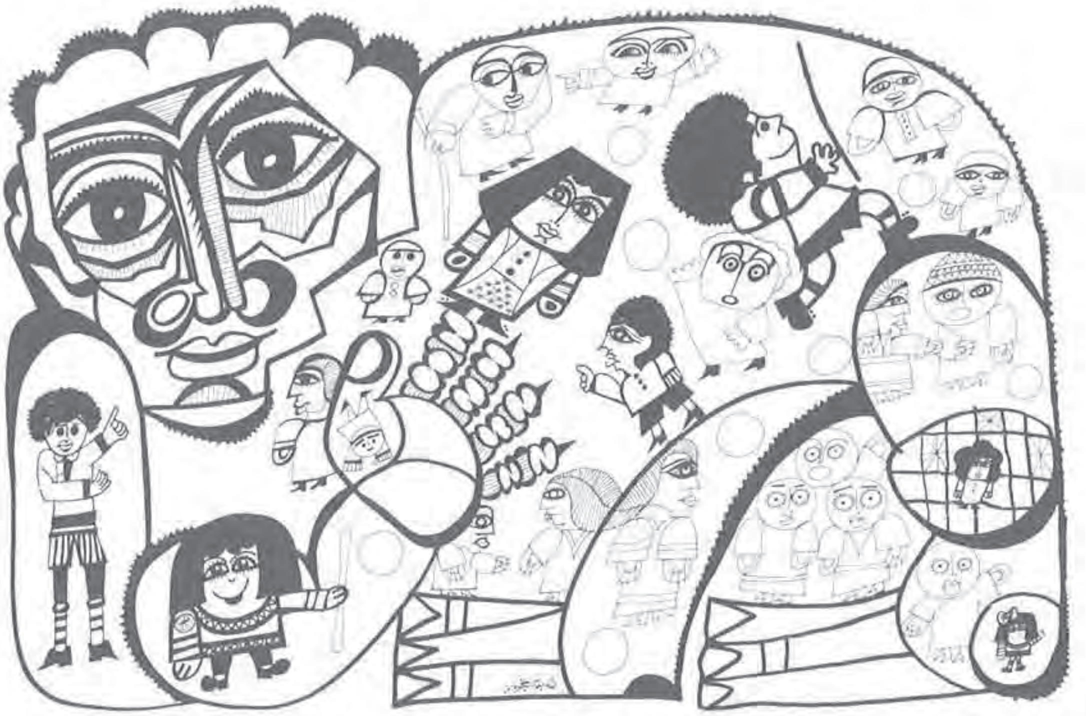
وحالما بدأ هطول المطر تلاشت الريح ولم يعد من صوت غير طقطقة قطرات المطر الناعمة على نبتات الجودار وعلى أرض الطريق المتعطشة .

— سوف نبتل بالماء تماماً يا فابولا .. لن تبق من أجسادنا بقعة إلا وتبتل .. ـ تمتم تيران ـ إن الماء يتسرب نازلا على رقبتي .. لا .. لاتخافي يا صغيرتي .. إيه .. هذا العشب سيجف ثانية والأرض ستجف كذلك .. ونحن أيضاً سوف نجف ... فالشمس التي تطلع علينا جميعا .. هي ذاتها .

وتلمع ومضة من البرق فوقهما مع قصفة رعد شديدة وقد بدت للصغيرة فابولا وكأن كرة ثقيلة هائلة تتدحرج فوق السماء لتجعلها تنشق فوق رأسيهما تماماً ..

— يا إلهي .. يا إلهي ـ قال تيران ـ لا .. لاتخافي أيتها اليتيمة الصغيرة .. إنها لا ترعد غضباً ..

وبالرغم من التصاق كتل الطين الثقيلة بأقدامها والزلق وصعوبة المشي .. إلا أن تيران كان يسير بخطى واسعة متزايدة السرعة ، بينما المتسولة الصغيرة الواهنة تكاد أنفاسها تنقطع وقد أصبحت على وشك الانهيار ..



وأخيراً هاهما يصلان غابة الكونت . . والماء المنصب على الأشجار التي تهزها الرياح ينسكب فوقهما بغزارة وتيران يتعثر بقرم جذوع الأشجار الميتة وتتناقص سرعة انطلاقه . . .

— أين هو دانيل ؟ ـ يسألها ـ ارشديني إلى مكانه . .

وتقوده فابولا عبر الأجمة لمسافة ربع ميل لتوصله إلى دانيل . . شقيقها . . ابن الأعوام الثمانية ذي الشعر المحمر بلون الصدأ والوجه الشاحب . . وقد ارتمى أمام شجرة ورأسه جانباً يتطلع إلى السماء . . ممسكاً بإحدى يديه قبعته البالية بينما يده الأخرى تختفي داخل شجرة زيزفون عتيقة . .

ها هو الغلام يحدق في السماء العاصفة وقد بدا واضحاً أنه غير منشغل بمشكلته . . ولدى سماعه وقع خطوات القادمين افتر ثغره عن ابتسامة بائسة قائلاً :

— إنه رعد مخيف . . يا تيران . . لم أسمع في حياتي رعوداً بهذا القدر اطلاقاً . .

— ولكن أين ذراعك ؟

● إنها في الجحر . . أرجوك يا تيران . . اخرجها . . أتوسل إليك . .

لقد تكسرت حافة الجحر وانحشرت لذلك ذراع دانيل فصار بإمكانه ايلاجها داخل الجحر بينما لم يعد ممكناً سحبها خارجاً . .

وأخيراً . . يوفق تيران إلى نزع الشظايا المتكسرة ليحرر ذراع الغلام وقد كانت محمرة مرضوضة .

— إنه لأمر مرعب ذلك الرعد ـ قال الغلام ثانية وهو يحك ذراعه ـ ما الذي يجعلها ترعد يا تيران ؟ . .

ويرد الاسكاف . . إنها السحب تصطدم ببعضها البعض .

. . . تخرج المجموعة من الغابة . .

وتمضي على امتداد طرفها نحو الطريق المكفهر . . وقد أخذ الرعد يخمد بالتدريج وما زال دويه يسمع هناك بعيداً وراء القرية .

● تيران . . من هنا طارت البطات قبل أيام ـ قال دانيل ولا يزال يحك ذراعه ـ

— لابد أن أعشاشها في مستنقعات جبنيل . . ما رأيك يا فابولا لو أريتك عش العندليب ؟

— لا . . لا تعبث به . . فقد تزعجه ـ قال تيران وهو يعصر الماء من قبعته ـ ان العندليب طائر غريد بري . . وهبه الله ذلك الصوت العذب ليسبح اسمه . . وليدخل البهجة إلى قلب الإنسان . . . إنك ترتكب ذنباً وخطيئة إن آذيته . .

● والباشق . . ماذا عنه ؟ . .

— أما الباشق . . فلا بأس . . فهو طائر آثم غدار . . إن له حيل كالشالين . . ولا يحب الخير للبشر . .

وتنكشف بقعة زرقاء صافية في عرض السماء . .

— انظروا . . ـ قال تيران ـ هذا **بيت النمل** وقد انكشف بفعل المطر . . لقد أغرقه الفيضان . . فهام النمل متشردا .

وقفوا وانحنوا يتأملون تجمع النمل . . لقد مزقه انهار الماء وهاهي النملات تتراكض جيئة وذهاباً في الوحل مذعورة منهمكة في محاولة تخليص الرفيقات الغارقات .

— ما كان أغناكن عن هذه المصيبة . . ولكن لن تموتن فيها ـ قال تيران بوجه عابس ـ وحالما يغمركن دفء الشمس من جديد سوف تعدن إلى رشدكن . . هذا درس لكن أيتها الغبيات . . وعليكن أن لا تنزلن المنخفضات مرة أخرى . .

ومضوا . . . فإذا بعض من النحل ـ ويصرخ دانيل مشيراً إلى غصن شجرة سنديان فتية ـ وقد احتشدت حبات النحل المبتلة بالماء المرتعشة

بردأ على الغصن . . وقد كانت وافرة العدد حتى أنها غطت لحاء الشجرة والأوراق فلم يكن يظهر شيء منها . . كما كان عدد كبير منها متراكباً فوق بعضه البعض . .

— هذا طرد من النحل ـ قال تيران وكأنه يعلمها ـ لقد كان يبحث عن مسكن وعندما نزل عليه المطر توقف وسكن في مكانه . . فإذا صادف أحد منكما طرداً طائراً فما عليه إلا أن يرش قليلاً من الماء على الطرد ليجعله يهبط ويسكن . . أما إذا أراد أن يأخذ الطرد فعليه أن يحني الغصن الذي يحمل النحل ويهزه داخل كيس ليسقط النحل فيه . . .

وفجأة اكفهر وجه فايولا الصغيرة وأخذت تحك عنقها بشدة . . لينظر شقيقها يبصر تورماً كبيراً في عنقها . .

ويقهقه الاسكاف . . ها . . أتعرفين سبب هذا الذي جرى لك . . يا بنيتي . . ؟ هنا تتواجد أنواع من الذباب على بعض أشجار الغابة وقد سالت بها قطرات المطر وسقطت نقطة منها على عنقك لتسبب لك هذا الورم .

وتطل الشمس من وراء السحب لتغمر الغابة والحقول والرفاق الثلاثة بنورها الدافىء وقد انقشع السحاب المدلهم وخمدت العاصفة فالهواء دفىء ومنعش . . عابق بروائح الكرز البري والإكليلية وزنبق الوديان . . .

— هذه العشبة تنفع لنزيف الأنف ـ قال تيران مشيراً إلى زهرة قطنية المظهر ـ إنها زهرة نافعة . .

ويتناهى إلى أسماعهم صوت صفير ودوي ليس كذلك الذي رافق العاصفة . . هاهو **قطار للبضائع** ينطلق أمام أعينهم . . لاهثاً ينفث دخانه الأسود ويجر ما يزيد على **عشرين عربة** . . إنه ذو قوة هائلة . . الطفلان منبهران . . ترى كيف بآلة لا حياة فيها وبدون خيول تستطيع تحريك وجر هذه الأثقال الضخمة ؟ . . ويأخذ تيران على عاتقه مهمة إفهامهم سر الأمر . .

— بني . . إن هذا كله بفعل **البخار** . . إنه البخار كما ترون لا يصنع شيئاً سوى دفع ذلك الذي ترونه بجانب العجلات . . وهو . . كما ترون . . يعمل . .

ويجتازون **سكة الحديد** . . وعند **الجسر** يتجهون نحو **النهر** . . إنهم ماضون دون ما هدف محدد . . بل هائمون . يتحدثون طول الطريق . .

دانيل يطرح الأسئلة وما على تيران إلا أن يجيب عنها . . إنه يجيب عنها جميعاً لا يعييه شيء من أسرار الطبيعة . . إنه يعرف كل شيء . . فمثلاً تراه يعرف أسماء جميع الزهور البرية والحيوانات والحجارة . . . يعرف كيف تشفي الأعشاب من الأمراض . . لا يواجه أية صعوبة في معرفة عمر حصان أو بقرة . . وإذا نظر إلى القمر عند غروب الشمس أو إلى الطيور يمكنه أن يتوقع أي نوع من الطقس سيكون في اليوم التالي . .

. . وفي الحقيقة . . ليس تيران وحده هو الحكم إلى هذا الحد . . فإن **سيلانتي** صاحب المنزل والبستاني والراعي . . وكل أهل القرية عموماً . . يعرفون بقدر ما يعرف . . . **لقد تعلم هؤلاء ليس من الكتب بل من الحقول . . وفي الغابة وعلى ضفة النهر . . كانت تعلمهم الطيور الصادحة إذ تغني لهم . . والشمس إذ تجر ورائها الحمرة القرمزية عند المغيب . . والأشجار . . والحشائش البرية ذاتها . .**

ويحدق دانيل بتيران يتلقف بنهم كل كلمة . .

. . ففي الربيع . . وقبل أن يمل أحدنا من الدفء والخضرة الرتيبة على امتداد الحقول . . حين يبدو كل ما حولنا منعشاً عابقاً بالأريج . . من منا لا يود أن يسمع الأحاديث عن **الخنافس المذهبة** في أيار (مايو) **وطيور الكركي** وخرير الجداول . . وعن **حبات الذرة** في أكوارها . . ؟

ويمضي الاثنان الاسكاف واليتيم بين الحقول لا ينقطع حديثهما ولا يكلان . . إنهما يحومان حول العالم بلا نهاية . . ويمضيان في الحديث عن جمال الأرض والطبيعة ولا يلقيان بالا للمتسولة الصبية التي تتعثر وراءهما . . . وقد كادت أنفاسها تتوقف بينما تترنح خطواتها . . وفي عينيها دموع . . كم تود لو توقف هذان الأفاقان . . ولكن لمن تشكو وأين من يسمعها . . ؟ فلا بيت لها ولا أهل . . أرغبت ذلك أم لم ترغب . . وعليها أن تمشي وأن تستمع لثرثرتهما . .

عند منتصف النهار . . ثلاثتهم جالسون على ضفة النهر . . تناول دانيل من جعبته كسرة من الخبز وقد تبللت بالماء وأصبحت كالهريس وبدأوا يأكلون . . . وبعد الأكل تلا تيران بعض صلوات ثم تمدد على الضفة الرملية واستسلم للنوم . . بينما الصبي يحدق في الماء مستغرقاً . . فلديه الكثير من الصعاب يفكر فيها ، فقد شاهد لتوه **العاصفة والنحل . . والنمل . . والقطار** . . وهنا أمام ناظريه تتراكض **الأسماك** بخفة ورشاقة . . بعضها بطول بوصتين وبعضها أطول . . بينما بعضها لا يزيد حجمه عن رأس أنملة . . **وأفعى** خبيثة تسبح دافعة رأسها من ضفة إلى أخرى .

ومع اقتراب المساء فقط عاد الجوالون الثلاثة إلى القرية . . أما الطفلان فمضيا إلى هري مهجور ظلت تخزن فيه حبوب الضيعة بينما اتجه تيران بعد أن تركهما إلى الحانة . . ورقد الطفلان معاً على القش يغالبهما النعاس . . . لكن الصبي لم يستسلم للنوم . . بل ظل يحملق في الظلمة . . فقد تراءت له الأشياء التي مر بها أثناء النهار . . سحب العاصفة . . وأشعة الشمس الساطعة الطيور . . الأسماك . . وتيران النحيل . .

كم كان ذلك كثيراً بالنسبة له . . إذا أضيف إلى التعب والجوع اللذان يعصفان به . . إنه محموم كما لو كان على نار يتقلب من جانب إلى آخر . .

كم يود لو يستطيع أن يشكو هذا الذي يضنيه الآن في هذه الظلمة ويعصف بروحه . . لكن لمن . . ؟ ما من أحد يشكو إليه همومه . . إن شقيقته فايولا صغيرة بعد وقد لا تدرك ما يعاني منه . . وتدور في رأسه فكرة « سأحدث تيران بذلك في الغد » .

ويستسلم الطفلان للنوم وهما يفكران بالاسكاف الذي لا بيت له . . وفي جوف الليل ها هو تيران يأتي إليهما . . يدس أرغفة من الخبز تحت رأسيهما . . .

ولا من يرى هذا الحب . . . غير القمر السابح في عرض السماء بنظراته المتسللة عبر ثقوب في جدران ذلك الهري المهجور . . .

قصة

الزعيم الراحل : جومو كنياتا
ترجمة : أحمد فارس

الإنسان الأسود والفيل الأبيض

حدث في إحدى المرات أن وقع الفيل الأبيض مع الإنسان الأسود معاهدة الصداقة والتعاون . وفجأة قصف الرعد فوق الغابة وانهال المطر غزيراً . . . ورأى الفيل الأبيض بعد هذا أن الأمور تسير على غير ما يرام . فتوجه إلى صديقه الإنسان الأسود الذي كان يعيش في أحد الأكواخ الصغيرة قرب الغابة .

قال الفيل لصديقه الإنسان :

ـ صديقي لا بد أنك سمعت الرعد ، وشاهدت المطر وهذا الطقس التعيس ، وأنت تعرف بأن جلدي ناعم رقيق . . . لذلك اسمح لي بأن أدس خرطومي في كوخك إلى أن يكف المطر . .

أصغى الرجل إلى حديث صديقه الفيل بكل انتباه ثم أجابه :

● ما العمل يا صديقي الفيل ؟ فبالرغم من أن كوخي صغير ، ولكني سأقاسمك إياه ، ضع خرطومك هنا ، ولكن أرجوك أن تكون حذراً .

أجاب الفيل :

ـ شكراً لك على هذا الجميل ، لقد قدمت لي خدمة كبيرة ، ولن أنسى لك هذا الفضل ما حييت .

وضع الفيل خرطومه في كوخ صديقه ، ومن ثم ادخل رأسه وأتبعه ببقية جسمه فغدا المكان ضيقاً . . . وإذا بالرجل الأسود تحت المطر .

سأل الرجل الفيل :

● ما أرى ؟ كيف حدث هذا ؟

أجابه الفيل بهدوء :

ـ كما ترى يا صديقي . إن جلدك أسود صلب وقوي بل أقوى من جلدي . وكما ترى فإن الكوخ صغير ولا يتسع لاثنين معاً . عليك أن تبقى في الخارج . . وسأسوي أموري لوحدي هنا .

أخذ الرجل والفيل يتشاجران فيما بينهما فاجتمعت على إثر ذلك الحيوانات المتوحشة تستطلع السبب يدفعها إلى ذلك الفضول وحب الاستطلاع . وفجأة وبينما كان الخلاف على أشده ظهر الأسد .

قال الأسد بصوت غاضب :

● ألا تعرفون بأنني ملك الغابة ؟ . من هذا الذي يجرؤ على تعكير النظام والهدوء في مملكتي ؟

سمع الفيل الأبيض (الذي يعتبر واحداً من أبرز وجهاء الغابة) كلمات الأسد ، فقال بصوت معسول :

ـ أواه يا سيدي المحترم ، ليس هناك من أحد يجرؤ على خرق الهدوء والنظام في مملكتك . ولكن حدث بعض الخلاف البسيط مع صديقي الإنسان الأسود ، حول هذا الكوخ الذي تراني فيه أيها الملك العظيم .

قال الأسد :

● لقد أعلنت أكثر من مرة بأن ما يهمني دوماً هو أن يعم الأمن والهدوء مملكتي .

ثم التفت الأسد نحو الفيل وقال بصوت ينم على الشكر والامتنان له :

● إنني آمر وزيري بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق للبحث في هذا الموضوع كي نعطي حلاً واقعياً للمتنازعين .

والتفت إلى الإنسان الأسود قائلاً :

● حسناً ما فعلت ، عندما وقعت معاهدة الصداقة مع أحد وجهاء مملكتي ، وأعني الفيل الأبيض ، إنه من خيرة وزرائي . أرجو أن تكف عن الصراخ ، وتأكد بأن حقك لن يضيع وسيعود إليك منزلك . ولكن عليك أن تنتظر قليلاً فعندما تتشكل اللجنة وتجتمع يمكنك أن تحدثها بكل شيء . إنني واثق من أنك ستكون راض ، بالحل الذي ستتخذه .

هدأ الرجل وأخذ ينتظر تشكيل اللجنة التي علق عليها آماله الواسعة ، في إعادة كوخه المفقود .

كان الفيل واحداً من الذين يسمعون أوامر الملك ، فيسرع بنقل حلوله إلى كل أعضاء اللجنة ، التي ضمت **الثعلب** رئيساً ، **والنمر** سكرتيراً ، ثم **وحيد القرن ، والجاموس ، والتمساح** أعضاء .

عرف الرجل الأسود بتشكيل اللجنة فاعترض على هذا التشكيل ، وطلب أن يدرج فيها ولو واحد من أبناء جلدته . ولكنهم أجابوه بأن ما عرضه في اعتراضه يبدو أمراً مستحيلاً ، لأنه ما من أحد في الوقت الحاضر يتمتع ويملك تلك الحضارة التي تؤهله لأن يفهم الحكمة والقوانين المعقدة للغابة . عدا ذلك قالوا له أيضاً : بأنه لا يملك أي أساس من الاحتراس والخشية على الحق كالذي يتمتع به أعضاء اللجنة من صون وحفاظ على مصلحة الفقراء .

قنع الرجل عن مضض بهذا الجواب ، وأخذ ينتظر بحث وتدقيق اللجنة للوصول إلى الحل العادل . وفي نهاية المطاف بدأت اللجنة المشكلة اجتماعاتها . فتكلم الفيل الأبيض في البداية وقال بصوت ينم عن النفوذ والسلطة :

ـ أيها السادة الأفاضل . سأتحدث بإيجاز . إنني كما هو معلوم للجميع أعتبر واجبي الأول هو الدفاع عن مصالح الأصدقاء ، وهذا ما حدث ، فقد حدث سوء تفاهم بيني وبين الرجل الأسود نتيجة عدم فهمه لموقفي . لقد أثار هذا الرجل الأسود الذي يقف أمامكم ضجة بسبب حادثة تافهة كان هو السبب في إثارتها . احكموا أنتم ، لقد طلب مني أن أساعده في إنقاذ كوخه من رياح العاصفة العاتية ، لقد قدرت الموقف وادركت بأن الرياح ستذهب بالكوخ إن لم ألب صوت الاستغاثة ، عندها قررت أن أهتم بمصالح صديقي والقيام بهذا العبء لأنني كنت ادرك بأن صديقي الإنسان لن يستطيع القيام بحماية الكوخ لوحده ، فدخلته وقمت بانقاذه من العاصفة . لقد قمت بهذا العمل لأن الأعراف تقضي أن يتصرف كل واحد منكم كما تصرفت أليس كذلك ؟ .

لقد انتهيت من أقوالي ،

بعد أن انتهى الفيل من الادلاء بأقواله ، أخذت اللجنة تستمع إلى





أقوال الشهود الذين كان على رأسهم الضبع . لقد شهد الجميع بأقوال تؤيد أقوال الفيل .

بعد ذلك جاء دور الرجل الأسود . فأخذ يتحدث عن المشكلة وكيف حدثت ، ولكن اللجنة قاطعته وقالت له :

★ أيها الصديق لقد سمعنا بواقع القصة من عدة مصادر ، وقدرناها حق التقدير وبشكل موضوعي ، ولكن ما نريد أن نعرفه يتلخص بالسؤال التالي : **هل كانت هناك مساحة كافية في كوخك ، وهل كان يشغلها أحد من قبل أن يشغلها الفيل ؟**

أراد الرجل أن يقول :

ـ كلا ولكن . . . . .

آنذاك صرخ أعضاء اللجنة بصوت واحد بأن كل شيء غدا واضحاً . ورفعت الجلسة للتداول .

أقام الفيل مأدبة عشاء فاخرة على شرف اللجنة (وكمخلوق مهذب قام بتغطية نفقاتها) وبعد ذلك خرجت اللجنة برأي واحد ، فاستدعوا الرجل وقالوا له :

ـ لقد نشب بعض الخلاف بينك وبين صديقك الفيل بسبب عدم فهمك للموقف ، وبسبب أفكارك المتخلفة لقد بات واضحاً ومعروفاً لنا بأن الفيل أدى واجبه تجاهك وقدّر مصلحتك . لقد آثرك على نفسه في سبيل مصلحتك . إن هذا الفراغ الذي كان في كوخك استعمله واستغله بذكاء وذلك من وجهة نظر اقتصادية . ونظراً لأنك لم تبلغ بعد مستوى التطور الذي يسمح لك أنت بالذات بالتصرف المنطقي فقد توصلت اللجنة إلى قرار ينص على ما يلي :

« يبقى السيد الكبير الفيل في الكوخ . أما بالنسبة لك أيها الرجل فلك مطلق الحرية في أن تختار أي مكان ترغب فيه وتبني لنفسك كوخاً جديداً ، حسب متطلباتك ورغباتك . وسنحاول نحن في المستقبل أن نحافظ عليك وعلى ممتلكاتك » .

استمع الرجل إلى الحكم ولم يتفوه بحرف واحد ، وقرر أن ينفذ ما صدر عن اللجنة ، لأنه إن رفض فسينصب جام غضب الأعضاء عليه ، ويقطعونه بأسنانهم إرباً .

بنى الرجل لنفسه كوخاً ، وما كاد ينتهي حتى ظهر **وحيد القرن** وطلب منه أن يغادره بسرعة لأنه يريده لنفسه . ومن جديد نشب الخلاف ، وحدث مثلما حدث في البداية .

وبنى الرجل **مسكناً ثالثاً** فقدم هذه المرة **الفهد . . .** ثم بنى **الرابع . . . والخامس . . .** وكان السكان يتوافدون إلى الأماكن التي يبنيها الرجل الأسود ، بمجرد أن ينتهي .

بعد ذلك فكر الرجل جدياً في أن ، يحمي نفسه من هؤلاء الذين يدعون حمايته . جلس على صخرة يفكر في الحل ثم اخذ يحادث نفسه :

● **يمكن بالطبع خداع الناس بعض الوقت ، ولكن من المستحيل خداعهم إلى ما لا نهاية .**

لقد شغل هؤلاء السادة الكبار الأكواخ شيئاً فشيئاً بخبثهم . . إنهم يلقبون أنفسهم بذوي الحضارة الحديثة . . إن حضارتهم المزيفة لم تسمح لهم تجريب الأعمال المرهقة التي قد تمكنهم من إقامة بعض النظام في بيوتهم .

بعد ذلك بنى الرجل كوخاً كبيراً على سفح الجبل .

لم يكن البيت الذي اغتصبه وحيد القرن بالواسع ، فلذلك قرر أن يستولي على البيت الكبير . انطلق قاصداً السفح ، ولكنه وجد هناك من سبقه إليه ، فقد شاهد الفيل الأبيض يجلس في داخله وإلى جانبه زوجته . والفهد ينظر من خلال النافذة إلى الأفق البعيد . أما الضبع فقد راح يلح في طلب فسحة من البيت ليعيش بينما راح التمساح يتقلب على سطح البيت تحت أشعة الشمس . . .

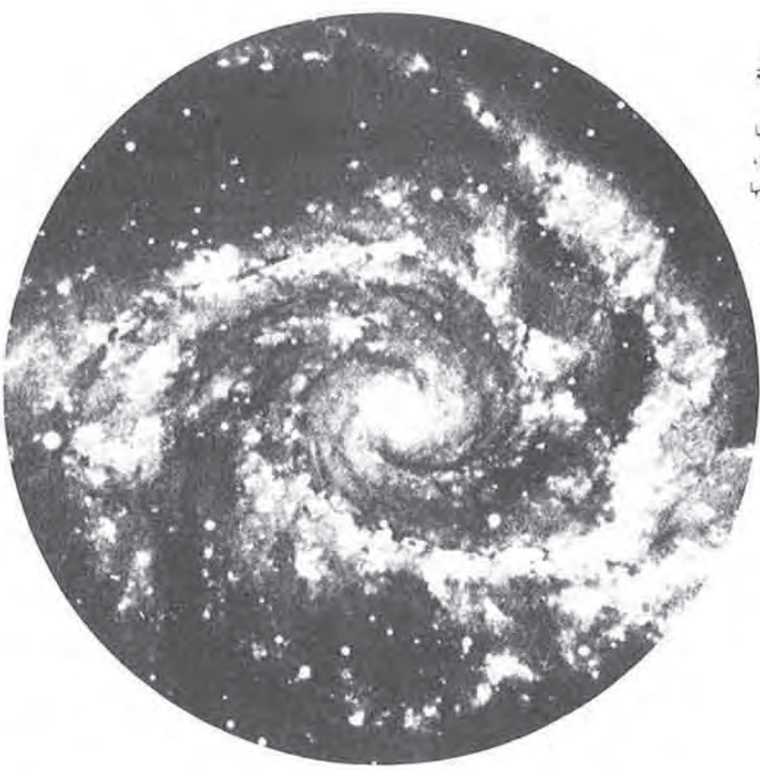
راح وحيد القرن يطلب حصته هو الآخر من الكوخ ، ولكن طلبه أجيب بالرفض ، فنشب نتيجة ذلك الاقتتال ودب الخلاف . . .

في هذه اللحظة لحظة الاختلاف أتى الرجل بالنار وأوقدها في الكوخ الواسع . شبت ألسنة اللهب وأتت على من فيه .

عندها عاد الرجل إلى مكانه الأصلي حيث كوخه القديم . جلس وتنفس الصعداء ثم قال :

● لقد أدركت الآن معنى الحرية ، ولكن بعد أن تعلمت الكثير الكثير .

الكون الواسع



★ مجرة NGC ٢٩٩٧، ذات أذرع لولبية خارجة منها ويعتقد أن مجرتنا لها هذا الشكل، والشمس وكواكبها في احدى هذه الأذرع ★

بقلم: د. عبدالرحيم بـــدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾

صدق الله العظيم

★ كانت أوروبا تقود حضارة العالم في الفكر منذ القرن السابع عشر. وقد ظهرت موجة من الإلحاد منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي واستمرت في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تقريباً. وقد ظهرت في هذه المدة فلسفات وأفكار طغت على العالم، كانت الغالبية العظمى منها تدعو إلى الإلحاد بشكل سافر. إلا أننا في النصف الثاني من هذا القرن رأينا أن هذه الموجة قد خلدت إلى الصمت. بل قد يكون هناك موجات من الإيمان الغامض الذي لم يتبلور.

قد تكون هناك أسباب كثيرة لظهور الموجة الإلحادية. ولكن السبب الرئيسي في رأيي هو العلم. فمنذ القرن السابع عشر الميلادي بدأت الاكتشافات العلمية تتوالى، وكلها يدل على تفوق عقل الإنسان. والفلاسفة والمفكرون الذين كانوا يرون هذا التطور السريع أمامهم أصبحوا يؤمنون بالعقل الإنساني، ويرون أن كل شيء يمكن أن يفهمه العقل وأن يكتشفه ويعرف خباياه وأن يفسره التفسير الصحيح. بدأ بهذا المفهوم الإجمالي فولتير وروسو ومونتيسكيو في القرن الثامن عشر. وزاد تطور الاكتشافات وزاد إيمان الإنسان بالعقل وحده حتى وجدنا القرن التاسع عشر وقد تبلورت فيه ظاهرة الإلحاد والأفكار القائمة عليها. فظهر كارل ماركس ونيتشه والمذاهب والأفكار التي تنتسب إليها ★

ولكن العلم كان يتزايد في السرعة فتطور الفلك وعلم الذرة وعلم الحياة (البيولوجيا) ، وأخذت تظهر حقائق جديدة كلها بـدأت تـزعزع ثقـة الإنسان في العلم التجريدي . وفي مطلع القرن العشرين ظهرت **النظريـة النسبية** ، فنفت وجود الحقائق المطلقة في هذا الكون ، وجعلت الإنسان حائراً ضائعاً في الواقع ، فكل شيء يخبره بأن عقله محدود مهما بلـغ مـن العبقرية ، وأن كثرة توغله في العلم سيؤدي به في النهـاية إلى عـدم الإيمـان بالعقل وحده . إن هناك أشياء لا نستطيع أن نفهمها بـالمفهوم المطلـق الذي يعتمد على العقل ، وهناك أمور تبـدو لنـا متنـاقضة في النهـايـة لا نستطيع أن نستوعبها . وقد أخذ الإيمان بالعقل وحده ينهار .

لقد وصل العلم الآن إلى درجة يضع فيهـا حـداً لمقـدرة العقـل على تفسير الأمور وإدراك الحقائق . **إن الحقائق التي جاءت بها الـنظريـة النسبية والحقائق التي تكشفت في علم الذرة والضوء والحقـائق الفلكية التي يتوالى اكتشافها ، هزت العقل الإنساني . كانـت هناك أسئلة كثـيرة يجيـب عليهـا العلماء بقـولهم : لا أدري . ولكن كلمة لا أدري هذه ، قد أخذت تتزايد بشكل مـريـع . وأصبحت الآن كلمة لا أدري غير كافية . وإنما هناك إشـارات تدل على أن قوة أقوى من العقـل هـي الـتي تصرف الأمــور بشكل يفوق إدراك العقل نفسه .**

على أية حال ، فإني فيما يلي أنوي أن أتكلم ، إن شاء الله ، عما يختص به علم الفلك في هذا الشأن ، نظراً لاختصـاصي في هـذا العـلـم ، فهـو هوايتي الأساسية ، وقد قضيت أكثر وقتي فيه بين دراسة وكتابة ورصد .

الكون الواسع

عندما نريد أن نتكلم عن **الـكون** كما يفهمـه علـم الفلك الحـديث ، يجب أن نسير معه في منطقه وتحليله لكي نـرى كيف تـوصل إلى مفهـومه هذا ، وما هي النتائج الايجابية التي وصل إليها وأين وقف عاجزاً . ولهـذا سيكون الحديث علمياً بقدر الإمكان لكي يـكون مفهـومنا أقـرب مـا في الإمكان إلى ما يفهمه الفلكيون المعاصرون .

ومن العبث أن نبدأ بالحديث عن الكون كله قبل أن نفهـم **الـنظام الشمسي** الذي نحن جزء منه .

النظام الشمسي

لا أريد أن أتكلم عن الخطوات التاريخية التي مر بها علـم الفلك حتى وصل إلى مفهومه الحالي عن النظام الشمسي ، لأن هذا قد يستغرق وقتاً طويلاً ولا حاجة لنا به . غير أن المعروف والثابت الآن ، أن الشمس كرة ضخمة كبيرة من الغاز المحترق احتراقاً نووياً ، **ويبلغ قطرها ٨٦٥ ألف ميل** أي حوالي مليون وأبعمئة ألف كيلومتر ، **وهــي تــدور حــول نفسها من الشرق للغرب في أقل مـن شـهر بقليـل** . وهـي لاحتراقها الهائل هذا ترسل الضوء والحرارة التي تصلي أجسامنا إذا كنا في المناطق الحارة أو قريبين من **خط الإستواء** . **وتقدر الحرارة في مركز الشمس بعشرين مليون درجة مئوية . أما حرارة السطح** فتبلغ ستة آلاف درجة .

وللقارىء أن يثق بهذه المعلومات لأن الذي يتتبع التفاصيل سيجد أن الخطوات التي وصلت إلى هذه النتائج هي خطوات علمية سليمة .

وتدور حول الشمس توابع تسـمى **كواكب** وكان الفلـكيون العـرب يسمونها **الكواكب السيارة** . وأقـرب الـكواكب إلى الشـمس هـو **عـطارد** ، ثم **الـزهرة** ، ثم **الأرض** ، **فـالمريخ فـالمشتري** ، **فزحل** ، **فأورانوس** ، **فنبتون** وأخيراً **بلـوتو** . هـذه الـكواكب التسعة تدور حول الشمس على مستوى واحـد . وكان الفلـكيون يعـرفون أنها كلها تدور من الغرب إلى الشرق (كما تدور الأرض الآن) إلا أنهم في الستينات وجدوا أن الزهرة وحدها تخالف أخواتها الكواكب الثمانيـة فهـي تدور من الشرق إلى الغرب . وقد يكون لنا على هـذه النقـطة تعليـق فيما بعد .

وهذه الكواكب تدور في **مدارات إهليليجية** حـول الشـمس على أبعاد مختلفة . فأقربها وهو عطارد يبعد حوالي ٣٦ مليون ميل عن الشمس والأرض تبعد ٩٣ مليون ميل وأبعدها وهـو بلـوتو ، يبعـد ثـلاثة آلاف وستمئة وسبعين مليون ميل .

وبعض هذه الكواكب السيارة لها أقمار تدور حولها . فعطارد والـزهرة لا أقمار لهما . والأرض لها قمر واحد ، هو الذي نعرفه . والمريخ له قمران ، والمشتري ثلاثة عشر قمراً ، اكتشف القمر الثالث عشر في سنة ١٩٧٧ م ، وهكذا . أما بلوتو الذي هو في طرف النظام الشمسي والـذي لا نعـرف عنه إلا القليل فقد اكتشف أن له قمراً في السنة الماضية ١٩٧٨ م .

ويمكن أن ننظر إلى الشمس كأنها الأم الرؤوم الـتي يتبعهـا بنـاتها ، وعددهن تسع ، حيثما سارت في الفضـاء . وإذا اعتبرنا الأقمـار أحفـاداً للشمس ، كثر عدد العائلة وصار لا بأس به . ولكن الأم هنا لا تحتضـن أطفالها ولا أحفادها كما تفعل الأمهات ، وهن لا يقتربن منها إلا بمقـدار . فكل واحدة تدور في مدار معين حولها لا تتجاوزه . **إن كل كوكب من الكواكب السيارة يعرف الخط الذي يسير فيه** . ولـكن الأم هـي التي ترسل لبناتها هنا الضوء والحرارة . فكل البنات خاملات ولولا وصول الحرارة من الأم لوجدناهن مظلمات لا نستطيع أن نراهن . حتى الكواكب الثلاثة البعيدة لا نستطيع أن نراها إلا بالمرقب ، ولو نـظرنا إليهـا بـالعين المجردة لما رأيناها .

هذه الشمس الملتهبة هـي نجـم مـن نجـوم السماء .. والسماء مليئـة بالنجوم التي لا حصر لها . ومما لا شك فيه أن هذه النجوم ، لو كان فيها أحياء ، فإنهم لن يروا الكواكب التسعة التي تدور حول الشـمس ، وإنمـا سيرون الشمس تقريباً كما نرى نحن النجوم الأخرى .

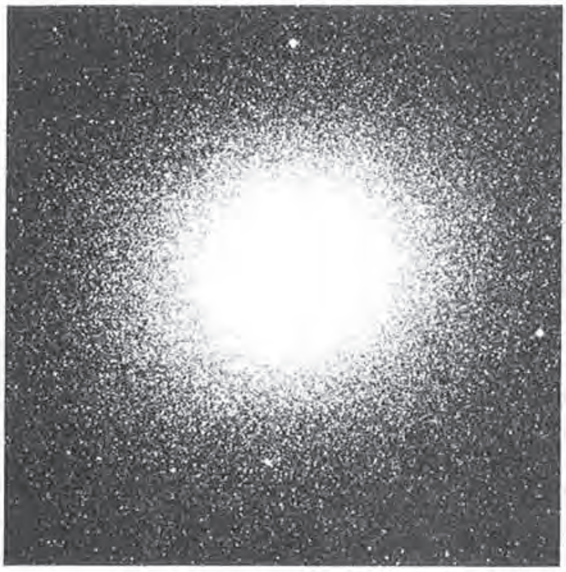
ولكي نعرف أبعاد هذه النجوم ، يجب أن نعـرف اللغـة التي يتكلم بها الفلكيون ، حتى نجاريهم ونعرف ما يقولون .

لغة الأرقام الفلكية

حين تحدثنا عن أبعاد النـظام الشـمسي قلـت إن الأرض تبعـد ٩٣ مليون ميل تقريباً عن الشمس وبلوتو يبعد ٣٦٧٠ مليون ميـل . إن هـذه

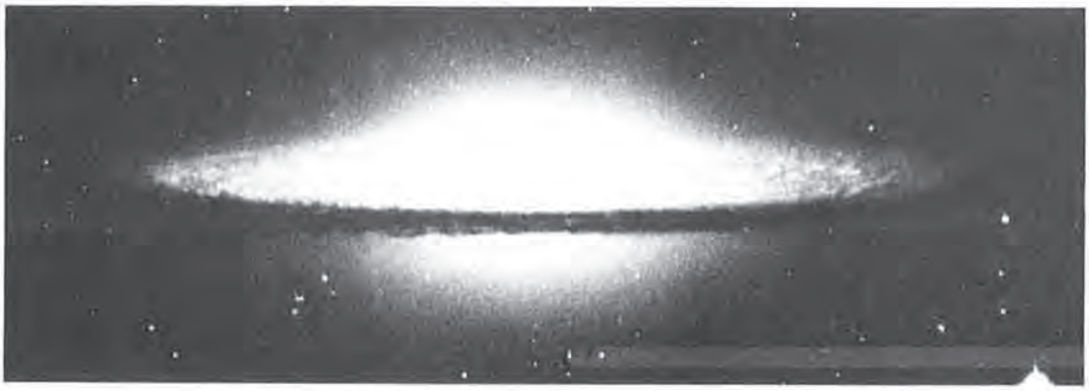


★ مجرة NGC ٣١٠٩ ، مجرة ذات شكل غير منتظم ★



★ مجرة اوميجاسنتوري في مجموعة السنتوري كروية الشكل ★

★ مجرة ١٠٤ ، في مجموعة العذراء نحن نراها من الجنب ، قد تكون ذات أذرع لولبية ، لو رأيناها من أعلى ★



أرقام ضخمة جداً بالنسبة للأرقام التي نستعملها في العادة . ولو شئنا أن نتحدث عن أبعاد النجوم فإننا سنحتاج إلى أرقام يجد القارىء صعوبة كبيرة في فهمها واستيعابها .

وبناء على ذلك وجد الفلكيون وحدة جديدة للقياس . إن الضوء حين يسير في الفضاء يقطع في كل ثانية من الزمن ١٨٦,٠٠٠ ميل (أو ٣٠٠,٠٠٠ كليومتر) . لقد اتخذوا **الزمن الضوئي** وحدة لقياساتهم . فالذي يبعد هنا ١٨٦,٠٠٠ ميل نقول إنه يبعد ثانية واحدة ضوئية ، والذي يبعد عشرة أضعاف هذه المسافة نقول إنـه يبعـد عشر ثـوان . وهكذا . فالقمر يبعد عنا ٢٤٠,٠٠٠ ميل ، فبعده إذن ثانية وثلث الثانية ضوئية . والشمس تبعد عنا ٩٣ مليون ميل ، فهي تبعد إذن ثماني دقائق وثلث الدقيقة .

وبناء على هذه الحسابات فإن بعد بلوتو (الكوكب الموجود في طرف النظام الشمسي) خمس ساعات ونصف . وعلى هذا المنوال يسير حساب المسافات في الفلك ، ونرى أن قطر النظام الشمسي كله من طرف مدار بلوتو إلى الطرف الآخر يبلغ ١١ ساعة ضوئية ، وباللغة المبسطة ، نقول إن الضوء يقطع النظام الشمسي من طرفه إلى الطرف الآخر في مدى ١١ ساعة من الزمن .

وبناء على هذه القياسات نقول ، إن أقرب نجم إلى نظامنا الشمسي يبلغ أربع سنوات وأربعة أشهر ضوئية . وهذا النجم في مجموعة قنطورس ، ويمكن رؤيته في أوائل الصيف فوق الأفق في السعودية . واسمه الفا قنطورس . ومعنى هذا الكلام أن الضوء الذي ينطلق منه الآن سيصلنا بعد أربع سنين وأربعة أشهر ، وأن الضوء الذي نراه منه في هذه الأيام كان قد انطلق منه قبل هذه الفترة من الزمن .

ولا يغب عن بال القارىء أنني أتكلم له عن أقرب نجم إلينا ، وهو الجار القريب القريب .. وليطمئن القارىء إلى صحة قياس أبعاد النجوم ، خاصة القريبة منها في حدود سبعين سنة ضوئية . ففي هذه الحدود يستعملون طريقة بسيطة من **حسابات المثلثات ، لا مجال** لشرحها لضيق المقام ، وعسى أن تسنح لنا فرصة أخرى من الحديث نشرحها له . وفوق السبعين سنة يلجأون إلى طريقة النجوم الخافقة وفي المسافات البعيدة جداً والتي تبلغ ملايين السنين تكون حجوم المجرات هي الطريقة .

على أية حال فإننا نأخذ أرقاماً تقريبية من هذه الطرق ولكنها تعطي فكرة قريبة من الحقيقة جداً عن الأبعاد .

وإذا نظرنا إلى السماء من أي ناحية منها ، سنجد أنها مليئة بالنجوم . قد ترى نجوماً بُعدها مئة سنة أو ثلاثمئة سنة ضوئية أو أكثر من ذلك ، وهناك مما تراه ما يزيد في بُعده عنا عن ألف سنة ضوئية .

باختراع المراقب وتطورها ، وصنع المراقب الضخمة مثل **مرقب جبل بالومار** في **كاليفورنيا** ، استطاع الفلك أن يخطو خطوات كبيرة إلى الأمام في معرفة أشياء كثيرة عن الكون . **والصورة التي نعرفها الآن عن النجوم هي كما يلي :**

لا تنتشر النجوم انتشاراً عفوياً في الفضاء الواسع كما يلوح لأعيننا عند النظر إلى السماء . إنما هناك مثل معروف لمعظمنا وهي **أسراب النحل** . هل رأيت أيها القارىء في حياتك سرباً من النحل يطير من مكان إلى آخر . إن آلافاً من النحل كلها تنطلق في اتجاه معين وفي شبه كتلة واحدة تسمى سرباً . وبالمثل ، فنحن لا نجد في السماء كل نجمة في ناحية ، إنما نجد عدداً كبيراً من النجوم بالقرب من بعضه البعض ، وهذا العدد لو كان في النحل لسميناه سرباً ، ولكننا في النجوم نسميه **مجرة** .

وإنك إذا نظرت في أوائل الصيف إلى الجنوب لرأيت شبه ضباب في الليالي الصافية الخالية من الضباب ، يمتد في خط عريض في السماء . العرب تسميه « **نهر المجرة** » والعامة تسميه « **درب التبانة** » هذا الذي تراه هو ليس ضباباً في السماء ، وإنما هو نجوم بالملايين على أبعاد سحيقة منا ، لو سلطت عليه المرقب لاستطعت أن تفرق النجوم عن بعضها وتراها على حقيقتها . إن هذا الذي تنظر إليه هو قلب مجرتنا التي نحن منها . **ويقدر أن عدد نجوم مجرتنا يبلغ مئة ألف مليون نجم .** ونحن نراها في هذه الكثافة من ناحية واحدة لأننا على طرفها ولسنا في وسطها .

ومجرتنا من المجرات الكبيرة ، ولكن هناك مجرات أكبر منها أو أخرى أصغر منها ، وهي متوزعة في أنحاء الفضاء ، كأسراب النحل . ونحن بالعين المجردة لا نستطيع أن نرى نجوماً من غير مجرتنا . لأن النجوم في المجرات الأخرى بعيدة بعداً هائلاً سنذكره عن قريب ، بحيث لا نستطيع أن نراها . والواقع أننا لا نرى المجرات نفسها بالعين المجردة لبعدها الهائل . إن المجرة الوحيدة التي تراها العين في الحقيقة هي مجرة **(اندروميدا)** وهي ترى كبقعة غبشاء في السماء في مجموعة المرأة المسلسلة والتي يسميها الصوفي « **اللطخة السحابية** » . وهذه اللطخة السحابية هي مجرة مثل مجرتنا في الضخامة ، وفيها من النجوم ما يقارب في عدده نجوم مجرتنا .

ويقدر العلماء الفلكيون أن بعد مجرة (اندروميدا) عنا يبلغ مليون ونصف المليون من السنوات الضوئية . . ولا يغب عن بالنا أن هذه هي أقرب مجرة إلى مجرتنا .

وأكرر فأقول ، إن الضوء الذي نراه حين ننظر إلى (اندروميدا) كان قد صدر عنها قبل مليون ونصف المليون من السنين ، وأنه كان يسير طيلة هذه المدة وهو يقطع في كل ثانية ١٨٦ ألف ميل .

وهناك في الفضاء مجرات عديدة جداً ، لا حصر لها . والتقدير لعدد هذه المجرات أنه يساوي عدد النجوم في مجرتنا . أي إن **هناك مئة ألف مليون مجرة في النطاق الذي يمكن أن تصل إليه عدسات المراقب** ، وهذا العدد توصلت إليه المراقب بعد رصد طويل . حتى بالرصد الطويل ، فإن المجرات الضخمة البعيدة تبدو وكأنها نقطة واحدة لبعدها السحيق .

وأضخم مرقب في العالم حتى الآن هو « **مرقب جبل بالومار** » ، وهذا يرى حتى بعد خمسة آلاف مليون سنة ضوئية . وأكثر من ذلك لا يستطيع أن يرى شيئاً . ولا أظن القارىء يطلب منه أكثر من ذلك . فقد وصل إلى الدرجة التي يرى فيها المجرة الضخمة وكأنها نقطة صغيرة . فماذا بعد؟

وعلى ذلك ، فإذا كنا نرى على بعد خمسة آلاف مليون سنة من كل ناحية من النواحي ، فإن قطر الكون الذي نراه يبلغ عشرة آلاف مليون سنة .

والعلم كعلم قائم على التجربة ، ينتهي مجهوده عند هذا الحد . ولكن تظهر هناك أسئلة كثيرة يجيب عليها العلماء بحساباتهم وتقديراتهم :

- **إلى أي حد يمتد الكون ؟**
- **هل بعد هذه المجرات البعيدة التي يراها مرقب جبل بالومار ،مساحات أخرى من الفضاء ؟**
- **وهل فيها مجرات ؟**
- **لنفرض أن الكون اتسع أكثر مما نرى أضعافاً مضاعفة ، فماذا سيكون وراء ذلك ؟**

الجواب الصحيح هو « **لا أدري** » .

وكلمة لا أدري هذه ، عندما يقولها العلماء عن سعة هذا الكون ، لها معنى عميق ، أعمق مما تعنيه نحن بقول هذه الكلمة فقد أسألك عن غرفة في بيتي ماذا في هذه الغرفة قبل أن أفتحها ؟ فتقول ، لا أدري ، فأقول لك ضع الاحتمالات . فتقول لي من الممكن أن يكون فيها أسرة للنوم أو كراسي للجلوس أو من الممكن أن تكون غرفة مطبخ وفيها آلات للطبخ . . . وتضع الاحتمالات التي تقدرها . وفي الغالب أن نجد احتمالا موفقاً ، نعرفه عندما نفتحها وتتبين لنا على حقيقتها . فكلمة لا أدري التي قلتها عند أول سؤال تفرض أنك تعرف احتمالات ولكن لا تدري أيها بالضبط .

أما كلمة لا أدري التي يقولها الفلكيون في هذه الحالة فهي مطلقة . وهي تعني الجهل المطبق الكامل ، فهم لا يستطيعون أن يضعوا احتمالا واحداً لما يمكن أن يكون . لا عن سعة الكون ولا عما وراءه .

هذه نقطة من نقاط عديدة فيها عجز العقل الإنساني وعجز علمائه العباقرة . لأنهم ﴿ لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ . فقد أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نعرف إلى هذا المدى من سعة الكون .

قد يصنع الإنسان مراقب أضخم . وقد سمعنا أن الاتحاد السوفياتي قام بصنع مرقب أضخم من مرقب بالومار الأميركي . ولكنه قد يرى إلى مسافات أبعد . وقد يجد مجرات أكثر . ولكن هل يصل إلى حد للكون ؟ وهل سيستطيع العلماء عندئذ أن يجيبوا على الأسئلة التي طرحت ؟ الأسئلة ستظل قائمة ، ولا يبدو أن هناك بارقة أمل في المستقبل القريب أو البعيد تشير إلى ايجاد أجوبة عليها .

شعراء أمويون

ا

الأحوص بن محمد الأنصاري : (٣٥ - ١٠٥ هـ)

لُقب بالأحوص لحوص كان في عينه وهو ضيقٌ في مؤخر العينين أو في إحداهما ، وجدُّه عاصم يقال له حميُّ الدَّبْر وكان **رسول الله صلى الله عليه وسلم** بعثه بعثاً فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدَّبْرُ وهي النحل فلم يقدروا عليه ، وكان الأحوص يُشبِّبُ بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره **معبد ومالك** ، ويشيع ذلك في الناس ، فنُهي فلم ينتهِ ، فشُكي إلى عامل **سليمان بن عبد الملك** على المدينة وسألوه الكتابة فيه إليه ، ففعل ذلك ، فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيمه على البُلُس للناس ثم يصيره إلى **دهلك** وهي بين اليمن والحبشة ، ففعل ذلك به فثوى هناك خلافة سليمان بن عبد الملك ، ثم ولي **عمر بن عبد العزيز** فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له ، فلما كلمه فيه بعض الأنصار قال لهم :

فمن الذي يقول :

فما هو إلا أن أراها فجاءةً
فأُبهت حتى ما أكاد أجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول؟

أدور ولولا أن أرى أم جعفر
بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى
إذا لم يُزرْ لا بد أن سيزور

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول؟

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا
سريرة حُبٍّ يوم تبلى السرائر

قالوا : الأحوص . قال : إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول ، والله لا أرده ما كان لي سلطان ، فمكث هناك بقية خلافة عمر وصدراً من ولاية **يزيد بن عبد الملك** .

بـ

البعيث المجاشعي : (... - ١٣٤ هـ)

هو **خداش بن بشر بن خالد** ، خطيبٌ شاعر من **أهل البصرة** . قال فيه الجاحظ **أخطب بني تميم** إذا أخذ القناة ، **وكانت بينه وبين جرير مهاجاة** دامت أربعين سنة ، فما تهاج شاعران في جاهلية أو إسلام بمثل ما تهاجيا به ، **وسُمي البعيث** لقوله :

تبعث مني ما تبعث

وكان له أولاد منهم **مالك وبكر** وخرجا مع أبيهما إلى **المدينة** فأرسلهما برعيان عليه الإبل فمرض مالك فأرسل بكراً إلى أبيه يستحثه أن يرى ما به ، فقدم البعيث مسرعاً ليجد مالكاً قد مات ، فقال فيه :

أرسل بكراً مالك يستحثنا
يحاذر من ريب المنون فلم يئل
أمالك مهما يقضه الله تلقهُ
وإن حان ريْثٌ من رفيقك أو عجل

نعم ، وإن حان ريث من رفيقك أو عجل . . .

تـ

توبة بن الحميْر : (... - ٨٠ هـ)

كان أحد بني الأسدية ، وكان يتعشق **ليلى الأخيلية** ويقول فيها الشعر ، فخطبها إلى أبيها فأبى وزوّجها في **بني الأدلع** ، فجاء يوماً كما يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة فلم ير منها بشاشة فعلم أن ذلك لأمر ما ، فرجع إلى راحلته ومضى وكان سيقع في يد قبيلتها . قال **الحجاج** لليلى الأخيلية : إن شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك إلا صدقتني ، هل كان بينكما ريبة قط؟ أو خاطبك في ذلك قط؟ فقالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قال لي ليلة ، وقد خلونا ، كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
وأنت لأخرى فارغ وحليل

فوالله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرّق بيننا الموت . ومرت السنون ، ودخلت ليلى الأخيلية على **عبد الملك بن مروان** وقد أسنّت وعجزت ، فقال لها : ما رأى توبة فيك حين هويك ؟ قالت : ما رآه الناس فيك حين ولُّوك ، فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها .

ثـ

ثابت قطنة : (... - ١١٠ هـ)

هو ثابت بن كعب ، ولُقب « **قطنة** » لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها وكان يجعل عليها قطنة ، وقد تولى عملاً من أعمال **خراسان** ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر ، فقال : سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسراً ، وبعد عيٍّ بياناً وأنتم إلى أمير فعّال أحوج منكم إلى أمير قوال .

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني
بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فبلغت كلماته **خالد بن صفوان** ، فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في

كلماته هذه ، ولو أن كلاماً استخفّني فأخرجني من بلادي إلى قائلة استحساناً له ، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها .

ج

جميل بن معمر : (٤٠ - ٨٠هـ)

هو جميل بن عبد الله بن معمر ، وعُرف **بجميل بثينة** ، وقد جاء إلى بثينة ليلة وقد أخذ ثياب راع لبعض الحي ، فوجد عندها ضيفاناً لها فانتبذ ناحية ، فسألته : من أنت ؟ فقال : مسكين مُكاتَبٌ ، أي عليه دين لمولاه إن أداه صار حُرّاً ، فجلس وحده ، فَعَشَّتْ ضيفانها وعشته وحده ، ثم جلست هي وجارية لها على صلائها واضطجع القوم منتحين ، فقال جميل :

هـــل البـــائس المقـــرور دان لمصـــطل
من النـــار أو معـــطىً لحـــافاً فـــلابسْ

فقالت لجاريتها : صوت جميل والله ، اذهبي فانظري ، فرجعت إليها فقالت : هو والله جميل ، فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلُوا يجرون ، فقالوا : ما بك ؟ فطرحت بُرداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت : احترق بُردي ، فرجع القوم ، وأرسلت جاريتها إلى جميل فجاءتها به .

ح

[redacted] : (... - ١٠٠هـ)

أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، وكان يذهب مذهب **عمر بن أبي ربيعة** ، لا يتجاوز الغزل إلى المدح ولا الهجاء ، وكان يهوى **عائشة بنت طلحة بن عبيد الله** ، ويشبب بها ، وولاه **عبد الملك بن مروان** مكة وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش ، وأخوه **عكرمة بن خالد المخزومي** محدث جليل من وجوه التابعين .

دخل أشعب مسجد **النبي** ﷺ ، فجعل يطوف الحِلَق ، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أستفتي في مسألة . فبينا هو كذلك إذ مر برجل من ولد الزبير وهو مسند إلى سارية وبين يديه رجل علوي ، فخرج أشعب مبادراً ، فقال له الذي سأله عن دخوله وتطوافه ، أوجدت من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ، ولكني علمت ما هو خير لي منها ، قال : وما ذاك ؟ قال : وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد المخزومي

قـــد بُـــدِّلت أعلى مســـاكنهـــا
سُـفلاً وأصبح سُـفلها يعلـــو

رأيت رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر .

خ

خالد بن صفوان : (... - ١٣٥هـ)

ابن الأهتم التميمي البصري ، كان خطيباً فصيحاً مُفوهاً جالسَ **هشام بن عبد الملك** . يروي **أبو عبيدة** أن خالد بن صفوان مع فضله وجلالته اشتد بخله ، أكل يوماً خبزاً وجبناً فرآه أعرابي فسلّم عليه ، فقال له خالد هلم إلى الخبز والجبن ، فإنه حمْضُ العرب ، وهو يُسيغ اللقمة ويُفتّق الشهوة وتطيب عليه الشربة ، فانحط الأعرابي فلم يُبْقِ شيئاً ، فقال خالد : يا جارية زيدينا خبزاً وجبناً ، فقالت : ما بقي عندنا منه شيء ، فقال خالد : الحمد لله الذي صرف عنا مَعَرَّتَهُ وكفانا مئونته ، والله إنه ما علمته ليقدح السِّنَّ ويخشِّن الحلق ويربو في المعدة ويعسُرُ في المخرج . فقال الأعرابي : والله ما رأيت قط قُرْبَ مدح من ذم أقربَ من هذا .

د

أبو دهبل الجمحي : (... - ٩٦هـ)

حجت **عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان** فنزلت مكة ، فبينا هي جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق ، إذ أمَرَتْ جواريها فرفعن الستر ، ومرّ **أبو دهبل** فوقف طويلاً ينظر إليها وهي غافلة فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر فقال أبو دهبل :

إني دعـــاني الحَـــيْن فـــاقتادني
حـــتى رأيـــت الظبـــي بـــالباب
يـــا حُسْـــنَهُ اذ ســـبني مُـــدْبراً
مســـتتراً عـــنّي بجلبـــاب

فشاعت الأبيات بمكة ، وغنى فيها المغنون ، وسمعتها عاتكة وأعجبتها وبعثت إليه بكسوة ، ووصلت هذه الأبيات وغيرها إلى آذان معاوية ، فاستدعاه وعاتبه برفق وحذّره من أخيها يزيد بن معاوية فهرب أبو دهبل إلى مكة ، ولكن الرسائل تبودلت بين أبي دهبل وعاتكة ، فتحرك طيش يزيد ودهاء معاوية ، أما يزيد فقرر أن يقتل أبا دهبل وأما معاوية فعمل بسياسته ، فرر أن يحج في ذلك العام وما كان عازماً ، واستدعى أبا دهبل الذي قال في عاتكة فيما قال :

ألا لا تقل مَهْـــلاً فقـــد ذهـــب المهـــل
وما كل من يُلحـــى مُحِبّـــاً لـــه عقـــل
لقـــد كان مـــن حـــولين حـــالا ـ ولم أزر
هواي وان خـــوفت ـ عـــن حبهـــا شـــغل

استدعاه ليخبره أنه راض عنه ولكنه خائف عليه من بطش يزيد ، ويعتذر أبو دهبل بشدة فيعرض عليه معاوية أختاً لعاتكة ليتزوجها ويدفع له صداقها ، وقبل أبو دهبل ، وهكذا مات الهوى وانطوت الإشاعة .

ذ

ذو الرمة : (٧٧ - ١١٧هـ)

إنما قيل له « **ذو الرمة** » لقوله :

أشعث باقي رُمّة التقليد

والرمة بالضم الحبل البالي ، وبالكسر العظم البالي ، قال **أبو عمرو بن العلاء** : خُتم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة .

روى **المفضل الضبي** : « كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لي يوماً : هل لك أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة ؟ فقلت له : إن فعلت فقد برزتني ، فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعدل بي عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا أبيات شعر ، فاستفتح بيتاً ففُتح له وخرجت علينا امرأة طويلة شديدة الحسن بها قوة ، فسلمت وجلست ، وتحدثنا ساعة ثم قالت لي : هل حججت قط؟ قلت : غير مرة ، قالت فما منعك من زيارتي ، أما علمت أني مَنْسك من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذي الرمة .

تمـــام الحـــج أن تقـــف المطـــايا
على خـــرقاء واضـــعة اللثـــام

ولكنه شهر بحبه لميّ التي ظل يتغنى بها ويحبها زمناً وطوّف شعره فيها كل مطاف ، يقول :

وقفـــت على ربـــع لميـــة نـــاقتي
فما زلـــت ابـــكي عنـــده وأخـــاطبه
وأســـقيه حـــتى كان ممـــا ابثـــه
تـــكلمني أحجـــاره ومـــلاعبه

وكثيراً ما كان يدعو لها بالسقيا .

ر

راعي الإبل النميري : (.... ـ ٩٠هـ)

لُقب بذلك لكثرة وصفه للإبل بالجياد من القصائد ، واتصل الهجاء بين جرير وراعي الإبل واسمه **عبيد بن حصين** ، منذ جاء جرير إلى البصرة بين سنتي (١٧ و٧٣هـ) ويبدو أن راعي الإبل كان فرزدقي الهوى فقال في جرير :

يا صاحبي دنا الرحيل فسيرا
غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

ولج الهجاء بينهما ، إلى أن أخمد جرير خصمه ببيت سارت به الركبان ، فقد كان الراعي كلما لقي جريراً يعتذر له عما بدر منه ، وفي مرة كان معه ابنه وجندل ولم يكن في حنكة أبيه وفهمه ، فقال لجرير « والله لنهجونك من تلقاء أنفسنا » وضرب بغلته فنظم جرير قصيدته الدامغة والتي يقول فيها للراعي :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فقضح به الشاعر وقومه ، وجعله شؤماً عليهم وكانوا من خزيهم وضيقهم من ملاحقة الناس لهم بهذا البيت ، كانوا ينزحون عن منازلهم تواريأ من سماع هذا البيت من الأفواه .

ز

زياد الأعجم : (.... ـ ١٠٠هـ)

وزياد هذا **مولى عبد القيس** ، وكان ينزل **اصطخر** ، فغلبت العجمة على لسانه ، ويقال إنه دعا غلاماً له ليرسله في حاجة ، فأبطأ فلما جاءه قال له : منذ لدنْ دَاوْتُكَ إلى أن قلت لبِّيْ ما كنت تسنا ؟ أي : منذ لدن دعوتك إلى أن قلت لبيك ما كنت تصنع ؟ ولكنه كان شاعراً جزل الشعر فصيح اللسان ، كان **المهلب بن أبي صفرة** بخراسان ، فخرج إليه زياد الأعجم لمدحه ، فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً ، وبينما هو وحبيب بن المهلب يجلسان في دار إذ سمع حمامة تسجع فقال :

تغني أنت في ذممي وعهدي
وذمة والدي إن لم تطاري
وبيتك فأصلحيه ولا تخافي
على صفر مزغبة صغار
فإنك كلما غنيت صوتاً
ذكرت أحبتي وذكرت داري
فإن يقتلوه طلبت ثاراً
له بيا لأنك في جواري

فقال حبيب : يا غلام ، هات القوس ، ورمى الحمامة فقتلها ، فوثب زياد ودخل على المهلب فحدثه الحديث ، فطلب حبيباً وقال له : أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار ، فقال : أطال الله بقاء الأمير ، إنما كنت ألعب ، قال : أعطه كما آمرك ، فزياد لا يُرَوَّعُ جاره .

س

السيد الحميري الشيعي :

لم يتحمس شاعر لآل البيت كما فعل **السيد الحميري** ، وقف يوماً بالكناسة ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما علي من خلع ، فجعلوا يحدثونه وينشدهم . وكان يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية ، مذهب طائفة من المسلمين من أولي البدع والأهواء ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان ، وجاء رجل إلى السيد الحميري ، فقال له : بلغني أنك تقول بالرجعة ، فقال : صدق الذي أخبرك وهذا ديني ، قال : أفتعطيني ديناراً بمئة دينار إلى الرجعة ؟ قال السيد : نعم ، وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنساناً . قال : وأي شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي ، فأفحمه .

ش

الشَمَرْدَل بن شَرِيك : (.... ـ ١٠٠هـ)

كان **الشمردل بن شريك التميمي** معاصراً لجرير والفرزدق ، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقدامة إلى خراسان مع **وكيع بن أبي سود** ، فبعث وكيع أخاه وائل بن شريك في بعث لحرب الترك ، وقدامة إلى فارس وحكماً إلى خراسان ، فقال له الشمردل : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معاً في وجه واحد ، فإنا إذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا ، فلم يفعل ، وبعد مدة جاءه نعي قدامة ثم وائل ثم حكم ، فظل يهجو وكيعاً هجاءً مرّاً ويرثي إخوته رثاءً موجعاً ، ويقال إنه وقف ينشد قصيدة له مر فيها هذا البيت :

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة
وبين تميم غير حز الحلاقم

والفرزدق واقف يسمع ، فقال له : والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت أو لتتركن عرضك ، فقال الشمردل : خذه لا بارك الله لك فيه ، فادعاه الفرزدق وجعله في قصيدة مدح بها **قتيبة بن مسلم** ، ألا رحمت أساه يا فرزدق ، وكيع وأنت ؟!.

ص

الصِمَّة القشيْري :

شاعر بدوي مُقل **من شعراء الدولة الأموية** ، ولجده **قرة بن هبيرة** صحبة **بالنبي** ﷺ ، حكى **أبو الطيب الوشاء** أن **إبراهيم الأزد** قال له : لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري ، ما حنث :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت
مزارك من ريّا وشعباكما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً
وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

ض

ابن ضَبَّة : (.. ـ ١٣٠هـ)

اسمه يزيد وضبة أمه ، مات أبوه وخلفه صغيراً فنسب لأمه لشهرتها وكان منقطعاً إلى **الوليد بن يزيد** في حياة أبيه لا يفارقه ، فلما أفضت الخلافة إلى هشام ووفد ابن ضبة إليه يمدحه طرده من مجلسه ، وبلغ ذلك الوليد بن يزيد فبعث إليه بخمسمائة دينار ، واقترح عليه أن يرحل إلى الطائف ويتعيش من غلة ضياع الوليد بها ، فقال ابن ضبة يعرِّض بهشام :

أرى سلمى تصد وما صددنا
وغيْرَ صدودنا كنا أردنا
لقد بخلت بنائلها علينا
ولو جادت بنائلها حمدنا

وحين آلت الخلافة إلى الوليد دخل عليه ابن ضبة ليهنئه فأدناه الوليد وضمه إليه وقال لأصحابه : هذا طريد الأحول لصحبته إيّاي وانقطاعه إلي ، واستأذن ابن ضبة في الانشاد فأنشد قصيدته الرائية :

سليمى تلك في العير
قفي أسألك أو سيري

فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ، ويعطى لكل بيت ألف درهم ، وكانت خمسين بيتاً ، **وكان الوليد بذلك أول خليفة عدّ أبيات وأعطى على عددها** ، ثم لم يفعل ذلك إلا **هارون الرشيد** مع **مروان بن أبي حفصة ومنصور النمري** تقليداً لما حدث مع ابن ضبة .

ط

الطُرمّاح : (... ـ ١٠٠هـ)

الطرماح بن حكيم من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ، منشؤه بالشام واعتقد **مذهب الخوارج الأزارقة** ، وكان **الكميت الشيعي** صديقاً للطرماح لا يكادان يفترقان في حال من أحوالهما ، فقيل للكميت : لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد ، هو شامي قحطاني خارجي ، وأنت كوفي نزاري شيعي ، فعلام اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال : **اتفقنا على بُغض العامة** .

ظ

ابن ظُفر :

هو المقنع ، **محمد بن عمير الكندي** ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأمدهم قامة ، وهو القائل في قومه معاتباً :

لا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هُمُ
دعوني إلى نصر أتيتهم شدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ع

عدي بن الرُقاع : (... ـ ٩٦هـ)

كان شاعراً مقدما عند بني أمية مدّاحاً لهم خاصاً **بالوليد بن عبد الملك** وتعرّض لجرير ولكنه لم يتمكن من شفاء غليله منه لحماية الوليد لعدي . وحدث أن ذكر **كثيّر وعدي بن الرقاع** في مجلس بعض خلفاء بني أمية ، فأقروا فيهما ، أيهما أشعر وفي المجلس جرير ، فقال جرير : لقد قال كثيّر بيتاً هو أشهر وأعرف في الناس من عدي بن الرقاع نفسه ، ثم أنشد قول كثير :

ألا زمّ أجمال وفارق جيرة
وصاح غراب البين أنت حزين

فحلف الخليفة لئن كان عدي بن الرقاع أعرف في الناس من بيت كثيّر ليفعل عدي في جرير كذا وكذا ، فكتب إلى واليه بالمدينة ، إذا فرغت من خطبتك فسَلْ الناس من الذي يقول :

ألا زمّ أجمال وفارق جيرة
وصاح غراب البين أنت حزين

فلما فرغ الوالي من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أسألكم من الذي يقول :

ألا زمّ أجمال وفارق جيرة

فابتدروا من كل وجه يقولون : كثيّر كثيّر ، ثم قال : وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرقاع ، فقالوا : لا ندري ، حتى قام أعرابي من مؤخر المسجد فقال : **هو من عاملة** .

غ

غيّاث بن غوث : (٢٠ ـ ٩٥هـ)

هو **الأخطل** ، وكان نصرانياً ومحله من الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، دخل على **عبد الملك** فاستنشده ، فقال : قد يبس حلقي ، فمُرْ من يسقيني . فقال : اسقوه ماء . فقال : شراب الحمار ، قال : فاسقوه لبناً ، قال : عن اللبن فطمت ، قال : فاسقوه عسلاً ، قال : شراب المريض ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : خمراً يا أمير المؤمنين ، قال : أوعدتني أسقي الخمر لا أمّ لك ؟ لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت ! فخرج فلقي فراشاً لعبد الملك ، فقال : ويلك اسقني شربة خمر ، فقال : اعدله بأخر فسقاه كأساً آخر ، فقال : تركتهما يتعاركان في بطني ، اسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً ، فقال : تركتني أمشي على واحدة ، اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعاً ، فدخل على عبد الملك فأنشده :

خفّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غيَرُ

فقال عبد الملك : خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألقِ عليه من الخلع ما يغمره ، إن لكل قوم شاعراً ، وإن شاعر بني أمية الأخطل .

ف

الفرزدق : (٢٠ ـ ١١٤هـ)

الفرزدق لقب غلب عليه واسمه **همّام بن غالب** ، روى **عبد العزيز بن عمران** أن الفرزدق لقي **كثير عزة** في قارعة الطريق فقال له : يا أبا صخر ، أنت أنسب العرب حيث تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما
تمثّل لي ليلى بكل سبيل

قال كثيّر :

وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال عبد العزيز بن عمران : والبيتان لجميل ، سرق أحدهما الفرزدق وسرق الآخر كثيّر .

ق

القطارمي : (... ـ ١٠١هـ)

أول من لقب «صريع الغواني» من الشعراء ، وكان شاعراً فحلاً رقيق حواشي الكلام حلو الشعر حسن التشبيه قريب إلى جرير في شعره ، وعرف بكثرة الأمثال في شعره . وهو القائل :

أمور لو تدبرها حكيم
إذاً لنهى وهيب ما استطاعا
ولكن الأديم إذا تفرى
بلى وتعيناً غلب الصناعا
وخير الأمر ما استقبلت منه
وليس بأن تتبعه اتباعاً

● **الأديم** : الجلد ، **تفرى** : تقطع ، **البلى** : الاهتراء ، **التعيين** : التشويه .

ك

الكميْت : (٦٠ ـ ١٢٦هـ)

كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وكان ثبت الجنان كاتباً شاعراً نسّابة جدلا . وله في

أهل البيت القصائد المشهورة وهي أجود شعره ، قالوا : دخل الكميت على **علي بن الحسين رضي الله عنه** فقال : إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند **رسول الله** ﷺ ، ثم أنشده قصيدته التي أولها :

مـــن لقلـــب متـــيم مستهـــام
غـــير مـــا صـــبوة ولا أحـــلام

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإن الله لا يعجز عن مكافأتك ، اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت ثم قسط على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال : خذها يا أبا المستهل ، فقال له : لو وصلتني بدانق لكان شرفاً لي ولكن إن أحببت أن تحسن إلي فادفع إلي بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرك بها فقام علي بن الحسين فنزع ثيابه ودفعها إليه .

ل

الليثي :

هو المتوكل بن عبد الله الليثي الكوفي ، وكان في **عصر معاوية وابنه يزيد** ومدحهما ، وكان معتداً بنفسه ، أتى **عكرمة بن ربعي** الذي يقال له **الفياض** ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ، فقال : ما عرفته ، فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إلي سراً . وهو القائل :

الشـــعر لـــبُّ المرء يعـــرضه
والقـــول مثـــل مـــواقع النبْـــل
منهـــا المقصِّرُ عـــن رميتـــه
ونـــوافذ يـــذهبْن بـــالخصْل

والخصل : الخطر .

م

مسكين الدّرامي : (.... ـ ٩٠ هـ)

شاعر شجاع **من أهل العراق** ، وقد قدم على معاوية وسأله أن يفرض له عطاءً فأبى معاوية فخرج من عنده قائلاً :

أخاك أخـــاك ، إن مـــن لا أخـــا لـــه
كســـاع إلى الهيجـــا بغـــير ســـلاح

وصالحه معاوية ، فرد له مسكين الجميل وذلك حين أراد معاوية أن يبايع لابنه بولاية العهد وكان متهيباً ، دخل عليه مسكين الدارمي ومعه وجوه بني أمية ، فقال :

فـــإن أُدع مســـكيناً فـــإني ابـــن معشر
مـــن النـــاس أحمـــي عنهـــم وأذود
إليـــك أمـــير المؤمنـــين رَحلتُهـــا
تثير القـــطا ليـــلا وهـــن هجـــود
إذ المنـــبر الغـــربي خـــلاه ربـــه
فإن أمـــير المؤمنـــين يـــزيـــد

فانفرج كرب معاوية .

ن

النميري :

شاعر غزل مولّد ، ومنشؤه **بالطائف** ، وكان **يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف** ، وكانت نذرت إن عوفي أبوها من مرضه المزمن أن تمشي إلى البيت ، فعوفي ، فخرجت في نسوة ولم تقطع ما بين **مكة** والطائف إلا في شهر ، وفي ذلك يقول النميري :

تضـــوَّع مسْـــكاً بـــطن نعْمان إذ مشـــت
بـــه زينـــب في نســـوة عـــطرات

واشتهر الأمر وتوعده الحجاج فهرب النميري إلى عبد الملك واستجار به ، فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلت في زينب فأنشده القصيدة ، ولما وصل إلى قوله :

ولما رأت ركب النمـــيري أعـــرضت
وكن مـــن أن يلقينـــهُ حـــذرات

فقال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميري ؟ قال : أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القطران ، وثلاثة أحمرة صحبتني تحمل البعر ، فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً ، ثم قال : لقد عظمت أمرك وأمر ركبك ، وكتب إلى الحجاج ألا سبيل له عليه .

و

وضّاح اليمن : (.... ـ ٩٠ هـ)

كان وضاح قد شبب **بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان امرأة الوليد ابن عبد الملك** وهي **أم ابنه عبد العزيز بن الوليد** ، والشرف فيهم ، فبلغ الوليد تشبيه بها ، فأمر بطلبه فأُتي به ، فأمر بقتله ، فقال له ابنه **عبد العزيز** : لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقق قوله ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دهبل ، فإنه لما شبب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله ، فقال : اذاً تحقق قوله ، ولكن تبرُّه وتحسن إليه فيستحي ويكف ويكذِّب نفسه ، فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حياً . ومما قاله فيها :

أصـــحوتَ عـــن أم البنـــ ـــين وذكرهـــا وعنـــانها
وهجـــرتها هجـــر امـــرىء لم يقـــل صـــفو صـــفانها
قـــرشية كالشـــمس أشر ق ، نـــورها ببهـــانها

هـ

أبو الهندي :

كان من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، اشتهر منذ مطالع حياته بالفسق ومعاقرة الشراب ، وكان رحل إلى خراسان واستوطن في أواخر عمره **سجستان** ، ويقال إنه كان **بخراسان** يشرب على قارعة الطريق ، فمر به **نصر بن سيار** واليها للأمويين ، فقال له : ويحك يا أبا الهندي ألا تصون نفسك ؟ قال : لو صنتها لما وُليت أنت خراسان . وهو القائل :

اجعلـــوا ـ إن مـــت يـــوماً ـ كفـــني
ورق الـــكرم وقـــبري معْصره
وادفنـــوني وادفنـــوا الـــراح معـــي
واجعلـــوا الأقـــداح حـــول المقـــبره

ي

يزيد بن الطّثريّة : (.... ـ ١٢٦ هـ)

كان يزيد صاحب غزل ومحادثة للنساء ، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس شعراً ، وكان أخوه **ثور** سيداً كثير المال والنخل والرقيق ، وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لإبله ونخله ، فلا يكاد يُلم بالحي إلا قليلاً ، وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه **يزيد بن الطثرية** فتسق على عينه . فبينا يزيد مار في الإبل وقد صدر عن الماء إذ مرَّ بخباء فيه نسوة من الخواصر ، فلما رأينه قلن ، يا يزيد ، أطعمنا لحماً ، فقال : أعطينني سكيناً فأعطينه ، ونحر لهن ناقة من إبل أخيه ، وبلغ الخبر أخاه ، فلما جاءه أخذ بشعره وقنَّعَهُ وشتمه ، فأنشأ يزيد يقول :

يا ثـــور لا تشْـــتُمن عـــرضي فـــداك أبي
فإنما الشتْـــم للقـــوم العـــواريـــر
هبْهن ضـــيفاً عـــراكم بعـــد هجعتـــكم
في قطقط مـــن ســـقيط الليـــل منثـــور
وليس قـــزبكمْ شـــاء ولا لـــبن
أيرحل الضـــيف عنـــكم غـــير مجبـــور

آراء حول المجلة

بخصوص **الاستطلاعات** التي تقوم بها المجلة فقد لاحظت أن المجلة لا تقوم بها بنفسها وذلك واضح في كل استطلاع **فالصور** منقولة من مصادر أخرى وذلك واضح ونفس الاستطلاع لا يتكلم سوى عن **الناحية التاريخية** فقط، أما **الناحية الاجتماعية**، فإنه يغفل عنها، أرجو أن يكون الاستطلاع كله اجتماعياً لعموم الفائدة فيكون عن النواحي الاجتماعية **وعادات وتقاليد** المدن التي تقومون بالاستطلاع عنها، لأن فائدة ذكر عاداتها وتقاليدها كبيرة عن ذكر تاريخها لأن الكثيرين يعرفون التاريخ بينما لا يعرف الكثير النواحي الاجتماعية إلا من قام بزيارة تلك البلاد والتعرف على معالمها.

أيضاً بخصوص الغلاف فإني أرجو أن تكون صورة الغلاف أكثر تشويقاً وأرجو تلوين الغلاف في كل عدد بما يختلف عن الذي قبله.

وأتساءل عن اختفاء **كلمة رئيس التحرير** وأرجو ظهورها وزيادة عدد صفحاتها.

وأخيراً أرجو ظهور **عدد ممتاز** بعد كل سنة وأن تكون به هدية قيمة وأرجو أن تكون الهدية **صورة للوحة رسم من اللوحات العالمية** لتكون الفائدة عامة. هذه اقتراحاتي أكتبها إليكم وأرجو تنفيذها لازدهار الفيصل.

يوسف محمد الشامي
مكة المكرمة - السعودية

●● **المجلة**: مع تقديرنا لملاحظات الأخ يوسف الشامي وبهذه المناسبة نوضح وجهة نظرنا ليس للدفاع وإنما للتوضيح.

١ - بالنسبة للاستطلاعات فإن المجلة تكلف الكتّاب المختصين للكتابة عن المدن لإيماننا بأن هذه الطريقة تحقق **الأمانة التاريخية** والبعد عن الطرح الصحفي المعرض للخطأ **وتركيزنا على الجانب التاريخي والحضاري لكل مدينة يأتي من إيماننا بأن واقع المدن المعاصر متشابه وأن الجانبين التاريخي والحضاري اللذين لا يجد القارىء المعاصر الوقت الكافي للاطلاع على عدد من الكتب هما أحق بالتركيز**، فقد لمسنا أن أغلب القراء يعرفون عن واقع المدن المعاصر لكنهم لا يعرفون شيئاً عن نشأتها التاريخية ومساهماتها في حضارة الإنسان.

أما فيما يتعلق **بالصورة** فإلى جانب الصور التي تلتقطها **عدسة المجلة الخاصة** فإنها تكلف بعض المصورين في مختلف المدن التي كتبت عنها لتصوير المعالم كما تشتري السلايدات والصور المناسبة ويحدث أن تنقل بعض الصور حين تكون هذه الصور نادرة وقديمة إلى جانب اندثار معالمها، وذلك رغبة منها في التغطية الكاملة.. ومع ذلك فإن أغلب الصور المنشورة التقطتها عدسة المجلة الخاصة المرافقة لبعثاتها.

وبالنسبة **للعادات والتقاليد**، فنحن نورد ما نرى فيه فائدة ونبتعد عن العادات والتقاليد التي تثير الحساسيات ولا تخدم أهداف المجلة التي تسعى أن تكون وسيلة للتوحيد لا للتفريق والتركيز على الجوانب الايجابية والمشرقة.

٢ - بالنسبة للغلاف فإن المجلة لا تعنى بالإثارة وشكل الغلاف الحالي إحدى سماتها وتكوين شخصيتها، أما **الألوان** فلا نملك تغييرها لأنها ليست رسماً باليد يمكننا وضع الألوان وتغييرها وفق مزاجنا ورغبتنا.

٣ - ليس شرطاً أن يكتب **رئيس التحرير** في كل عدد وهو مع كثرة مسؤولياته ومشاغله يكتب حين يجد ما يستحق الكتابة عنه وخير الكلام ما قل ودل.

٤ - بالنسبة **للعدد الممتاز** فإن المجلة قد قالت كلمتها عن ظاهرة الأعداد الممتازة وهي لن تتردد في تقديم الهدية المناسبة دون الارتباط بزمن.

الجرف القاري

قرأت في العدد ٢١ (فبراير/شباط سنة ١٩٧٩م)، في أجوبة مسابقة العدد ١٤ تعريفاً للجرف القاري حيث قال: «إنه ساحة من اليابسة تغطيها مياه ضحلة. وتحتوي على ثروات.. الخ».

ولما كنت أعتز كل الاعتزاز بمجلة الفيصل لأسباب كثيرة ليس أهمها ما تحرص عليه من علم وثقافة رفيعة. فإني أرجو أن أورد في السطور القليلة التالية تعريفاً للجرف القاري وبعض الأحكام القانونية التي تتصل به:

أولا: **تعريف الجرف القاري:**
Continental Shelf

«المناطق المتصلة بالشاطىء والتي توجد خارج البحر الإقليمي إلى عمق مئتي متر من سطح الماء أو إلى ما يتعدى هذا الحد إلى حيث يصل عمق المياه من السطح حد استغلال الموارد الطبيعية لهذه المناطق» (المادة الأولى من اتفاقية جنيف بشأن أعالي البحار).

ثانياً: **تعريف البحر الإقليمي**
Territorial Sea

هو الجزء من البحر الملاصق لشواطىء الدولة الساحلية والذي يمتد نحو أعالي البحار، وتمتد سيادة الدولة الشاطئية فوق بحرها الإقليمي والفضاء الهوائي الذي يعلوه وعلى قاعه وما تحت القاع (المادة الأولى من اتفاقية جنيف سنة ١٩٥٨م).

ثانياً: **النظام القانوني للجرف القاري:**

١ - كمقدمة بسيطة نقول إنه إذا كانت الدولة الشاطئية تمد سيادتها الكاملة على مياهها الإقليمية (الاتجاه الغالب بين الدول تحديد اتساع هذه المياه بـ ١٢ ميلاً بحرياً) - فإن ما وراء هذه المياه يعتبر من أعالي البحار. ولكن هناك منطقة تلي البحر الإقليمي تسمى المنطقة الملاصقة Contiguons تمارس فوقها الدولة بعض الاختصاصات المحدودة التي تتصل بالشؤون الجمركية أو المالية أو العلمية مما هو ضروري للمحافظة على أمنها وسلامتها وحيادها وقت الحرب (م٢٤ من اتفاقية البحر الإقليمي)، وهذه المنقطة لا يجوز أن تمتد لأكثر من ١٢ ميلاً ابتداء من الخط الأساسي الذي يبدأ منه قياس عرض البحر الإقليمي (م٢/٢٤).

ما وراء النقطة الملاصقة يعتبر من أعالي البحار أيضاً.. وهي مناطق حرة تماماً لكافة الدول أن تنتفع بها على قدم المساواة «**فلا يجوز قانوناً لدولة ما أن تدعي اخضاع أي قسم منها لسيادتها**» (المادة ٢ من اتفاقية جنيف لأعالي البحار) - وهذا يعني أن لكل دولة أن تمارس من هذه المناطق حرية الملاحة وحرية الصيد وحرية ارساء الكابلات والأنابيب وحرية الطيران.. الخ، هذا مع مراعاة أن تمارس هذه الحريات بالشكل الذي لا يعرقل حريات الدول الأخرى - ولكن قاع هذه المناطق يمكن أن يكون محل ملكية الدولة الشاطئية وبناء عليه - فإذا كانت أعالي البحار ليست محلاً لسيادة الدول - كان قاع هذه البحار وما تحته من طبقات أرضية يمكن أن يكون محلاً لملكية الدولة الشاطئية وذلك لاستغلال الموارد الطبيعية الموجودة من هذه الطبقات كلما كان ذلك ممكناً.

ولكن إلى أي مدى تستطيع الدول استغلال قاع أعالي البحار ؟؟ هنا يحدد القانون الدولي أحكام ما يسمى بالجرف القاري أو الامتداد القاري - باعتبار أن شواطىء الدول تمتد من انحدار تدريجي إلى مسافة تتجاوز البحر الإقليمي.

٢ - **الأحكام القانونية للجرف** القاري:

أ - نصت على هذه الأحكام اتفاقية جنيف الخاصة بالامتداد القاري سنة ١٩٥٨م.

ب - الامتداد القاري يوجد خارج المياه الإقليمية - ولهذا فإنه لا يعد جزءاً من إقليم الدولة الشاطئية.

جـ - الدولة تمتلك القاع وما تحت القاع من طبقات - أما المياه التي تعلو القاع فإنها بحار عالمية أي مياه حرة لكل الدول.

د - كذلك فإن الهواء فوق الامتداد القاري، يعتبر حراً لجميع الدول (م٣).

هـ - هذا الامتداد لا يجوز أن يزيد قدر انخفاضه عن مستوى سطح الماء لأكثر من ٢٠٠ متر إلا إذا سمحت ظروف الدولة الشاطئية باستغلال ما هو أبعد من ذلك، فيمتد إلى المدى الذي يمكن فيه هذا الاستغلال.

و - استغلال الدولة الشاطئية يجب أن يقتصر على الموارد الطبيعية المدنية وغيرها من الموارد غير الحية - ومن ثم فإن صيد الأسماك من منطقة الامتداد القاري يكون حراً لجميع الدول (م ٢).

ز - استغلال الدولة الشاطئة لقاع البحار في منطقة الامتداد القاري لا يجوز أن يعرقل استخدام المياه من فوقه (م ٥).

م - في حالة وجود دولتين ساحليتين متقابلتين أو متجاورتين كان الامتداد القاري لكل منها يتحدد بالاتفاق، وإلا فإن الحد الفاصل هو الخط الوسط بينهما (م ٦ من الاتفاقية).

اكتفي بهذا القدر - إن رأيتم فائدة من نشره في المجلة التي أعتز بها - والله يوفقنا وإياكم لما فيه خير أمتنا العربية.

محمد عبد العزيز الرفاعي
ماجستير في القانون - القاهرة
أستاذ القانون الدولي بالكلية الحربية

سؤال و جواب

علم الملائكة بالغيب

●● القارىء «عبد الباسط عمري» من حلب في سورية ، يقول في رسالة له :

«عند مطالعتي لمجلة الفيصل العدد رقم /١١/ ولدى قراءتي لأول بحث عن المؤتمر الإسلامي ورد تساؤل على لسان كاتب المقال ، استوقفني عنده وهو تساؤل : **هل كان قبل خلق سيدنا آدم خلق آخر ؟** هذا التساؤل ورد عند ذكر الآية الكريمة على لسان الملائكة : ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ﴾ صدق الله العظيم .

فالملائكة ليس عندهم علم بالغيب فكيف علموا بأن الآدميين سيفسدون ويسفكون الدماء إلا إذا كانوا يعلمون ذلك .

وبحثت في **تفسير ابن كثير** عن هذه الآية ، فكان جوابه لسببين :

● **أولا** : ورد بأن الله سبحانه وتعالى ، قد خلق الجن قبل خلق آدم فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فحقهم الله وأزالهم . . فكان قياس الملائكة لبني آدم مقارنة بالجن .

● **ثانياً** : إن الله سبحانه وتعالى ، قد أخبر الملائكة بما سيفعل بنو آدم في الأرض من سفك للدماء ، وفساد في الأرض فكان ردهم ذلك .

وبالنسبة لاقتناعي فالسبب الأول استبعدته ، لأنه ضعيف ولا يوافق المنطق السليم .

أما السبب الآخر . فلم يرد دليل على أن الله سبحانه وتعالى ، قد أخبر الملائكة بما سيفعل بنو آدم من سفك للدماء وفساد في الأرض .

وأنا احترت بين التفسيرين . . أرجو أن أجد عندكم الجواب الصحيح .

●● بعرض الرسالة على فضيلة الشيخ محمد الراوي أجاب عليها بما يلي :

«إن علم الملائكة بالغيب من تعليم الله لهم ﴿ لا علم إلا ما علمتنا ﴾ . . الآية . . وفي رسالة السائل إجابة عن سؤاله مما ذكره من تفسير ابن كثير في تفسير الآية الكريمة ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

رابطة العالم الإسلامي

●● من الدمام ـ المنطقة الشرقية ـ المملكة العربية السعودية تسأل الأخت «غزيل ناصر» عن عدد أعضاء رابطة العالم الإسلامي حالياً . . وإلى كم دولة ينتمون . . وما هي هذه الدول . . وهل في الامكان نشر تحقيق واف عن الرابطة في مجلة «الفيصل» ؟

●● أولا نعد الأخت غزيل بأننا سوف نقدم استطلاعاً وافياً عن رابطة العالم الإسلامي ، وغيرها من المؤسسات الإسلامية .

أما فيما يتعلق بعدد أعضاء هذه الرابطة فيبلغ ٦١ عضواً حيث يتألف منهم المجلس التأسيسي . . وهؤلاء الأعضاء ينتمون إلى البلدان التالية :

(الباكستان ـ نيجيريا ـ سنغافورة ـ الهند ـ الفلبين ـ الجزائر ـ تركيا ـ مصر ـ لبنان ـ المملكة العربية السعودية ـ سويسرا ـ قطر ـ الإمارات العربية المتحدة ـ الكويت ـ المغرب الأقصى ـ ماليزيا ـ نيبال ـ أوغندا ـ أفغانستان ـ أندونيسيا ـ موريشس ـ السودان ـ الأردن ـ فولتا العليا ـ جامبيا ـ ترينداد ـ سورية ـ سيلان ـ بنغلاديش ـ موريتانيا ـ بورما ـ تشاد ـ البحرين ـ غينيا ـ الكاميرون) .

وقد بدأ المجلس التأسيسي بـ ٣٩ عضواً ، وقد ينقص عدد أعضائه بوفاة أحدهم .

هذا ما أجاب به مصدر مسؤول في الرابطة .

كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارىء آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

علماء ومفكرون عرفتهم

مجلد من تأليف الشيخ محمد المجذوب .. عبارة عن رحلة طويلة مع عدد من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين أمثال (أحمد جمال ، جابر الجزائري ، حماد الجزائري ، عبد العزيز بن باز ، عبد الله القرعاوي ، علي أبو الحسن الندوي ، محمد الغزالي السقا ، محمود شيت خطاب ، الدكتور مصطفى السباعي ، مناع قطان ..وغيرهم) .

والكتاب يرصد تاريخ حياة كل واحد من هؤلاء العلماء والمفكرين الذين يبلغون ٢٠ شخصية ، ومؤلفاتهم إلى جانب نشره لآرائهم التي ناقشهم المؤلف من خلالها في عدد من القضايا العامة والخاصة ، في شكل أسئلة وأجوبة .

يقع الكتاب (المجلد) في ٤٧٠ صفحة من القطع المتوسط في طباعة أنيقة ، وورق جيد .. إصدار دار النفائس - بيروت - لبنان .

قاموس عربي - إنجليزي لمفردات المحاسبة

وهو أول قاموس يضعه الأستاذ طلال أبو غزالة ضم حوالي ثمانية آلاف مصطلح متداول عادة في علم المحاسبة .. وصاحبه يعتبره محاولة جديدة تهدف إلى توحيد اللفظة المحاسبية ذات المعنى الواحد ثم مساعدة من كانت لغته الأصلية الانجليزية أن ينطق اللغة العربية المحاسبية نطقاً صحيحاً .. يقع القاموس في ٢١٠ صفحات من القطع الكبير .

سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشاطاته وموقعه

تأليف الدكتور ناصر بن سعد الرشيد .. وهو كتاب كما يدل عليه عنوانه يتناول بتوسع وإفاضة تاريخ سوق عكاظ من جميع جوانبه .. موقعه .. نشاطه التجاري .. نشاطه الأدبي في الجاهلية والإسلام ، ويورد طائفة مختلفة من الآراء القديمة والحديثة حول موقعه مع مناقشة بعضها ، ثم ينتهي بتحديد موقع السوق من خلال هذه المناقشة إضافة إلى وقوفه شخصياً على مكان موقعه ، ويضع خارطة لموقع السوق من مدينتي مكة ، والطائف .

ومن خلال استعراض ثبت مراجع الكتاب ومصادره قديمها وحديثها يدرك القارىء مدى الجهد الذي بذله المؤلف .. يقع الكتاب في ١٨٧ صفحة مع الفهارس من القطع المتوسط - الناشر دار الأنصار بالقاهرة .

يوميات من رحلة البحار

ديوان الشاعر الدكتور وليد قصاب ، يضم ٢٧ قصيدة تتجاذب الغزل ، والوطنيات ، والارتباط بالأرض والذكريات .. الديوان تقديم الدكتور عبد المنعم إسماعيل .. يقع في ٩١ صفحة من القطع الصغير .

ثلاثة كتيبات للحمدان

من تأليف الأديب السوري محمد فهمي الحمدان ثلاثة كتيبات هي :

● «الشعر الهجين في الميزان» يتناول قضية الشعر الحر ، ومشكلة ترجمة الشعر من لغة إلى أخرى ، إلى جانب الشعر المنثور ، وهو الجزء الأول .. يقع في ٨٨ صفحة من القطع الصغير .

● «في عتبة الإسلام» دراسة تتناول أثر الإسلام على العرب من خلال إبراز القيم ، والتعاليم العادلة التي دعا إليها الدين الحنيف .. يقع في ٣٢ صفحة من القطع الصغير .

● «قطوف من الشعر الخليلي» مختارات لعدد من القصائد للشعراء (أحمد السقاف - من الكويت) ، (عمر أبو ريشة ، محمد الحناوي ، نزار قباني ، محمد منلا غزيل ، محمد فهمي الحمدان - وجميعهم من سورية) ، (عبد الله البردوني - من اليمن) ، (هاشم الرفاعي - من مصر) .. يقع في ٦٤ صفحة من القطع المتوسط .

الكتيبات الثلاثة طبعت في مطبعة المعري - حلب - سورية .

الهجرة .. انطلاقة وبناء

تأليف الكاتب أحمد عبد الرحيم السايح .. صدر عن سلسلة «دراسات في الإسلام» بإشراف وزارة الأوقاف المصرية - عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية العدد (٢١٤) ، والكتاب يتناول عدداً من قضايا التاريخ الإسلامي من خلال هجرة الرسول الكريم ﷺ من مكة إلى المدينة .. يقع في ١٥٦ صفحة من القطع الصغير .

ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي

يتناول فيه مؤلفه الدكتور محمد شوقي الفنجري من خلال فصلين يتفرعان إلى مطالب ، وفروع .. والفصلان بما يحتويانه من مطالب وفرع يناقشان :

١ - ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية .

٢ - أهمية الاقتصاد الإسلامي .

ومن خلال هذين الفصلين الطويلين يتناول نشأة الاقتصاد الإسلامي ، وتدريس مادته ، وغيرهما من القضايا المختلفة التي تتعرض أخيراً لأسباب اغفال تطبيق الاقتصاد الإسلامي ، ويضع الحل الذي يراه مناسباً لهذا الاغفال .

يقع الكتاب في ١٢٣ صفحة بفهارسه .. إصدار مكتبة الأنجلو المصرية .. وهو الكتاب الأول لسلسلة الاقتصاد الإسلامي .

همسات في أذن الليل

ديوان يحتوي على ٤١ قصيدة للشاعر السعودي محمد العيد الخطراوي يجمعها . إنها قصائد غزل سبق أن نشرها الشاعر في الصحف ، ويبدو من المقدمة القصيرة التي وضعها الشاعر حرجه أمام الذين يتصورون شعر الغزل بضاعة لا تشكل شيئاً من هموم الإنسان المسلوب الفرح ، لهذا يدافع عن موقفه باللجوء إلى نتف من تراث العرب وقصصهم مؤكداً أهمية هذا الشعر خاصة إذا ما جاء غزلا عفيفاً عذرياً ، وتعذره على شعوره بالحرج من ناحية ، ودفاعه من ناحية أخرى إذا ما عرفنا أن الشاعر من أبناء المدينة المنورة ، مدينة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

والشاعر من خلال قصائده يؤكد تمكنه في فن الشعر ، والتصاقه بموروث القصيدة العربية ، مع احتفاظه بالتواجد الصادق في شعره وشعوره .. الديوان من مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي .. يقع في ١٥٢ صفحة من القطع الصغير في طباعة أنيقة ، وورق يتناسب وقصائد الغزل .

معجم معالم الحجاز

هذا هو الجزء الأول ويشمل على حرفي الألف والباء .. من تأليف الكاتب السعودي المقدم عاتق بن غيث البلادي وهو معجم جغرافي أدبي تاريخي يتألف من عشرة أجزاء .. ولا شك أنه بصدور الأجزاء الأخرى سوف يجد القارىء في المكتبة السعودية مرجعاً لا يستهان به .. يعكس الجهد الكثير الذي بذله المؤلف .

الكتاب من مطبوعات نادي الطائف الأدبي .. يقع في ٢٧٨ صفحة من القطع المتوسط بما فيها صفحات تصويب الأخطاء المطبعية التي كان يجب عدم وقوعها لحساسية موضوع الكتاب ، وأهميته كمرجع في المستقبل .

إدارة تطوير مراعي المملكة العربية السعودية

تأليف الدكتور محمد نذير سنكري الأستاذ المساعد في كلية الزراعة - جامعة حلب - سورية ، وقد وضعه بصفته رئيساً لوحدة بحوث المراعي والبيئة الجافة .. والكتاب يهتم إلى جانب إدارة تطوير مراعي المملكة بدراسة بيئية نباتية تعاقبية لبعض المواقع الهامة فيها .

صدر عن المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة في دمشق التابع لجامعة الدول العربية .. والكتاب مزود بالجداول الإحصائية ، والرسومات البيانية .. يقع في ١٣٨ صفحة من القطع الكبير - مطبعة جامعة حلب .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ أسئلة هذا العدد كلها من مجلة «الفيصل» .. وهي من السهولة بحيث يستطيع الإجابة عليها الذين تابعوا أعداد السنة الثانية من المجلة (١٣ ـ ٢٤) . لهذا فإن قيمة الجائزة المقررة للمسابقة وقدرها عشرة آلاف ريال سعودي شهرياً سوف توزع على عشرين من الفائزين الذين يجيبون على كل الأسئلة بحيث يحصل كل فائز على جائزة مالية قدرها (٥٠٠ خمسمائة ريال) ، وذلك رغبة منا في إعطاء الفرصة لأكبر عدد ممكن من القراء .. وهذا التغيير في توزيع قيمة الجائزة خاص بمسابقة هذا العدد فقط.

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

نتائج مسابقة العدد السابع عشر

● من الطائف فازت الأخت (منه حامد عبد الجبار ـ ص ـ ب ٤٩٦) بالجائزة الأولى وقيمتها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ريال سعودي .

● من سوريا فاز الأخ (أحمد فؤاد تادفي ـ حلب ـ خان الوزير ـ بناية العصرونية ط ١) بالجائزة الثانية وقيمتها ألفي (٢٠٠٠) ريال سعودي .

● من مكة المكرمة فاز الأخ (عيسى أحمد المعطاني ـ شارع الستين ـ بجوار محطة المعطاني) بالجائزة الثالثة وقيمتها ألف وخمسمائة (١٥٠٠) ريال سعودي .

كما فاز كل من الأخوة التالية أسماؤهم بجائزة قيمة كل منها خمسمائة (٥٠٠) ريال سعودي :

١ ـ من مصر الأخ محمد فكري عبد الجليل / البنك الأهلي المصري / بور سعيد .

٢ ـ من المغرب الأخ محمد محمود علي / ثانوية سيدي محمد بن عبد الله / جرادة / إقليم وجدة .

٣ ـ من سوريا الأخت سوزان علي عطا / رقم ـ١ـ جادة سعسع شارع اليرموك دمشق .

٤ ـ من بريطانيا الأخ التجاني بن مصطفى بن الحاج محمود / لندن MR. TIJANI BEN MUSTAPHA 22, EDLECOMBE HOUSE– WHITLOCK DRIVE LONDON S.W 19. U.K

٥ ـ من مصر الأخ محمد مصطفى عبد العزيز درويش / الدرب الأحمر / ش السروجية / درب القصري ١١ .

٦ ـ من المغرب الأخ يوسف اللباد / الدائرة الخاصة للمشور / تواركة / الرباط .

٧ ـ من الأردن الأخ ممدوح سعيد صالح / ص . ب ٨٧١١ جبل الحسين ، عمان .

●● السؤال الأول :

ما هي المواضيع والقصص التي نشرتها المجلة بمناسبة عام الطفل (من العدد ٢٠ إلى العدد ٢٤) .. وما هي المواضيع التي تقترح طرحها في الأعداد القادمة ؟

●● السؤال الثاني :

من أبواب المجلة «رحلة في كتاب» ما هي الكتب التي نشرتها المجلة في سنتها الثانية من خلال هذا الباب .. مع ذكر أسماء مؤلفيها فقط (من العدد ١٣ - ٢٤) .

●● السؤال الثالث :

نشرت المجلة عن ١٢ مدينة من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي في سنتها الثانية (الأعداد من ١٣ - ٢٤) .. اذكر أسماء هذه المدن ؟

●● السؤال الرابع :

ما هي الأبواب التي استحدثتها المجلة في سنتها الثانية .. وما هي الأبواب الجديدة التي تقترح استحداثها في سنتها الثالثة ؟

●● السؤال الخامس :

ركزت المجلة على عدد من المواضيع في باب «موضوع خاص» .. ما هي المواضيع التي نشرت في هذا الباب خلال السنة الثانية (١٢ عدداً) .

●● السؤال السادس :

طرحت المجلة عدداً من القضايا المختلفة من خلال باب «ندوة الشهر» ما هي المواضيع التي نشرتها خلال سنتها الثانية (من العدد ١٣ - ٢٤) .

●● السؤال السابع :

في السنة الثانية من عمر المجلة أخذ باب «دائرة المعارف» طابعاً تخصصياً .. ما هي المجالات التي تعرضت لها دائرة المعارف في كل عدد من أعدادها الاثني عشر ؟

●● السؤال الثامن :

نشرت المجلة عدداً من القصص والمسرحيات .. اذكر أسماءها من العدد ١٣ إلى العدد ٢٤ ؟

●● السؤال التاسع :

اعتادت المجلة نشر تراجم بعض كتّابها في باب «من كتاب هذا العدد» اذكر أسماء هؤلاء الكتّاب خلال السنة الثانية من عمر المجلة .

●● السؤال العاشر :

أجرت المجلة عدداً من اللقاءات مع بعض المفكرين والأدباء العرب ، والأجانب في باب «لقاء مع» خلال سنتها الثانية .. اذكر أسماءهم ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

● العدد ٢٤ ●

الاسم : ------------------------------------

المهنة : ------------------------------------

العنوان : ------------------------------------

أجوبة مسابقة العدد السابع عشر

ج ١ أجريت أول عملية زرع قلب طبيعي في ٣ كانون الأول (يناير) ١٩٦٧ م، في مدينة الكاب (جنوب إفريقيا) اسم المريض لويس واشكنسكي، عمره (٥٥) عاماً دامت العملية ٥ ساعات.. عدد المساعدين ٣٠ شخصاً.. المرأة التي منحته قلبها هي الآنسة (دنيس دارفال)، لكن المريض مات بعد ١٨ يوماً من العملية.

ج ٢ هو عالم الرياضيات المسلم الفارسي غياث الدين بن محمد جمشيد الكاشي مكتشف الكسور العشرية.

ج ٣ أكبر بحيرة من حيث المساحة هي سوبيرير في أمريكا الشمالية. أعلى شلال هو إينجيل في فنزويلا. أطول نهر هو النيل. أكبر الغابات هي الواقعة شمال الاتحاد السوفياتي.

ج ٤ جامع المؤيد في القاهرة، جامع أيا صوفيا في استانبول، مسجد هانجير في لاهور بالباكستان، الجامع الأزرق في تبريز بإيران، مسجد اللؤلؤة في مدينة أجرا في الهند.

ج ٥ هو المسيو/ جورج اشميدت اللغوي الفرنسي.

ج ٦ ● **الإقواء** هو اختلاف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو منصوبة.

● **التذييل** هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه.

● **التضمين** هو أن يضمن الشاعر قصيدته بيتاً معروفاً مشهوراً أو حكمة أو مثلاً سائراً.

● **التدبيج** هو أنْ تطابق بين كنايتين أو توريتين.

● **الزحاف** من عيوب الشعر هو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء فيتكره السمع ويثقل على اللسان.

ج ٧ أول مخترع لجهاز القدبو هو **فالدمار بولسن** سنة ١٨٩٨ م.

ج ٨ هو (أبو عبد الله أو أبو موسى) **جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي**.

ج ٩ أول شخصين وصلا قمة افرست في الفريق الذي رافق الكولونيل (هنت) عام ١٩٥٣ م، هما: **أدموند هيلاري** (من نيوزيلند)، **وتنسنج**، وهو حمال من رجال الجبال من (كاتمندو) عاصمة نيبال، وارتفاع قمة افرست (٨٨٨٢) متراً.

ج ١٠ الرقم التقريبي لضحايا الحرب العالمية الثانية من الموتى فقط هو أكثر من ٣٦ مليون نسمة.

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج . ع . اليمنية	٣ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٢٥٠ مليماً
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

في أوربا.. وأمريكا.. وآسيا

بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيها استرليني
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
المانيا الغربية	٧ ماركات ألمانية
ايطاليا	٢٠٠٠ ليرة ايطالية
اسبانيا	١٠٠ بيزيتا اسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درخما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الاميركية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	١٠ روبيات

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ 〃 〃
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض